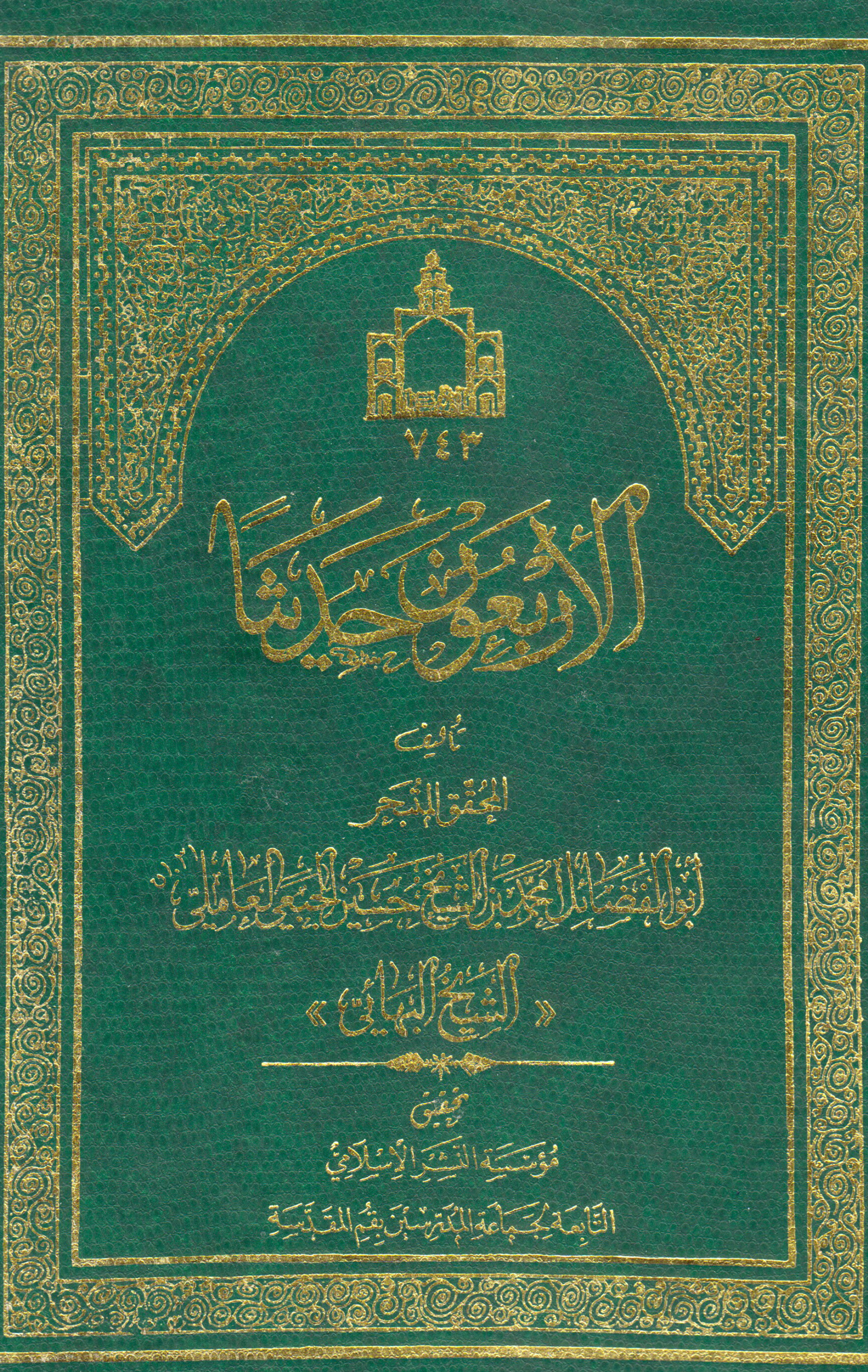
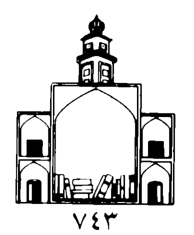

٧٤٣
الأربعون حديثاً
تأليف
المحقق المتبحر
أبو الفضائل محمد بن الشيخ حسين الجبعي العاملي
«الشيخ البهائي»
تحقيق
مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة



٧٤٣



تأليف

المحقق المتبحر

أبو الفضائل محمد بن الشيخ حسين الجبعي العاملي (١٠٣١ ه)

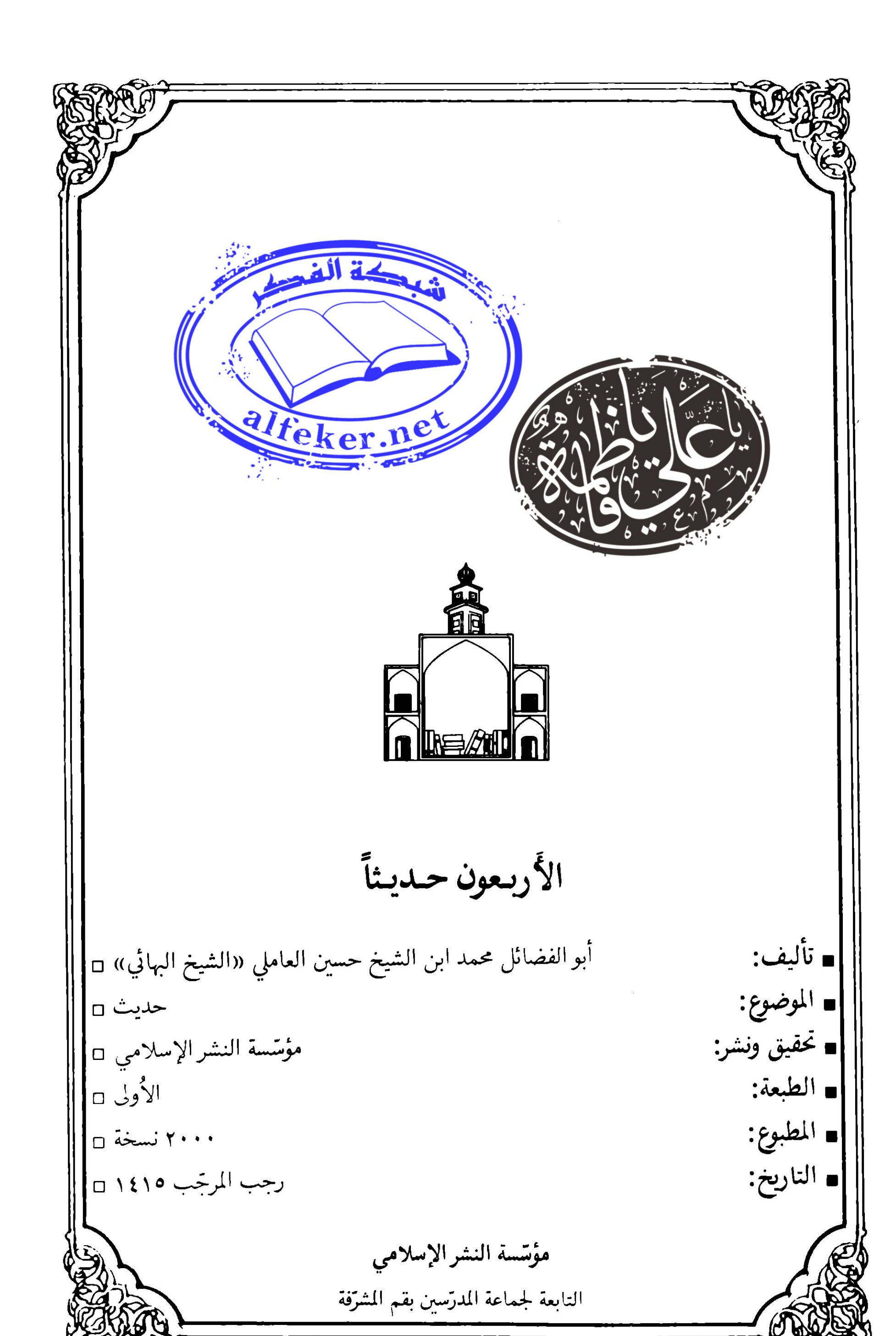
« الشيخ البهائي »



تحقيق

مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة



الأربعون حديثاً

■ تأليف: أبو الفضائل محمد ابن الشيخ حسين العاملي «الشيخ البهائي» □
■ الموضوع: حديث □
■ تحقيق ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي □
■ الطبعة: الأولى □
■ المطبوع: ٢٠٠٠ نسخة □
■ التاريخ: رجب المرجّب ١٤١٥ □

مؤسّسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيّدنا ونبيّنا محمّد وعلى آله الطيّبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

لا يخفىٰ على أهل البصيرة من أنّ السنّة الأكيدة البالغة إلينا بالطرق الصحيحة عن سيّد الرسل هو قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من حفظ على (من) أُمتي أربعين حديثاً .... الخ» وهذا الحديث المبارك من الأحاديث المعتبرة المقبولة عندنا، بل عند العامّة أيضاً كما صرّح به العلّامة المجلسيّ رضوان الله تعالى عليه حيث عقد باباً مستقلاً في بحاره بهذا العنوان وقال في آخره: هذا المضمون مشهور مستفيض بين الخاصّة والعامّة بل قيل إنه متواتر (البحار: ج٢ ص١٥٦ باب ٢٠ حديث ١٠).

ولأجل ذلك جرت سيرة الأعلام على اقتفاء هذه السنّة الكريمة بتأليف كتاب يدوّن فيه أربعون حديثاً، فقد أدرج العلّامة الطهرانيّ رحمه الله عدداً كبيراً من أسماء أُولئك الأعاظم في ذريعته (ج١ ص٤٢٥) منهم الشهيد الأوّل والحسين بن عبد الصمد ـ والد الشيخ البهائيّ ـ والمحقّق الفيض الكاشانيّ والشيخ الجليل الحرّ العامليّ وغيرهم من كبار الفقهاء قدّس الله أسرارهم.

وهذا الكتاب الماثل بين يديك هو كتاب الأربعين للعَلَم الزاهر والبحر الزاخر صاحب العلوم المختلفة والفنون الكثيرة فخر الإماميّة الشيخ محمد بن الحسين البهائيّ العامليّ رحمة الله عليه، فإنّ كتابه هذا كسائر كتبه يعتبر من المصادر المهمّة لروّاد العلم والفضيلة، ولأجل الاستفادة أكثر فأكثر من هذا السفر الجليل قامت المؤسّسة بتحقيقه ومقابلته مع النسخ الخطّية وطبعه ونشره بهذه الصورة.

وأخيراً تقدّم المؤسّسة جزيل شكرها للأخ المحقّق أبي جعفر الكعبيّ سائلة الله سبحانه أن يوفّقه وإيّاها لإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام والسلف الصالح إنه وليّ التوفيق.

مؤسّسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة حياة الشيخ البهائي

اسمه ونسبه:

هو الشيخ بهاءالدين أبوالفضائل محمد بن الحسين بن عبدالصمد بن محمدبن علي بن الحسن بن محمدبن صالح بن اسماعيل الحارثي الهمداني العاملي الجبعي.

يرجع نسبه الى الحارث بن عبدالله الأعور الهمداني من أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام، وهو المخاطب في قول علي عليه السلام:

يا حارَ همدان مَن يمت يَرني   من مؤمن أو منافق قُبلا

وهمدان قبيلة يمنية قطنت الكوفة بعد الفتح الإسلامي للعراق وقد كان لها دوراً بارزاً في مؤازرة أميرالمؤمنين عليه السّلام ونصرته حتّى قال أميرالمؤمنين في مدحهم والثناء عليهم:

لو كنت بواباً على باب جنّة   لقلت لهمدان اُدخلوا بسلام

و همدان فرع من قبيلة اكبر هي عاملة من قبائل اليمن التي سكنت جبال الشام وقد عُرفت هذه الجبال باسمها فسُمّيت «جبل عامل».

وقد أشار البهائي الى رفيع نسبه مخاطباً ومستنهضاً الإمام المنتظر صلوات الله عليه قائلاً:

و عجّل فداك العالمون بأسرهم   و بادر على اسم الله من غير إنظار
تجد من جنود الله خير كتائب   و أكرم أعوان و أشرف أنصار
بهم من بني همدان أخلص فتية   يخوضون أغمار الوغى غير فكّار
بكلّ شديد البأس عبل شمردلٍ   الى الحتف مقدام على الهول صبّار

والجبعي نسبة الى جبع قرية من قرى جبل عامل و هي الموطن الأصلي لآبائه وأجداده و إليها ينتسب كثير من علماء جبل عامل.

ولادته:

ولد الشيخ البهائي في سنة ٩٥٣ هجري قمري في بعلبك من قُرى لبنان . و قيل انّ ولادته قدّس سرّه كانت في سنة ٩٥١ هجري قمري، و ذهب بعض الى أنّها كانت سنة ٩٤٨ أو ٩٤٩ هجري قمري.

عائلته:

نشأ الشيخ البهائي في أجواء عائلة علميّة متديّنة ، وصف ذلك بنفسه قائلاً: «إنّ آباءنا وأجدادنا في جبل عامل كانوا مشتغلين بالعلم والعبادة وهم أصحاب كرامات ومقامات».

فوالده الشيخ العلّامة حسين بن عبدالصمد بن محمد كان من تلاميذ الشيخ الشهيد الثاني، وقد قال عنه الشهيد في إجازته له: «ثمّ انّ الأخ في الله،المصطفى في الأُخوة،المختار في الدين،المرتقي عن حضيض التقليد الى أوج اليقين... الى آخره كلامه»(١).

وقال عنه الحرّ العاملي في أمل الآمل: كان عالماً، ماهراً، محقّقاً، متبحّراً، جامعاً، أديباً، منشئاً، شاعراً، عظيم الشأن، جليل القدر، ثقة ثقة(٢).

---

(١) و(٢) أمل الآمل: ج ١ ص ٧٠.

وهو أيضاً حفيد أخ الشيخ الكفعمي صاحب المصباح والبلد الأمين وشرح الصحيفة ومحاسبة النفس.

اساتذته ومشايخه:

هاجر الشيخ البهائي مع والده وهو صغير السن الى ايران حيث تتلمذ هناك على ثلّة من علماء جبل عامل الذين كانوا قد شدّوا الرحال الى هذا البلد الإسلامي الذي أعلن تشيّعه حديثاً لنشر مذهب أهل البيت عليهم السلام. كما أنّ رحلات شيخنا البهائي في أقطار المسلمين قد استدعت كثرة من أخذ عنهم. ومنهم:

١ ـ والده الشيخ حسين بن عبدالصمد، ولد سنة ٩١٨ هجري قمري وتوفي في البحرين سنة ٩٨٤ هجري قمري. قرأ الشيخ البهائي على والده علوم العربيّة والحديث والتفسير. و روى عنه قراءة و سماعة و إجازة جميع مارواه من العلوم العقلية والنقلية عن الشيخ الشهيد الثاني رضوان الله عليه.

٢ ـ الفقيه المحقّق والمحدّث المتكلّم الشيخ عبدالعالي بن الشيخ علي بن عبدالعالي العاملي الكركي، نجل صاحب جامع المقاصد، ولد سنة ٩٢٦ وتوفّي باصفهان سنة ٩٩٣ هجري قمري.

٣ ـ الشيخ الفاضل المنطقي المولى عبدالله بن الحسين اليزدي الشهابادي المتوفى سنة ٩٨١ هجري قمري في اصفهان، كان علّامة زمانه، جليل القدر، له مؤلّفات منها: الحاشية على تهذيب المنطق للتفتازاني، وحاشية على الاستبصار.

٤ ـ المولى علي المذهب المدرّس، تتلمذ عليه في الرياضيات.

٥ ـ الشيخ أحمد الكجائي الكَهدمي الگيلاني النُهمني المعروف بـ «پير أحمد»، قرأ عليه في قزوين الرياضيات والحكمة.

٦ ـ النطّاسي المحنّك عمادالدين محمودبن مسعود الشيرازي، قرأ عليه الطّب.

٧ـ محمدباقر بن زين‌العابدين اليزدي المتوفّى حدود ١٠٥٦هجري قمري كان من أعاظم الرياضيين، من مؤلفاته: عيون الحساب، مطالع الأنوار في الهيئة.

عصره:

هنالك ظاهرتان بارزتان تشكّلان معالم‌العصر الذي عاش فيه شيخنا البهائي:

الأُولى: الدولة الصفوية.

الثانية: هجرة ثلّة من علماء جبل عامل الى ايران.

وقد ساهمت هاتان‌الظاهرتان في تكوين‌عقلية الشيخ البهائي وأبعاد تفكيره ونشاطه العلمي والسياسي.

١ـالدولة الصفوية:

تربّع الصفويون على عرش السلطنة في إيران من سنة ٩٠٧ هجري قمري الى ١١١٣هجري قمري، وتقوّض ملكهم على يد الأفغان، وبقي بعض أفراد هذه الأُسرة حاكماً في بعض الولايات وخصوصاً مازندران، و كان عام ١١٤٨هجري قمري -أي وقت جلوس نادرشاه على كرسي الحكم- نهاية كاملة لحكم هذه العائلة.

و يرجع نسب الصفويين الى الشيخ صفي الدين أبي الفتح اسحاق الأردبيليّ، و هو أحد مشايخ الطرق الصوفية المعروفين أنذاك، توفي في گيلان سنة ٧٣٥هجري قمري،وهو في سن‌الخامسة والثمانين،والمشهور أنّ‌الصفوية عائلة يرجع نسبها الى النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم،

و كان الشيخ صفي يقول بأنّه يتصل بالإمام الكاظم عليه السلام بعشرين ظهر. وكان اللسان الآذري (التركي) هو لسانهم الأصلي.

وهناك ظاهرة جديرة بالالتفات في تاريخ المسلمين وهي تصدّي حركات صوفية للعمل السياسي والإجتماعي وتسلّمها لمقاليد الحكم والسلطة السياسية وخروجها عن عزلتها الفكرية والإجتماعية.

ولعلّ السبب في ذلك يرجع الى طبيعة الدين الإسلامي الذي يحث المتدينين به الى تطهير نفوسهم من أدران الرذائل والتحلّي بالصفات والمحاسن الحميدة ﴿ونفس وما سوّاها* فألهمها فجورها وتقواها* قد أفلح مَن زكّاها* وقد خاب من دسّاها﴾[١] ويضعهم أمام مسؤولياتهم الاجتماعية ﴿كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون﴾[٢] ﴿إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان و إيتاء ذي القربىٰ وينهىٰ عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلّكم تذكّرون﴾[٣] ﴿و قاتلوهم حتّى لاتكون فتنة ويكون الدّين لله﴾[٤].

ولقد كانت الحركة الصفوية في بداية أمرها حركة عقائدية ثارت في وجه السياسة الطائفية المقيتة ودافعت عن التشيّع الذي كان يلاقي تقتيلاً وتشريداً في كلّ مكان. ووفرت فرص واسعة لنشر المذهب الشيعي.

ولكن هذا لايُبرر المظالم التي ارتكبها الصفويون أوسكوت الاشخاص عن ذلك، ولهذا فقد سجّل لنا التاريخ مواقف خالدة لزعماء الشيعة من تلك المظالم رغم التعاطف والتأييد العام لهذا الكيان السياسي الجديد للشيعة.فهذا المقدّس الأردبيلي زعيم الحوزة العلمية في النجف الأشرف

---

(١) الشمس: ٧ ـ ١١.

(٢) المائدة: ٧٩.

(٣) النحل: ٩٠.

(٤) البقرة: ١٩٣.

والمرجع المطلق للشيعة آنذاك يخاطب السلطان عبّاس الصفوي بمثل هذه الطريقة الجارحة حينما جاءه أحد الأشخاص فارّاً من طائلة عقاب السلطان رغم كونه من أردبيل مركز الصفويين وعاصمة دولتهم ومن أبناء جلدتهم:

«اعلم ياعبّاس صاحب الملك المعار إذا كان هذا الرجل ظالماً فقد أصبح هذا اليوم مظلوماً، فإذا عفوت عن تقصيره فعسى الله سبحانه يعفو عن جزء من تقصيراتك.عبد سلطان الولاية -يعني عبد أميرالمؤمنين عليه السلام- أحمد الأردبيلي».

فكتب له شاه عباس الجواب:

«نحيطكم علماً بأنّ الخدمات التي طلبتموها من عبّاس قد ادّاها و هو ممنون، أرجو أن لاتنسوا هذا المحبّ من دعاء الخير -كلب باب علي عليه السلام عبّاس».

ويقول الشيخ محمدباقر بن زين العابدين اليزدي من أساتذة الشيخ البهائي في إعلان موقفه من ذلك الوضع:

قد بُلينا بأمير	ظلم النّاس و سبّح
فهو كالجزار فيهم	يذكر اللّه و يذبح

و إليك سرداً بأسماء السلاطين الصفوية و تواريخ ملكهم:

١ ـ شاه إسماعيل الأوّل	٩٠٧ ـ ٩٣٠ هـ. ق.
٢ ـ شاه طهماسب الأوّل	٩٣٠ ـ ٩٨٤ هـ. ق.
٣ـ شاه إسماعيل الثاني	٩٨٤ ـ ٩٨٥ هـ. ق.
٤ ـ محمد خدابنده	٩٨٥ هـ. ق.
٥ ـ شاه عبّاس الأوّل	٩٨٥ ـ ١٠٣٨ هـ. ق.
٦ ـ شاه صفي	١٠٣٨ ـ ١٠٥٢ هـ. ق.
٧ ـ شاه عبّاس الثاني	١٠٥٢ ـ ١٠٧٧ هـ. ق.

٨ ـ شاه سليمان ١٠٧٧ ـ ١١٠٥ هـ. ق.

٩ ـ شاه سلطان حسين ١١٠٥ ـ ١١٣٥ هـ. ق.

و قد عاصر الشيخ البهائي ثلاثة من سلاطين الصفوية و هم شاه إسماعيل الثاني ومحمد خدابنده وشاه عبّاس الأوّل الذي يعتبر من أعظم سلاطين الصفوية، و قد استولى على السلطة و هو فتى سنة ٩٩٥ هجري قمري بعد مقتل أخويه حمزة واسماعيل، ونقل العاصمة من قزوين الى إصفهان، و كان الضعف قد سرى في عروق الدولة الصفوية واختلّت أحوالها واستولى السلطان العثماني سليم الثاني على كثير من المدن كتبريز و شروان و گيلان، و نشط الاوزبكيون في أطراف البلاد واستفحل أمرهم، فصالح الدولة العثمانية وانثنى الى كبح جماح الأزبكية من بلاد خراسان فكانت له معهم وقائع عظيمة انتهت بفوزه، ثمّ قصد حرب العثمانيين فحاربهم حتّى سنة ١٠١٩هجري قمري وصالحهم في تلك السنة فثبّت حكمه على شروان وكردستان وأرمينية، ثمّ عاد العثمانيون لمحاربته فلم ينالوا منه واضطروا الى مصالحته مرّة أُخرى سنة ١٠٢٧هجري قمري. ثمّ استولى على قندهار وضمّها الى بلاده، وسيطر على بغداد التي كانت في أيدي العثمانيين سنة ١٠٣٢هجري قمري وبقيت في يد الصفويين الى أن رجع العثمانيون اليها سنة ١٠٤٨هجري قمري بقيادة السلطان مراد.

توفّي شاه عبّاس في سنة١٠٣٨**هجري**قمري بإصفهان ودُفن بأردبيل في تربة الشيخ صفي الدين و قد تجاوز السبعين عاماً و قد حكم ثلاث و خمسين سنة.

وقد ظلّ الصفويون أوفياء للمذهب الشيعي بحدود عقليتهم القاصرة و يعود اليهم الفضل في توسيع دائرة التشيّع في إيران و آذربيجان و افغانستان.

٢ ـ هجرة ثلّة من علماء جبل عامل إلى إيران:

لاقى ظهور الدولة الصفوية و تبنّيها للتشيّع تعاطفاً و تأييداً بين صفوف الشيعة و علمائهم وخاصة في أقاليم التمييز الطائفي والتعصب المذهبي، وكان لعلماء جبل عامل دوراً هاماً في دعم هذه الدولة والهجرة اليها و تسلّم المناصب الدينيّة والقضائية و غيرها، و تعريف الناس بالمذهب الشيعي وعقائده وأحكامه و تأليف الكتب في هذا المجال وكتابة القوانين الشرعية للدولة. ومن هؤلاء العلماء:

١ ـ الشيخ ظهيرالدين أبواسحاق ابراهيم بن الشيخ نورالدين أبي القاسم علي بن تاج الدين عبدالعالي الميسي العاملي. فقيه عالم جليل من علماء دولة السلطان شاه طهماسب الصفوي. قال في رياض العلماء: وهو ولد الشيخ علي الميسي المشهور الذي أجازه الشيخ علي الكركي وأجاز هو الشهيد الثاني[1].

٢ ـ السيد نظام الدين أحمد بن زين العابدين العلوي العاملي، من وجوه تلاميذ الشيخ البهائي العاملي والميرزا محمدباقر الداماد. وكان صهراً للميرداماد وابن خالته، وله حواشٍ فقهية و«سيادة الأشراف» و«المنهاج الصفوي» و «مصقل الصفاء في ردّ النصارىٰ» و كتاب المعارف الإلهية و كتاب كشف الحقائق وكتاب مفتاح الشفاء وكتاب العروة الوثقىٰ وكتاب النفحات[2].

٣ ـ السيد ميرزا حبيب الله بن الحسين بن الحسن الحسيني الموسوي العاملي، كان عالماً جليل القدر عظيم الشأن كثير العلم والعمل، سافر الى اصفهان و صار فيها صدر العلماء والأمراء، و كان أولاده و أبوه و جدّه

---

(١) أمل الآمل: ج ١ ص ٨٢ رقم (١١).

(٢) أمل الآمل: ج ١ ص ٩٥ رقم (٢٧).

فضلاء، وكانوا معاصرين للشيخ البهائي[١].

٤ـ الشيخ حسين بن عبدالصمد بن محمد الحارثي الهمداني الجبعي العاملي والد الشيخ البهائي، تتلمذ على يد الشهيد الثاني الذي قال عنه في إجازته له: «ثمّ إنّ الأخ في الله المصطفىٰ في الأُخوة، المختار في الدين، المرتقي عن حضيض التقليد الى أوج اليقين، الشيخ الإمام العالم الأوحد ذي النفس الطاهرة الزكية والهمّة الباهرة العلية والأخلاق الزاهرة الانسية، عضد الاسلام والمسلمين، عزّ الدنيا والدين، حسين بن الشيخ الصالح العالم العامل المتقي المتفنن خلاصة الأخيار الشيخ عبدالصمد بن الشيخ الإمام شمس الدين محمد الشهير بالجبعي أسعد الله جدّه و جدّد سعده و كبت عدوّه و ضدّه ممّن انقطع بكلّيته الى طلب المعالي، و وصل يقظة الأيّام بإحياء الليالي حتى أحرز السبق في مجاري ميدانه وحصّل بفضله السبق على سائر أترابه وأقرانه وصرف برهة من زمانه في تحصيل هذا العلم و حصّل منه على أعلى نصيب وأوفر سهم».

هاجر الى إيران و ألّف رسالة في تصحيح قبلة عراق العجم و خراسان، وردّ في هذه الرسالة على الشيخ علي بن عبدالعالي الكركي الذي كان قد عيّن القبلة فيها، وسافر الى خراسان ثمّ الى هرات وتسنّم منصب شيخ الإسلام فيها، ثمّ انتقل الى البحرين حيث وافاه الأجل هناك عن عمر يناهز السادسة والستّون عاماً. له كتاب الأربعون حديثاً وحاشية على الإرشاد، و كتب كتاب العقد الطهماسبي للشاه طهماسب، وشرح ألفية الشهيد الأوّل، ورسالة في صلاة الجمعة[٢].

٥ ـ الشيخ نورالدين علي بن عبدالعالي الكركي المعروف بالمحقّق الثاني صاحب جامع المقاصد و مجدّد المذهب الحقّ، ناشر لمذهب

---

(١) أمل الآمل: ج ١ ص ٥٦ رقم (٤٢).

(٢) قصص العلماء: ص ٢٤٧، أمل الآمل: ج ١ ص ٧٤ رقم (٦٧).

الشيعة الإمامية الإثناعشرية في إيران. طلب منه الشاه طهماسب المجيء الى قزوين واصفهان لتولّي أُمور البلاد باعتباره نائب الإمام وهو أحد رعاياه و أبدى استعداده للعمل بأوامره و نواهيه، فتصدّى المحقّق الثاني للأمر وأنجز أعمالاً مهمّة في تنظيم الأُمور الشرعية في البلاد والإشراف على نشر التشيّع وتعليم الناس الأحكام الشرعية. وألّف رسائل في الأُمور المستحدثة التي تتعلّق بشؤون الحكم والدولة و وسّع البحوث الفقهية و أخرجها من طابعها الفردي الى الأُفق الاجتماعي و تنظيم شؤون الناس كرسالة قاطعة اللجاج في حلّ مسألة الخراج. وكان من أوائل القائلين بولاية الفقيه[١].

٦ ـ السيّد حسين بن محمد بن عليّ بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي، كان عالماً فاضلاً فقيهاً ماهراً جليل القدر عظيم الشأن، قرأ على أبيه صاحب المدارك و على الشيخ بهاء الدين و غيرهما من معاصريه، سافر الى خراسان وسكن فيها، وكان شيخ الإسلام -يعني أقضى القضاة- بالمشهد المقدّس على مشرّفه السلام. وكان مدرّساً في الحضرة الشريفة في القبة الكبيرة الشرقية[٢].

٧ ـ السيّد ميرزا علي رضا بن ميرزا حبيب الله الموسوي العاملي الكركي، كان فاضلاً عالماً محقّقاً مدقّقاً فقيهاً متكلّماً، جليل القدر عظيم الشأن، شيخ الإسلام في إصفهان، توفّي سنة ١٠٩١ هجري قمري[٣].

٨ ـ الشيخ علي بن صبيح العاملي، كان عالماً فاضلاً فقيهاً محدّثاً عابداً زاهداً ورعاً، شيخ الإسلام في يزد، معاصراً لشيخنا البهائي[٤].

---

(١) راجع قصص العلماء: ص ٣٤٧ ـ ٣٥٢.

(٢) أمل الآمل: ج ١ ص ١٢٠ رقم (١٢٣).

(٣) أمل الآمل: ج ١ ص ١٢٠ رقم (١٢٤).

(٤) أمل الآمل: ج ١ ص ١٢١ رقم (١٢٩).

٩ ـ السيّد ميرزا محمد معصوم بن ميرزا محمد مهدي بن ميرزا حبيب‌الله الموسوي العاملي الكركي، كان فاضلاً عالماً محقّقاً جليل القدر، شيخ الإسلام في إصفهان، توفّي سنة ١٠٩٥ هجري قمري[١].

١٠ ـ السيّد ميرزا محمد مهدي بن ميرزا حبيب الله الموسوي العاملي الكركي، كان عالماً فاضلاً جليل القدر عظيم الشأن، اعتماد الدولة في إصفهان[٢].

١١ ـ الشيخ زين الدين عليّ بن منشار العاملي، شيخ الإسلام، فاضل جليل، من المعاصرين للشاه طهماسب الصفوي، ومن تلامذة الشيخ علي الكركي[٣].

رحلاته:

كانت رحلة الشيخ البهائي قَدّس سرّه الأُولى بصحبة والده من مسقط رأسه بعلبك الى قزوين عاصمة الصفويين آنذاك وكان عمره سبع سنوات. و تتلمذ هناك على يد والده و علماء قزوين ثمّ اصفهان، واقترن بكريمة الشيخ زين الدين علي منشار العاملي شيخ الإسلام في إيران في عصر الشاه طهماسب، وكان من تلامذة الشيخ علي الكركي.

و لعلّ الشيخ البهائي قد اطّلع على أكثر العلوم الغريبة من مكتبة الشيخ علي منشار التي كانت تربو على الأربعة آلاف كتاب والتي جلب أكثرها من الديار الهندية حينما ورثت هذه المكتبة زوجة الشيخ البهائي من والدها إذ كانت وارثته الوحيدة. والمشهور بأنّ الشيخ البهائي لم يُنجب ولداً وقد ساعده هذا كثيراً على السفر والسياحة في أقطار العالم الإسلامي.

---

(١) أمل الآمل: ج ١ ص ١٨٠ رقم (١٨٥).

(٢) أمل الآمل: ج ١ ص ١٨٣ رقم (١٨٩).

(٣) رياض العلماء: ج ٤ ص ٢٦٦.

و قد حظي الشيخ البهائي بمنزلة رفيعة لدى الشاه الصفوي عبّاس الأوّل وارتقى أهمّ منصب ديني في الدولة الصفوية وهو منصب مشيخة الإسلام.

وقد اشتاقت نفس البهائي الى الفقر والسياحة وترك «تلك المناصب و مال لما هو لحاله مُناسب» على حدّ تعبير السيد المدني في سلافته[١].

فبدأ سياحته بحجّ بيت الله الحرام و مدينة الرسول صلّى الله عليه وآله و سلّم حيث استغرقت أربع سنوات، ثمّ سافر الى العراق لزيارة العتبات المقدّسة، واستقرّ في مصر سنتان، ورحل الى الشام والقدس وبقي فيها ردحاً من الزمان، ثمّ ذهب الى هرات، وزار بعدها مرقد الإمام علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه في خراسان ، ثمّ سافر الى آذربايجان ، و رجع بعدها الى إصفهان. وقد استغرقت سياحته هذه ثلاثين سنة كما ذهب الى ذلك صاحب السلافة.

وقد التقى في سياحته هذه بعلماء وأُدباء العالم الإسلامي آنذاك و دخل معهم في حوار علمي ومذهبي، وقد سجل لنا التاريخ جزءً يسيراً من تلك المباحثات والمناظرات الكثيرة.

وكان قدّس سرّه يحرص على عدم إظهار حقيقة مذهبه ويتظاهر بالمذهب الشائع في ذلك المصر فيعاشر كلّ فرقة بمقتضى طريقتهم ممّا دعا بعض علماء العامّة الى أنّه على مذهبهم، قال رضوان الله عليه:

و إنّي امرؤ لايدرك الدهر غايتي ... ولاتصل الأيدي الى سبرِ أغواري
أخالطُ أبناءَ الزمان بمقتضى ... عقولهم كيلا يفوهوا بإنكاري
و اُظهر أنّي مثلهم تستفزّني ... صروف الليالي باختلاء وإمرار[٢]

فكان يبتكر اساليب في التبليغ والترويج للمذهب الحقّ، فمثلاً

---

(١) سلافة العصر: ص ٢٩٠.

(٢) لؤلوة البحرين: ص ١٩.

حينما كان في مصر ألّف كتاب الكشكول ، و هو كتاب فريد في بابه ، لم يسبقه إليه أحد، حوى الكتاب طرائف و حكم و قصص وأخبار و أشعار لطيفة بثَّ في ثناياها أفكاراً وأدلّة و حججاً تدعو الى المذهب الصحيح، و سمّاه الكشكول وهو وعاء المتسوّل الذي يجمع فيه كلّ شيء.

أقوال العلماء فيه:

قال المحبّي في خلاصة الأثر:

«محمد بن حسين بن عبدالصمد الملقّب ببهاء الدين صاحب التصنيفات والتحقيقات، وهو أحقّ من كلّ حقيق بذكر أخباره ونشر مزاياه و اتحاف العالم بفضائله و بدائعه، و كان أُمّة مستقلّة في الأخذ بأطراف العلوم والتضلّع بدقائق الفنون، وما أظنّ الزمان سمح بمثله ولاجاد بندّه. و بالجملة فلم تتشنّف الأسماع بأعجب من أخباره»[١].

وقال السيد علي خان المدني تلميذ الشيخ البهائي في كتابه الحدائق الندية في شرح الصمدية:

«الإمام الفاضل المحقّق النحرير، المحدّث الفقيه، المجتهد النحوي الكبير، مالك أزمّة الفضائل والعلوم، محرز قصبات السبق في حلبتي المنطوق والمفهوم، شيخ العلم وحامل لوائه، بدر الفضل وكوكب سمائه أبوالفضائل محمد بن شيخ عزّالدين حسين بن الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن علي بن حسن بن محمد بن صالح الجبعي العاملي الحارثي الهمداني رحمه الله تعالى.. كان ذافضل ظاهر وأدب باهر، ملك للعلوم قيادا، واعمل فيها رواسم وجيادا، خبّ في المعاني ووضع، ورفع ماشاء و وضع، فأصبح وهو المختلف إليه والمتفق عليه، حجته قاطعة، وبهجته

---

(١) خلاصة الأثر: ج٣ ص ٤٤٠.

ساطعة، به يهتدي المارّون، ومنه يحتذي الممتارون، لم يكن في زمانه من يجاريه ولا يباديه،بل لا يقاربه ولا يدانيه،إليه ترجع الأقوال إذا تصعّبت، وعليه تجتمع الآراء إذا تشعّبت، فللّه هو من إمام ألبستُ كتابي بذكره تاجاً، وأوضحت له من سبيل اليُمن منهاجاً، فأصبح باكليل البهاء مكلّلاً، وبسماء الفخار مظلّلاً،وناهيك ببهاء الدين من بهاء،منه مبدأ الفضل وإليه المنتهى»[١]

وقال في سلافة العصر:

«علم الأئمّة الأعلام، وسيّد علماء الإسلام، وبحر العلم المتلاطمة بالفضائل أمواجه، و فحل الفضل الناتجة لديه أفراده و أزواجه، و طود المعارف الراسخ، و فضاؤها الذي لاتحدّ له فراسخ ، و جوادها الذي لايؤمل له لحاق، وبدرها الذي لا يعتريه محاق، الرُحَلَة الذي ضربت إليها أكابد الإبل، والقبلة التي فطر كلّ قلب على حبّها وجُبل. فهو علّامة البشر، و مجدّد دين الأئمّة على رأس القرن الحادي عشر، إليه انتهت رياسة المذهب والملّة ، و به قامت قواطع البراهين والأدلّة ، جمع فنون العلم وانعقد عليه الإجماع، وتفرّد بصنوف الفضل فبهر النواظر والأسماع، فما من فن إلّا وله فيه القدح المعلّى والمورد العذب المحلّى، إن قال لم يدع قولاً لقائل، أو طال لم يأت غيره بطائل، وما مثله ومن تقدّمه من الأفاضل والأعيان إلّا كالملّة المحمدية المتأخّرة عن الملل والأديان، جاءت آخراً فقامت مفاخراً، وكلّ وصف قلته في غيره فهو تجربة الخواطر»[٢].

وقال والد المجلسي قدّس سرّه:

«الشيخ الأعظم، والوالد المعظّم، الإمام العلّامة، ملك الفضلاء والأُدباء والمحدّثين، بهاء الملّة والحقّ والدين»[٣].

---

(١) الحدائق الندية في شرح الصمدية: ص ٣.

(٢) سلافة العصر: ص ٢٨٩.

(٣) روضة المتقين: ج ١ ص ٢٢.

وقال في موضع آخر:

«شيخنا وأُستاذنا ومن استفدنا منه، بل كان الوالد المعظّم، كان شيخ الطائفة في زمانه، جليل القدر، عظيم الشأن، كثير الحفظ، مارأيت بكثرة علومه، ووفورة فضله، وعلوّ مرتبته أحداً»[١].

وقال الشيخ الحرّ العاملي رضوان الله عليه فى أمل الآمل:

«حاله في الفقه والعلم والفضل والتحقيق والتدقيق وجلالة القدر و عظم الشأن وحسن التصنيف ورشاقة العبارة وجمع المحاسن أظهر من أن يذكر، وفضائله اكثر من أن تحصر، وكان ماهراً متبحّراً جامعاً كاملاً شاعراً أديباً منشأً ثقة، عديم النظير في زمانه في الفقه والحديث والمعاني والبيان والرياضي وغيرها»[٢].

وقال السيّد مير مصطفىٰ التفرشي في نقد الرجال:

«... جليل القدر، عظيم المَنزلة، رفيع الشأن، كثير الحفظ، مارأيت بكثرة علومه و وفور فضله و علوّ مرتبته أحداً في كلّ فنون الإسلام كمن كان له فنّ واحد، له كتب نفيسة جيدة»[٣].

الشيخ البهائي ومنزلته العلميّة:

لقد اقترن اسم البهائي باختراعاته العلمية العجيبة، وقد اشتهر صيته في الآفاق وتفوّق على أقرانه بسبب هذه المعاجز العلمية التي لازالت لغزاً الى اليوم، والتي منها هندسة المشهد العلوي في النجف الأشرف على قواعد هندسية فلكية لم تكن لتخطر في بال، إذ جعل الجدار الشرقي من سور المشهد يمتدّ قائماً من الشمال الى الجنوب بحيث يدلّ على وقت

---

(١) روضة المتقين: ج ١٤ ص ٤٣٤.

(٢) أمل الآمل: ج ١ ص ١٥٥.

(٣) نقد الرجال: ص ٣٠٣ رقم (٢٦٠).

زوال الشمس عند الظهر مجرّد سقوط أشعتها على وجهه الغربي في مختلف فصول السنة وبحسب منازل الشمس بحيث لا يؤثّر انتقالها من منزلة الى منزلة على توقيت ذلك الجدار للزوال بدقّة منقطعة النظير.

ومن انجازاته المعمارية أيضاً هندسة المشهد الرضوي في خراسان، فأقامه في بقعة واسعة سداسي الشكل، ذا مداخل فارهة منتظمة مع الآفاق، وذا باحات تحتوي بُرك ماء وأمكنة للوضوء، ينتصب في وسطه ضريح الإمام الرضا عليه السلام، فإذا ألقيت نظرة عليه حسبته يضيق بعشرات الزوار فإن أنت دخلته وجدته يسع الآلاف.

ومن الأسرار الهندسية لهذا الشيخ الفذ هندسته لمئذنتين تقومان الى الآن في إصفهان يمكن لرجل واحد أن يحتضن أحدها و يهزّها فتهتزّ المئذنة الأُخرى المقابلة لها وتتحرّك بحركتها بشكل ملحوظ.

ومن أسراره العلمية أيضاً بناء المسجد الجامع في اصفهان بحيث يردّ الصدى ستّ أو سبع مرّات.

و من معاجزه العلمية التي أخذت بألباب العلماء هو الحمّام الذي بناه و جعل ماءَه يسخن بشمعة واحدة أشعلها بيده فكانت كافية لتسخين الماء لمئات السنين، بحيث بقيت مشتعلة تسخّن الماء ولا تذوب الى عهد ليس ببعيد، حيث خرّبتها لجنة من العلماء الأجانب عملت على اكتشاف سرّها المدهش فانطفأت الشمعة بين أيديها ولم تدرك سرّ اشتعالها وعدم ذوبانها قرون عديدة.

تلامذة الشيخ البهائي ومن يروي عنه

أخذ عن شيخنا البهائي علوم الفقه والأُصول والتفسير والفلك والرياضيات والهيئة والحكمة والأدب أعداد غفيرة من العلماء الأفذاذ،

ويروي عنه بالإجازة جمع من الأعلام، واليك أسماء الفريقين مرتّبةً على الحروف الأبجدية:

١ ـ الشيخ إبراهيم بن فخرالدين العاملي البازوري، أمل الآمل ص ٥.

٢ـ السيّد نظام الدين أحمدبن زين‌العابدين العلوي،له إجازات ثلاث من‌المترجم‌له كتبها سنة ١٠١٨هجري قمري توجد في (إجازات‌البحار).

٣ ـ الشيخ أبوطالب التبريزي، تلميذلشيخنا البهائي وله منه إجازة كما في (رياض العلماء).

٤ ـ السيّد ظهيرالدين ابراهيم بن قوام الدين الهمداني المتوفّى سنة ١٠٢٥ هجري قمري له إجازةٌ من المترجم له (جامع الرواة، سلافة العصر، نجوم السماء).

٥ ـ السيّد ابوالقاسم الرازي الغروي، له اجازةٌ من المترجم له (وفيات الأعلام).

٦ ـ السيّد أحمدبن عبدالصمد الحسيني البحراني «سلافة العصر، أمل الآمل».

٧ ـ السيّد معين الدين محمد أشرف الشيرازي، كتب المترجم له إجازة له على كتابه (مفتاح الفلاح) سنة ١٠٢١هجري قمري.

٨ ـ السيّد أحمدبن الحسين بن الحسن الموسوي العاملي الكركي، توجد إجازة شيخنا البهائي له المؤرّخة سنة ١٠١٢ هجري قمري في إجازات البحار: ص١٣٢.

٩ ـ السيد بدرالدّين بن أحمد العاملي الأنصاري نزيل طوس، شارح الإثني عشريّة الصوميّة والصلاتيّة لأُستاذه المترجم له (أمل الآمل).

١٠ـ كمال الدين الحاجّ بابا بن ميرزا جان القزويني، كتب المترجم له إجازته سنة ١٠٠٧هجري قمري على ظهر (الحبل المتين) الذي كتبه المجاز له (الذريعة ج١ص٢٣٧، مستدرك الإجازات).

١١ ـ الأمير محمد باقر الاسترآبادي المشهور بطالبان (أمل الآمل: ص ٦٠).

١٢ ـ المولى محمدباقر بن زين العابدين اليزدي (تتميم أمل الآمل للقزويني، نجوم السماء).

١٣ ـ المولى بديع الزمان القهپاني له إجازة كتبها المترجم له على كتابه الإثني عشريّة الصلاتيّة (الذريعة ج ١ص ٢٣٧).

١٤ ـ الشيخ جعفر بن الشيخ لطف الله بن عبدالكريم الميسي العاملي الإصفهاني، أجاز له ولوالده سنة ١٠٢٠ هجري قمري، توجد في (إجازات البحار ص ١٣٠).

١٥ ـ الشيخ جوادبن سعدبن جواد البغدادي المعروف بالفاضل الجواد يروي عن المترجم له (المستدرك ج ٣ ص ٤٠٦).

١٦ ـ الشيخ جعفر بن محمد بن الحسن الخطي البحراني (أمل الآمل، سلافة العصر) وفي السلافة أنّه توفّي سنة ١٠٢٨ هجري قمري.

١٧ ـ المولى حسنعلي بن المولى عبدالله التستري المتوفّى سنة ١٠٦٩ هجري قمري كما في «السلافة» أو ١٠٧٥ هجري قمري، كتب المترجم له إجازته إيّاه سنة ١٠٣٠ هجري قمري، توجد في (إجازات البحار ص ١٤٠).

١٨ ـ الحاج المولى حسين اليزدي الأردكاني، له شرح خلاصة الحساب لأُستاذه المترجم له و لأُستاذه تقريظ عليه (رياض العلماء).

١٩ ـ السيد حسين بن السيّد كمال الدين الأبزر الحسيني الحلّي، يروي عن المترجم له كما فى إجازة الشيخ عبد علي الخمايسي الراوي عن السيّد حسين المذكور للشيخ ناجي الحُصيناوي الصادرة سنة ١٠٧٢ هجري قمري و غيرها من إجازاته.

٢٠ ـ الشيخ حسين بن الحسن العاملي المشغري نزيل مشهد الرضا

والمدفون بها يروي بالإجازة عن المترجم له، توجد على كتاب النكاح من التذكرة (أمل الآمل).

٢١ ـ الشيخ حسين بن علي بن محمد الحرّ العاملي نزيل اصفهان (أمل الآمل).

٢٢ ـ السيّد حسين بن محمدعلي بن الحسين العاملي الجبعي المتوفّى ١٠٦٩ هجري قمري (أمل الآمل).

٢٣ ـ السيّد حسين بن حيدر الكركي المتوفّى سنة ١٠٧٦هجري قمري، يروي عن المترجم له بالإجازات الثلاث المؤرّخة بسنة ١٠٠٣ و ١٠١٠ و ١٠٢٠ هجري قمري. (المستدرك ج٣ص٤١٧).

٢٤ ـ السيّد الأمير شرف الدين حسين كتب المترجم له إجازة له سنة ١٠٣٠ هجري قمري على إجازة الشهيد الثاني لوالد المجيز، توجد في (إجازات البحار).

٢٥ ـ ميرزا حاتم بيك اعتمادالدولة الأُوردبادي، أخذ الاسطرلاب من المترجم له وكتب استاذه (البهائي) له رسالته (الحاتميّة) بالفارسية ١٠١٩هجري قمري.

٢٦ ـ المولى خليل بن الغازي القزويني المتوفّى سنة ١٠٨٩ هجري قمري، يروي عن المترجم له (سلافة العصر، أمل الآمل، المستدرك ج٣ ص٤١٣).

٢٧ ـ المولى خليل بن محمد أشرف القايني الأصفهاني يروي عن المترجم له.

٢٨ ـ رضي الدين ابن أبي اللطيف القدسي (خلاصة الأثر ج٣ ص٤٤٣).

٢٩ ـ الشيخ زين الدين بن محمد حفيد شيخنا الشهيد الثاني المتوفّى سنة ١٠٦٤هجري قمري.

٣٠ ـ المولى سعيدبن عبدالله النصيري يوجد بعض تآليف استاذه بخطّه وعليه خطّ استاذه.

٣١ ـ المولى سلطان حسين بن المولى سلطان محمد الاسترآبادي مؤلّف (تحفة المؤمنين) استشهد سنة ١٠٧٨هـجري قمري (رياض العلماء).

٣٢ـ الشيخ سليمان بن علي بن راشد البحراني الشاخوري المتوفّى سنة ١١٠١هجري قمري (روضات الجنّات ص ٥٣٩).

٣٣ ـ كمال الدين السيّد شاه مير الحسيني كتب المترجم له إجازة له على نسخة من أربعينه سنة ١٠٠٨ هجري قمري (الذريعة ج ١ ص ٢٣٨).

٣٤ ـ المولى صالح بن أحمد المازندراني المتوفّى سنة ١٠٨١ هجري قمري يروي عن المترجم له (المستدرك ج ٣ ص ٤١٣).

٣٥ ـ المولى محمد صادق بن محمد علي التويسركاني شارح لغز استاذه (الذريعة).

٣٦ ـ المولى محمد صالح الجيلاني نزيل اليمن المتوفّى سنة ١٠٨٨ هجري قمري (نسمة السحر).

٣٧ ـ الشيخ صالح بن الحسن الجزائري له أسؤلة عن المترجم له أجاز له في جوابها (أمل الآمل).

٣٨ ـ الشيخ نجيب الدين علي بن محمدبن مكّي العاملي الجبعي (أمل الآمل).

٣٩ ـ الشيخ زين الدين علي بن سليمان البحراني المتوفّى سنة ١٠٦٤ هجري قمري، حكى شيخنا الشيخ سليمان الماحوزي البحراني إجازة المترجم له إيّاه في تراجم علماء البحرين (لؤلؤة البحرين، المستدرك ج ٣ ص ٣٨٨).

٤٠ ـ المولى عبدالوحيد بن نعمة الله الديلمي الاسترآبادي صاحب

التآليف الكثيرة، (رياض العلماء).

٤١ ـ الشيخ علي بن محمود العاملي (أمل الآمل).

٤٢ ـ الشيخ علي بن نصرالله الجزائري مؤلّف الحاشية على الروضة البهيّة (رسالة الشيخ سليمان الماحوزي في علماء البحرين).

٤٣ ـ المولى عزّالدين علي النقي بن أبي العلا محمد هاشم الكمرئي المتوفّى سنة ١٠٦٠هجري قمري، يروي عن المترجم له (مستدرك النوري ج٣ ص ٤٠٥).

٤٤ ـ الشيخ عبدالعليّ بن ناصر بن رحمة الله الحويزي، صاحب تآليف كثيرة (أمل الآمل).

٤٥ ـ الشيخ عبداللطيف بن علي العاملي الحويزي (أمل الآمل، مستدرك الوسائل).

٤٦ ـ السيد عبدالعظيم بن السيّد عباس الاسترآبادي (رياض العلماء).

٤٧ ـ السيّد شمس الدين علي بن محمدبن علي الحسيني الخلخالي شارح خلاصة الحساب، وتشريح الأفلاك لأُستاذه سنة ١٠٠٨هجري قمري (رياض العلماء).

٤٨ ـ السيّد بهاءالدين علي الحسيني التفرشي، أجاز له المترجم له سنة ١٠١٣هجري قمري سابع شهر رمضان (مستدرك الإجازات).

٤٩ ـ السيّد شرف الدين علي الطباطبائي الشولستاني الغروي المتوفّى ١٠٦٠ هجري قمري يروي عن المترجم له (المستدرك ج٣ ص ٤٠٩).

٥٠ ـ الشيخ نورالدين علي بن عبدالعزيز البحراني، أجاز له المترجم له في شوّال سنة ٩٩٨.

٥١ ـ القاضي علاءالدين عبدالخالق المعروف بالقاضي زاده

الكرهرودي (رياض العلماء).

٥٢ ـ المولى مظفّر الدين عليّ له رسالة في ترجمة استاذه المترجم له•و تعاليق على أربعينه.

٥٣ ـ الشيخ علي بن أحمد النباطي العاملي شارح الإثني عشريّة الصلاتيّة لأُستاذه المترجم له، أجاز له بالإجازات الثلاث سنة ١٠١١ و ١٠١٢ هجري قمري، توحد بعض تآليف استاذه بخطّه وعليه إجازاته له.

٥٤ ـ الشيخ زكي الدين عنايت الله بن شرف الدين علي القهپاني النجفي مؤلّف (مجمع الرجال).

٥٥ ـ المولى غياث الدين علي الاصفهاني، يروي عن المترجم له كما في إجازات البحار ص ١٣٦.

٥٦ ـ السيّد علي العلوي البعلبكي العامليّ، ولعلّه السيّد علي بن علوان الحسيني.

٥٧ ـ ميرزا قاضي بن كاشف الدين محمد اليزدي نزيل مشهد الرضا عليه السلام، صاحب (التحفة الرضويّة في شرح الصحيفة السجادية).

٥٨ ـ المولى محمدقاسم الجيلاني (نجوم السماء).

٥٩ ـ السيّد الأمير سراج الدين قاسم بن المير محمد الطباطبائي القهپاني، يروي عن المترجم له (جامع الرواة، المستدرك ج٣ ص٤٠٩).

٦٠ ـ المولى محمد كاظم بن عبد عليّ الجيلاني التنكابني شارح تشريح الأفلاك بأمر استاذه (رياض العلماء).

٦١ ـ الشيخ لطف الله بن عبدالكريم الميسي العاملي الاصفهاني، أجاز له المترجم له سنة ١٠٢٠ هجري قمري (إجازات البحار ص ١٣٠) توفّي سنة ١٠٣٢ هجري قمري باصبهان ترجمه شيخنا الحرّ العاملي في أمل الآمل، والكشميري في نجوم السماء.

٦٢ ـ السيد أبوعلي الماجد بن هاشم البحراني المتوفّى ١٠٢٨

هجري قمري له إجازتان من المترجم له.

٦٣ ـ المولى محمد المحسن الفيض الكاشاني المتوفّى سنة ١٠٩١ هجري قمري يروي عن المترجم له (المستدرك ج٣ ص٤٢١).

٦٤ ـ نظام الدين محمدبن الحسين القرشي الساوجي متمّم الجامع العبّاسي لأُستاذه بعد وفاته.

٦٥ ـ السيّد ميرزا رفيع الدين محمد النائيني المتوفّى سنة ١٠٨١ هجري قمري، يروي عن المترجم له (جامع الرواة، سلافة العصر، المستدرك ج٣ ص٤٠٩).

٦٦ ـ الشيخ محمدبن عليّ العاملي التبنيني (أمل الآمل).

٦٧ ـ الشيخ محمودبن حسام الدين الجزائري، يروي عن المترجم له (لؤلوة البحرين، المستدرك ج٣ص ٣٩٠).

٦٨ ـ المولى محمد صدرالدين بن محبّ علي التبريزي، مترجم الاثنىٰ عشريات ومفتاح الفلاح لاستاذه.

٦٩ـ السيد محمد تقي بن أبي الحسن الحسيني الاسترآبادي (أمل الآمل).

٧٠ ـ المولى علاءالدين محمدبن بدرالدين محمد القمّي.

٧١ ـ المولى محمدرضا البسطامي، أجازه المترجم له سنة ١٠٣٠ هجري قمري، وكتبها على نسخة من كتابه (الحبل المتين).

٧٢ ـ المولى محمدتقي المجلسي المتوفّى سنة ١٠٧٠ هجري قمري، يروي عن المترجم له (إجازات البحار ص ١٥٠، و مستدرك الإجازات).

٧٣ ـ الشيخ حسام الدين محمودبن درويش علي الحلّي النجفي، يروي عن المترجم له (رياض العلماء، المستدرك ج٣ ص ٤٢٤) و إجازة الشيخ عبدالواحد البوراني للشيخ أبي الحسن الشريف.

٧٤ ـ المولى صدرالدين محمد الشيرازي الشهير بالمولى صدرا المتوفّى سنة ١٠٥٠ هجري قمري، يروي عن المترجم له (المستدرك ج٣ ص ٤٢٤).

٧٥ ـ المولى صفي الدين محمد القمي يروي عنه بإجازته له سنة ١٠١٥ هجري قمري (إجازات البحار ص ١٣٠).

٧٦ ـ المولى محمدباقر بن محمد مؤمن السبزواري المتوفّى سنة ١٠٩٠هجري قمري[١].

٧٧ ـ المولى محمد أمين القاري الراوي، يروي بالإجازة عن المترجم له.

٧٨ ـ الشيخ بهاءالدين محمد العاملي، يروي عن سميّه المترجم له بالإجازة.

٧٩ ـ الأمير شمس الدين محمد الگيلاني، شارح خلاصة الحساب.

٨٠ ـ المولى ملك حسين بن ملك علي التبريزي، أجاز له المترجم له سنة ٩٩٨ هجري قمري (نجوم السماء).

٨١ ـ السيّد محمدعلي بن والي الإصفهاني، أجاز له المترجم له ولوالده (الذريعة ج ١ص ٢٣٨).

٨٢ ـ القاضي مجدالدين العبّاسي القشمي الدزفولي، يروي عن المترجم له ويذكره من مشايخه في إجازته لولده القاضي فصيح الدين (وفيات الأعلام).

٨٣ ـ المولى معزّالدين محمد، يروي عن المترجم له (أمل الآمل).

٨٤ ـ الشيخ محمدبن سليمان[٢] المقابي البحراني (لؤلوة البحرين)

---

١ ـ ذكره صاحب الروضات ص١١٧ ولعلّه اشتباه حيث ولد المولى السبزواري هذا سنة ١٠١٧ هجري قمري فكان له عند وفاة الشيخ ١٣ عاماً. (الغدير: ص٢٥٨).

٢ ـ في اجازة المترجم له إيّاه: محمدبن يوسف.

وله من المترجم له إجازة تأريخها شهر شعبان ٩٩٨ هجري قمري توجد في (المستدرك).

٨٥ ـ الشيخ محمدبن محمدبن الحسين الحرّ العاملي المشغري المتوفّى سنة ١٠٩٨ هجري قمري (أمل الآمل).

٨٦ ـ الشيخ محمدبن نصّار الحويزي (أمل الآمل).

٨٧ ـ الشيخ أبوالحسن محمدبن الشيخ يوسف البحراني العسكري يروي بالإجازات الثلاث المؤرّخة بسنة ٩٩٨ و٩٩٩ و١٠٠٠ هجري قمري (الذريعة، ومستدرك الإجازات).

٨٨ ـ الشيخ محمودبن حسام الدين المشرفي الجزائري (وفيات الأعلام).

٨٩ ـ المولى مراد بن علي خان التفرشي المتوفّى سنة ١٠٥١ هجري قمري (جامع الرواة).

٩٠ ـ المولى محمد الشهير بالتقي الصوفي الزيابادي القزويني، صاحب ملحقات الصحيفة الكاملة المؤلفة سنة ١٠٢٣ هجري قمري تلميذ للمترجم وأُجيز منه.

٩١ ـ المولى محمدبن الشاه مرتضى ابن‌الشاه محمود الكاشي أخو مولانا محمد المحسن الفيض يروي عن المترجم له بتصريح ولده الشاه مرتضى في إجازته لولده نورالدين محمدبن المرتضى سنة ١٠٨٨هجري قمري (الذريعة ج١ص ٢٥٠،مستدرك الإجازات)

٩٢ ـ المولى مقصود بن زين العابدين الاسترآبادي (رياض العلماء).

٩٣ ـ الشيخ محمد شمس الدين بن علي بن خاتون العاملي مترجم شرح أربعين استاذه، أجاز له سنة ١٠٢٩ هجري قمري (أمل الآمل، الذريعة ج١ ص٢٣٩).

٩٤ ـ المولى شريف الدين محمد الرويدشتي المعروف بشريف

الإصفهاني المتوفّى سنة ١٠٨٧هـجري قـمري، تأريـخ إجـازته له سـنة ١٠٢٢ هجري قمري (المستدرك ج ٣ ص ٤٠٩، إجازات البحار ص ١٣١).

٩٥ ـ المولى شمسا شمس الدين محمد الكشميري، يروي بالإجازة عن المترجم له كما صرّح به في إجازته لتلميذه المولى هـداية الله ابـن المولى عبدالصمد الجيلاني فـي سـنة ١٠٤٠ هـجري قـمري (وفـيات الأعلام).

٩٦ ـ الشيخ هاشم بـن أحـمدبن عـصام الديـن الأتكـاني، أجـاز له المترجم له سنة ١٠٣٠ هجري قمري، وكتب إجازته له على نسخة الإثنى عشريات المكتوبة بخطّ المجاز له (الذريعة ج ١ ص ٢٣٩).

٩٧ ـ الشيخ يحيى اللاهيجي، له اجازةٌ من المترجم له كتبها سـنة ١٠٢٥ هجري قمري[1].

مؤلّفات الشيخ البهائي

علم التفسير:

(١) مشرق الشمسين واكسير السعادتين جمع في آيات الأحكام و شرحها والأحاديث الصحاح و شرحها خرج منه كتاب الطـهارة لا غـير نحو ٤٠٠ حديث، مطبوع.

(٢) العروة الوثقىٰ في تفسير القرآن خرج منه تفسير الفاتحة لا غير.

(٣) حاشية على تفسير القاضي البيضاوي: جيدة نفيسة أحسن ما كتب على هذا التفسير، قاله تلميذه السيّد حسين الكركي.

(٤) حواشي الكشّاف: لم تتمّ.

(٥) التفسير الموسوم بعين الحياة.

---

١ ـ موسوعة الغدير للعلّامة الأميني: ج ١١ ص ٢٥٣ ـ ٢٦٠.

علم الحديث:

(٦) الحبل المتين في أحكام الدين في الأحاديث الصحاح والحسان والموثقات خاصة و شرحها شرحاً لطيفاً و جمع بين متعارضاتها، خرج منه كتاب الطهارة لا غير في مجلّد واحد فيه ألف حديث وزيادة يسيرة لم يتمّ، مطبوع.

(٧) شرح الأربعين حديثاً: قال تلميذه الكركي: لم يصنّف مثله.

(٨) حاشية من لا يحضره الفقيه: لم تتمّ.

علم الدراية:

(٩) الوجيزة: رسالة في الدراية مختصرة مطبوعة.

علم الرجال:

(١٠) حاشية على خلاصة العلّامة، مختصرة.

(١١) فوائد في الرجال.

الدعاء:

(١٢) مفتاح الفلاح في عمل اليوم والليلة، مطبوع عدّة طبعات.

(١٣) حدائق المقرّبين أو حدائق الصالحين في شرح الصحيفة السجادية: مطبوع وسمّي شرح كلّ دعاء باسم حديثه، فسمي شرح دعاء الهلال بالحديقة الهلالية، وكذا غيره، وعليه فما ذكره المترجمون من ان له الحديقة الهلالية وحدائق المقرّبين وشرح دعاء الصباح وشرح دعاء رؤية الهلال من الصحيفة ليس في محله، نعم الظاهر أنّ شرح الصحيفة لم يتمّ.

علم الفقه:

(١٤) الجامع العبّاسي: صنّفه للشاه عبّاس الصفوي، خرج منه الى

آخر كتاب الحجّ، مطبوع.

(١٥) الاثناعشريات الخمس في الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحجّ مرتبة على اثني عشر في كلّ أبوابها وفصولها ومطالبها.

(١٦) رسالة في استحباب السورة: ردّاً على بعض معاصريه، لكنّه رجع عنه أخيراً.

(١٧) رسالة في قصر الصلاة واتمامها في الأماكن الأربعة.

(١٨) شرح اثني عشرية صاحب المعالم.

(١٩) حواشٍ على مختلف العلّامة.

(٢٠) رسالة في المواريث.

(٢١) رسالة في ذبائح أهل الكتاب.

(٢٢) شرح الفرائض النصيرية للمحقّق الطوسي: لم يتمّ.

(٢٣) رسالة الكرّ.

(٢٤) رسالة القبلة.

(٢٥) رسالة في أحكام سجود التلاوة.

(٢٦) هداية العوام: رسالة عملية.

علم أُصول الفقه:

(٢٧) الزبدة: مطبوع وشرحه الشيخ جواد الكاظمي المعروف بالفاضل، والشرح كالأصل مشهوران.

(٢٨) لغز الزبدة.

(٢٩) حواشٍ على قواعد الشهيد.

(٣٠) حواشي الزبدة.

(٣١) حاشية شرح العضدي على مختصر الأُصول.

(٣٢) شرح شرح الرومي على الملخّص: ذكره في الحديقة الهلالية.

(٣٣) حاشية على نتائج الأفكار للسيّد إبراهيم الحائري.

(٣٤) حاشية على مبادىء الأُصول للعلّامة الحلّي.

علم النحو:

(٣٥) الفوائد الصمدية: صنّفها لأخيه عبدالصمد مطبوعة.

(٣٦) تهذيب البيان.

(٣٧) حاشية على شرح الكافية للجامي.

علم البيان:

(٣٨) حاشية على المطوّل: لم تتمّ.

علم الصرف:

(٣٩) شرح الشافية في الصرف.

علم الحساب:

(٤٠) خلاصة الحساب: لم يصنّف مثلها، مطبوعة في إيران وغيرها عدّة طبعات ومترجمة الى لغات أجنبية منها الألمانية.

(٤١) بحر الحساب.

علم الهيئة:

(٤٢) تشريح الأفلاك مع حواشيه: مختصر مطبوع والظاهر أنّه فارسي.

(٤٣) الاسطرلاب كبير بالعربية سمّاه الصفيحة.

(٤٤) اسطرلاب آخر بالفارسية سمّاه التحفة الحاتمية.

(٤٥) رسالة في نسبة اعظم الجبال الى قطر الأرض.

(٤٦) رسالة في أنّ أنوار الكواكب مستفادة من الشمس.

(٤٧) رسالة في حلّ اشكالي عطارد والقمر.

الحكمة:

(٤٨) الرسالة الموسومة بالجوهر الفرد، ذكرها في الكشكول وذكر فيها دليلاً على إبطال تركيب الجسم من الأجزاء التي لاتتجزأ.

التاريخ والأدب:

(٤٩) توضيح المقاصد فيما اتفق في أيّام السنة.

(٥٠) المخلاة: جمع فيها فوائد وطرائف من كلّ فنّ بدون ترتيب، مطبوعة بمصر.

(٥١) الكشكول، صنّفه بعد المخلاة وجمع فيه من كلّ فن بدون ترتيب تشبيهاً له بكشكول الدراويش الذي يجمعون فيه من كلّ طعام. وقد صار كلّ كتاب بعده بهذا الوصف يسمّى الكشكول وان كان له اسم غير ذلك ككشكول البحراني وكلّ من جمع اصنافاً من علوم شتى يسمّى مجموعه بالكشكول وجمع جماعة كتباً سمّوها بنحو هذا الاسم مثل بيدر الفلاح وسفينة نوح، وقد اشتهر الكشكول بين الناس اشتهاراً عظيماً، وطبع في مصر مراراً كثيرة، وطبع في ايران. وقد ترجم الكشكول الى الفارسية برغبة أحد ملوك الهند المغول.

(٥٢) سوانح سفر الحجاز: كتاب من شعره وانشائه اكثره بالفارسية.

(٥٣) نان و حلوىٰ: أي خبز وحلوىٰ. كتاب شعر بالفارسية ظريف.

(٥٤) ديوان شعره بالعربية والفارسية، في أمل الآمل: جمع شعره ولدي محمدرضا الحرّ فصار ديواناً لطيفاً.

(٥٥) رسالة في مقتل الحسين عليه السلام.

أجوبة المسائل:

(٥٦) جواب مسائل الشيخ صالح بن حسن الجزائري اثنتان و عشرون مسألة مشهورة.

(٥٧) جواب ثلاث مسائل أُخرى عجيبة.

(٥٨) جواب المسائل المدنيات. الى غير ذلك من الرسائل وأجوبة المسائل.

(٥٩) حواشي شرح التذكرة.

كراماته:

جعل الله تبارك وتعالى لأوليائه نوراً يمشون به في الناس، وخلع عليهم من كراماته لفنائهم في ذاته سبحانه كما في الحديث القدسي: «مازال عبدي يتقرّب اليّ بالنوافل حتّى أكون عينه التي يبصر بها وأُذنه التي يسمع بها ويده التي يبطش بها». وقد اتحف الله تعالى شيخنا البهائي بكرامات يزيد فيها هدىً مَن يشاء من عباده ﴿ فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون* وأمّا الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم ﴾[١].

نقل عن المولى الفاضل معزّالدين محمد أقضىٰ قضاة إصفهان أنّه قال: رأيت ليلة من الليالي في المنام أحد أئمّتنا عليه السلام فقال لي: اكتب كتاب مفتاح الفلاح و دوام العمل بما فيه، فلمّا استيقظت ولم أسمع اسم الكتاب قطّ من أحد، فتصفّحت من علماء إصفهان فقالوا: لم نسمع اسم هذا الكتاب. وفي هذا الوقت كان الشيخ البهائي (قدّس سرّه) في معسكر السلطان في بعض نواحي إيران. فلمّا قدم تصفّحت منه أيضاً عن هذا

١ ـ التوبة: ١٢٤ ـ ١٢٥.

الكتاب فقال: صنّفت في هذا السفر كتاب دعاء سمّيته مفتاح الفلاح إلّا إنّي لم اذكر اسمه لواحد من الأصحاب ولأعطيت نسخته للانتساخ، فذكرت للشيخ المنام، فبكى الشيخ وناولني النسخة التي بخطّه وأنا أوّل من انتسخها[١].

وقال الشيخ محمدتقي المجلسي والد صاحب البحار: هذا الشرح -أي شرح روضة المتقين على مَن لايحضره الفقيه- أيضاً من فوائده -أي الشيخ البهائي- فإنّي رأيته في النوم وقال لي: لم لاتشتغل بشرح أحاديث أهل البيت صلوات الله عليهم؟ فقلت له: هذا شأنكم وأنتم أهله. فقال: مضى زماننا واشتغل واترك المباحثات سنة حتّى يتم. وكان بعد ذلك الرؤيا في بالي ان اشتغل بذلك، ولمّا كان هذا أمراً عظيماً ما كنت اجتري عليه حتّى حصل لي مرض عظيم ووصيّت فيه واشتغلت بالدعاء والتضرّع الى الله تعالى أن يغفر لي ويذهب بروحي، فأصابني حينئذٍ سِنة فرأيت سيدي شباب أهل الجنّة أجمعين قدّامي جالسين عندي وسيد الساجدين فوق رأسي جالساً وأظهر انّا جئنا لشفائك، وقال سيّد الساجدين عليه السلام: لاتطلب الموت فانّ وجودك أنفع. فانتبهت من السنة وذهب الوجع بالكلّية وحصل العرق... واُلهمت بأن اشتغل بشرح الأحاديث فاشتغلت بذلك، ولمّا كانت الطلبة مشغولين بالدرس كنت اُدغدغ في ترك الدروس بالكلّية لكن حصل في التعطيلات التوفيق من المنعم الوهّاب وحسبتها كانت سنة على ماقال لي شيخنا البهائي رضي الله عنه[٢].

ومن كرامات الشيخ البهائي أيضاً أنّه كان في جمع من أصحابه في زيارة مقبرة خارج إصفهان المعروفة بـ«تخت فولاد»، و عندما اعتزل أصحابه جانباً وجلس على أحد القبور أخذ يُكلّم صاحب ذلك القبر،

---

١ ـ الكنى والألقاب: ج ٢ ص ٨٩.

٢ ـ روضة المتقين: ج ١٤ ص ٤٣٤ ـ ٤٣٥.

فسمع أصحابه المكالمة بينهما ولكنّهم لم يفهموا ماجرى بينهما من حديث، فنهض الشيخ البهائي من على القبر ووضع عباءته على رأسه ولم يكلّم أحداً ورجع قافلاً الى بيته، واغلق باب داره و أمر أن لايُفتح الباب لأي أحد حتّى مضت سبعة أيّام أو ثمانية حيث فارق الشيخ الحياة وانتقل الى جوار ربّه الرحيم(١).

ومن جملة كراماته أيضاً مانقله السيد نعمة الله الجزائري يقول: كنت في زيارة الشيخ البهائي فرأيت الشيب قد ملأ محاسنه الشريفة فسألته لماذا لم تستعمل الخضاب؟ فقال: أردت أن اكتب تفسيراً للقرآن فاستخرت الله تعالى في ذلك فخرجت الآية المباركة: ﴿و انّ عندنا لزلفى و حسن مآب﴾ فعلمت بدنو أجلي و شرعت بتفسير مختصر و تركت الخضاب لألقى الله سبحانه بلحية بيضاء. وبعد سنة ودّع الشيخ البهائي هذه الحياة(٢).

أُنموذج من شعره

قال رضوان الله عليه في ذكر المهدي صلوات الله عليه:

يا كراماً صبرنا عنهم مُحال ... إنّ حالي في جفاكم شرُّ حال
إن أتى من حيّكم ريحُ الشمال ... صرتُ لاأدري يميني من شمالْ

* * *

حبّذا ريحٌ سرى من ذي سلم ... عن رُبا نجدٍ وسَلع والعَلم
أذهبَ الأحزان عنا والألم ... والأماني أُدركت والهمّ زالْ

* * *

١ ـ قصص العلماء: ص ٢٣٤.

٢ ـ قصص العلماء: ص٢٤٦.

يــا اخــلائي بـحزوى والعـقيق ما يطيقُ الهـجر قـلبي مـا يطيقْ
هل لمشـتاق إليكـم مـن طـريق أم سددتم عنه أبـواب الوصـال

* * *

لا تلوموني على فـرط الضـجرْ ليس قلبي من حـديدٍ أو حـجرْ
فات مطلوبي و مـحبوبي هـجَرْ والحشا في كلّ آنٍ في اشـتغال

* * *

مَن رأى وجدي لسكّان الحجونْ قال ما هـذا هـوى هـذا جـنونْ
أيّـــها اللـــوّام مــاذا تــبتغونْ قلبي المضنى وعقلي ذواعتقالْ

* * *

يــا نـزولاً بـين جمع والصـفا يــا كـرامَ الحـيّ يا أهـلَ الوفـا
كــان لي قــلب حَـمولٌ للجفا ضـاع مـنّي بـين هـاتيك التـلال

* * *

يــا رعــاك الله يــا ريحَ الصبا إن تـجزْ يـوماً عـلى وادي قُـبا
سلْ أُهيلَ الحيّ في تـلك الرُّبـا هــجرُهم هــذا دلالٌ أم مــلالْ

* * *

جـيرةٌ فـي هـجرنا قـد أسـرفوا حــالُنا مــن بـعدهم لايـوصف
إن جَـفوا أو واصـلوا أو أتـلفوا حُـبُّهم فـي القـلب بـاقٍ لايـزالْ

* * *

هم كـرام مـا عـليهم مـن مـزيد من يَمُتْ في حبّهم يمضِ شهيد
مثل مقتول لدى المولى الحميد أحمدي الخُلق محمودُ الفِعالْ

* * *

صاحبُ العصر الإمـام المـنتظرْ مــن بـما يـأباه لايَـجري القـدرْ
حــجّة الله عــلى كــلّ البشــرْ خيرُ أهل الأرض في كلّ الخِصالْ

* * *

من إليه الكونُ قد ألقى القياد ... مُجرياً أحكامَه فيما أراد
إن تزل عن طوعه السبعُ الشدادْ ... خرّ منها كلّ سامي السُمك عالْ

* * *

شمس أوج المجد مصباحُ الظلامْ ... صفوةُ الرحمن من بين الأنام
الإمام ابن الإمام ابن الإمام ... قُطب أفلاك المعالي والكمالْ

* * *

فاق أهلَ الأرض في عزٍّ و جاه ... وارتقى في المجد أعلى مرتقاه
لو ملوكُ الأرض حَلّوا في ذُراه ... كان أعلى صفِّهم صفّ النعال

* * *

ذو اقتدارٍ إن يشأ قلبَ الطباعْ ... صيّر الإظلام طبعاً للشُعاع
وارتدى الإمكان بُرد الامتناع ... قدرةٌ موهوبة من ذي الجلالْ

* * *

يا أمينَ الله يا شمس الهدى ... يا إمام الخلق يا بحر الندى
عجلَنْ عجلْ فقد طال المدى ... واضمحلّ الدينُ واستولى الضلالْ

* * *

هاك يا مولى الورى نعم المجير ... من مُواليك البهائيّ الفقير
مدحةً يعنو لمعناها جرير ... نظمها يُزوي على عِقد اللآلْ

* * *

يا وليّ الأمر يا كهفَ الرجا ... مسّني ضرٌّ و أنت المرتجى
والكريم المستجار الملتجا ... غير محتاجٍ الى بَسط السؤالْ

* * *

وقال قدّس سرّه في الاستغاثة بصاحب الأمر والزمان صلوات الله عليه:

سرى البرق من نجد فجدّد تذكاري ... عهوداً بحزوى والعذيب وذي قار
و هيّج من أشواقنا كلّ كامن ... واجّج في أحشائنا لاهب النار

ألا يـــا ليــيلات الغـوير و حـاجر ... سقيت بـهام مـن بـني المـزن مـدرار
و يـــا جـيرة بـالمأزمين خـيامهم ... عـليكم سـلام الله مـن نـازح الدار
خـــليلي مـــالي والزمـــان كأنّـما ... يـــطالبني فـــي كـلّ وقت بـأُوتار
فـأبعد أحـبابي وأخـلى مـرابـعي ... وأبـدلني مـن كـلّ صـفو بـأكدار
و عادل بـي مـن كـان أقـصى مـرامـه ... من المجد أن يسمو إلى عشر معشاري
ألم يـــدر أنّـــي لا أذلّ لخـــطبه ... و إن سامني بخساً وأرخص أسعاري
مـقامي بـفرق الفـرقدين فـما الذي ... يـؤثره مسعاه فـي خـفض مـقداري
و إنّـي امـرؤ لا يـدرك الدهـر غـايتي ... ولاتـصل الأيـدي الى سـر أغـواري
أُخـــالط أبـــناء الزمـان بـمقتضى ... عـــقولهم كـــي لا يـفوهوا بـانكار
و أظـــهر انّـــي مـثلهم تسـتفزّني ... صـروف اللـيالي بـاختلاء وامـرار
و إنّي ضاوي القـلب مسـتوفز النـهي ... اسـر بـيسر أو أمـل بـاعسار
و يـضجرني الخـطب المـهول لقـاؤه ... و يـطربني الشـادي بـعودٍ و مـزمار
و يصمي فؤادي ناهد الثـدي كـاعب ... بـاسمر خـطّار و أحـور سـحار
و إنّـــي ســخي بـالدموع لوقـفة ... عـلى طـلل بـال و دارس أحـجار
ومـا عـلموا انّـى امـرؤ لا يـروعني ... تـوالي الرزايـا فـي عشـيّ و ابكـار
إذ دكّ طـور الصـبر مـن وقـع حـادث ... فـطور اصـطباري شـامخ غـير مـنهار
و خـطب يـزيل الروع أيسـر وقـعه ... كـؤود كـوخز بـالأسنة سـعّار
تـــلقيته والحـــتف دون لقـــائه ... بـقلب وقـور فـي الهـزاهـز صـبّار
و وجـــهٍ طـــليق لا يـــملّ لقـاؤه ... و صـدر رحـيب مـن ورود و إصـدار
و لم أُبـــده كـــي لا يســاء لوقـعه ... صديقي و يأسى مـن تـعسّره جـاري
و مــعضلة دهـماء لا يـهتدي لهـا ... طريق و لايهتدى الى ضوئها الساري
تشيب النـواصـي دون حـلّ رمـوزها ... و يـحجم عـن أغـوارها كـلّ مـغوار
أجـلت جـياد الفكـر فـي حـلباته ... و وجـهت تـلقاها صـوائب انـظاري
فـأبرزت مـن مستورها كـلّ غـامض ... و ثـقفت مـنها كـلّ قسـور سـوار

أ أضرع للبلوىٰ واغضي على القذى | وأرضى بما يرضى به كلّ مخوار
وأفرح من دهري بلذة ساعة | واقنع من عيشي بقرص وأطمار
إذ لا ورى زندي ولا عزّ جانبي | ولا بزغت في قمة المجد أقماري
و لا بلّ كفي بالسماح ولا سرت | بطيب أحاديثي الركاب و أخباري
ولا انتشرت في الخافقين فضائلي | و لا كان في المهدي رائق أشعاري
خليفة ربّ العالمين و ظلّه | على ساكني الغبراء من كلّ ديّار
هو العروة الوثقىٰ الذي من بذيله | تمسّك لا يخشى عظائم أوزار
إمام هدى لاذ الزمان بظلّه | و ألقى إليه الدهر مقود خوار
و مقتدر لو كلّف الصم نطقها | بأجذارها فاهت إليه بأجذار
علوم الورىٰ في جنب أبحر علمه | كغرفة كفّ أو كغمسة منقار
فلو زار افلاطون أعتاب قدسه | ولم يعشه عنها سواطع أنوار
رأى حكمة قدسيّة لا يشوبها | شوائب أنظار و أدناس أفكار
بإشراقها كلّ العوامل أشرقت | لما لاح في الكونين من نورها الساري
إمام الورىٰ طود النهى منبع الهدى | و صاحب سرّ الله في هذه الدار
به العالم السفلي يسمو و يعتلي | على العالم العلوي من غير إنكار
و منه العقول العشر تبغي كمالها | و ليس عليها في التعلّم من عار
همام لو السبع الطباق تطابقت | على نقض مايقضيه من حكمه الجاري
لنكّس من أبراجها كلّ شامخ | و سكّن من افلاكها كلّ دوّار
ولانتثرت منها الثوابت خيفة | و عاف السرى في سورها كلّ سيّار
أيا حجّة الله الذي ليس جارياً | بغير الذي يرضاه سابق أقدار
و يا من مقاليد الزمان بكفّه | و ناهيك من مجد به خصه الباري
أغث حوزة الإيمان واعمر ربوعه | فلم يبق منها غير دارس آثار
وانقذ كتاب الله من يد عصبة | عصوا و تمادوا في عتو واصرار
يحيدون عن آياته لرواية | رواها أبو شعيون عن كعب الأحبار

وفي الدين قد قاسوا وعاثوا وخبّطوا بآرائهم تخبيط عشواء معسار
وانعش قلوباً في انتظارك قرّحت وأضجرها الأعداء أية اضجار
و خلّص عباد الله من كلّ غاشم و طهّر بلاد الله من كلّ كفّار
وعجّل فداك العالمون بأسرهم وبادر على اسم الله من غير انظار
تجد من جنود الله خير كتائب و أكرم أعوان و أشرف أنصار
بهم من بني همدان اخلص فتية يخوضون أغمار الوغىٰ غير فكّار
بكلّ شديد البأس عبل شمردل الى الحتف مقدام على الهول صبّار
تحاذره الأبطال في كلّ موقف وترهبه الفرسان في كلّ مضمار
أيا صفوة الرحمن دونك مدحة كدرّ عقود في ترائب أبكار
يهنا ابن هاني ان أتى بنظيرها ويعنو لها الطائي من بعد بشّار
إليك البهائيّ الحقير يزفّها كغانية ميّاسة القدّ معطار
تغار إذا قيست لطافة نظمها بنفحة أزهار ونسمة أسحار
إذا رددت زادت قبولاً كأنّها أحاديث تجد لا تملّ بتكرار

* * *

وقال الشيخ البهائي في غديريته:

رعى الله ليلة بتنا سهارى خلعنا بحبّ العذاري العذارا
ولمّا سرى النجم والبدر حارا أماطت ذات الخمار الخمارا
و صيّرت الليل منها النهارا
و كنّا بجنح الدُّجىٰ أدعجِ و بعضٌ الى بعضنا ملتجي
فقامت لساق لها مدلجِ و جاءت تشمّر من أبلج
كما طلع البدر حين استنارا
تبدَّت بنورٍ لها لائحِ و وجهٍ لبدر الدُّجى فاضحِ
و خدٍّ بماء الحيا ناضح و تبسّم عن أشنبٍ واضحِ
كزهر الإقاح إذا ما استنارا

شـــربنا لداء الهـــموم الدوا و شبنا نسيم الهـوى بـالهوى
حـللنا عـلى النيّرين السـوى و قد حلك الليل عـنّا انـطوى
ونور الصباح لدينا استنارا

هـــوينا رداحـــاً حـجازيّة فـــبحنا ضـــمائر مـــخفيّة
فـــمدّت إليـــنا سـراحـيّة تـــناول صـــهباء قـــانيّة
كأنّا نقابل منها شرارا

ســـقينا مــداماً مـجوسيّةً كـما التـبر حـمراء مصريّة
قـــديمة عـــهد رمـــانيّة مشـــعشةً ارجـــوانـــيّة
تدبّ النفوس اليها افتقارا

فـقم إنّـما الديك قـد نـبّها إلى خـمرة فـاز مـن حـبّها
جلت حين ساقي الهوى صبّها كأنّ النـــديم إذا عـــبّها
يقبّل في طخية الليل نارا

و بـي غـارةُ رنّـحت قـدّها حـميّا الصـبا والفت ضدّها
وقـد جعلت مُقلتي خـدّها ولم أنس مـــجلسنا عـندها
جلسنا صحاوى وقمنا سكارى

نـــعمنا أخـلّاء دون الأنـام بـتلك الرُّبـوع و تـلك الخيام
ألم تـــرنا إذ هـجرنا المـنام تـميل بـنا عـذبات المـدامْ
ونحن نميس كلانا حيارى؟

فـــللّه مـــجلسنا بـــاللوى لكلّ المنى والهـنا قـد حـوى
إذا نـزعت مـن نـزيل الجـوى فقامت وقد عاث فيها الهـوى
تسترّ بالغيم الجلّنارا

لهـا وجـه سـعد يـزيل الشـقا و قـدٌّ حكـى غـصناً مـورقا
و تشفي عـليل الهـوى منطقا تـريع كـما ريـع ظبي النـقا
توجّهه خيفة و استنارا

هلال السما من سناها يـغيبْ و من قدّها الغصن مضنى كئيبْ
ألا إنَّ هــذا لشــيءٌ عــجيبْ إذ البـدر أبـصرها والقـضيبْ
تلبّس هذا و هذا توارى
أضاء الدُّجا نـورها حـين لاحْ بوجه سبى حسن كلِّ المـلاحْ
أزلنــا الهموم بـذات الوضـاحْ سـقتنا إلى حـين بـان الصـباح
و فرَّ الدُّجا من ضياها فرارا
فــيا ظــبيةً طـال يـاللرجال؟! نقمنا بـها فـي لذيـذ الوصـال
فــفرّ وقــد صـحّ فـيه المـثال كما فـرَّ جـيش العـدا بـالنزال
عن الطهر حيدرة حين غارا
إمــام البــريّة أصـل الأُصـول شــفيع الأنــام بـيوم مـهولْ
فــتى حــبّه الله ثــمّ الرَّسـول وصــيُّ النـبيّ و زوج البـتولْ
حوى في الزمان الندى والفخارا
فــياويح مــن لم يـنل مـرَّةً لمــن فـاق بـدر السَّماء غـرّة
فــطوبى لمـــن زاره مــرَّةً فــيا راكـباً يـمتطي حـرَّة
تبيد السهول وتفري القفارا
إذا شـئت تـرضي إله السـما وتُهدى إلى الرُّشد بعد العمى
و تُسقى من الحوض يوم الظما إذا ما انتهى السير نحو الحمى
و جئت من البعد تلك الديارا
و قــابلت مـثوى عـليّ الولي وأظهرت حبَّ الصراط السوي
وشاهدت حـبل الإلَـه القـوي و واجهت بعد سـراك الغـري
فلا تذق النوم إلّا غرارا
فـحطّ الرحـال بـذاك المـحلْ و عــن أرضــه قـدماً لاتــزلْ
و كــن لســما قــبره مستهلْ وقـف وقفة البـائس المسـتذلْ
وسر في الغمار وشمّ الغبارا

فإن طعت ربّ السما فارضه ... فحبّ الأئمّة من فرضه
و ضاعف ثوابك من فرضه ... و عفّر خدودك في أرضه
و قل: يارعى الله مغناك دارا

إذا جئت ذاك الحمى سلّما ... وكن والهاً بالفنا مغرما
وزر قبر مَن بالمعالي سما ... فثمَّ ترى النور ملؤ السما
يعمّ الشعاع و يغشى الديارا

إذا لم تكن حاضراً عصرهُ ... فكن بالبكا مدركاً نصرهُ
فقف عنده وامتثل امرهُ ... وقل سائلاً: كيف يا قبرهُ!
حويت الزمان وحزت الفخارا؟

وقف والهاً وابرَ من ضدّه ... و بثَّ إليه الهوى وأبدهِ
ولاتبرح الأرض من عنده ... وأبلغه يا صاح! من عبدهِ
سلام محبّ تناءا ديارا

ألا زره ثمّ احظ في قربه ... لتكسب أجراً وتنجو به
وقم والثم ترب أعتابه ... وأظهر عناك بأبوابه
معفّر خدّيك فيه احتقارا

و يا من أتى بعد قطع الفلا ... إمام الهدى و شفيع الملا
تمسّك به فهو عقد الولا ... فمن كان مستأثراً في البلا
سوى حيدر لايفكّ الأُسارى

و كثّر بكاك بذاك المكان ... وقل: ياقسيم اللظى والجنانْ
عُبيدك يرجو لديك الأمان ... دعاه البلا وجفاه الزمان
و فيك من الحادثات استجارا

مواليك مستأثرٌ في يديكْ ... و لم يكل الفلكَ إلّا عليكْ
أتاك من الذنب يشكو اليك ... أبت نفسه الذلّ إلّا لديكْ
و بعد المهيمن فيك استجارا

إليك التجي يا سفين النجاة! و عن حبّكم ماله في الحياة
فَقِه محنة القبر عند المماة فأنت و إن حلّت النازلات
فتىً لا يضيم له الدهر جارا
إمامٌ له خصَّ ربُّ السما و في يده الحوض يوم الظما
ومأوى الطريد وحامي الحما أبى أن يباح حماه كما
أبى أن يرى في الحروب الضرارا
إمامٌ تحنّ المطايا إليه و تزوى ذنوب البرايا لديهْ
غداً أرتجي شربة من يديهْ وليس المعوَّل إلّا عليهْ
ولاغيره كان لي مستجارا
فما خاب من يشتكي حاله لمن في الوصيّة أوحى له
إله السما و ارتضى ماله فانّ الّذي ناط أثقاله
به كلّها و وقاه العثارا
إمامٌ به الشرك عنّي خفى وللظلم والفسق عنّا نفى
و واخاه واختاره المصطفى خلاصة أهل التقى والوفا
و ركن الهدى و دليل الحيارى
لنا أظهر الدين لمّا خفي ومن ذكره كم عليل شُفي؟
وليّ الإله التقيّ الوفي عليٌّ الّذي شهد الله في
فضيلته وارتضاه جهارا
فكم في الوغى بطلاً قد أذلّ و آوى كريماً و كهفاً أظلّ
نعم: هو ربُّ العطاء الأجلّ يحلّ النديُّ به حيث حلّ
و يرحل في إثره حيث سارا
به انتصر الدين لمّا فشا و أخضبت الأرض لمّا مشى
له مفخرٌ في البرايا فشى فتىً قل بتعظيمه ما تشا
سوى ما ادّعته بعيسى النصارى

إمامٌ لدى الحوض يسقي العطاش بيوم ترى الخلق مثل الفراش
عليٌ الذي قدره لا يُناش فدى أحمداً بمبيت الفراش
و صاحبه حيث جاء المغارا
عليٌ أميري و نعم الأمير مجيري غداً من لهيب السعير
وكان لأحمد نعم النصير و واخاه أمراً غداة «الغدير»
من الله نصّاً به و اختيارا
عليٌ إمامي و إلّا فلا و من خصّه الله ربُّ العلا
تولّيته و هو عقد الولا أعزُّ الورى و أجلُّ الملا
محلّاً وأزكى قريش نجارا
هدى الخلق في دينه المستقيم كما انتصروا فيه أهل الرّقيم
و نال الرضا من إله كريم ويا فلك نوح ونار الكليم!
و سرَّ البساط الذي فيه سارا
أيا سيّدي! يا أخا المصطفى! ومن لك بعد النبيّ الصَّفا!
عليك سلامي لوقت الوفا متى ما أضا بارقٌ و اختفى
بليل و ما حادي العيس سارا

* * *

وفاته:

توفي الشيخ البهائي قدّس سرّه على أرجح الأقوال في الثاني عشر من شهر شوّال سنة ١٠٣١ هجري قمري في إصفهان عن عمر بلغ(٧٧) عاماً، وقد صرّح بذلك تلميذه نظام الساوجي متمّم الجامع العبّاسي[١].

وقد أرّخ صاحب شرح زبدة المقال وفاة الشيخ البهائي بقوله:

---

١ ـ الجامع العباسي: ص ١٣٧.

وابن الحسين سبط عبدالصمد   بـهاء ديـننا جـليل أوحـدي
حاز العـلوم كـلّها واسـتكملا   وعمر«ملح»توفّي في «غلا»[١]

و مـال الى ذلك المـحبّي فـي خـلاصته[٢] والسيّد المـدني فـي سلافته[٣] وحدائقه الندية[٤] والشيخ يوسف البحراني في لؤلؤته[٥].

ونقل جثمانه الشريف من إصفهان الى المشهد المقدّس حيث دفن في داره التي في جانب حرم الإمام علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه، وأصبحت الآن جزءً من الحضرة الشريفة يزوره القاصدون لزيارة الإمام الرضا عليه السلام.

وقد رثاه تلميذه العلّامة الشيخ إبراهيم العاملي البارزوني بقوله:

شيخ الأنام بـهاء الديـن لابـرحت   سحائب العفو ينشيها له البـاري
مولى به اتضحت سبل الهدى وغدا   لفقده الدين فـي ثـوب مـن القـارِ
والمجد أقسـم لاتـبدو نـواجـده   حزناً و شـقّ عـليه فـضل أطـمار
والعلم قد درست آيـاته وعـفت   عــنه رســوم أحـاديث و أخـبار
كم بكر فكر غدت للكون فـاقدة   مـا دنّستها الورى يـوماً بـأنظار
كم خرَّ لمّا قضى للعلم طود عُلاً   مـا كـنت أحسـبه يـوماً بـمنهار
و كم بكته محاريب المساجد إذ   كـانت تـضيءُ دجـىً مـنه بـأنوار
فـاق الكـرام ولم تـبرح سـجيّته   إطعام ذي سغب مع كسوة العاري
جلَّ الذي اختار في طوس لِه جدثاً   في ظلّ حامي حماها نجل أطهار
الثامن الضامن الجـنّات أجـمعها   يــوم القـيامة مــن جــودٍ لزوّار

❋ ❋ ❋

---

١ ـ بهجة الآمال في شرح زبدة المقال: ج٦ ص٣٩١.
٢ ـ خلاصة الأثر: ج٣ ص٤٥٤.
٣ ـ سلافة العصر: ص٢٩١.
٤ ـ الحدائق الندية في شرح الصمدية: ص٤.
٥ ـ لؤلوة البحرين: ص٢٢.

كتاب الأربعين ونسخه الخطيّة:

لقد اعتمدنا على أقدم النسخ الخطيّة لكتاب الأربعين ماتيسّر لنا ذلك بسبب كثرة النسخ الخطيّة الموجودة لهذا الكتاب، وقد وقع اختيارنا على ثلاث نسخ منها وهي:

١ ـ نسخة فوتوغرافية مصورة عن نسخة مكتبة آية الله العظمىٰ السيّد الگلپايگاني قدّس سرّه بخطّ محمد بن مفضّل الحسيني في إصفهان في شهور سنة ألف من الهجرية النبوية ، فهي مستنسخة في حياة الشيخ البهائي ، حيث انتهى الشيخ من تأليف أربعينه سنة ٩٩٥ هجري قمري و وفاة الشيخ قدّس سرّه في سنة ١٠٣٤ هجري قمري. وهي نسخة كاملة واضحة الخطّ وتحتوي على بعض حواشي الشيخ البهائي على كتابه هذا. ورمزنا لها بالحرف (ل).

٢ ـ نسخة فوتوغرافية مصورة عن نسخة مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي النجفي قدّس سرّه بخطّ ابن امير أبو المفاخر الرضوي سنة ١٠٤٦ هجرى قمري. و عليها خطّ المؤلّف. وهي نسخة كاملة جيدة واضحة الخطّ وتحتوي على كثير من حواشي الشيخ البهائي على هذا الكتاب. ورمزنا لها بالحرف (م).

٣ ـ نسخة فوتوغرافية مصورة عن نسخة مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي النجفي قدّس سرّه، الى شيء من الحديث الثاني عشر، وهي نسخة جيدة وعليها كثير من حواشي الشيخ البهائي على هذا الكتاب. وقد رمزنا لها بالحرف (ع).

منهج التحقيق:

استنسخنا الكتاب على النسخة الخطيّة الأُولى ثمّ قوبلت مع النسخ الأُخرى، و تمّ استخراج جميع الآيات والروايات وأقوال العلماء والأُدباء ماتوفّرت كتبهم لدينا ، ثمّ حُقّق المتن بالتلفيق بين نسخه الخطيّة و تثبيت اختلافات النسخ في الهامش، وأدرجنا كذلك جميع ماوجدناه من حواشي المؤلّف على كتابه هذا في النسخ المذكورة ، فإذا انفردت نسخة بذكر حاشية له قدّس سرّه غير موجودة في النسخ الأُخرى أضفنا رمز هذه النسخة في نهاية الحاشية المنقولة.

وقد اخترنا عنوانين لجميع الأحاديث وكذلك للبحوث الواردة في ضمنها تتميماً للفائدة وقد وضعت هذه العناوين بين قوسين كبيرين.وقد أضفنا أيضاً في بداية كلّ حديث بعد رقم الحديث و عنوانه كلّ متن أو جزءً منه إذا كان طويلاً في صفحة مستقلّة ليأخذ القاريء طابعاً عاماً عن مضمون الحديث.

و أخر دعوانا أن الحمدلله ربّ العالمين.

أبو جعفر الكعبي



الصفحة الأُولى من نسخة مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي النجفي (قدّس سرّه) المرموز لها بالحرف (ع)

من هجرة سيد المرسلين وآله أفضل الصلوات
المصلين على يد مؤلفه الفقير إلى الله الغني محمد
المشتهر ببهاء الدين العاملي وفقه الله للعمل في يومه
لغده قبل أن يخرج الأمر من يده بمحروسة أصفهان
حرست عن بوائق الزمان وطوارق الحدثان والحمد لله
أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً

الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي (قدّس سرّه)

المرموز لها بالحرف (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

ان احسن حديث تحلى اللسان بجواهر حقائقه
وخير خبر تحلى الانسان في زواهر دقائقه حمد الله
سبحانه على نعمه المسلسلة المتواترة وشكره على
منته المستفيضة المتكاثرة والصلوة على من ارسله
بالهدى ودين الحق بشيرا ونذيرا واصطفاه
بالنبوة من قبل ان يخمر طينة ادم تخميرا وآله الناشرين
على منوال المقتدين به في افعاله واقواله دعائم
ملته واساسها وحفظة شريعته وحراسها
وسلم تسليما كثيرا وبعد فان الفقير الى الله الغني
بهاء الدين محمد العاملي عامله بلطفه واحسانه
واذاقه حلاوة عفوه وغفرانه يقول ان اعظم المطالب
والمفاخر بعد الايمان بالله واليوم الآخر هو ما
يتوصل به الى السعادة الابدية ويتخلص به من

الشقاوة

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي (قدّس سرّه)
المرموز لها بالحرف (م)

اختلف اصحابنا في وجوب الحسبة اعني الامر بالمعروف

والنهي عن المنكر هل هو عيني او كفائي فالشيخ والمحقق وابن ادريس

وجماعة من متاخري علمائنا ومنهم شيخنا الشهيد في شرح الارشاد

والمحقق الشيخ علي طاب ثراه على الاول والسيد المرتضى وابو الصلاح

والعلامة وبعض المتاخرين كالشهيد الثاني على الثاني ولتمثل محل

النزاع بما لو كان في البلد شخص تارك للصلوة او شارب للخمر مثلا

وفي البلد عشرة اشخاص يجوز كل منهم تاثير امره او نهيه في ذلك

الشخص من غير ضرر يلحقه وشرع واحد منهم في امره ونهيه وكان

الاثر على ذلك مظنونا بنتيجة ذلك قبل حصول الاثر اعني فعل الصلوة

وترك شرب الخمر هل يسقط وجوب الامر والنهي عن التسعة الباقية

ام يجب عليهم مشاركته في الامر والنهي بعدم تقاعدهم عن ذلك الى ان

الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي (قدّس سرّه) المرموز لها بالحرف (م)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

إن أحسن حديث تحلّى اللسان بجواهر حقائقه، وخير خبر تجلّى الإنسان في رواء
دقائقه حمد الله سبحانه على نعمه المتسلسلة المتواترة، وشكره على مننه المستفيضة
المتكاثرة، والصلاة على من أرسله بالهدى ودين الحق بشيراً ونذيراً
واصطفاه بنبوته من قبل أن خمّر طينة آدم تخميراً، وآله الناسجين على
منواله المقتدين به في أفعاله وأقواله دعائم ملته وساسها
وحفظة شريعته وحراسها وسلم تسليماً كثيراً. وبعد

فإن الفقير إلى الله الغني بهاء الدين محمد العاملي عامله الله بلطفه وإحسانه
وأذاقه حلاوة عفوه يقول إن أعظم المطالب والمآرب لمن آمن بالله
واليوم الآخر هو ما يتوصل به إلى السعادة الأبدية ويتخلص به من الشقاوة
السرمدية وما هو إلا الاقتداء بأعلام الملة النبوية والاقتفاء للسنة المحمدية
على الصادع بها أفضل الصلوات ومن التحيات أكملها وذلك لا يستتب إلا
بنقل الحديث وروايته وضبطه ودرايته وصرف الأيام في مدارسته
وقضاء الأعوام في ممارسته فطوبى لمن وجه إليه همته وبذل عليه مدته
وجعله شعاره ودثاره وصرف فيه ليله ونهاره وهذه أربعون
حديثاً من طرق أهل بيت النبوة والولاية ومنبع الفتوة والهداية
جمعتها من أماكن عديدة ومواطن شريدة تبصرة لإخوان الدين وتذكرة
لخلان اليقين وأردفت كل حديث بما يحتاج إلى البيان ببيانه والطالب
على سواء سبيله يرشد الراغبين إلى الرحيق المختوم من سلسبيل مخبأ
بالستر المصون خلف أستار مظهرة للدر المكنون أجل استتاره راقي

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة آية الله العظمى الگلپايگاني (قدس سره)

المرموز لها بالحرف (ل)

للانام ومصليا على أشرف الأنام وآله الهادين إلى دار السلام واتفق بلغ صورة خط المصنف

الفراغ من تسويده في ضحوة يوم الاثنين ثالث العشر الثالث من ثاني شهور

السنة الخامسة من العشر العاشر من المائة العاشرة من هجرة سيد المرسلين

عليه وآله أفضل صلوات المصلين على يد مؤلفه الفقير إلى الله الغني محمد المشتهر

ببهاء الدين العاملي وفقه الله للعمل في يومه لغده قبل أن يخرج الأمر من يده

بمحروسة أصفهان حرست عن نوائب الزمان وطوارق الحدثان والحمد لله أولا

وآخرا وظاهرا وباطنا ونقله أقل

الأقلين محمد بن مفضل الحسيني

في المحروسة المذكورة في

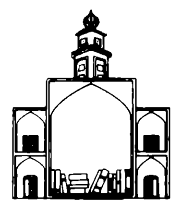
شهور سنة الثمان

الهجرة النبوية

عليه السلام

الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة آية الله العظمى الگلپايگاني (قدس سره)

المرموز لها بالحرف (ل)



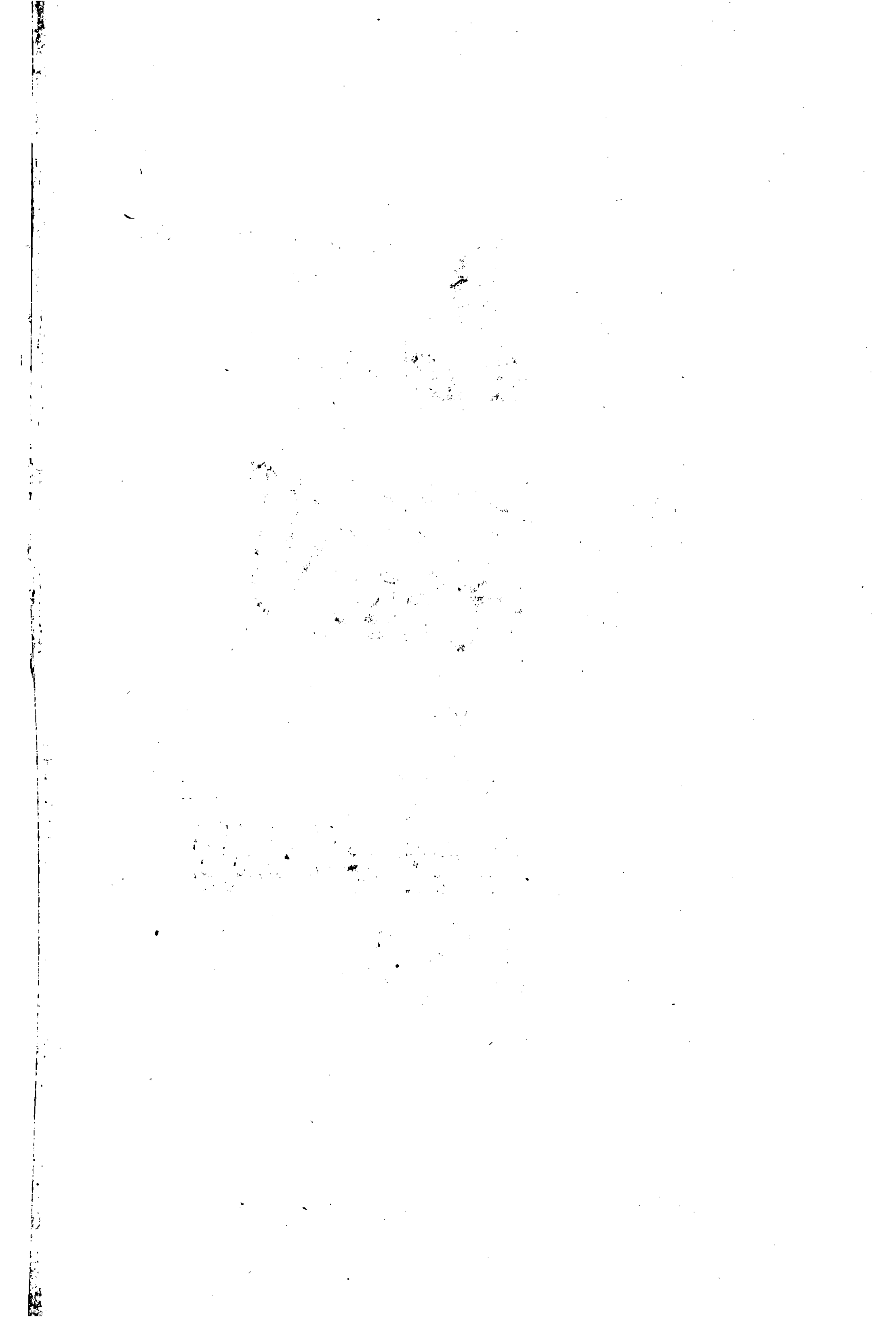


تأليف

المحقّق المتبحّر

أبو الفضائل محمّد بن الشيخ حسين الجبعي العاملي

«الشيخ البهائي»



بسم الله الرّحمن الرّحيم

مقدّمة المؤلّف:

إنّ أحسن حديث تحلّي اللسان بجواهر حقائقه، وخير خبر تجلّي الإنسان في زواهر حقائقه، حمدالله سبحانه على نعمه المسلسلة المتواترة، وشكره على مننه المستفيضة المتكاثرة. والصلاة على من أرسله بالهدىٰ و دين الحقّ بشيراً و نذيراً واصطفاه بنبوّته من قبل أن تخمّر طينة آدم تخمّراً، وآله الناسخين على منواله، المقتدين به في أفعاله و أقواله دعائم ملّته و أساسها، و حفظه شريعته و حرّاسها، و سلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد: فانّ الفقير الى الله الغنيّ بهاءالدين محمّد العاملي عامله الله بلطفه و إحسانه وأذاقه حلاوة غفرانه يقول:

إنّ أعظم المطالب والمفاخر بعد الإيمان بالله واليوم الآخر هو ما يتوصّل به الى السعادة الأبديّة و يتخلّص من الشقاوة السرمدية، وما هو إلّا الاقتداء بالملّة النبوية والاقتفاء للسنّة المحمّديّة، على الصادع بها من الصلاة أفضلها ومن التحيّات أكملها، و ذلك لايستتب إلّا بنقل الحديث و روايته، وضبطه ودرايته، و صرف الأيّام في مدارسته، و قضاء الأعوام في ممارسته . فطوبى لمن وجّه إليه همّته، و بيّض عليه لمته، و جعله شعاره ودثاره، وصرف فيه ليله ونهاره.

و هذا أربعون حديث من طرق أهل بيت النبوّة والولاية، ومنبع الفتوّة والهداية، جمعتها من أماكن عديدة، ومواطن شريدة، نصرة لاخوان الدين، و

تذكرة لخلّان اليقين وأردفت كلّ حديث يحتاج الى البيان بما يوقف الطالبين على سواء سبيله، ويرشد الراغبين الى الرحيق المختوم من سلسبيله. مخبراً بالسر المصون خلف أستاره، مظهراً للدرّ المكنون بعد استتاره، رافعاً للنقاب عن خبايا رموزه، كاشفاً للحجاب عن خفايا كنوزه، طاوياً في الأغلب عن تحقيق رجال السند كشحاً، ضارباً عن بيان حال المستند صفحاً، لكون أكثرها مقصوراً على السنن والآداب، واشتهار حديث «من سمع شيئاً من الثواب»[١] وإن ساعدتني الأقدار، وأسعفني الدهر الغدّار، ومدّ الله عزّوجلّ في مدّة الأجل لحصول ذلك الأصل، صرفت عنان النظر الى تأليف كتاب يحتوي على اُلوف من الأحاديث في الأحكام، وينطوي على جميع أبواب الفقه بالتمام، وأصرف إليه الهمّة صرفاً، وأنقده حرفاً حرفاً، وأنظم درر فرائده في سمط دقيق، وأنشر غرر فوائده على طرز أنيق، مذيّلاً كلّ حديث بتصحيح مبانيه وتوضيح معانيه، متعمّقاً في الكشف عن حاله والبحث عن رجاله، مبيّناً ما هو عليه من الصحّة والحسن والتوثيق، مهتدياً في ذلك بنور التوفيق، كاشفاً عن مفرداته اللغويّة وتركيباته النحويّة ونكاته المعانيّة و لطائفه البيانيّة، مستنبطاً منه ما يمكن استنباطه من الأحكام الشرعية، مشيراً الى ما يلوح خلاله من الدقائق الأصلية والفرعية، راجياً بذلك عظيم الثواب، و جزيل الأجر يوم يقوم الحساب.

وها أنا باسط كفّ السؤال الى من لا تخيب لديه الآمال أن يوفّقني لاتمام ما أرجوه، و يرزقني إكماله على أحسن الوجوه، وأن يجعلني ممّن تزوّد في يومه لغده ، من قبل أن يخرج الأمر من يده ، و أن يعصمني عن موارد الزلل في القول والعمل، أنّه القادر على ما يشاء ، و بيده أزمّة الأشياء، لانعبد غيره ولانرجو إلّا خيره.

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٦٠ باب ١٨ من أبواب مقدّمة العبادات ح ٦.

الحديث الأوّل

* ثواب حفظ أربعين حديثاً *

«... قال رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم: من حفظ على اُمّتي أربعين حديثاً ممّا يحتاجون إليه في أمر دينهم بعثه الله عزّوجلّ يوم القيامة فقيهاً عالماً».

الخصال: ج ٢ ص ٥٤١، ثواب الأعمال: ص ١٦٢

حدّثني والدي واستاذي ومن إليه في العلوم الشرعيّة استنادي حسين بن عبدالصمد الحارثي الهمداني[1] -نوّرالله تربته وأعلى في عليين رتبته- يوم الثلاثاء ثاني شهر رجب المرجّب سنة إحدى و سبعين و تسعمائة في دارنا بالمشهد المقدّس الرضوي على مشرّفه السّلام، عن شيخيه الجليلين عمادي الإسلام وفقيهي أهل البيت عليهم السلام السيد حسن بن جعفر الكركي والشيخ زين الملّة والدين العاملي قدّس الله سرّهما ورفع في الملأ الأعلىٰ ذكرهما، عن الشيخ الفاضل التقي علي بن عبدالعالي الميسي، عن الشيخ السعيد محمّدبن داود المؤذّن الجزيني، عن الشيخ الكامل ضياءالدين علي، عن والده الأفضل الأكمل المدقّق المحقّق الجامع في معارج السعادة بين رتبة العلم و درجة الشهادة الشيخ شمس الدين محمّدبن مكي رفع الله قدره وأضاء في سماء الرضوان بدره: الحديث.

وعن شيخنا زين الملّة والدين، عن الشيخ الجليل جمال الدين أحمد ابن خاتون، عن شيخنا المحقّق أفضل المتأخّرين وأكمل المتبحّرين نور الملّة والدين علي بن عبدالعالي الكركي العاملي أعلى الله مقامه وأجزل في الخُلد إكرامه، عن الشيخ الورع الجليل علي بن هلال الجزائري، عن الشيخ

---

(١) في هامش (م): نسبة الى الحارث الهمدانيّ كان من أصحاب أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام وخواصّه، وهو المخاطب بالأبيات المشهورة التي أوّلها: «يا حار همدان مَن يمت يرني» وهمْدان بسكون الميم قبيلة من اليمن. (منه مُدَّ ظلّه).

العالم العابد جمال الدين أحمدبن فهد الحلّي، عن الشيخ زين الدين علي بن الخازن، عن شيخنا الشهيد محمّدبن مكّي: الحديث.

وعن الشيخ محمدبن المؤذّن، عن السيّد الأجل السيّد علي بن رقماق الحسيني، عن الشيخ محمّدبن شجاع القطّان، عن الشيخ الجليل الفاضل المقداد بن عبدالله السيوري الحلّي، عن شيخنا الشهيد، عن جماعة من مشايخه: منهم السيّد المحقّق الطاهر عميدالدين عبدالمطلب الحسيني، والشيخ الأفضل فخرالمحقّقين أبوطالب محمّد الحلّي، والسيّد الفاضل النسّابة أبو عبدالله محمّد بن القاسم بن مُعيّة الحسني، والسيّد الكبير نجم الدين مهنا سنان المدني، والمولى الفاضل ملك العلماء مولانا قطب الدين محمّد الرازي[١]، عن الشيخ الأكمل العلّامة آية الله في العالمين جمال الملّة و الحقّ والدين أبي منصور الحسن بن مطهّر الحلّي قدّس الله روحه و نوّر ضريحه، عن شيخه الأفضل رئيس المحقّقين نجم الملّة والدين أبي القاسم جعفر بن الحسن بن سعيد الحلّي، عن السيّد الجليل النسّابة فخّار بن معد الموسوي، عن شاذان بن جبرئيل القمّي، عن محمد بن أبي القاسم الطبري، عن الشيخ الفقيه أبي علي الحسن، عن والده الأجلّ الأكمل شيخ الطائفة محمّدبن الحسن الطوسي نوّر الله مرقده: الحديث.

وعن الشيخ العلّامة جمال الدين حسن بن مطهّر، عن السيّد الطاهر ذي المناقب والمفاخر رضي الدين علي بن الطاووس الحسني طاب ثراه، عن حسين بن أحمد السوراوي، عن محمد بن أبي القاسم الطبري، عن الشيخ أبي علي، عن والده محمّد بن الحسن الطوسي: الحديث.

---

(١) في هامش (م): صاحب المحاكمات وشرح المطالع، وهو من تلامذة شيخنا العلّامة وقرأ عنده كتاب قواعد الأحكام وله عليه نقود وحواشٍ نقلها والدي طاب ثراه في قواعده من قواعد شيخنا الشهيد قدّس الله روحه. (منه دام ظلّه).

وعن العلّامة جمال الملّة والدين، عن أُستاذه أفضل المحقّقين سلطان الحكماء والمتكلّمين خواجه نصير الملّة والحقّ والدين محمد الطوسي، عن والده محمّد بن الحسن الطوسي، عن السيّد الجليل فضل الله الراوندي، عن السيّد المجتبىٰ بن الداعي الحسني، عن الشيخ الطوسي: الحديث.

وعن شيخنا الشهيد عن الشيخ رضي الدين علي بن أحمد المزيدي، عن الشيخ الفاضل الجليل الحسن بن داود الحلّي، عن الشيخ أبي القاسم جعفر بن الحسن بن سعيد، عن أبيه، عن جدّه، عن عربي بن مسافر العبادي، عن الياس بن هشام الحائري، عن الشيخ أبي علي، عن والده محمد بن الحسن الطوسي، عن الشيخ الأعظم الأكمل المفيد محمد بن محمد بن النعمان الحارثي سقى الله ثراه، عن الشيخ الأجل ثقة الإسلام محمد بن علي بن بابويه القمّي أعلى الله درجته، عن أحمد بن محمد، عن أبيه، عن علي بن اسماعيل، عن عبيدالله بن عبدالله، عن موسى بن ابراهيم المروزي، عن الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم: من حفظ على أُمّتي أربعين حديثاً ممّا يحتاجون إليه في أمر دينهم بعثه الله عزّوجلّ يوم القيامة فقيهاً عالماً[1].

بيـان

ما لعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ من حفظ ﴾: الظاهر أنّ المراد الحفظ عن ظهر القلب فإنّه هو المتعارف المعهود في الصدر السالف، فإنّ مدارهم كان على النقش في

---

(١) الخصال: ج ٢ ص ٥٤١، ثواب الأعمال ص ١٦٢.

الخواطر لا على الرسم في الدفاتر، حتّى منع بعضهم عن الاحتجاج بما لم يحفظه الراوي عن ظهر القلب . و قد قيل انّ تدوين الحديث من المستحدثات في المائة الثانية من الهجرة.

ولا يبعد أن يراد بالحفظ الحراسة عن الاندراس بما يعم الحفظ عن ظهر القلب والكتابة والنقل بين الناس ولو من كتاب وأمثال ذلك.

وقد يقال: المراد بحفظ الحديث تحمّله على أحد الوجوه الستّة المقرّرة في الأُصول، أعني السماع من الشيخ والقراءة عليه والسماع حال قراءة الغير والإجازة والمناولة والكتابة. و بُعده ظاهر.

﴿ على أُمّتي ﴾: الظاهر أنّ «على» بمعنى اللام، أي حفظ لأجلهم كما قالوه في قوله تعالى: ﴿ ولتكبّروا الله على ماهداكم ﴾[١] أي لأجل هدايته إيّاكم.

ويحتمل أن يكون بمعنى «من»[٢] كما قيل في قوله تعالى: ﴿ إذا اكتالوا على الناس يستوفون ﴾[٣].

﴿ أربعين حديثاً ﴾: الحديث لغة يرادف الكلام. سُمّي به لأنّه يحدث شيئاً فشيئاً.

وفي الاصطلاح: كلام خاصّ عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أو الإمام عليه السلام أو الصحابي أو التابعي ومن يحذو حذوه يحكي قولهم أو فعلهم أو تقريرهم. وبعض المحدّثين لا يطلق اسم الحديث إلّا على ما كان عن المعصوم عليه السلام.

---

(١) البقرة : ١٨٥.

(٢) وفي هامش نسخة (م): ويؤيّده ماأورده الشيخ الصدوق في كتاب عيون الأخبار في الحديث الخامس والتسعين من باب ماجاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة «من حفظ من أُمّتي أربعين حديثاً». (منه مدّ ظلّه العالي).

(٣) المطففين: ٢.

﴿ ممّا يحتاجون إليه في أمر دينهم ﴾: أي من الأحاديث التي تدعو الحاجة الدينية إليها كالأحاديث الواردة في بعض الاعتقادات والأعمال لاالدنيوية كالأحاديث في توسعة الرزق ودفع المؤذيات مثلاً إذا لم تدع إليها حاجة دينية.

وفي بعض الروايات: «فيما ينفعهم في أمر دينهم» وفي بعضها: «أربعين حديثاً ينتفعون بها» من غير تقييد بأمر الدين.

﴿ عزّوجلّ ﴾: جملتان معترضتان بين الحال وصاحبه ويحتمل الحالية بتقدير «قد».

﴿ فقيهاً عالماً ﴾: المراد أنّه يحشر بمجرّد ذلك في زمرة الفقهاء والعلماء الذين يرجّح مدادهم على دماء الشّهداء.

تبصرة

[هل معرفة معنى الحديث شرط في حصول الثواب أم لا ؟]

الظاهر من قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من حفظ» ترتّب الجزاء على مجرّد حفظ لفظ الحديث، وأنّ معرفة معناه غير شرط في حصول الثواب، أعني البعث يوم القيامة فقيهاً عالماً.

وهو غير بعيد، فإنّ حفظ ألفاظ الحديث طاعة كحفظ ألفاظ القرآن. وقد دعا صلّى الله عليه وآله وسلّم لناقل الحديث و إن لم يكن عالماً بمعناه كما يظهر من قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «رحم الله امرأً سمع مقالتي فوعاها، فأدّاها كما سمعها. فربَّ حامل فقه ليس بفقيه، وربَّ حامل فقه الى من هو أفقه منه»[1].

ولايبعد أن يندرج يوم القيامة بمجرّد حفظ اللفظ في زمرة العلماء،

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٠٣ ح ٢، سنن ابن ماجه: ج ١ ص ٨٤ مع اختلاف يسير.

فإنّ من تشبّه بقوم فهو منهم[١].

و هل ترجمة لفظ الحديث حديث فيترتّب ذلك الثواب على حفظها؟ الظاهر لا. كما أنّ ترجمة القرآن ليست بقرآن. ولذلك جاز للمحدّث مسّها، ولم يخرج ناذر قراءة القرآن عن العهدة بقراءتها.

والاستدلال على أنّها قرآن بقوله تعالى: ﴿ إنّ هذا لفي الصحف الأُولى ﴾[٢] فالحديث كذلك، ضعيف.

و أمّا تجويزهم نقل الحديث بالمعنى فلا يقتضي كون الترجمة حديثاً. وهو ظاهر.

تنبيه

[في أنّ المراد بالأُمّة جميع الأمّة لابعضها]

الظاهر من قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «على أُمّتي» أنّ المراد جميع الأُمّة. وهو بظاهره يقتضي أن لايترتّب ذلك الثواب إلّا على حفظ ما يشترك جميع الفرق الإسلامية في الحاجة إليه والانتفاع به كقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لاصلاة الّا بطهور»[٣] «جعلت لي الأرض مسجداً و ترابها طهوراً»[٤] «يحرم من الرضاع مايحرم من النسب»[٥] وأمثال ذلك دون الأحاديث التي بعض الأُمّة مصرّ على ردّها و إنكارها كقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «البيّعان بالخيار مالم يفترقا»[٦] وأحاديث مسح الرجلين

---

(١) الجامع الصغير للسيوطي: ص١٦٨.

(٢) الأعلى: ١٨.

(٣) من لايحضره الفقيه: ج١ ص ٣٣٠، صحيح مسلم: ج١ ص ١٤٠ مع اختلاف يسير.

(٤) وسائل الشيعة: ج٢ ص ٩٦٩ باب ٧ من أبواب التيمّم ح١، صحيح مسلم: ج٢ ص٦٣ و ٦٤.

(٥) الكافي: ج٥ ص٤٣٧ ح٢، صحيح مسلم: ج٤ ص ١٦٤.

(٦) الكافي: ج٥ ص ١٧٠ ح٤ و ح٥، صحيح مسلم: ج٥ ص٩.

في الوضوء[١] وما رووا عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ما أبقت الفرائض فلا ولي عصبة ذكر»[٢] وغير ذلك، إذ الجميع لا يحتاجون إليه ولا ينتفعون به. فإمّا أن يُراد بالأُمّة مايشتمل بعضهم، أو يراد بقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ممّا يحتاجون إليه» مامن شأنهم أن يحتاجوا إليه ولو بحسب اعتقاد ذلك الحافظ[٣] فليتأمّل[٤].

إن قلت[٥]: لامناص عن أن يراد من الأُمّة بعضهم، أعني المجتهدين منهم، لأنّ وظيفة من عداهم التقليد لاالرجوع الى الحديث، فهم لايحتاجون إليه ولا ينتفعون به.

قلت: الاحتياج إليه أعمّ من أن يكون بواسطة أو لا. وأيضاً فالكلّ ينتفعون بالحكم المستنبط منه وان كان المستنبط بعضهم.

تتميم

[حكم نقل الحديث الشامل لعدّة أحكام]

لو اشتمل الحديث الواحد على أحكام وجمل متعدّدة فلاشبهة في

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٣٢١ باب ٣٨ من أبواب الوضوء.

(٢) مسند أحمدبن حنبل: ج ١ ص ٢١٣.

(٣) كالإمامي لو حفظ أربعين حديثاً فيما يختصّ بالشيعة كمسح الرجلين والمتعة مثلاً لأنّ من شأن جميع الأُمّة العمل بها بحسب اعتقاده، بخلاف ما لو حفظ أربعين حديثاً في غسل الرجلين والعول والتعصيب مثلاً لأنّه ليس من شأن جميع الأُمّة العمل بها في اعتقاده لأنّ الأُمّة لاتجتمع على الخطأ. (منه رحمه الله).

(٤) وجه التامّل ان تفسير مايحتاج إليه الامّة بما من شأنهم الاحتياج إليه وان لم يتحقّق إحتياج إليه بالفعل أصلاً بعيد جدّاً (منه رحمه الله).

(٥) مبنى السؤال على الانتفاع بالحديث في استنباط الأحكام منه مع إغماض العين عن الانتفاع. ولو أُريد بالانتفاع مطلق ترتّب الثواب مثلاً لم يرد السؤال لأنّ الثواب يترتّب على حفظ اللفظ وكذا لو أُريد الانتفاع بالقوّة (منه رحمه الله).

جواز الاقتصار على نقل البعض بانفراده، إذا لم يكن متعلّقاً بالباقي. ونقل العلّامة في نهاية الأُصول الاتفاق على ذلك كقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من فرَّج عن أخيه كربة من كرب الدنيا فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن ستر على أخيه ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله تعالى في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[١] فهذا الحديث واحد، ويجوز الاقتصار على نقل كلّ من الجمل الأربع بانفرادها فيقال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كذا.

أمّا ما يرتبط بعضه ببعض فلا يجوز الاقتصار على نقل بعضه كالاقتصار على نقل قوله صلّى الله عليه و آله و سلّم: «لاسبق الّا في نصل»[٢] من دون أن يضاف إليه «أو خفّ أو حافر»[٣] والاقتصار على قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من نزل على قوم فلا يصومنَّ تطوعاً»[٤] من دون أن يضيف اليه «إلّا بإذنهم».

وعلى هذا فلو تضمّن الحديث أربعين حكماً مثلاً كلّ منها مستقلّ بنفسه فلاشكّ في جواز نقل كلّه منها بانفراده، لكن هل يصدق على من حفظه أنّه حفظ أربعين حديثاً فيستحقّ به الثواب المترتّب على ذلك؟ لم أجد لأحد فيه تصريحاً. وهو محلّ تأمّل ولو قيل به لم يكن بعيداً.

تذكـرة

[الاستدلال بالحديث المذكور على حجّيّة الخبر الواحد]

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٠٠ ح ٥.

(٢) اختلف المحدّثون في أنّ السبق في هذا الحديث هل هو بسكون الباء ليكون... مصدراً لمعنى المسابقة أو بفتحها بمعنى المال المبذول للسابق. فعلى الأوّل تصحّ المسابقة في غير هذه الثلاثة. وعلى الثاني يصحّ ولكن أخذ العوضين حرام. (منه رحمه الله).

(٣) الكافي: ج ٥ ص ٤٨ ح ٦، سنن ابن ماجه: ج ٢ ص ٩٦٠.

(٤) من لايحضره الفقيه: ج ٢ ص ١٥٤ و ١٥٥ قريب منه، سنن الترمذي ج ٣ ص ١٥٦.

هذا الحديث مستفيض بين الخاصّة والعامّة، بل قال بعضهم بتواتره. فإن ثبت أمكن الاستدلال به على أنّ خبر الواحد حجّة. ولم أجد أحداً استدلّ به على هذا المطلب.

وظنّي انّ الاستدلال به على ذلك ليس أدون من الاستدلال بآية ﴿ فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ﴾[١].

وتقريره أن يقال: إنّ أسماء الشرط من صيغ العموم، فقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من حفظ» في قوّة «كلّ شخص حفظ» سواء كان ذلك الشخص منفرداً بالحفظ أو كان له فيه مشاركون قد بلغوا حدّ التواتر أو لا. وقد قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ممّا يحتاجون إليه في أمر دينهم» فقد أثبت احتياجهم إليه في دينهم ولو لم يكن حجّة لما احتاجت الأُمّة إليه في أمر الدين بل كان وجوده كعدمه.

ولا يرد جريان هذا الدليل في خبر الفاسق ومجهول الحال لخروج الفاسق بآية التثبت[٢] والمجهول بما تقرّر في الاصول فيبقى خبر العدل على حجيته.

نعم لقائل أن يقول: ليس الحديث[٣] صريحاً في الاحتياج إليه حال كونه خبراً واحداً، فيجوز أن يكون مراده صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ممّا يحتاجون إليه» عند صيرورته حجّة، وهو وقت تواتره.

وهذا الاحتمال وان كان خلاف الظاهر إلّا انّه يجعل الاستدلال استدلالاً بظاهر في أصل فلايُجدي، فليتأمّل[٤].

---

(١) التوبة: ١٢٢.

(٢) أي آية التبيّن وهي قوله تعالى: (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا) الحجرات: ٦.

(٣) في هامش (م): من جملة ذلك الاستدلال بقوله تعالى: (ولاتقف ماليس لك به علم) خرج معدوم العدالة بالإجماع فبقي ماعداه، وأيضاً...بالاتّفاق فيجب تحقّق ظنّ علمه...(منه دام ظلّه)

(٤) في هامش (ع): وجه التأمّل: انّ عدم جواز التعويل على الظنّ في الاصول لم يثبت

إرشـاد

[بيان معنى الفقه]

ليس المراد بالفقه في قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً» الفقه بمعنى الفهم فإنّه لايناسب المقام، ولاالعلم بالأحكام الشرعية العمليّة عن أدلّتها التفصيلية فإنّه معنى مستحدث، بل المراد به البصيرة في أمر الدين، والفقه أكثر ما يأتي في الحديث بهذا المعنى، والفقيه هو صاحب هذه البصيرة، وإليها أشار النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بقوله: «لايفقه العبد كلّ الفقه حتّى يمقت الناس في ذات الله تعالى، وحتّى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة، ثمّ يقبل على نفسه فيكون لها أشدّ مقتاً»[(١)].

ثمّ هذه البصيرة إمّا موهبيّة وهي التي دعا بها النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لأميرالمؤمنين عليّ عليه الصلاة والسلام حين أرسله الى اليمن بقوله: «اللّهمَّ فقّهه في الدين»[(٢)] أو كسبية وهي التي أشار إليها أميرالمؤمنين عليه السلام حيث قال لولده الحسن عليه السلام: « وتفقّه يابنيّ في الدين»[(٣)].

وفي كلام بعض الأعلام: انّ اسم الفقه في العصر الأوّل إنّما كان يطلق على علم الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدة الأعمال و

⇦ بعد. (منه رحمه الله).

وفي هامش (م) أيضاً: وجه التأمّل: انّ الأصحّ أنّ الظنّ كائن في الأُصول (منه دام ظلّه).

(١) إحياء علوم الدين: ج١ ص٢٦.

(٢) صحيح البخاري: ج١ ص٤٨، مسند أحمدبن حنبل: ج١ ص٢٦٦، وفيهما في ابن عبّاس لافي أميرالمؤمنين.

(٣) نهج البلاغة: ص٣٩٣ رسالة ٣١.

قوّة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدّة التطلّع الى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب.

ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾[1] فقد جعل العلّة الغائية من الفقه الإنذار والتخويف. ومعلوم أنّ ذلك لا يترتّب إلّا على هذه المعارف، لا على معرفة فروع الطلاق والمساقاة والسلم وأمثال ذلك.

وأمّا العلم فالمراد منه قريب ممّا يراد من الفقه لا المعاني المصطلحة المستحدثة، كحصول الصورة أو الصورة الحاصلة عند العقل أو ملكة يقتدر بها على إدراكات جزئية وما أشبه ذلك، فإنّ «العلماء ورثة الأنبياء»[2] وليس شيء من هذه المعاني ميراث الأنبياء، وقد قال الله تعالى: ﴿ انّما يخشى الله من عباده العلماء ﴾[3] فقد جعل العلم موجباً للخشية والخوف لتعليق الحكم على الوصف ، فجميع ما ارتسم في ذهنك من التصوّرات والتصديقات التي لا توجب لك الخشية والخوف وإن كانت في كمال الدقّة والغموض فليست من العلم في شيء بمقتضى الآية الكريمة، بل هي جهل محض، بل الجهل خير منها. إنتهى كلامه، ولعمري إنّه كلام رشيق أنيق يليق أن يكتب بالنور على صفحات خدود الحور.

---

(١) التوبة: ١٢٢.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٣٢ ح ٢.

(٣) فاطر: ٢٨.

الحديث الثاني

* صفات أولياء الله *

«... قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من عرف الله و عظّمه منع فاه من الكلام، وبطنه من الطعام، وعنّى نفسه بالصيام والقيام. قالوا: بآبائنا و أُمّهاتنا يا رسول الله هؤلاء أولياء الله ؟ قال : إنّ أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم فكراً ، و تكلّموا فكان كلامهم ذكراً ، و نظروا فكان نظرهم عبرة ، و نطقوا فكان نطقهم حكمة ، و مشوا فكان مشيهم بين الناس بركة . لولا الآجال التي قد كتبت عليهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم خوفاً من العذاب و شوقاً الى الثواب».

أمالي الصدوق: المجلس ٥٥ ص٢٦٩

و بالسند المتصل الى الشيخ الصدوق ثقة الإسلام محمد بن بابويه القمّي، عن الحسين بن أحمد بن إدريس، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن محمد بن علي الكوفيّ، عن محمد بن سنان، عن عيسى الجريري ، عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، عن أبيه محمد الباقر عليه السلام، عن أبيه زين العابدين، عن أبيه سيدالشهداء، عن أبيه أميرالمؤمنين عليهم السلام قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من عرف الله و عظّمه منع فاه من الكلام، و بطنه من الطعام، و عنّى نفسه بالصيام والقيام. قالوا: بآبائنا و اُمّهاتنا يا رسول الله هؤلاء أولياء الله؟ قال: إنّ أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم فكراً، و تكلّموا فكان كلامهم ذكراً، و نظروا فكان نظرهم عبرة، و نطقوا فكان نطقهم حكمة، و مشوا فكان مشيهم بين الناس بركة. لولا الآجال التي قد كتبت عليهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم خوفاً من العذاب و شوقاً الى الثواب[1].

(١) أمالي الصدوق: المجلس ٥٠ ص ٢٦٩.

بيـان

ما لعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ من عرف الله ﴾: قال بعض الأعلام: أكثر ماتطلق المعرفة على الأخير من الإدراكين للشيء الواحد إذا تخلّل بينهما عدم، بأن أدركه أوّلاً ثمّ ذهل عنه ثمّ أدركه ثانياً فظهر له أنّه هو الذي كان قد أدركه أوّلاً.و من هاهنا سُمّي أهل الحقيقة بأصحاب العرفان لأنّ خلق الأرواح قبل خلق الأبدان كما ورد في الحديث[١] ، و هي كانت مطّلعة على بعض الإشراقات الشهودية مقرّة لمبدعها بالربوبية كما قال سبحانه: ﴿ ألست بربّكم؟ قالوا بلى ﴾[٢] لكنّها لإلفها بالأبدان الظلمانية وانغمارها في الغواشي الهيولانية ذهلت عن مولاها و مبدعها، فإذا تخلّصت بالرياضة من أسر دارالغرور وترقّت بالمجاهدة عن الإلتفات الى عالم الزور تجدّد عهدها القديم الذي كاد أن يندرس بتمادي الأعصار والدهور، وحصل لها الإدراك مرّة ثانية، و هي المعرفة التي هي نور على نور.

﴿ عنّى نفسه ﴾: عنّىٰ بالعين المهملة والنون المشدّدة أي أتعب، والعناء بالفتح والمدّ: التعب.

﴿ بآبائنا و اُمّهاتنا ﴾: هذه الباء يسمّيها بعض النحاة بالتعدية، و فعلها محذوف غالباً، والتقدير: نفديك بآبائنا واُمّهاتنا، وهي في الحقيقة باء العوض نحو: خذ هذا بهذا ، و عُدَّ منه قوله تعالى: ﴿ ادخلوا الجنّة بما كنتم تعملون ﴾[٣].

﴿ هؤلاء أولياء الله ﴾: هو استفهام محذوف الأداة، ويمكن أن يكون خبراً قُصد به لازم الحكم والتأكيد في قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

---

(١) راجع بحارالأنوار: ج ٦١ ص ١٣١ والصفحات التي بعدها.

(٢) الأعراف: ١٧٢.

(٣) النحل: ٣٢.

﴿ انّ أولياء الله... الى آخره ﴾: لكون الخبر ملقى الى السائل المتردّد على الأوّل، ولكون المخاطب حاكماً بخلافه على الثاني إن جُعل قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ أولياء الله» ردّاً لقولهم «هؤلاء أولياء الله» أي أنّ أولياء الله أُناس أُخر صفاتهم فوق هذه الصفات.

و إن جُعل تصديقاً لقولهم و وصفاً لأولياء الله بصفات أُخرى زيادة على صفاتهم الثلاث السابقة فالتأكيد لكون الخبر مُلقى الى الخُلّص الراسخين في الإيمان فهو رائج عندهم مُتقبّل لديهم صادر عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم عن كمال الرغبة و وفور النشاط أنّه وصف أولياء الله بأعظم الصفات فكان مظنّة التأكيد كما ذكره صاحب الكشاف[1] عند قوله تعالى: ﴿ و إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا ﴾[2].

﴿ فكان سكوتهم فكراً ﴾: أطلق على سكوتهم الفكر لكونه لازماً له غير منفك عنه. وكذا إطلاق العبرة على نظرهم، والحكمة على نطقهم، والبركة على مشيهم. و جعل صلّى الله عليه وآله وسلّم كلامهم ذكراً ثمّ جعله حكمة إشعاراً بأنّه لايخرج عن هذين، فالأوّل في الخلوة والثاني بين الناس ولك إبقاء النطق على معناه المصدري، أي أنّ نطقهم بمهما نطقوا به مبني على حكمة ومصلحة.

﴿ خوفاً من العذاب وشوقاً الى الثواب ﴾: فيه إشارة الى تساوي الخوف والرجاء فيهم وكونهما معاً في الغاية القصوىٰ والدرجة العليا كما ورد في الحديث عن الإمام محمدبن عليّ الباقر عليهما السلام أنّه قال: «ليس من عبد مؤمن إلّا وفي قلبه نوران: نور خيفة ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا»[3].

---

(١) تفسير الكشّاف: ج ١ ص ٦٢.

(٢) البقرة: ١٤.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٦٧ ح ١.

وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: «أعجب ما كان في وصيّة لقمان أن قال لابنه: خف الله خيفة لو جئته ببرّ الثقلين لعذّبك، و ارج الله رجاء لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك»[1].

تبصرة

[معرفة الله]

المراد بمعرفة الله تعالى الاطّلاع على نعوته وصفاته الجلالية والجمالية بقدر الطاقة البشرية. و أمّا الاطّلاع على حقيقة الذات المقدّسة فممّا لامطمح فيه للملائكة المقرّبين والأنبياء المرسلين فضلاً عن غيرهم، وكفى في ذلك قول سيّد البشر: «ماعرفناك حقّ معرفتك»[2] وفي الحديث: «إنّ الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وأنّ الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم»[3] فلا تلتفت الى مَن يزعم أنّه قد وصل الى كنه الحقيقة المقدّسة، بل أُحث التراب في فيه، فقد ضلّ وغوى، و كذب وافترى، فإنّ الأمر أرفع وأطهر أن يتلوّث بخواطر البشر، وكلّ ما تصوّره العالم الراسخ فهو عن حرم الكبرياء بفراسخ، وأقصى ما وصل إليه الفكر العميق فهو غاية مبلغه من التدقيق، وما أحسن ما قال :

آنچه پيش تو،غير ازآن‌ره نيست   غايت فهم توست ، الله نيست

بل الصفات التي نثبتها له سبحانه و تعالى إنّما هي على حسب أوهامنا وقدر أفهامنا، فانّا نعتقد اتصافه سبحانه بأشرف طرفي النقيض بالنظر الى عقولنا القاصرة، وهو تعالى أرفع وأجلّ من جميع مانصفه به.

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٧ ح ١

(٢) عوالي اللئالي: ج ٤ ص ١٣٢ ح ٢٢٧.

(٣) تحف العقول: ص ٢٤٥ ضمن خطبة الإمام الحسين عليه السلام في التوحيد.

وفي كلام الإمام أبي جعفر محمد بن عليّ الباقر عليه السلام إشارة الى هذا المعنى حيث قال :«كلّما ميزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مخلوق مصنوع مثلكم، مردود إليكم. ولعلّ النمل الصغار تتوهّم أنّ لله تعالى زُبانيتين فإنّ ذلك كمالها. وتتوهّم أنّ عدمهما نقصان لمن لايتصف بهما. وهكذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به». انتهى كلامه صلوات الله عليه وآله.

قال بعض المحقّقين: هذا كلام دقيق رشيق أنيق صدر من مصدر التحقيق ومورد التدقيق، والسرّ في ذلك أنّ التكليف إنّما يتوقّف على معرفة الله تعالى بحسب الوسع والطاقة، وإنّما كلّفوا أن يعرفوه بالصفات التي ألفوها وشاهدوها فيهم مع سلب النقائص الناشئة عن انتسابها إليهم. ولمّا كان الإنسان واجباً بغيره عالماً قادراً مريداً حيّاً متكلّماً سميعاً بصيراً كُلِّف بأن يعتقد تلك الصفات في حقّه تعالى مع سلب النقائص الناشئة عن انتسابها الى الإنسان بأن يعتقد أنّه تعالى واجب لذاته لابغيره، عالم بجميع المعلومات، قادر على جميع الممكنات ، و هكذا في سائر الصفات ، و لم يُكلَّف باعتقاد صفة له تعالى لايوجد فيه مثالها ومناسبها بوجه. ولو كلّف به لما أمكن تعلّقه بالحقيقة. وهذا أحد معاني قوله عليه السلام: «مَن عرف نفسه فقد عرف ربّه» إنتهى كلامه.

واعلم انّ تلك المعرفة التي يمكن أن يصل اليها أفهام البشر لها مراتب متخالفة و دُرَجٌ متفاوتة. قال المحقّق الطوسي طاب ثراه في بعض مصنّفاته: إنّ مراتبها مثل مراتب معرفة النار مثلاً فإنّ أدناها من سمع أنّ في الوجود شيئاً يعدم كلّ شيء يلاقيه،ويظهر أثره في كلّ شيء يحاذيه، وأي شيء اُخذ منه لم ينقص منه شيء و يسمّى ذلك الموجود ناراً. ونظير هذه

المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة المقلّدين الذين صدّقوا بالدين من غير وقوف على الحجّة.

و أعلى منها مرتبة من وصل إليه دخان النار و علم أنّه لابدّله من مؤثّر فحكم بذات لها أثر و هو الدخان. و نظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة أهل النظر والاستدلال الذين حكموا بالبراهين القاطعة على وجود الصانع.

و أعلى منها مرتبة من أحسّ بحرارة النار بسبب مجاورتها و شاهد الموجودات بنورها و انتفع بذلك الأثر. و نظير هذه المرتبة في معرفة اللّه سبحانه و تعالى معرفة المؤمنين الخلّص الذين اطمأنت قلوبهم باللّه و تيقّنوا أنّ ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾[1] كما وصف به نفسه.

و أعلى منها درجة مرتبة من احترق بالنار بكليته و تلاشى فيها بجملته. ونظير هذه المرتبة في معرفةاللّه تعالى معرفة أهل الشهود والفناء في اللّه، و هي الدرجة العليا والمرتبة القصوىٰ، رزقنا اللّه الوصول إليها والوقوف عليها بمنّه و كرمه. إنتهى كلامه أعلى الله مقامه.

ولايخفى أنّ المعرفة التي تضمّنها صدر هذا الحديث هي المرتبة الثالثة و الرابعة من هذه المراتب، واللّه أعلم.

تتميم

[سمات العارفين و صفات الأولياء الكاملين]

قد اشتمل هذا الحديث على المهم من سمات العارفين و صفات الأولياء الكاملين:

---

(١) النور: ٣٥.

فأوّلها: الصمت و حفظ اللسان الذي هو باب النجاة.

و ثانيها: الجوع وهو مفتاح الخيرات.

و ثالثها: اتعاب النفس بالعبادة بصيام النهار و قيام الليل. وهذه الصفة ربّما توهم بعض الناس استغناء العارف عنها وعدم حاجته إليها بعد الوصول، و هو وهم باطل، إذ لو استغنى عنها أحد لاستغنى عنها سيّد المرسلين و أشرف الواصلين، وقد كان صلّى اللّه عليه و آله يقوم في الصلاة الى أن ورمت قدماه، و كان أميرالمؤمنين علي عليه السلام الذي إليه تنتهي سلسلة أهل العرفان يصلّي كلّ ليلة ألف ركعة، و هكذا شأن جميع الأولياء العارفين كما هو في التواريخ مسطور وعلى الألسنة مشهور.

و رابعها: الفكر، و في الحديث: «تفكّر ساعة خير من عبادة ستين سنة»[1] قال بعض الأكابر: انّما كان الفكر أفضل لأنّه عمل القلب، و هو أشرف من الجوارح، فعمله أفضل من عملها، ألا ترىٰ إلى قوله تعالى: ﴿ أقم الصلاة لذكري ﴾[2] فجعل الصلاة وسيلة الى ذكر القلب، والمقصود أشرف من الوسيلة.

و خامسها: الذكر، والمراد به الذكر اللساني، و قد اختاروا له كلمة التوحيد لاختصاصها بمزايا ليس هذا محلّ ذكرها.

و سادسها: نظر الاعتبار كما قال سبحانه: ﴿ فاعتبروا يا أُولي الأبصار ﴾[3].

و سابعها: النطق بالحكمة، والمراد بها ماتضمّن صلاح النشأتين أو صلاح النشأة الأُخرى من العلوم والمعارف. أمّا ماتضمّن صلاح الحال في الدنيا فقط فليس من الحكمة في شيء.

---

(١) الجامع الصغير: ج ٢ ص ٧٧.

(٢) طه: ١٤.

(٣) الحشر: ٢.

وثامنها: وصول بركتهم الى الناس.

وتاسعها وعاشرها: الخوف والرجاء.

وهذه الصفات العشر إذا اعتبرتها وجدتها أُمّهات صفات السائرين الى الله تعالى، يسّر الله لنا الاتصاف بها بمنّه وكرمه وجوده.

الحديث الثالث

* أهميّة الوقت الأوّل للصلاة *

«... قال النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: ما من صلاة يحضر وقتها إلّا نادى ملك بين يدي الناس : قوموا الى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فاطفؤوها بصلاتكم».

من لايحضره الفقيه: ج ۱ ص۲۰۸، أمالي الصدوق: مجلس ۷۵ ص۴۴۶

و بالسند المتصل الى الشيخ الصدوق محمّد بن بابويه، عن موسى ابن المتوكّل ، عن علي بن الحسين السعدآبادي ، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أبيه ، عن عبيدالله الدهقان ، عن واصل بن سليمان ، عن عبدالله بن سنان، عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام قال: سمعت أبي يحدّث عن أبيه قال:

قال النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ما من صلاة يحضر وقتها إلّا نادى ملك بين يدي الناس: قوموا الى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فاطفؤوها بصلاتكم[1].

بيان

ما لعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ **ما من صلاة** ﴾: «من» صلة لتأكيد النفي.

﴿ **إلّا نادى ملك** ﴾: استثناء مفرغ. وجملة «نادى ملك» حالية.

والمعنى: ما حضر وقت صلاة على حالة من الحالات إلّا مقارناً لنداء ملك... الى آخره.

---

(١) من لايحضره الفقيه: ج ١ ص٢٠٨، أمالي الصدوق: مجلس ٧٥ ص٤٤٦.

و انّما صحّ خلوّ الماضي الواقع حالاً عن «الواو» و «قد» في أمثال هذه المقامات لأنّه قصد به تعقيب ما بعد إلّا لما قبلها فأشبه الشرط والجزاء. صرّح به المحقّق التفتازاني في أواخر بحث القصر من المطوّل[١]، وهو مذكور في بعض كتب النحو أيضاً.

﴿بين يدي الناس﴾: قال صاحب الكشّاف عند أوّل سورة الحجرات: حقيقة قول القائل «جلست بين يدي فلان» أن تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه و شماله قريباً منه، فسُمّيت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسّعاً كما يسمّى الشيء باسم غيره إذا جاوره و داناه[٢]. إنتهى كلامه.

﴿ الى نيرانكم ﴾: استعارة مصرّحة شبّهت الذنوب بالنار في إهلاك من وقع فيها، و أوقدتموها ترشيح آخر واطفؤوها ترشيح آخر.

و إن جعلت «نيرانكم» مجازاً مرسلاً من قبيل تسمية السبب باسم المسبب فالترشيحان على ماكانا عليه؛ إذ المجاز المرسل ربما يرشح أيضاً كما قالوه في قوله صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: «أسرعكنّ لحوقاً بي أطولكن يداً»[٣].

ولا يبعد أن يجعل الكلام استعارة تمثيلية من غير ارتكاب تجوّز في المفردات بأن يشبّه الهيئة المنتزعة من المذنب وتلبسه بالذنب المهلك له. و تحقيق ذلك بالصلاة بالهيئة المنتزعة من توقّد[٤] النار على ظهره ثم إطفائه لها.

---

(١) المطوّل: ص ٢٢٣.

(٢) تفسير الكشاف: ج ٤ ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

(٣) صحيح البخاري: ج ٢ ص ١٣٧ أبواب الزكاة ، صحيح مسلم: ج ٢ ص ١٤٤ باب فضائل الصحابة.

(٤) (م) و (ع): موقد.

وهاهنا وجه آخر مبني على مقدمة هي أنّه قد ذهب بعض أصحاب القلوب الى أنّ الأعمال الصالحة هي التي تظهر في القيامة بصورة نعيم الجنّة وحورها وقصورها، كما أنّ الأعمال السيئة تظهر بصورة عذاب النار وعقاربها وحيّاتها. و قد ورد في القرآن والحديث مايرشد الى ذلك. فعلى هذا يجور أن تكون «نيرانكم» مجازاً مرسلاً ، علاقته تسمية الشيء باسم مايؤول إليه، والترشيح بحاله كما عرفت. وظنّي أنّ هذا الوجه أحسن من الوجوه الثلاثة السابقة.

إكمال

[في أنّ الصلاة تكفّر الذنوب وتسقط العقاب]

قوله صلّى الله عليه و آله وسلم: «فاطفؤوها بصلاتكم» صريح في أنّ الصلاة تكفّر الذنوب وتسقط العقاب المتوعّد عليها. والقرآن يدلّ عليه، قال سبحانه و تعالى: ﴿ إنّ الحسنات يذهبن السيئات ﴾[١] والمراد بها الصلوات لسوق الآية.

وقد ورد ذلك في أحاديث متكثّرة من طرق العامّة والخاصّة.

روى أبو حمزة الثمالي عن أحدهما عليهما السلام، عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: والذي بعثني بالحقّ بشيراً و نذيراً أنّ أحدكم ليقوم من وضوئه فتساقط عن جوارحه الذنوب. فإذا استقبل اللّه بوجهه وقلبه لم ينفتل و عليه من ذنوبه شيء كيوم ولدته اُمّه، إنّما منزلة الصلوات الخمس لاُمّتي كنهر جارٍ على باب أحدكم. فما ظنّ أحدكم لو كان على جسده درن ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرّات أكان يبقى في جسده درن؟ و كذلك واللّه الصلوات الخمس لاُمّتي[٢].

---

(١) هود: ١١٤.

(٢) تفسير العياشي: ج ٢ ص ١٦١ ـ ١٦٢، صحيح البخاري: ج ١ ص ١٤١.

وروي في سبب نزول قوله تعالى: ﴿انّ الحسنات يذهبن السيّئات﴾. أنّ رجلاً من الصحابة أصاب من امرأة قُبلة فأتى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، فأنزل اللّه تعالى: ﴿أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إنّ الحسنات يُذهبن السيئات﴾ فقال الرجل: إليَّ هذا؟ فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: لجميع أُمّتي كلّهم(١).

ولايخفى أنّ هذه الذنوب التي وردت الأخبار بأنّ الصلاة مكفّرة لها مخصوصة بما عدا الكبائر، وفي كثير من الأحاديث تصريح بذلك، كما روي عن النّبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم أنّه قال: «إنّ الصلوات كفّارات لما بينهن ما أُجتنبت الكبائر»(٢).

وعنه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: «ما من امرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها و ركوعها إلّا كانت كفّارة لما قبلها من الذنوب مالم يؤت كبيرة»(٣).

وعنه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: «انّ الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفّارات لما بينهن مالم تُغشَ الكبائر»(٤). والروايات بذلك متظافرة، فينبغي حمل الذنوب في الرواية الأُولى على الصغائر وإن كان قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «كيوم ولدته أُمّه» ظاهر في العموم كما لايخفى.

تذنيب

[توضيح حول تكفير الذنوب]

ماورد من أنّ اجتناب الكبائر مكفّر للصغائر كما قال سبحانه: ﴿ ان

---

(١) اسباب النزول: ص ١٨٠، تفسير الدرالمنثور: ج ٢ ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣.

(٢) تفسير الدرالمنثور: ج ٣ ص ٣٥٥.

(٣) صحيح مسلم: ج ١ ص ١٤٢.

(٤) صحيح مسلم: ج ١ ص ١٤٤، سنن ابن ماجه: ج ١ ص ٣٤٥.

تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم و ندخلكم مدخلاً كريماً﴾[١] لاينافي ماتضمّنته الأحاديث السابقة من كون الصغائر مكفّرة بالصلاة، فلعلّ كلّاً منهما مكفّر لنوع منها، أو أنّ لكلّ منهما مدخلاً في التكفير، فهو بهذا الاعتبار مكفّرة في الجملة.

ولايمكن أن تحمل الصغائر التي تكفّرها الصلاة على الصغائر الصادرة ممّن لايجتنب الكبائر، لأنّ مافي قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ما اجتنب الكبائر» و«مالم تؤت كبيرة» و«مالم تَغشَ الكبائر» ظرفية. فالمعنى أنّ الصلاة تكفّر مابينهنّ وقت اجتناب الكبائر، فمن لايجتنبها تكون صغائره غير مكفّرة بالصلاة. وهذا ظاهر لاسترة فيه.

---

(١) النساء: ٣١.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الحديث الرابع

* وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله *

«... حكى لنا الإمام أبو جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام وضوء رسول الله صلّى‌الله عليه وآله وسلّم فدعا بقدح من ماء، فأدخل يده اليمنى، فأخذ كفّاً من ماء، فأسدلها على وجهه من أعلى الوجه، ثمّ مسح بيده الجانبين جميعاً، ثمّ أعاد اليسرى في الإناء، فأسدلها على اليمنى، ثمّ مسح جوانبها، ثمّ أعاد اليمنى في الإناء، ثمّ صبّها على اليسرى، فصنع بها كما صنع باليمنى، ثمّ مسح ببقية ما بقي في يديه رأسه و رجليه و لم يُعِدها في الإناء».

تهذيب الأحكام: ج١ ص٥٥ ح٣

وبسندي المتصل الى الشيخ الجليل شيخ الطائفة محمدبن الحسن الطوسي قدّس الله روحه، عن الشيخ الجليل عمادالإسلام محمدبن محمدبن النعمان المفيد طاب ثراه، عن احمدبن محمد، عن أبيه، عن الحسين بن الحسين بن أبان، عن الحسن بن سعيد، عن ابن أبي عمير وفضالة، عن جميل بن درّاج، عن زرارة بن أعين قال:

حكى لنا الإمام أبو جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام وضوء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فدعا بقدح من ماء، فأدخل يده اليمنى، فأخذ كفّاً من ماء، فأسدلها على وجهه من أعلى الوجه، ثمّ مسح بيده الجانبين جميعاً، ثمّ أعاد اليسرى في الإناء، فأسدلها على اليمنى، ثمّ مسح جوانبها، ثمّ أعاد اليمنى في الإناء، ثمّ صبّها على اليسرى، فصنع بها كما صنع باليمنى، ثمّ مسح ببقية ما بقي في يديه رأسه و رجليه و لم يُعِدها في الإناء[1].

بيان

مالعلّه يحتاج الى بيان في هذا الحديث

(١) تهذيب الأحكام: ج ١ ص ٥٥ ح ٣.

﴿ **فدعا بقدح من ماء** ﴾: قد يتمسّك بهذا على أنّ احضار الغير ماء الوضوء ليس من الاستعانة المكروهة في الوضوء. وانّما هي صبّ الماء في اليد ليغسل به العضو. وفيه مالايخفى.

﴿ **فأسدلها على وجهه** ﴾: أي صبّها ، والسدل في الأصل إرخاء الثوب و نحوه، و منه السَّديل لما يُرخى على الهودج. فالكلام استعارة تبعيّة.

﴿ **من أعلى الوجه** ﴾: المراد بأعلى الوجه على ما قالوه منتهى قصاص الناصية وما سامته من الجهتين. وسيرد عليك زيادة تحقيق فيه.

﴿ **ثمّ مسح بيده الجانبين جميعاً** ﴾: أي جانبي الوجه، و ربّما يوجد في بعض نسخ التهذيب «الحاجبين» وهو من سهو النسّاخ[١].

ولايخفىٰ أنّ لفظة «ثمّ» في هذاالحديث منسلخة عن معنى التراخي، وهو في كلام البلغاء كثير.

﴿ **ثمّ أعاد اليسرى** ﴾: كأنّ الظاهر ثمّ أدخل اليسرى، ولعلّه أطلق الإعادة على الإدخال الابتدائي لمشاكلة قوله فيما بعد «ثمّ أعاد اليمنىٰ».

ولايتوهّم أنّ تقدّم المشاكَل -بالفتح- على المشاكِل -بالكسر- شرط، فإنّهم صرّحوا بأنّ «يمشي» في قوله تعالى: ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾[٢] لمشاكلة قوله تعالى: ﴿ومنهم من يمشي على رجلين﴾[٣].

هذا ويمكن أن يقال: إنّه أطلق الإعادة باعتبار كونها يداً لاباعتبار كونها يسرى فتدبّر[٤].

---

(١) في هامش (م): لأنّ في النسخة التي بخطّ الشيخ الطوسي رحمه الله الجانبين. وكذا في النسخة التي عليها الاعتماد. (منه دام ظلّه).

(٢) و (٣) النور: ٤٥.

(٤) في هامش (م): وجه التدبّر: أنّ بعضهم جوّز عود الضمير الى الأمر الخاص لاباعتبار خصوصية بل باعتبار المعنىالعام وجعله من قبيل الاستخدام، وبعضهم منع منه، وهو الظاهر. (منه رحمه الله).

﴿ ثمّ مسح ببقيّة مابقي في يديه رأسه ورجليه ﴾: كأنّ الظاهر: ثمّ مسح بما بقي في يديه، و كأنّه لمّا كان موهماً لكون الإمام عليه السلام مسح رأسه ورجليه بجميع الرطوبة الباقية وكلّ الكفّ أدرج لفظ البقية رفعاً للتوهّم وإشعاراً بأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم مسح بشيء منها ولم يعدها في الإناء.

و إفراد الضمير لعوده الى اليمنىٰ في قوله: «كما صنع باليمنىٰ» و يمكن عوده الى اليد في ضمن اليدين .

و ربّما يوجد في بعض النسخ «ولم يعدهما» بالتثنية، فلا تكلّف.

تبصرة فيها تذكرة

[بيان وجوب غسل الوجه من الأعلى إلى الأسفل]

احتجّ من قال من علمائنا بوجوب الابتداء في غسل الوجه من أعلاه وهم من عدا المرتضى وابن إدريس وأتباعهما بما تضمّنه هذا الحديث من الغسل من الأعلى في مقام البيان فيجب.

ولا يرد الاغتراف باليمنىٰ[١] لأنّه علم استحبابه من دليل آخر، وبأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّا توضّأ الوضوء البياني إمّا أن يكون بدأ بأعلى الوجه أو بأسفله، لاسبيل إلى الثاني و إلّا لوجب على التعيين ولم يجز سواه للاتّفاق على أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم قال بعد فراغه: «هذا وضوء لايقبل الله الصلاة إلّا به» لكنّه غير واجب على التعيين باتفاق الأُمّة فتعيّن الأوّل.

واعترض على هذا بأنّه يجوز أن يكون عليه السلام بدأ بالأسفل

---

(١) في هامش (م): فإن قيل: يلزم حينئذٍ وجوب الاغتراف لأنّه يُفهم من كلام الإمام عليه السلام صريحاً. أجيب بأنّ استحبابه يُفهم من حديث آخر فحينئذٍ كلّما دلّ الحديث... عن الإمام عليه السلام بالصدور لايحكم بوجوبه. (منه رحمه الله).

لبيان جوازه والإشعار بعدم وجوب الابتداء بالأعلى، فلا يجب على الأمّة.

ويخطر بالبال أنّه على تقدير ابتدائه عليه السلام بالأعلى أيضاً لايلزم وجوبه على الأمّة، فإنّ غسل الوجه على هذا الوجه -أعني من الأعلى الى الأسفل- من قبيل الأفعال الجبلّية[١] التي لايقتضي صدورها عنه عليه السلام وجوبها على الأمّة. و كون ذلك من جملة ماقصد بالبيان ممنوع، وقصد القربة فيه غير معلوم، وكونه من كيفيّات بعض ما قُصد بيانه، والقربة به لايوجب كونه كذلك، و إلّا لوجب إمرار اليد على الوجه حال غسله كما ذهب اليه الشاذّ من أصحابنا، فإنّه أيضاً من كيفيّات بعض ما قصد بيانه والقربة به، وقد فعله عليه السلام كما نطق به الحديث.

وأمّا قوله عليه السلام: «لايقبل الله الصلاة إلّا به» فمعناه إلّا بمثله. والمماثلة بين الوضوئين لاتنتفي بمجرّد الإبتداء من الأسفل، فلو بقي أقلّ مايتحقّق معه المماثلة لكفى. والأصل براءة الذمّة من الزائد على ذلك الأقلّ، كما لو كلّف السيّد عبده بأن يعمل مثل عمل زيد فإنّه يخرج على العهدة بأقل مايصدق عليه المماثلة عرفاً.

وظنّي أنّه لو استدلّ على هذا المطلب بأنّ المطلق ينصرف الى الفرد الغالب الشائع المعتاد والغالب الشائع المعتاد في غسل الوجه غسله من فوق الى أسفل، فينصرف الأمر به في قوله تعالى: ﴿فاغسلوا وجوهكم﴾[٢] إليه لم يكن بعيداً.

و جريانه في إمرار اليد على الوجه مشترك بينه و بين الدليلين السابقين للأصحاب. وماهو جوابهم فهو الجواب.وستسمع في هذا الباب

---

(١) في هامش (م): إنّما كان من قبيل الأفعال الجبلّية لأنّ كلّ من غسل وجهه فإمّا يغسله من الأعلى الى الأسفل، فلو غسل شخص وجهه من الأسفل الى الأعلى لسئل عن وجهه. (منه دام ظلّه).

(٢) المائدة: ٦.

مايزيل عنك الإرتياب.

بيان واف وتبيان شاف

[في تحديد الوجه]

تحديد الوجه وإن كان مشهوراً وفي كتب الأصحاب مسطوراً إلّا انّي اُريد أن أذكر ما ظهر لي من كلام أئمّتنا عليهم السلام ممّا لم يذكره اُولئك الأعلام فأقول:

أطبق أهل الإسلام سوى الزهري[١] على أنّ ما يجب غسله في الوضوء من الوجه ليس خارجاً عن المسافة التي هي من قصاص شعر الرأس الى طرف الذقن طولاً، ومن وتد الاُذن الى وتد الاُذن عرضاً.

والقصاص لغة: منتهى منابت شعر الرأس من مقدّمه ومؤخّره والمراد هنا قصاص المقدّم وهو يأخذ من كلّ جانب من الناصية ويرتفع عن النزعة ثمّ ينحط الى مواضع التحذيف[٢] ويمرّ فوق الصدغ ويتصل بالعذار. وأمّا مايرتفع عن الأُذن فداخل في المؤخّر.

والّذي استفاده أصحابنا رضوان الله عليهم من صحيحة زرارة الآتية أنّه الى طرف الذقن طولاً، وما حواه الإبهام والوسطىٰ عرضاً.

وهذا التحديد يقتضي بظاهره دخول النزعتين والصدغين في الوجه وخروج مواضع التحذيف والعذارين والبياض الذي بينهما وبين الاُذنين. لكنّ النزعتان خارجتان عند علمائنا عن حدّ الوجه ولذلك ذكروا أنّ أعلى

---

(١) ذهب الزهري الى أنّ الاُذنين من الوجه فأوجب غسلهما معه، واحتجّ بقول النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في سجوده: «سجد وجهي للذي فطره وشقّ سمعه وبصره». والجواب: أنّ الإضافة لأدنى ملابسته وهي هنا الجواز (منه رحمه الله).

(٢) في هامش(م): التحذيف بالذال المعجمة مابين منتهى العذار والنزعة، ينبت عليها شعر خفيف تحذفه النساء والمترفين. (منه دام ظلّه).

الوجه هو قصاص الناصية وما على سمته من الجانبين في عرض الرأس.

وأمّا الصدغان فهما وإن كانا تحت الخط العرضي المارّ بقصاص الناصية و يحويهما الاصبعان أيضاً إلّا أنّهم استفادوا عدم وجوب غسلهما من صحيحة زرارة المذكورة. و هي ما رواه عن أبي جعفر عليه السلام قال:

قلت له: أخبرني عن حدّ الوجه الذي ينبغي أن يوضّأ الذي قال الله عزّوجلّ؟

فقال: الوجه الذي أمر الله عزّوجلّ بغسله، الذي لاينبغي لأحد أن يزيد عليه ولاينقص منه، إن زاد عليه لم يؤجر[1] و إن نقص منه أثم: ما دارت عليه الوسطىٰ والإبهام من قصاص شعر الرأس الى الذقن، وماجرت عليه الإصبعان مستديراً فهو من الوجه، وماسوى ذلك فليس من الوجه.

فقلت له: الصدغ من الوجه؟ فقال: لا.

قال زرارة: قلت له: أرأيت ما أحاط به الشعر[2].

فقال: كلّ ماأحاط به الشعر فليس على العباد أن يطلبوه ولاأن يبحثوا عنه ولكن يجرى عليه الماء[3].

وهذه الرواية هي معتمد الأصحاب في تحديد الوجه. وطريقها في

---

(١) هذه الشرطية مع الشرطية المعطوفة عليها إمّا مفسّرة لقوله «لاينبغي لأحد» أو معترضة بين المبتدأ والخبر، و إمّا صلة ثانية للموصول، وتعدّد المصدر لم يكن مسطوراً في كتب النحاة لامانع منه كالخبر والحال، وقد جوّز... والتفتازاني في حواشي الكشّاف... قوله تعالى: (واتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أُعدّت للكافرين). (منه رحمه الله).

(٢) إذا قلت لشخص: «أرأيت زيداً» فتارة تقصد بهذا الكلام معناه الظاهري وهو السؤال عن أنّه هل رآه أم لم يره؟ والجواب نعم أو لا. وتارة يقصد الاستخبار عن حاله لا أنّه يراه أم لم يره، والجواب: حاله كذا وكذا. وهذا المعنى هو المراد هنا، وكأنّه قال: أخبرني عن حكم ما أحاط به الشعر هل يُغسل أم لا؟ (منه رحمه الله).

(٣) الكافي: ج ٣ ص ٢٧ ح ١، من لايحضره الفقيه: ج ١ ص ٤٤.

الفقيه[١] والكافي[٢] صحيح، و في التهذيب[٣] حسن، و هي فيه مضمرة كما في الكافي، ولكنّه غير مضرّ لتصريح الشيخ في الخلاف[٤] بأنّ المسؤول أحدهما عليهما السلام، و تصريح الصدوق بأنّه الباقر عليه السلام.

و أمّا مواضع التحذيف والعذاران فقد اختلف أصحابنا فيها ، فبعضهم أدخل مواضع التحذيف لاشتمال الإصبعين عليها غالباً وكونها أخفض ممّا يسامت قصاص الناصية.

وقطع العلّامة في التذكرة[٥] بخروجها للأصل ولنبات الشعر عليها متّصلاً بشعر الرأس. وهو موافق لمذهب بعض العامّة.

و أمّا العذاران فقد قطع المحقّق[٦] والعلّامة[٧] بخروجهما للأصل، و لعدم اشتمال الاصبعين عليهما، ولأنّهما لايواجه بهما. ولا ريب أنّ ادخالهما أحوط.

وأمّا البياضان اللذان بينهما وبين الأُذنين فهما خارجان عن الحدّ الطولي والعرضي عندنا. وأكثر العامّة على دخولهما، لأنّ الحدّ العرضي عندهم من الوتد الى الوتد.

إذا تقرّر هذا فالمستفاد من كلام فقهائنا رضوان الله عليهم بعد تحديدهم الوجه طولاً وعرضاً بما مرّ أنّ أعلى الوجه هو قصاص الناصية و ما سامته في جهة العرض على الاستقامة من الجانبين بقدر ما يشتمل

---

(١) من لايحضره الفقيه: ج ١ ص ٤٤ ح ٨٨.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٢٧ ج ١.

(٣) التهذيب: ج ١ ص ٥٤ ح ٣.

(٤) الخلاف: ج ١ ص ٥٤ ح ٣.

(٥) تذكرة الفقهاء: ج ١ ص ١٦.

(٦) المعتبر: ج ١ ص ١٤١.

(٧) منتهى المطلب: ج ١ ص ٥٧.

عليه الاصبعان. و ظاهر أنّ مواضع التحذيف والصدغين تحت هذا الحدّ الطولي و داخلان في الحدّ العرضي لاشتمال الاصبعين عليهما غالباً، فالتحديد المشهور للوجه عند من يخرجهما معاً كالعلّامة بل جميع أصحابنا المخرجين للصدغين غير سديد،لخروج ماهو داخل فيه، وكيف يصدر مثله عن الإمام عليه السلام؟!

والذي يظهر لي من الرواية أنّ كلّاً من طول الوجه وعرضه هو ما اشتمل عليه الاصبعان[١] بمعنى أنّ الخطّ المتوهّم من القصاص الى طرف الذقن وهو الذي يشتمل عليه الاصبعان غالباً إذا أُثبت وسطه وأُدير على نفسه حتّى حصل شبه.دائرة فذلك القدر هو الّذي يجب غسله.

بيان ذلك: قوله عليه السلام: «من قصاص شعر الرأس... الى آخره» إمّا حال من الموصول والواقع خبر عن الوجه وهو ما، والمعنى: انّ الوجه هو القدر الذي دارت عليه الاصبعان حال كونه من قصاص شعر الرأس الى الذقن و إمّا متعلّق بـ«دارت»، والمعنى: أنّ الدوران يبتدىء من قصاص شعر الرأس منتهياً الى الذقن.

ولاريب أنّه إذا اعتبر الدوران على هذه الصفة للوسطى اعتبر للإبهام عكسه وبالعكس تتميماً للدائرة المستفادة من قوله عليه السّلام مستديراً، فاكتفى عليه السّلام بذكر أحدهما عن الآخر.

ثمّ بيّن هذا المضمون وأوضحه بقوله عليه السلام: «وما جرت عليه الإصبعان مستديراً فهو من الوجه» فقوله: «مستديراً» حال من المبتدأ وهو «ما»، وهذا صريح في أنّ كلّاً من طول الوجه وعرضه شيء واحد، وهو ما اشتمل عليه الإصبعان عند دورانها كما ذكرناه، وحينئذٍ فيستقيم التحديد

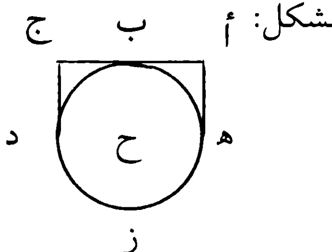
---

(١) هذا التحديد يُستفاد من كلام بعض أصحابنا المتقدّمين فإنّهم حدّدوا الوجه بما حواه الإبهام والوسطىٰ ولم يخصّوا ذلك بالعرض كما فعل المتأخّرون، ونقل في المختلف مثله عن ابن الجنيد (منه رحمه الله).

ولايدخل فيه مواضع التحذيف والصدغان ليحتاج الى إخراجهما فيخرج بذلك عن السداد.

وانّما قلنا بخروج مواضع التحذيف والصدغين عن التحديد، لأنّ أغلب الناس إذا طبّق الخط المتوهّم من انفراج الوسطى والإبهام مابين قصاص ناصيته الى طرف ذقنه وأداره مثبتاً وسطه ليحصل شبه الدائرة وقعت مواضع التحذيف والصدغين خارجة عنهما كما تشهد به التجربة.

ويظهر من هذا أنّ مايجب غسله من جانب أعلى الوجه بمقتضى التحديد المشهور يزيد على مايفهم من الرواية بنصف التفاضل مابين مربع معمول على دائرة قطرها انفراج الاصبعين، وتلك الدائرة أعني مثلثين يحيط بكلّ منهما خطّان مستقيمان و قوس من تلك الدائرة ، و مواضع التحذيف والصدغان واقعان في هذين المثلثين، و من احتاج الى التوضيح فلينظر الى هذا الشكل:



ف«ب» قصاص الناصية، و«ز» طرف الذقن، وخط «أ ب ج» هو الخط المارّ بقصاص الناصية وما سامته من الجانبين بقدر انفراج الاصبعين وهو أعلى الوجه على ما استفاده أكثر علمائنا من التحديد الذي تضمّنته الرواية، والوجه هو مجموع هذا الشكل عندهم.

وأمّا على مااستفدته بنظري القاصر فإذا توهّم وصل «ب ج ز» بخط و هو ما بين الاصبعين واثبت وسطه وهو «ح» ثمّ أُدير على نفسه حصلت دائرة «ب هز د» وهي الوجه الّذي يجب غسله بمقتضى الرواية والتفاضل بين الوجهين بمثلثي «م ن ه» و « ج ب د»، وهذان المثلثان خارجان عن

الوجه فلا يجب غسلهما، وذلك ما أردناه.

نقل مقال وتحقيق حال

[هل يجب في غسل الوجه مراعاة الأعلى فالأعلى أم لا؟]

قال بعض الأعلام:إنّ المعتبر في غسل الوجه غسل الأعلى فالأعلى، لكن لاحقيقة لتعسّره أو لتعذّره بل عرفاً، فلا تضرّ المخالفة اليسيرة التي لايخرج بها في العرف عن كونه غسل الأعَلى فالأعلى.

ثمّ قال: وفي الاكتفاء بكون كلّ جزء من العضو لايُغسل قبل مافوقه على خطّه وان غسل ذلك الجزء قبل الأعلى من غير جهته وجه وجيه إنتهى كلامه أعلى الله مقامه.

والذي يخطر بالبال أنّه إذا حصل الابتداء بغسل جزء من أعلى الوجه كفى، وأنّ مراعاة الأعلى فالأعلى في بقية أجزاء الوجه غير واجبة لاحقيقة ولاعرفاً، سواء اُخذت الأجزاء بالنسبة الى ما علا خطّها أو بالنسبة الى غيره،لأصالة براءةالذمّة من ذلك ولما فيه من المشقّة. ولا دلالة في الحديث على أكثر من أنّه عليه السلام ابتدأ بصبّ الماء على أعلى الوجه.

وأمّا أنّه عليه السلام راعى في الغسل تقديم الأعلى فالأعلى فليس في هذه الرواية ولافي شيء من اُصولنا الأربعة مايدلّ عليه. ولم أظفر في شيء من كتبنا الاستدلالية بما يومىء إليه، والمسح في قول زرارة: «ثمّ مسح بيده الجانبين» يتحقّق في ضمن مسح الأعلى فالأعلى، وبدونه فلا يحمل على الأوّل من غير دليل، والله الهادي الى سواء السبيل.

نقل[1] كلام وتوضيح مرام

[هل يجب إمرار اليد في غسل الوجه أم لا؟]

---

(١) (م): حكاية.

المشهور بين الأصحاب أنّ المتوضىء لو غمس وجهه في الماء ناوياً مبتدئاً بأعلاه لكفى وأنّه لايجب إمرار اليد على الوجه حال غسله.

وقال بعض الزيدية بوجوبه. وعليه أصحابنا أيضاً.

واستدلّ العلّامة في المختلف على المذهب المشهور بأنّ قوله تعالى: ﴿فاغسلوا وجوهكم﴾[١] يصدق مع إمرار اليد و عدمه، فيكون الآتي بالماهيّة في أي جزئي أوجدها فيه ممتثلاً للأمر فيخرج عن العهدة[٢]. إنتهى كلامه زيد إكرامه.

ويخطر بالبال أنّ هذا الاستدلال انّما يجدي لو لم يوجد امرار اليد في الوضوء البياني الذي تضمّنه هذا الحديث الصحيح [٣] الذي تلقّاه جميع الأصحاب بالقبول ، أمّا بعد وجوده فلا ، فانّ لقائل أن يقول : إنّه عليه السلام قد مسح وجهه بيده في معرض البيان فيجب كما أوجبتم الابتداء بأعلى الوجه على ما مرّ، و ما هو جوابكم عن هذا فهو جوابنا عن ذلك.

و أيضاً فما استدللتم به على ذلك من أنّه عليه السلام لمّا توضّأ الوضوء البياني الذي قال بعده: «هذا وضوء لايقبل الله الصلاة إلّا به» إمّا أن يكون بدأ بأعلى الوجه أو بأسفله الى آخر ماذكرتموه جارٍ بعينه هنا، فيقال: إنّه عليه السلام إمّا أن يكون قد أمرَّ يده على وجهه حال غسله أو لا، لاسبيل الى الثاني و إلّا لتعيّن على الأُمّة، لكنّه غير متعيّن اتفاقاً، فتعيّن الأوّل، فتأمّل[٤] وبالله التوفيق.

---

(١) المائدة: ٦.

(٢) مختلف الشيعة: ج ١ ص ٢٨٧.

(٣) في هامش(م): الصفة بالصحّة تبعاً للعلّامة في المنتهى والمختلف وشيخنا الشهيد في الذكرى، وقد عرفت الكلام في الحسين بن الحسن بن أبان (منه دام ظلّه).

(٤) وجه التأمّل: أنّ المراد لايقبل الله الصلاة إلّا بما تضمّنه من الأفعال وقارنه من التروك كعدم إمرار اليد (منه رحمه الله).

تبيين و إعلام وكلام على كلام بعض الأعلام

[هل يجب الترتيب في الوضوء أم لا؟]

ماتضمّنه هذا الحديث من تقديم غسل اليمنىٰ على اليسرىٰ ممّا اختصّ به أصحابنا وانعقد عليه إجماعنا، وما مرّ في الاستدلال على الابتداء بأعلى الوجه جارٍ هنا.

والعامّة بأسرهم لايوجبونه، بل بعضهم كالشافعي وأحمد لايقولون بالترتيب إلّا بين الوجه و مجموع اليدين والرأس و مجموع الرجلين، و بعضهم كأبي حنيفة و مالك لايوجبون الترتيب أصلاً مستدلّين بالأصل واطلاق الآية لعدم اقتضاء الواو الترتيب.

فالصور المجزية عندهم تبلغ سبعمائة و عشرين صورة كلّها باطلة عند الإماميّة،إلّا صورتين عند من لم يرتّب بين الرجلين، أو واحدة عند من رتّب.

وتوضيح بلوغها هذا المبلغ: انّ الأعضاء ستّة، وللأوّلين صورتان، والحاصل من ضربهما في مخرج الثالث ستّة،ومن ضربها في مخرج الرابع أربعة و عشرون، و من ضربها في مخرج الخامس مائة و عشرون، و من ضربها في مخرج السادس سبعمائة وعشرون. وهذا ظاهر.

وقد استدلّ العلّامة طاب ثراه على وجوب الترتيب في الوضوء بوجوه، ولنذكر بعضها مع مايسنح لنا من الكلام عليها:

الوجه الأوّل: ماذكره في منتهى المطلب وهو قوله تعالى: ﴿إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم و أيديكم الى المرافق﴾[1] فانّه تعالى عقّب إرادة القيام الى الصلاة بالغسل فيجب تقديمه على غيره، وكلّ من أوجب تقديم الغسل أوجب الترتيب[2]. هذا كلامه.

---

(١) المائدة: ٦.

(٢) منتهى المطلب: ج ١ص ٦٨ التذنيب السابع.

وهو كما ترى يحتمل معنيين:

الأوّل: يريد بالغسل غسل الوجه. والمعنى: أنّ كلّ من أوجب تقديم غسله على اليدين أوجب الترتيب. وهذا هو الذي فهمه شيخنا الشهيد قدّس سرّه كما يظهر من عبارة الذكرى[١].

ويخطر بالبال أنّه غير مستقيم فإنّ الفاء داخلة على الغسل الواقع على مجموع الوجه واليدين، إذ الواو لمطلق الجمع، فكأنّه سبحانه يقول: إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا هذه الأعضاء. و لا دلالة في هذا على تقديم غسل الوجه على اليدين بوجه، إذ هو مثل أن تقول لصاحبك: إذا لقيت زيداً فقبّل وجهه ويده، وظاهر أنّه لايفهم من هذا الكلام تقديم تقبيل الوجه على تقبيل اليد. وأمّا التقديم الذكري فغير دالّ على التقديم و إلّا لم يحتج الى الفاء.

الثاني: أن يكون مراده بالغسل غسل الوجه واليدين. والمعنى أنّ كلّ من أوجب تقديم طبيعة الغسل على المسح أوجب الترتيب.

ويخطر بالبال أنّه لايكاد يتمّ أيضاً فإنّ الواو لمطلق الجمع في عطف المفردات والجمل. وقد عقّب سبحانه القيام الى الصلاة بمجموع جملتي «اغسلوا» «وامسحوا» وعطف احداهما على الأُخرى بالواو و جعلهما معاً جزاء الشرط وفي خبر الفاء الجزائية، فأين مايوهم الدلالة على تقديم الغسل سوى التقديم الذكري.

وبالجملة فالفاء التعقيبية انّما تدلّ على وجوب الإتيان بمجموع أجزاء الوضوء بعد القيام الى الصلاة لاعلى الإتيان بغسل الوجه بعد القيام بغير فصل. وهل هذا إلّا مثل أن تقول لصاحبك: إذا طلبك الأمير فلف عمامتك والبس ثوبك. وظاهر أنّه لا دلالة على تقديم أحد الفعلين على

---

(١) ذكرى الشيعة: ص ٩٠ الواجب السادس من أحكام الوضوء.

الآخر فليتأمّل[١].

الوجه الثاني والثالث: ما استدلّ به طاب ثراه في نهاية الاحكام، و هذه عبارته: يجب أن يبدأ بغسل وجهه ثمّ بيده اليمنى ثمّ اليسرى ثمّ يمسح رأسه ثمّ يمسح رجليه لقوله عليه السلام: «لا يقبل الله صلاة امرىء حتّى يضع الطهور مواضعه، فيغسل وجهه، ثمّ يغسل يديه، ثمّ يمسح رأسه، ثمّ رجليه» ولأنّ العامل في العطف واحد بتقوية الحرف، وقد جعل تعالى نهاية الغسل المرفقين والمسح الكعبين[٢] إنتهى كلامه أعلى الله مقامه.

ومراده بما أفاده في الدليل الثاني أنّه قد تقرّر في العربية أنّ العامل في المعطوف هو العامل في المعطوف عليه بسبب تقوية حرف العطف له، والعامل هنا «اغسلوا» الواقع على الوجه واليدين و «الى» متعلّقة به وهي لانتهاء غايته، وقد جعل غايته المرفقين فليس بعد غسلهما غسل أصلاً، والوجه مغسول فغسله قبل المرفقين البتة.

ولا يجوز أن تكون كلمة «الى» غاية للغسل باعتبار وقوعه على اليدين فقط، لأنّه بهذا الاعتبار مغاير للغسل الواقع على الوجه، فيصير العامل في المعطوف غير العامل في المعطوف عليه، وهو خلاف ماتقرّر في العربية. وقس على هذا مسح الرجلين.

هذا والذي يخطر بالبال أنّه لاانطباق لشيء من هذين الدليلين على المدّعى فانّهما انّما يدلّان على الترتيب الذي أوجبه الشافعي وكثير من العامّة، أعني تقديم الوجه على اليدين من غير ترتيب فيهما، وهما على الرأس، وهو على الرجلين، والمدّعى وجوب الترتيب الذي اختصّ به

---

(١) وجه التأمّل: أنّ لقائل أن يقول أنّ التشبث بهذا وتسليم كون الفاء للتعقيب ليس على مالاينبغي فانّها جزائية وفاء التعقيب عاطفة. فالأولى تقصير المسافة ونمنع إفادتها للتعقيب من رأس. (منه رحمه الله).

(٢) نهاية الاحكام: ج ١ ص ٤٦.

الخاصّة ، أعني غسل الوجه أوّلاً ثمّ اليد اليمنىٰ ثمّ اليسرى الى آخره . ولادلالة في هذين الدليلين عليه بوجه،فالاستدلال بهما على ذلك المطلب عجيب.

بل أقول: لا دلالة في الدليل الثاني منهما على الترتيب الذي عليه الشافعي أيضاً، لأنّه غاية مايلزم منه بعد اللتيا والّتي وجوب تقديم الوجه على اليدين والرأس على الرجلين، ولا دلالة فيه على وجوب تقديم غسل المغسولات على المسح كما لايخفى.

فإن تشبّث متشبّث بالفاء التعقيبية رجوعاً الى مامرّ في الدليل الأوّل، وقد عرفت كلامنا عليه فتدبّر.

بل أقول أيضاً: إنّ الدليل الثاني لايدلّ على وجوب تقديم غسل الوجه على غسل اليدين ولامسح الرأس على الرجلين، فانّ غاية مادلّ عليه أنّ المرافق نهاية فعل الغسل والكعبين نهاية فعل المسح، وهذا يتحقّق لو غسل اليد اليمنىٰ قبل الوجه ثمّ غسله ثمّ غسل اليسرى، وكذا لو مسح أحد الرجلين ثمّ الرأس ثمّ الرجل الأُخرى فإنّه يصدق على هذا الوضوء أنّ نهاية الغسل فيه المرافق ونهاية المسح الكعبين.

وما يُتراءى من أنّ نهاية الغسل حينئذٍ ليس المرافق، بل المرفق ليس بشيء لأنّ جمع المرافق في الآية باعتبار المتوضئين. وأيضاً فهو لازم عليكم، وجوابكم جوابنا.

الوجه الرابع: مااستدلّ به قدّس الله روحه في التذكرة[1] و هو قول النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ابدؤا بما بدأ الله به»[2] والعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب.

وهذا الدليل كالدليل الأوّل في أنّه إنّما يدلّ على الترتيب الذي

---

(١) تذكرة الفقهاء: ج١ ص:١٩ البحث السادس في الترتيب والموالاة.

(٢) تهذيب الأحكام: ج١ ص٩٦ ح٩٩.

ذهب إليه الشافعي لاعلى الترتيب المختصّ بالإمامية. ولهذا إنّما استدلّ به طاب ثراه على الأوّل.

و يخطر بالبال أنّه لايدلّ عليه أيضاً، بل إنّما يدلّ على وجوب الابتداء بالوجه. وأمّا الترتيب بينه وبين الأعضاء فلا. والحديث أنّما دلّ على الابتداء بما بدأ الله به لا على التثنية بما ثنّى والتثليث بما ثلّث. وهذا ظاهر. و أمّا الابتداء الاضافي فيجوز.

ومن رام الاستدلال بهذا الحديث على ذلك المطلب فليضف اليه المقدّمة المأخوذة في الدليل الأوّل، ولعلّ تلك المقدّمة مطوية في كلامه أنار الله برهانه، و إن كان ذلك لايخلو من بُعد. هذا ماتيسر لي من الكلام على كلام ذلك الإمام فأعرضه على جوهريّ رأيك و صيرفيّ فكرك ثمّ روّج الكساد وأصلح الفساد.

تذكرة فيها تبصرة

[في جواز المسح بماء جديد]

ماتضمّنه هذا الحديث من مسحه عليه السلام ببلل يديه رأسه و رجليه[١] ممّا استدلّ به على عدم جواز استئناف ماء جديد للمسح كما هو مذهب أصحابنا سوى ابن الجنيد[٢] فانّه جوّز الاستئناف وفاقاً لمالك، و باقي العامّة أوجبوه، و أحاديثنا الصريحة في خلافهم من الصحاح و غيرها كثيرة. لكنّه قد ورد روايتان صحيحتان[٣] صريحتان فيما يوافقهم:

---

(١) وأنت خبير بأنّه يمكن أن يقال: يجوز أن يكنّى مسحه عليه السلام ببقية البلل لكونه أحد أفراد الأمر الكلّي ويكون المكلّف مخيّراً بينه وبين الاستئناف كما قال ابن الجنيد. فالاستدلال بالإجماع أولى. وأنا الى الآن لم أظفر برواية صريحة في وجوب المسح ببقية البلل، وانّما اعتماده في ذلك على الإجماع (منه رحمه الله).

(٢) ذكره العلّامة في مختلف الشيعة: ج١ ص٢٩٦.

(٣) «صحيحتان» ليس في (م).

فالأولى: مارواه معمّربن خلّاد قال: سألت أباالحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: أيجزي الرجل أن يمسح قدميه بفضل رأسه؟ فقال برأسه: لا. فقلت: أبماء جديد؟ فقال برأسه: نعم[١].

والثانية: ما رواه أبو بصير قال: سألت أبا عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن مسح الرأس: أمسح بما في يدي من الندى رأسي؟ قال: لا، بل تضع يدك في الماء ثمّ تمسح[٢].

والعلّامة في المنتهى[٣] والمختلف[٤] جعل هاتين الروايتين حجّة لابن الجنيد فقال: احتج ابن الجنيد بكذا وكذا.

وأنت خبير بأنّهما يناديان على خلاف مذهبه، فانّه قائل بالتخيير بين الاستئناف والمسح بالبقية،والمفهوم منهما وجوب الاستئناف والنهي عن المسح بالبقية فكيف يحتجّ بهما؟ اللّهمّ إلّا أن يكون حمل النهي على الكراهة ويكون مذهبه استحباب الاستئناف. لكن لم ينقل أحد من علمائنا ذلك عنه. هذا والشيخ حمل الروايتين على التقية لموافقتهما مذهب العامّة ومخالفتهما ماعليه الخاصّة، ثمّ احتمل أن يكون هذا الأمر حال جفاف الأعضاء. قال: وأمّا الخبر الثاني فيحتمل أن يكون المراد بقوله عليه السلام: «بل تضع يدك في الماء»: الماء الذي بقي في لحيته وحاجبيه. هذا حاصل كلامه طاب ثراه.

وقال والدي قدّس الله روحه في حواشي الاستبصار: هذا حمل بعيد جدّاً، لأنّ السائل قال: «أمسح بما في يدي من الندى» فكيف ينهاه عن ذلك ويأمره بالأخذ من لحيته وحاجبيه. إنتهى كلامه.

---

(١) تهذيب الأحكام: ج ١ ص ٥٨ ح ١٢.

(٢) تهذيب الأحكام: ج ١ ص ٥٩ ح ١٣.

(٣) منتهى المطلب: ج ١ ص ٦١ مسألة مسح الرأس الفرع العاشر.

(٤) مختلف الشيعة: ج ١ ص ٢٩٧.

ولا يخفى أنّ حمل الخبرين على جفاف الأعضاء أبعد من هذا، فإنّ السائل قال في الأوّل: «يمسح قدميه بفضل رأسه» وفي الثاني: «أمسح بما في يدي من الندى» وغفلة مثل ذلك الشيخ الجليل عن هذا عجيب، لكن الجواد قد يكبو والصارم قد ينبو.

ثمّ في حمل الخبر الأوّل على التقيّة نوع خفاء، لأنّ العامّة لا يمسحون القدمين لا ببقيّة البلل ولا بماء جديد فكيف يحمل على التقية، تأمّل[١].

تأصيل فيه تفصيل

[في وجوب مسح الرجلين]

ماتضمّنه هذا الحديث من مسح الرجلين هو مذهب الإمامية، وقد أخذوه عن أئمّتهم المعروفين، ووصل اليهم بالنقل المتواتر أنّهم عليهم السلام مازالوا يفعلون ويأمرون شيعتهم بفعله، فعن غالب بن هذيل قال: سألت الإمام أباجعفر محمدبن عليّ الباقر عليهما السلام عن مسح الرجلين فقال: نعم هو الّذي نزل به جبرئيل عليه السلام[٢]. وعن أبي عبدالله جعفربن محمد الصادق عليه السلام أنّه قال: يأتي على الرجل

---

(١) وجه التأمّل: أنّ المحمول على التقية ليس هو سؤال السائل بل جواب الإمام عليه السلام. وظاهر أنّ عدوله عليه السلام عن التلفّظ بالجواب الى الإيماء قرينة على التقية، إذ ليس من دأبهم عليهم السلام الإجابة عن المسائل الدينيّة بالإيماء، ولعلّ إيماءه عليه السلام برأسه في المرة الأُولى كان المراد به نهي السائل عن هذا السؤال وتنبيه على حضور بعض المخالفين، فلم يفهم ما أراده عليه السلام فكرّر السؤال وقال أبماء جديد، فسمع المخالف الحاضر هذه اللفظة فقط فحملها على مسح الرأس فانّه هو المذكور في ذهن المخالفين. فأشار الإمام برأسه نعم لأجل التقية ومثل هذا كثير في المحاورات وأيضاً فالقول بأنّ العامّة لاتمسح القدمين ليس على إطلاقه فانّهم يمسحون على الخفّين فيمكن حمل التقية على ذلك. (منه دام ظلّه).

(٢) تهذيب الأحكام: ج ١ ص ٦٣ ح ٢٦.

ستّون و سبعون سنة ماقبل الله منه صلاة. قلت: و كيف ذلك؟ قال: لأنّـه يغسل ما أمره الله تعالى بمسحه[١]. وأمثال ذلك من طرق أهل البيت عليهم السلام أكثر من أن يُحصى.

ومن طرق العامّة مارواه أوس بن أوس الثقفي قال: رأيت النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أتى كظامة قوم بالطائف فتوضّأ ومسح على قدميه[٢].

والكظامة بكسر الكاف: بئر الى جنبها بئر و بينهما مجرى في بطن الوادي.

وروى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنّه رأى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم توضّأ ومسح على نعليه[٣].

والمراد النعل العربية والمسح عليها مجوّز عندهم، لأنّ سيورها لاتمنع المسح على ظهر القدم، إذ هم لايوجبون استيعابه بالمسح.

ووصف ابن عبّاس وضوء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه مسح على رجليه[٤].

وكان يقول: إنّ كتاب الله بالمسح، ويأبى الناس إلّا الغسل[٥].

وعنه أنّه كان يقول: الوضوء غسلتان ومسحتان، من باهلني باهلته[٦]. وأمثال ذلك كثير.

واعلم أنّ الاحتمالات العقلية في هذه المسألة لاتزيد على أربعة:

---

(١) تهذيب الأحكام: ج ١ ص ٦٥ ح ٣٣.

(٢) مسند أحمدبن حنبل: ج ٤ ص ٨، سنن أبي داود: كتب الطهارة ٦٢.

(٣) سنن ابن ماجه: ج ١ ص ١٨١ وفيه: على خُفيه.

(٤) تهذيب الأحكام: ج ١ ص ٦٣ ح ٢٢، سنن ابن داود: كتب الصلاة ٢٢.

(٥) سنن ابن ماجه: ج ١ ص ١٥٦، كنز العمّال: ج ٩ ص ٤٣٢ مع اختلاف يسير، تهذيب الأحكام: ج ١ ص ٦٣.

(٦) الخلاف للشيخ الطوسي: ج ١ ص ١٤، تفسير الدر المنثور: ج ٢ ص ٢٦٢ وليس فيه الجملة الأخيرة.

الغسل والمسح والجمع والتخيير. وقد ذهب الى كلّ احتمال جماعة من أهل الإسلام.

فالغسل مذهب الفقهاء الأربعة وأتباعهم.

والمسح مذهب أهل البيت عليهم السلام. وقد نقله الإمام الرازي في التفسير الكبير[١] عن الإمام محمد بن عليّ الباقر عليهما السلام، و نسبه أيضاً الى ابن عبّاس وأنس بن مالك من الصحابة وعكرمة والشعبي من التابعين.

والجمع مذهب داود الإصفهاني والناصر للحقّ وكثير من الزيدية.

والتخيير مذهب الحسن البصري و محمد بن جرير الطبري و أبي علي الجبّائي والشيخ العارف محيي الدين بن عربي فانّه قال في الفتوحات المكية: إنّ مذهبنا التخيير، فالمسح بظاهر الكتاب، والغسل بالسنّة[٢] إنتهى.

ولكلّ من هؤلاء الفرق دلائل ليس هذا محلّ بيانها. ولنقتصر على مناظرة بين الفريقين الأوّلين والله وليّ التوفيق.

مناظرة بين الغاسلين والماسحين وكلّ يدّعي أنّه فيها من الناصحين

قال الغاسلون: قد ورد الغسل في الكتاب والسنّة.

أمّا الكتاب: فقد قال الله تعالى: ﴿يا أيّها الّذينَ آمنوا إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم و أيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم و أرجلكم الى الكعبين﴾[٣].

---

(١) التفسير الكبير: ج ١١ ص ١٦١ المسألة الثامنة والثلاثون في تفسير الآية(٦) من سورة المائدة.

(٢) الفتوحات المكّية: ج ١ ص ٤٤٨.

(٣) المائدة: ٦.

وقد قرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص بنصب «أرجلكم» إمّا بالعطف على «وجوهكم» أو بتقدير واغسلوا.

وقرأ الباقون بالجرّ إمّا بالحمل على مسح الخفّين، أو لأجل الجوار، أو للعطف على الرؤوس لالتمسح بل ليقتصد في صبّ الماء عليها وتغسل غسلاً شبيهاً بالمسح.

وأمّا السنّة فما روي أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّا توضّأ الوضوء البياني غسل رجليه(١).

وما روي عن ابن عبّاس أنّه حكى وضوء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وختم بغسل رجليه(٢).

وما رواه البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عمر قال: تخلّف النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم عنّا في سفرنا فأدركنا وقد أرهقنا العسر وجعلنا نتوضّأ ونمسح على أرجلنا، فنادى بأعلى صوته: ويل للأعقاب من النار -مرّتين أو ثلاثاً-(٣).

وما رواه محيي السنّة(٤) في المصابيح وغيره عن أبي حبّة قال: رأيت عليّاً عليه السلام توضّأ فغسل كفّيه حتّى أنقاهما، ثمّ تمضمض ثلاثاً، واستنشق ثلاثاً، وغسل وجهه ثلاثاً، وغسل ذراعيه ثلاثاً، و مسح برأسه مرّة، ثمّ غسل قدميه الى الكعبين، ثمّ قام فأخذ فضل طهوره فشربه وهو قائم، ثمّ قال: أردت أن أُريكم كيف كان طهور رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم(٥). وأمثال هذه الأحاديث كثيرة. فقد دلّ الكتاب والسنّة على

---

(١) صحيح البخاري: ج١ ص٥١.

(٢) صحيح البخاري: ج١ ص٤٨.

(٣) صحيح البخاري: ج١ ص٥٢. وأرهق الصلاة أي أخّرها حتّى يدنو وقت الأُخرى.

(٤) وهو أبومحمد الحسين بن مسعود بن محمد الشافعي البغوي المتوفى سنّة ٥١٠ أو ٥١٧.

(٥) مصابيح السنّة: ج١ ص٣٠. وفيه «أحببت» بدل «أردت».

الغسل و بطل ما يقوله الماسحون المحرّفون للكتاب العادلون عن السنّة المتّبعون للأهواء المضلة.

وقال الماسحون: ياأيها الأُخوان في الدين والشركاء في طلب اليقين لو صرفتم الى الآية الكريمة بالكم لعلمتم أنّها عليكم لا لكم. وبيان ذلك: انّكم وجّهتم قراءة النصب بتوجيهين نحن وأنتم في الثاني منهما سواء، فإنّ باب التقدير واسع ولكلّ منّا أن يقدّر مايوافق مذهبه، فيبقىٰ الأوّل أعني العطف على الوجوه. وأنّه كما لايخفى مخلّ بنظم الكلام لأنّه يصير من قبيل: «ضربت زيداً وعمراً وأكرمت خالداً وبكراً» بجعل «بكراً» عطفاً على «زيد» و إرادة أنّه مضروب لا مكرّم. وهذا مستهجن جدّاً تنفر منه الطباع ولاتقبله الأسماء، فكيف يحتجّ إليه أو يُحمل القرآن عليه؟! فتعيّن إمّا العطف على محلّ الرؤوس و إمّا جعل الواو للمعيّة. وكلّ منهما صريح فيما ندّعيه. و حكاية واو المعيّة أوردها الشيخ الجليل جمال العارفين الشيخ محيي الملّة والدين ابن عربي في الجزء الثالث من الفتوحات المكّية، وهي مذكورة في كتب الإمامية أيضاً.

وقال طاب ثراه: وأمّا القراءة في قوله تعالى: «وأرجلكم» بفتح اللام وكسرها، فمن أجل العطف على الممسوح فالخفض أو على المغسول فالفتح، فمذهبنا أنّ الفتح في اللام لايخرجه عن الممسوح، فانّ هذه الواو قد تكون واو مع، و واو المعيّة تَنصِبُ، تقول: «قام زيد وعمراً» تريد مع عمرو. فحجّة من يقول بالمسح في هذه الآية أقوى لأنّه يشارك القائل بالغسل في الدلالة التي اعتبرها وهي فتح اللام، ولم يشاركه من يقول بالغسل في خفض اللام[1] إنتهى كلامه.

ثمّ إنّكم أيّها الأُخوان هدانا الله و إيّاكم سواء الطريق وسقانا جميعاً

---

(١) الفتوحات المكّية: ج ١ ص ٤٤٨.

من رحيق التحقيق: حملتم قراءة الجرّ على المسح على الخفّين تارة وعلى الجوار تارة أُخرى وعلى العطف على «الرؤوس» للاقتصاد في صبّ الماء أُخرى، و عدلتم عمّا هو الأظهر الأصوب الأحرى، و هذه محامل بعيدة و توجيهات غير سديدة.

أمّا الحمل على مسح الخفّين فبعده ظاهر ، إذ لم يجر لهما ذكر و لادلّت عليهما قرينة، و لبسهما في الحجاز نادر جدّاً ، فكيف تعدلون بالآية عن ظاهرها و تحملوها على هذا المحمل النادر الغير المتبادر؟!

و أمّا الجرّ على الجوار فضعيف جدّاً، قد أنكره أكثر النحاة، فكيف يليق الركون إليه وحمل كلام الله عليه؟!

ثمّ مَن جوّزه فانّما جوّزه بشرط أمن اللبس وأن لايتوسّط حرف العطف[١] نحو: «جحر ضبّ خرب» والشرطان مفقودان في الآيةالكريمة، فالقول به عدول عن الطريقة القويمة والجادة المستقيمة.

وأمّا العطف على «الرؤوس» لتغسل غسلاً شبيهاً بالمسح فهو وإن أورده صاحب الكشّاف[٢] لكنّه ظاهر الاعتساف، فانّ المعطوف في حكم المعطوف عليه باتّفاق النحاة، وهل يليق من رشيد أن يقول: «أكرمت زيداً و عمراً و سخرت من خالد و بكر» بعطف «بكر» على «خالد» لالمشاركته في السخرية، بل للدلالة على أنّ إكرامه كان إكراماً قليلاً شبيهاً بالسخرية.

وأيضاً فإذا اُريد بالمسح بالنسبة الى المعطوف عليه حقيقة وبالنسبة الى المعطوف الغسل الشبيه بالمسح يكون استعمالاً للفظ في الحقيقة والمجاز، وهذا ممّا يلحق بالمعمّيات والألغاز.

---

(١) إن قلت: اشتراط عدم توسط حرف العطف هو الجرّ كما قلت و لكن...بالجواز ممنوع. و قد صرّح الزمخشري... و مصابحة حوراء و على أعراب لأنّ المراد يتمتعون بالجواب. (منه رحمه الله)

(٢) الكشاف: ج١ ص٦١١ في تفسير الآية(٦) من سورة المائدة.

والعجب أنّ الزمخشري منع في هذه الآية من حمل الأمر في «اغسلوا» على مايشمل الوجوب والندب وقال: إنّ تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الألغاز والتعمية، ثمّ إنّه جوّز مثل هذا.

وأمّا ماستدللتم به من السنّة فهو معارض بمثله. وقد روينا عن أئمّتنا عليهم السلام أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّا توضّأ الوضوء البياني مسح رجليه.

وما نقلتموه عن ابن عبّاس يكذّبه مااشتهر عنه ونقلتموه في كتبكم من أنّ مذهبه المسح، وقد نقله الفخر الرازي وغيره عنه.

وأمّا حديث ابن عمر فبعد تسليمه لايدلّ إلّا على أمره صلّى الله عليه وآله وسلّم بغسل الأعقاب، فلعلّه لنجاستها، فإنّ أعراب الحجاز لِيُبْس هوائهم ولمشيهم حفاة في الأغلب كانت أعقابهم تتشقّق كثيراً، و قلّما تخلو عن نجاسة الدم و غيره، و قد اشتهر أنّهم كانوا يبولون عليها و يزعمون أنّ البول علاج لها، فإن صدر عنه صلّى الله عليه وآله و سلّم أمر بغسل الرجلين فلعلّه كان لذلك ثمّ اشتبه فظنّ أنّه من الوضوء.

ثمّ نقول: إنّ عبدالله بن عمر والذين توضّؤوا ومسحوا أرجلهم كانوا من أصحاب رسول الله بغير مرية، ولاشكّ أنّ الصحابة أعلم منّا ومنكم ومن فقهائكم الأربعة بسنن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لمشاهدتهم أفعاله وسماعهم أقواله بغير واسطة، خصوصاً الأمور المتكرّرة كلّ يوم كالوضوء، ولاريب أنّ مسحهم أرجلهم كما رويتموه عنهم لم يكن تشهياً من عند أنفسهم بل لاعتقادهم أنّه من الوضوء لمشاهدتهم أو سماعهم ذلك من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ثمّ ليس في هذا الحديث أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم نهاهم عن المسح، بل غاية ماتضمّنه أمرهم بغسل أعقابهم و تخصيصه بالأعقاب و سكوته عمّا فعلوه من المسح بل تقريرهم عليه ظاهر فيما قلناه من أنّ

الأمر بالغسل إنّما كان لإزالة النجاسة ليس إلّا. فهذا الحديث عند التأمّل لنا لا علينا، كما أنّ الآية الكريمة كذلك.

وأمّا مانقلتموه عن أميرالمؤمنين علي بن أبـي طـالب عـليه الصـلاة والسلام فالنقل المتواتر عنه وعن الأئمّة من أولاده عليهم السلام مخالف له، وقد نقلتم في كتبكم أنّ الإمام أباجعفر مـحمدبن عـليّ البـاقر وولده الإمام أباعبدالله جعفر بن محمد الصـادق عـليهما السـلام كـانا يـقولان بالمسح،ولاريب أنّهماكانا أعلم بشريعة جدّهما وعمل أبيهما منكم ومن محدّثيكم.

وأمّا ماشنّعتم به أيّها الأُخوان علينا ونسبتموه من تحريف الكتاب ومخالفة السنّة إلينا فلا نقابلكم بمثله، بل نقول غفر الله لنا ولكم، وتجاوز عنا وعنكم، ومنَّ علينا وعليكم بالتوفيق والهداية، وعصمنا و إيّاكم عمّا يوجب الضلالة والغواية آمين يا رَبّ العالمين.

محاكمة بين المتأخّرين والعلّامة يندفع بها التشنيع عليه والملامة

الكعبان عند أكثر العامّة هما العظمان الناتئان عن يمين القدم وشماله.

وأمّا عند أصحابنا فالذي ذكره متأخّروهم أنّهما الناتئان في ظـهر القدمين بين المفصل والمشط. وظاهر عبارات أكثر علمائنا يشعر بذلك.

وذهب العلّامة جمال الملّة والحقّ والدين طاب ثراه الى أنّ الكعب هو المفصل بين الساق والقدم قائلاً أنّ هذا هو مذهب أصحابنا، ونسب من فهم من كلام الأصحاب غير هذا الى عدم التحصيل.

قال طاب ثراه في المختلف: مسح الرجلين من رؤوس الأصابع الى الكعبين، ويراد بالكعبين هنـا المفصل بين السـاق والقـدم. وفـي عـبارة

علمائنا اشتباه على غير المحصّل[١].

ثمّ نقل عبارات الأصحاب ثمّ قال: لنا: ماروواه الشيخ في الصحيح، عن زرارة وبكير ابني أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قلنا: أصلحك الله فأين الكعبان؟ قال: هاهنا يعني المفصل دون عظم الساق. وما رواه ابن بابويه عن الباقر عليه السلام و قد حكى صفة وضوء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الى أن قال: «ومسح على مقدّم رأسه وظهر قدميه» وهو يعطي استيعاب المسح لجميع ظهر القدم، ولأنّه أقرب الى ما حدّده أهل اللغة[٢]. إنتهى كلامه.

و قال طاب ثراه في كتاب منتهى المطلب: قد تشتبه عبارات علمائنا على بعض من لامزيد تحصيل له في معنى الكعب، والضابطة فيه ما رواه زرارة في الصحيح وذكر الرواية الأُولى.

ثمّ إنّ جميع من تأخّر عن عصر العلّامة من أعلام علمائنا أنكروا هذا القول وشنّعوا على العلّامة قدّس الله روحه في نسبته الى علمائنا تشنيعاً بليغاً وادّعوا أنّه إحداث قول ثالث.

قال شيخنا الشهيد قدّس سرّه في كتاب الذكرى: تفرّد الفاضل رحمه الله بأنّ الكعب هو المفصل بين الساق والقدم، وصبّ عبارات الأصحاب كلّها عليه[٣] و جعله مدلول كلام الباقر عليه السلام محتجّاً برواية زرارة عن الباقر عليه السلام المتضمّنة لمسح ظهر القدمين، وهو يُعطي الاستيعاب وأنّه أقرب الى حدّ أهل اللغة.

و جوابه: أنّ الظهر المطلق هنا يُحمل على المقيّد لأنّ استيعاب الظهر لم يقل به أحد منّا، وقد تقدّم قول الباقر عليه السلام: «إذا مسحت

---

(١) مختلف الشيعة: ج ١ ص ٢٩٢.

(٢) مختلف الشيعة: ج ١ ص ٢٩٤.

(٣) (م): عليها.

بشيء من رأسك أو بشيء من قدميك مابين كعبيك الى أطراف الأصابع فقد أجزأك» و رواية زرارة وأخيه بكير[١].

وقال في المعتبر: لايجب استيعاب الرجلين بالمسح، بل يكفي المسمّى من رؤوس الاصابع الى الكعبين ولو باصبع واحدة، وهو إجماع فقهاء أهل البيت عليهم السلام، ولأنّ الرجلين معطوفة على الرأس الذي يمسح بعضه فيعطيان حكمه[٢].

ثمّ قال شيخنا الشهيد: وأهل اللغة إن أراد بهم العامّة فهم مختلفون، و إن أراد بهم لغوية الخاصّة فهم متّفقون على ماذكرنا حسب مامرّ، ولأنّه إحداث قول ثالث مستلزم رفع ما أجمع عليه الأُمّة، لأنّ الخاصّة على ماذكرنا والعامّة على أنّ الكعبين ما نتأ عن[٣] يمين الرجل وشمالها[٤]. الى هنا كلام شيخنا الشهيد في الذكرى.

ولعمري إنّه قد تجاوز الحدّ في التشنيع على العلّامة وأطنب في الإزراء عليه والملامة، و ستطّلع فيما بعد على حقيقة الحال إن شاء الله تعالى.

و لقد سلك على منواله في هذا التشنيع شيخنا المحقّق الشيخ علي أعلى الله شأنه، فقال في شرح القواعد: ماذكره في تفسير الكعبين خلاف ماعليه جميع أصحابنا، وهو من متفرداته، مع أنّه ادّعى في عدّة من كتبه أنّه المراد في عبارات الأصحاب. وإن كان فيه اشتباه على غير المحصّل، واستدلّ عليه بالأخبار وكلام أهل اللغة. وهو عجيب، فإنّ عبارات الأصحاب صريحة فى خلاف مايدّعيه ناطقة بأنّ الكعبين هما العظمان

---

(١) ذكرى الشيعة: ص٨٨ الواجب الخامس، تنبيه.

(٢) المعتبر: ج ١ ص ١٥٠.

(٣) (م) : على .

(٤) ذكرى الشيعة: ص٨٨ الواجب الخامس، تنبيه.

الناتئان في ظهر القدم أمام الساق حيث تكون معقد الشراك غير قابلة للتأويل، والأخبار كالصريحة في ذلك، وكلام أهل اللغة مختلف وان كان اللغويون من أصحابنا لا يرتابون في أنّ الكعب هو الناتئ في ظهر القدم. وقد أطنب عميد الرؤساء[١] في كتاب الكعب في تحقيق ذلك و أكثر من الشواهد على ذلك على ماحكي من كلامه، على أنّ القول بأنّ الكعب هو المفصل بين الساق والقدم إن أراد به أنّ نفس المفصل هو الكعب لم يوافق مقالة أحد من الخاصّة والعامّة ولا كلام أهل اللغة ولم يساعد عليه الاشتقاق الذي ذكروه فإنّهم قالوا إنّ اشتقاقه من كَعُبَ إذا ارتفع، ومنه كعب ثدي الجارية. و إن أراد به ما نتأ عن يمين القدم وشماله هو الكعب كمقالة العامّة لم يكن المسح منتهياً الى الكعبين[٢] الى هنا كلام شيخنا طاب ثراه.

وقد تتّبع شيخنا زين الملّة والدين قدّس الله روحه آثار هذين الشيخين نوّر الله مرقدهما فقال في شرح الإرشاد بعد مانقل روايتين تدلّان على أنّ الكعب في ظهر القدم: لا ريب أنّ الكعب الذي يدّعيه المصنّف ليس في ظهر القدم وإنّما هو المفصل بين الساق والقدم، والمفصل بين الشيئين يمتنع كونه في أحدهما.

ثمّ قال: والعجب من المصنّف حيث قال في المختلف أنّ في عبارة أصحابنا اشتباهاً على غير المحصّل مشيراً الى أنّ المحصّل لا يشتبه عليه، أنّ مرادهم بالكعب المفصل بين الساق والقدم وأنّ مَن لم يفهم ذلك من كلامهم لم يكن محصّلاً، ثمّ حكى كلام جماعة منهم. والحال أنّ المحصّل لو حاول فهم ذلك من كلامهم لم يجد إليه سبيلاً ولم يقم عليه دليلاً[٣]

---

(١) هو رضي الدين أبومنصور هبة الله بن حامد الحلّي، كان فقيهاً جامعاً و أديباً كاملاً -توفّي سنة ٦٠٩.

(٢) جامع المقاصد: ج١ ص ٢٢٠ ـ ٢٢١.

(٣) روض الجنان في شرح الإرشاد: ص٣٦.

إنتهى كلامه زيد إكرامه.

إذا انتقش كلام هؤلاء المشايخ الثلاثة على لوح خاطرك ظهر لك أنّ تشنيعهم عليه طاب ثراه يدور على أُمور خمسة:

الأوّل: أنّ قوله هذا خرق لما أجمع عليه الأُمّة من الخاصّة والعامّة، و إحداث قول ثالث لم يقل به أحد منهم فكيف يدّعي أنّه قول أصحابنا؟

الثاني: أنّه مخالف لكلام أهل اللغة إذ لم يقل أحد منهم بأنّ المفصل كعب.

الثالث: أنّه مخالف للاشتقاق، فانّ الكعب مشتق، من كَعُبَ إذا ارتفع ونتأ، والمفصل ليس كذلك.

الرابع: أنّه مخالف لما وردت به النصوص عن أئمّتنا عليهم السلام.

الخامس: أنّه زعم أنّ عبارات الأصحاب موافقة له مع أنّها ناطقة بأنّ الكعبين هما العظمان الناتئان في ظهر القدم وليس المفصل عظمين ناتئين ولاواقعاً في ظهر القدم. فهذا حاصل ماشنّعوا به عليه قدّس الله سرّه.

و أنا أقول: إنّ من أمعن النظر علم أنّ كلامهم عليه في غير موضعه، و تشنيعهم واقع غير موقعه، وحاشا العلّامة أن يقع في مثل هذه الغمّة، ويخالف ما أجمعت عليه الأُمّة، بل ما ذهب إليه هو الحقّ الذي لاريب فيه، والصدق الذي لاشبهة تعتريه، والنصّ الصحيح بذلك شاهد، وكلام أصحابنا عليه مساعد، وما ذكره علماء التشريح يدلّ عليه، وما أورده المحقّقون من أهل اللغة يرشد إليه، وكلام العامّة صريح في نسبة هذا القول إلينا، وكتبهم مشحونة بالتشنيع به علينا، ولنفصّل هذا الإجمال بحيث لايبقى للشكّ مجال.

تطويل مقال لتفصيل إجمال، وتأصيل بيان لتحصيل اطمئنان

روى الشيخ في الصحيح عن زرارة و بكير ابني أعين أنّهما سألا

الإمام أبا جعفر محمدبن عليّ الباقر عليه السلام عن وضوء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فدعا بطشت أو تَور فيه ماء ثمّ حكى وضوء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وفي آخر الحديث قلنا: أصلحك الله فأين الكعبان؟ قال: هاهنا يعني المفصل دون عظم الساق، فقالا: هذا ماهو؟ قال: هذا عظم الساق[١].

ولا يخفى أنّ هذا الحديث صريح فيما ادّعاه العلّامة طاب ثراه، غير قابل للتأويل، ولذلك جعله في المختلف[٢] أوّل الدلائل على ماادّعاه، واقتصر في المنتهى[٣] عليه ولم ينقل سواه.

والعجب من شيخنا الشهيد فإنّه مع كمال حرصه في الذكرى على نقل دلائل العلّامة ونقضها لم ينقل هذه الرواية في جملة مانقله، مع أنّها هي العمدة في ذلك المدّعى، وعليها المدار في إثبات تلك الدعوى.

وأعجب من ذلك أنّه جعلها أوّل دلائله على أنّ الكعبين قبتا القدم أمام الساق، أعني العظم الذي بين المفصل والمشط، مع أنّها في خلافه كالشمس في رابعة النهار، فاعتبروا يا أُولي الأبصار.

ثمّ إنّه قدّس الله سرّه استدلّ بما رواه ميسر عن الإمام أبي جعفر محمدبن عليّ الباقر عليه السلام أنّه وصف الكعب في ظهر القدم[٤].

وبما رواه عنه أيضاً أنّه عليه السلام وضع يده على ظهر القدم وقال: هذا هو الكعب[٥].

ولادلالة في شيء من هذين الحديثين على ما يخالف كلام العلّامة

---

(١) تهذيب الأحكام: ج ١ ص٧٦ ح ٤٠.

(٢) مختلف الشيعة: ج ١ ص ٢٩٢.

(٣) منتهى المطلب: ج ١ ص ٦٤ مسألة في تحقيق معنى الكعبين.

(٤) تهذيب الأحكام: ج ١ ص ٧٥ ح ٣٨.

(٥) تهذيب الأحكام: ج ١ ص٧٥ ح ٣٩.

طاب ثراه فإنّ الكعب عنده في ظهر القدم أيضاً كما ستطّلع عليه إن شاء الله تعالى.

ثمّ إنّ أهل اللغة صرّحوا بأنّ المفاصل التي بين أنابيب القصب تسمّى كعاباً.

قال في الصحاح: كعُوب الرُمح: النواشز في أطراف الأنابيب[١].

وقال في المغرب: الكعب هو العقدة بين الانبوبتين في القصب[٢].

وقال أبوعبيدة: الكعب هو الذي في أصل القدم ينتهي إليه الساق بمنزلة كعاب القناة.

ونقل الفخر الرازي في تفسيره الكبير: أنّ المفصل يسمّى كعباً[٣].

و قال في القاموس: الكعب: كلّ مفصل للعظام والعظم الناشز فوق القدم[٤].

فظهر من هذا أنّ العلّامة نوّر الله مرقده لم يأت ببدعة في تسمية المفصل كعباً، وأنّ ماذكره المحقّق الشيخ علي أعلى الله شأنه من أنّه لم يقل بذلك أحد من الخاصّة والعامّة ولاأهل اللغة خالٍ عن الاستقامة.

ثمّ اعلم أنّ المستفاد من كلام علماء التشريح كجالينوس والشيخ الرئيس وشرّاح القانون كالقرشي وغيره أنّ القدم مؤلّف من ستّة وعشرين عظماً، أعلاها الكعب وهو عظم مائل الى الاستدارة واقع في ملتقى الساق والقدم، له زائدتان نائتتان في أعلاه انسية ووحشية، يدخل كلّ منهما في حفرة من حفرتي قصبتي الساق، وزائدتان في أسفله تدخلان في حفرتي العقب، و أنّ الساق مؤلّف من قصبتين متلاصقتين انسية و وحشية،

---

(١) صحاح اللغة: ج ١ ص ٢١٣ لغة «كعب».

(٢) المغرب: لايوجد لدينا هذا الكتاب.

(٣) التفسير الكبير: ج ١١ ص ١٦٢ في تفسير الآية(٦) من سورة المائدة.

(٤) القاموس: ج ١ ص ١٢٤ لغة «كعب».

والانسية منهما أعظم وتسمّى القصبة العظمىٰ، وهي المتصلة بالركبة، والوحشية صغيرة تستدق شيئاً فشيئاً وتنقطع قبل الوصول الى الركبة، وفي أسفل كلّ من هاتين القصبتين حفرة يدخل فيها إحدى الزائدتين الناتئتين في الكعب، ويحتوي طرفا القصبتين على الكعب من جوانبه سوى جانب المشط، فالكعب عظم في ظهر القدم متوسط بين الساق والعقب و عليه يتصل الساق بالقدم. ولنقتصر في تأييد هذا الكلام على ماذكره الشيخ في القانون والشارح القرشي في شرحه.

قال الشيخ في مبحث تشريح عظام القدم من القانون: وأمّا الكعب فإنّ الإنساني منه أشدّ تكعيباً من كعوب سائر الحيوانات، وكأنّه أشرف عظام القدم النافعة في الحركة، كما أنّ العقب أشرف عظام الرجل النافعة في الثبات. والكعب موضوع بين الطرفين الناتئين من القصبتين يحتويان عليه من جوانبه، أعني من أعلاه وقفاه وجانبيه الوحشي والانسي، و يدخل طرفاه في العقب في النقرتين دخول ركزٍ، والكعب واسطة بين الساق والعقب، به يحسن اتصالهما ويتوثّق المفصل بينهما، وهو موضوع في الوسط بالحقيقة، وان كان قد يظن بسبب الأخمص أنّه منحرف الى الوحشي[١]. إنتهى كلام الشيخ.

وقال القرشي في شرح القانون: إنّ أجزاء القدم مقسومة الى ستّة أقسام وهي: الكعب والعقب والعظم الزورقي وعظام الرسغ وعظام المشط وعظام الأصابع. ونحن الآن نتكلّم على كلّ واحد منها فنقول:

أمّا الكعب فالإنساني منه أكثر تكعباً وأشدّ تهندماً ممّا في سائر الحيوانات، وذلك لأنّ لرجليه قدماً وأصابع و يحتاج الى تحريك قدميه الى انبساط وانقباض، وذلك بحركة سهلة ليسهل عليه الوطأ على الأرض

---

(١) القانون: تعليم ٥، فصل ٣٠، ص٣٨.

المائلة الى الارتفاع والانخفاض وعلى المستوية، فلذلك يحتاج أن يكون مفصل ساقه مع قدمه مع قوته و إحكامه سلساً سهل الحركة. وهذا المفصل لا يمكن أن يكون بزائدة واحدة مستديرة تدخل في حفرة الساق فكان يحدث للقدم أن يتحرّك مقدّمة الى جهة جانبيه بل الى جهة مؤخّره، وكان يلزم من ذلك فساد التركيب ومصاكة إحدى القدمين للأُخرى، فلابدّ أن يكون بزائدتين حتّى يكون كلّ واحد منهما مانعة من حركة الأُخرى على الاستدارة، ولا يمكن أن تكون إحدى الزائدتين خلفاً والأُخرى قدّاماً، لأنّ ذلك ممّا يعسر معه حركة الانبساط والانقباض اللتين بمقدّم القدم، فلابدّ من أن تكون هاتان الزائدتان احداهما يميناً والأُخرى شمالاً، ولابدّ أن يكون بينهما تباعد له قدر يعتدّ به ليكون امتناع تحرّك كلّ واحدة منهما على الاستدارة أكثر وأشدّ، فلذلك لا يمكن أن يكون ذلك مع قصبة واحدة، فلابدّ أن يكون مع قصبتين، ولو كان بقدر مجموعهما عظم واحد لكان يجب أن يكون ذلك العظم ثخيناً جدّاً وكان يلزم من ذلك ثقل الساق، فلذلك لابدّ أن يكون أسفل الساق عند هذا المفصل قصبتين. وأمّا أعلى الساق و ذلك حيث مفصل الركبة فإنّه يكتفى فيه بقصبة واحدة ، فلذلك احتيج أن تكون إحدى قصبتي الساق منقطعة عند أعلى الساق، ويجب أن تكون الحفرتان في هاتين القصبتين والزائدتان في العظم الذي في القدم لأنّ هاتين القصبتين يراد فيهما الخفّة، وذلك ينافي أن تكون الزوائد فيهما لأنّ ذلك يلزمه زيادة الثقل والحفرة يلزمها زيادة الخفّة، فلذلك كان هذا المفصل بحفرتين في طرفي القصبتين وزائدتين في العظم الذي في القدم. إنتهى كلامه.

فكلام المشرّحين صريح في أنّ الكعب هو ذلك العظم الذي في المفصل،وقد علمت ماتضمّنه الحديث وكلام أهل اللغة أنّ نفس المفصل

يسمّى كعباً أيضاً، ولعلّه لمجاورة هذا العظم، فصار مايطلق عليه اسم الكعب أربعة: قبة القدم أمام الساق و أحد الناتئين عن يمين القدم وشماله و نفس المفصل والعظم الناتئ في القدم الداخل طرفاه في حفرتي عظم الساق، وكثيراً مايُعبّر عنه بالمفصل أيضاً. وهذا الأخير هو الكعب عند العلّامة، فإنّه لاينكر أنّ الكعبين عظمان ناتئان. وقد صرّح في التذكرة[١] بذلك وفسّرهما بمجمع الساق والقدم، ونقل إجماع علمائنا عليه وقال: إنّه مذهب محمدبن الحسن.

ويشهد لما ذكره طاب ثراه من نسبة هذا القول الى علمائنا أنّ كتب العامّة و تفاسيرهم مشحونة بأنّ الكعب عند القائلين بالمسح هو العظم الذي في المفصل.

قال الفخر الرازي في التفسير الكبير عند قوله تعالى: ﴿وأرجلكم الى الكعبين﴾: جمهور الفقهاء على أنّ الكعبين هما العظمان الناتئان من جانبي الساق. وقالت الإمامية وكل من ذهب الى وجوب المسح: أنّ الكعب عبارة عن عظم مستدير مثل كعب الغنم والبقر موضوع تحت عظم الساق حيث يكون مفصل الساق والقدم. و هو قول محمد بن الحسن[٢]. و كان الأصمعي يختار هذا القول.

ثمّ قال: حجّة الإمامية: انّ اسم الكعب يطلق على العظم المخصوص الموجود في أرجل جميع الحيوانات، فوجب أن يكون في حقّ الإنسان كذلك. والمفصل يسمّى كعباً، ومنه كعاب الرمح لمفاصله، وفي وسط القدم مفصل، فوجب أن يكون الكعب[٣]. إنتهى كلامه.

وقال صاحب الكشف عند تفسير هذه الآية: لو أُريد المسح لقيل

---

(١) تذكرة الفقهاء: ج ١ ص١٨ مسألة ومحل المسح...

(٢) هو أحد تلاميذ أبوحنيفة.

(٣) التفسير الكبير: ج ١١ ص١٦٢ في تفسير الآية(٦) من سورة المائدة.

الى الكعاب أو الكعب لأنّ الكعب إذ ذاك مفصل القدم، وهو واحد في كلّ رجل. فإن أُريد كلّ واحد فالأفراد و إلّا فالجميع، وأمّا إذا أُريد الغسل فهما الناشزان، وهم اثنان في كلّ رجل، فتصبح التثنية باعتبار كلّ رجل[١] هذا كلامه.

وقال الفاضل النيشابوري في تفسيره بعد ما نقل مذهب الجمهور من أنّ الكعبين هما العظمان الناتئان عن الجنبتين: قالت الإمامية وكلّ من قال بالمسح: إنّ الكعب عظم مستدير موضوع تحت عظم الساق حيث يكون مفصل الساق والقدم كما في أرجل جميع الحيوانات، والمفصل يسمّى كعباً، و منه كعوب الرمح المفاصل. حجّة الجمهور: انّه لو كان الكعب ما ذكره الإمامية لكان الحاصل في كلّ رجل كعباً واحداً، فكان ينبغي أن يقال: «وأرجلكم الى الكعاب» كما أنّه لمّا كان الحاصل في كلّ يد مرفقاً واحداً لا جرم قال« الى المرافق». و أيضاً العظم المستدير الموضوع في المفصل شيء خفي لايعرفه إلا أهل العلم بتشريح الأبدان والعظمان الناتئان في طرفي الساق محسوسان لكلّ أحد، ومناط التكليف لا يكون إلّا أمراً ظاهراً[٢]. إنتهى كلامه.

ثمّ إنّي والله لشديد التعجّب من أُولئك الأعلام كيف زلّت أقدام أقلامهم في هذا المقام حتّى زعموا أنّ ما قاله العلّامة ممّا لم يقبل به أحد من الخاصّ والعامّ. وظنّي أنّ وقوعهم في هذه الورطة إنّما نشأ من اشتباه عبارات أصحابنا كما نبّه عليه طاب ثراه في المختلف والمنتهى، وذلك أنّهم صرّحوا باشتقاق الكعب من كعب إذا ارتفع، وأكثر العبارات ناطقة بأنّ الكعبين هما العظمان الناتئان في القدمين، والمتبادر من الثاني ماكان نتوّه

---

(١) تفسير الكشف: ليس لدينا هذا الكتاب.

(٢) تفسير النيشابوري المطبوع في هامش تفسير الطبري: ج٦ ص ٧٤ ـ ٧٥ في تفسير الآية(٦) من سورة المائدة.

محسوساً بحسّ البصر، ولاناتئ في القدمين على هذه الصفة إلّا اللّذان على يمين القدم وشمالها والمتوسطان بين المفصل والمشط، لكنّ الأوّلان ليسا الكعبين باتّفاق علمائنا فحكموا بأنّهما الأخيران البتة، وغلّطوا مَن قال بأنّهما المفصلان لأنّه لانتوء فيهما، وغفلوا عن العظمين الناتئين فيهما، لأنّ القوّة الباصرة عن إدراك نتوئهما قاصرة.

خاتمة

ما أورده الشيخ الشهيد طاب ثراه على العلاّمة قدّس اللّه روحه من أنّ استيعاب ظهر القدم لم يقل به أحد منّا الى آخر كلامه غير وارد على العلاّمة أصلاً، وهو قدّس اللّه روحه قائل بموجبه[١]، وانّما أراد باستيعاب القدم استيعابه طولاً فقط، أعني من رؤوس الأصابع الى الكعب.

قال في التذكرة: لايجب استيعاب الرجلين بالمسح، بل يكفي المسح من رؤوس الأصابع الى الكعب و لو باصبع واحدة عند أهل البيت عليهم السلام[٢].

ثمّ قال: و يجب استيعاب طول القدم من رؤوس الأصابع الى الكعبين[٣].

و إن أراد شيخنا الشهيد رحمه الله انّ استيعاب الطول الى المفصل ممّا لم يقل به أحد منّا بناءً على ما ظنّه من أنّ الكعب ليس هو المفصل عندنا رجع هذا الكلام الى كلامه الثاني، وقد عرفت حقيقته فتأمّل[٤].

---

(١) (م): لموجبه.

(٢) و (٣) تذكرة الفقهاء: ج ١ ص١٨ مسألة لايجب استيعاب الرجلين بالمسح.

(٤) وجه التأمّل: انّ للمكلّف أن يقول مراد شيخنا الشهيد رحمه الله أنّ استيعاب القدم طولاً بمعنى دخول الكعب في الممسوح لم يقل به أحد من أصحابنا لااستيعابه طولاً وعرضاً معاً. ولايخفىٰ بُعده، فانّ مسح الكعبين مختلف وجوبه عندنا. وقد نبّه المحقّق وغيره عليه فكيف يدّعى الاتفاق على عدم وجوبه (منه رحمه الله).

الحديث الخامس

* وضوء أمير المؤمنين عليه السلام *

«... بينا أميرالمؤمنين ذات يوم جالس مع ابن الحنفيّة رضي الله عنه إذ قال له : يا محمّد ائتني بإناء من مـاء أتوضّأ للصلاة، فأتاه محمّد بالماء، فأكفأه بيده اليمنىٰ على يده اليسرى ثمّ قال:«بسم‌الله وبالله والحمدلله الذي جعل الماء طهوراً و لم يجعله نجساً» قال : ثمّ استنجى فقال : «اللّهمّ حصّن فرجي ، و أعفّه ، و استر عورتي و حرّمني على النار » قال : ثمّ تمضمض فقال : «اللّـهمّ لقّنّي حجّتي يوم ألقاك ، و أطلق لساني بذكراك» قال: ثمّ استنشق فقال : « اللّهمّ لا تـحرّم عـليّ ريـح الجـنّة ، واجعلني ممّن يشمُّ ريحها و روحها و طيبها...»

تهذيب الأحكام: ج١ ص٥٢ ح٢، الكافي: ج٣ ص٧٠ ـ ٧١ ح٦

بالسند المتصل الى الشيخ الأعظم محمد بن محمد بن النعمان المفيد، عن أحمدبن محمد، عن أبيه، عن محمدبن يحيى وأحمدبن إدريس، عن محمدبن أحمدبن يحيى، عن الحسين بن عليّ بن عبدالله، عن عليّ بن حسّان، عن عمّه عبدالرّحمٰن بن كثير الهاشمي [١] عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

والى الشيخ الأعظم المشار إليه، عن أبي القاسم جعفربن محمد، عن محمد بن يعقوب، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن قاسم الخزّاز، عن عبدالرّحمٰن بن كثير، عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال:

بينا أميرالمؤمنين ذات يوم جالس مع ابن الحنفيّة رضي الله عنه إذ قال له: يا محمد ائتني بإناء من ماء أتوضّأ للصلاة، فأتاه محمد بالماء، فأكفأه بيده اليمنىٰ على يده اليسرى ثمّ قال: «بسم الله وبالله والحمد لله الذي جعل الماء طهوراً و لم يجعله نجساً» قال: ثمّ استنجى فقال: «اللّهمّ

---

(٤) هذه الرواية و إن كان في طريقها عبدالرحمٰن بن كثير، وهو ضعيف، إلّا انّ ضعفها منجبر بالشهرة بين الأصحاب، ومن قال بشهرتها شيخنا الشهيد في الذكرى، على انّها و اردة في المستحبّات، والضعف لايمنع من العمل بها (منه رحمه الله).

حصّن فرجي، و أعفّه، و استر عورتي و حرّمني على النار » قال : ثمّ تمضمض فقال : «اللّهمّ لقّني حجّتي يوم ألقاك، وأطلق لساني بذكراك» قال: ثمّ استنشق فقال: «اللّهمّ لاتحرّم عليَّ ريح الجنّة، واجعلني ممّن يشمُّ ريحها و روحها وطيبها» قال: ثمَّ غسل وجهه فقال: «اللّهمَّ بيّض وجهي يوم تسودّ فيه الوجوه ، ولاتسوّد وجهي يوم تبيضّ فيه الوجوه». ثمّ غسل يده اليمنىٰ فقال: «اللّهمّ اعطني كتابي بيميني، والخلد في الجنان بيساري، وحاسبني حساباً يسيراً». ثمّ غسل يده اليسرى فقال: «اللّهمَّ لاتعطني كتابي بشمالي، ولاتجعلها مغلولة الى عنقي، وأعوذ بك من مقطّعات النيران» ثمّ مسح رأسه فقال: «اللّهمّ غشّني رحمتك وبركاتك» ثمّ مسح رجليه فقال: «اللّهمّ ثبّتني على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام، واجعل سعيي فيما يُرضيك عنّي». ثمّ رفع عليه السلام رأسه فنظر الى محمد فقال: يا محمد من توضّأ مثل وضوئي و قال مثل قولي خلق الله له من كلّ قطرة ملكاً يقدّسه و يسبّحه و يكبّره فيكتب الله له ثواب ذلك الى يوم القيامة»[١].

بيان

ما لعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

---

(١) تهذيب الأحكام: ج١ ص٥٢ ح٢.

﴿ **بينا أميرالمؤمنين عليه السلام ذات يوم جالس** ﴾: بينا: هي بين الظرفية، اُشبعت فتحتها فصارت ألفاً، وتقع بعدها حينئذٍ إذ الفجائية غالباً يقول: بينا أنا في عسر إذ جاء الفرج، وعاملها محذوف يفسّره الفعل الواقع بعد إذ عند بعض، وبعضهم يجعلها خبراً عن مصدر مسبوك من الفعل، أي بين أوقات إعساري مجيء الفرج.

﴿ **فأكفأه بيده اليمنىٰ** ﴾: أي صبّه.

وفي الصحاح: كفأت الإناء: كببته وقلبته فهو مكفوء. وزعم ابن الأعرابي انّ أكفأتُه لغة[١]. إنتهى.

وهو يعطي أنّ أكفأ لم يثبت في اللغةُوأنّ الصحيح كفئ، وكفى بكلام الإمام عليه السلام حجّة على ثبوته.

﴿ **ثمّ قال** ﴾: «ثمّ» هنا مجرّدة عن معنى التراخي كما قالوه في قوله تعالى: ﴿ثمّ انشأناه خلقاً آخر﴾[٢].

﴿ **ولم يجعله نجساً** ﴾: يجوز بكسر[٣] الجيم وفتحها،والأوّل أشهر.

﴿ **اللّهمّ حصّن فرجي** ﴾: قال الفرّاء: أصل اللّهمَّ يا الله اُمَّنا بالخير مخفّف بالحذف لكثرة الدوران على الألسن[٤].

والأكثر أنّ أصله يا الله فحذف حرف النداء و عوِّض عند الميم المشدّدة.

وردّ الشيخ الرضي كلام الفرّاء بأنّه يقال: اللّهمَّ لاتؤمِّهم بالخير، وفيه نظر لايخفى على المتأمّل[٥].

---

(١) صحاح اللغة: ج١ ص٦٨ لغة «كفأ».

(٢) المؤمنون: ١٤.

(٣) في (م): كسر.

(٤) معاني القرآن: ج١ ص٢٠٣.

(٥) الكافية في النحو: ج١ ص١٤٦.

والمراد بتحصين الفرج ستره وصونه عن الحرام ، و عطف الأعفاف عليه تفسيري ، و عطف ستر العورة عليه من قبيل عطف العام على الخاصّ، فانّ العورة في اللغة كلّ مايُستحى منه.

﴿لقّني حجّتي﴾: بالقاف والنون المشدّدتين من التلقين وهو التفهيم.

﴿ ممّن يشمّ ﴾: بفتح الشين وأصله يشمم بميمين كيعلم فنقلت فتحة الميم الى الشين وأُدغمت، وماضيه شمَمَ بالكسر.

والريح: الرائحة.

والروح: بفتح الراء النسيم الطيب.

﴿ بيّض وجهي يوم تسودّ فيه الوجوه ﴾: بياض الوجه وسواده إمّا كنايتان عن ظهور بهجة السرور والفرح وكآبة الخوف والخجل، أو المراد بهما حقيقة البياض والسواد. وفسّر بالوجهين قوله تعالى: ﴿يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه»[١].

﴿ مقطّعات النيران ﴾: المقطّعات،كلّ ثوب يقطع كالقميص والجبّة ونحوهما لاما لايقطع كالازار والرداء.

ولعلّ السرّ في كون ثياب النار مقطّعات كونها أشدّ اشتمالاً على البدن، فالعذاب بها أشدّ.

وقال بعض أهل اللغة: إنّ المقطّعات جمع لا واحد له من لفظه، و واحدها ثوب.

و بعضهم ضبط المقطّعات بالفاء والظاء المعجمة جمع مفظعة بكسر الظاء من فظع الأمر بالضمّ فظاعة فهو فظيع أي شديد شنيع. والصحيح الأوّل[٢].

---

(١) آل عمران: ١٠٦.

(٢) في هامش «م» : فإنّه هو المنقول وذلك تصحيف، وفي القرآن (فالذين كفروا قطّعت لهم ثياب من نار) (منه دام ظلّه)

﴿ **غشّني رحمتك** ﴾: أيّ غَطِّني واشملني بها. قال الجوهري: استغشى بثوبه وتغشّىٰ به: أي تغطّى به[١]. ولعلّه تضمّن معنى ألبسني فعدّي بغير باء. ويجوز نصب «رحمتك» بنزع الخافض.

تتمّة

[في اختلاف نسخ الدعاء]

نسخ التهذيب والكافي والفقيه وأمالي ابن بابويه متخالفة في بعض ألفاظ هذه الأدعية.

ففي بعض النسخ: «اللّهمَّ حصّن فرجي واستر عورتي وحرّمهما على النار» بضمير التثنية. وهو يحتمل عوده الى الفرج والعورة نظراً الى اختلاف اللفظين وعموم العورة، أو الى تخالف المحصن والمستور. وان قُرِئَ «عورتيّ» بالياء المشدّدة والمدغمة في ياء المتكلّم على صيغة التثنية فلا إشكال.

وفي بعضها في دعاء المضمضة: «اللّهمَّ انطق لساني بذكراك[٢] واجعلني ممّن ترضى عنه».

وفي بعضها في دعاء الاستنشاق: «اللّهمَّ لاتحرمني طيّبات الجنان واجعلني... الى آخره» وفي آخره: «وريحانها» بدل «طيبها».

وفي بعضها في دعاء غسل الوجه زيادة لفظة «فيه» بعد تسودّ وتبيضّ.

وفي بعضها: «والخلد في الجنان بشمالي» بدل «يساري» و «مقطّعات النار» بدل «النيران». و«ثبّت قدمي» بدل «ثبّتني».

و أنا نقلت هذا الحديث من التهذيب من نسخة معتمدة بخط والدي

---

(١) صحاح اللغة: ج٦ ص ٢٤٤٧ لغة «غشا».

(٢) (م): بذكرك.

و هي التي قرأتها أنا عليه، و هو قرأها على شيخنا الشهيد الثاني قدّس الله سرّه.

تبـصرة فيها تذكرة

[معنى طلب تلقين الحجّة في يوم القيامة]

المراد من طلب العباد تلقين الحجّة أن يلهمهم الله تعالى مايحتجّون به لأنفسهم يوم القيامة، فانّ النـاس فـي ذلك اليـوم يـحتجّون لأنـفسهم ويسعى كلّ منهم في فكاك رقبته كما قال سبحانه: ﴿يوم تأتي كلّ نفس تجادل عن نفسها﴾[١] والله سبحانه يلقّن من يشاء حجّته كما قالوا في قوله تعالى: ﴿يا أيّها الإنسان ماغرَّك بربّك الكريم﴾[٢] انّ ذكر «الكريم» تلقين للعبد وتنبيه له على أن يحتجّ ويقول: غرَّني كرمك.

قال الفاضل النيسابوري في تفسيره: رأيت في عنفوان الشباب في المنام أنّ القيامة قد قامت وقد دار في خلدي انّ الله تـعالى لو خـاطبني بقوله: ﴿ماغرَّك بربّك الكريم﴾ فماذا أقول؟ ثمّ ألهمني الله في المـنام أن أقـول: غـرَّني كـرمك يـاربّ. ثـمّ إنّـي وجـدت هـذا المـعنى فـي بـعض التفاسير[٣]. إنتهى كلامه.

والظاهر أنّه أراد ببعض التفاسير كتاب مجمع البيان للشيخ الثقة[٤] الشيخ أبي عليّ الطبرسي رحمه الله فانّه قال وهذه عبارته: إنّما قال سبحانه «الكريم» دون سائر أسمائه وصفاته لأنّه كان لقّنه الجواب حتّى يـقول:

---

(١) النحل: ١١١.

(٢) الانفطار: ٦.

(٣) تفسير النيسابوري المطبوع في هامش تفسير الطبري: ج ٣٠ ص ٤٠ في ذيل تفسير الآية(٦) من سورة الانفطار.

(٤) (م): الثقة حجّة الإسلام.

غرَّني كرم الكريم[١]. إنتهى كلامه.

إن قلت: كيف يستقيم القول بأنّ أهل المحشر يحتجّون لأنـفسهم ويجادلون في خلاصها مع ماورد من أنّه يختم على أفواههم، وانّما تنطق جوارحهم كما قال الله تعالى: ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾[٢]؟

قلت: لعلّ ذلك مخصوص بالكفّار كما قاله بعض المفسّرين، أو أنّ هذا الختم يكون بعد الاحتجاج والمجادلة كما في بعض الروايات.

و قد ورد أنّ بعض الأعضاء تحتجّ لصاحبها كـما جـاء فـي بـعض الأخبار: «تشهد أعضاؤه عليه بالزلّة، فتتطاير شعرة من جفن عينيه فتستأذن في الشهادة، فيقول الحقّ تعالى: تكلّمي ياشعرة عينيه واحتجّي لعبدي، فتشهد له بالبكاء من خوفه، فيغفر له ويُنادي مُنادٍ. هذا عتيق الله بشعرة»[٣].

و على هذا فلا يلزم من الختم على الأفواه عدم وجود المحاجّة[٤] انّما يلزم عدم تحقّقها باللسان فتدبّر.

بيان و تفسير

[تحقيق في كلمة اليسار]

معنى «الخلد في الجنان بيساري» لايخلو من خفاء. وهو يحتمل وجوهاً:

الأوّل: أنّه يقال في الشيء الذي حصّله الإنسان من غير مشقّة و تعب فعلته بيساري. فالمراد هنا طلب الخلود في الجـنّة مـن غـير أن يـتقدّمه

---

(١) مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠ ص ٤٤٩ في ذيل الآية(٦) من سورة الانفطار.

(٢) يٰس : ٦٥.

(٣) لم نعثر عليه في مظانّه.

(٤) (م): المجادلة.

عذاب النار وأهوال يوم القيامة.

الثاني: أنّ الباء فيه للسببية. والمراد أعطني الخلود في الجنان بسبب غسل يساري. وعلى هذا فالباء في «بيميني» أيضاً للسببية لتتوافق القرينتان. ولا يخلو من بُعد.

الثالث: أنّ المراد بالخلد براءة الخلد في الجنان على حذف مضاف، فالباء على حالها للظرفية. وهذا وجه قريب.

الرابع: أنّ المراد باليسار ليس مايقابل اليمين بل اليسار المقابل للإعسار. والمراد اليسار بالطاعات، أي أعطني الخلد في الجنان بكثرة طاعاتي. فالباء للسببية وحينئذٍ يكون في الكلام إبهام التناسب وهو الجمع بين المعنيين غير المتناسبين بلفظين لهما معنيان متناسبان كما في قوله تعالى: ﴿الشمس والقمر بحسبان* والنجم والشجر يسجدان﴾[١] فانّ المراد بالنجم ماينجم من الأرض، أي يظهر ولاساق له كالبقول، و بالشجر ماله ساق، فالنجم بهذا المعنى و إن لم يكن مناسباً للشمس والقمر لكنّه بمعنى الكوكب يناسبهما. ومن هذا مايروى من قول النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لايزال المنام طائراً حتّى يُقصّ، فإذا قصّ وقع»[٢] وهذا الوجه وان كان بعيداً إلّا انّه لايخلو من لطافة.

اشارة

[في غسل أعضاء الوضوء مرّة ثانية هل هي بدعة أو سنّة؟]

ظاهر هذا الحديث أنّ غسل كلّ من الوجه واليدين وقع مرّة واحدة فهو ممّا يؤيّد القول بعدم استحباب الغسلة الثانية، إذ لو كانت لذكرها الراوي، إذ المقام مقام بيان سنن الوضوء، وقد قال عليه السلام في آخر

---

(١) الرحمٰن: ٥ ـ ٦.

(٢) قريب منه في مسند أحمدبن حنبل: ج ٤ ص ١٠.

الحديث: «خلق الله من كلّ قطرة ملكاً يقدّسه و يسبّحه» ولاشكّ انّ القطرات مع تثنية الغسلات أكثر.

وربّما قيل: إنّ سكوت الراوي عن تثنية غسل الوجه واليدين لاشتهارها بين الأُمّة وشيوع استحبابها كالسكوت عن تثليث المضمضة والاستنشاق.

وفيه: أنّ شيوع استحبابها الى هذا الحدّ ممنوع، كيف والشيخ الصدوق مصرّ على عدم الاستحباب، وروى في كتاب من لايحضره الفقيه عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «والله ماكان وضوء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلّا مرّة مرّة»(١) وحمل الأخبار المتضمنة للمرّتين على التجديد.

وقال الشيخ الجليل محمدبن يعقوب الكليني بعد ما روى أنّ وضوء علي عليه السلام ماكان إلّا مرّة مرّة: هذا دليل على أنّ الوضوء مرّة مرّة، لأنّه عليه السلام كان إذا ورد عليه أمران كلاهما طاعة لله أخذ بأحوطهما وأشدّهما على بدنه(٢). إنتهى كلامه.

فبعد منازعة مثل هذين الشيخين المتقدّمين الجليلين في استحباب التثنية كيف يدّعى أنّ سكوت الراوي عن ذكرها لاشتهارها بين الأُمّة و شيوع استحبابها؟ وتحقيق المقام يقتضي بسطاً في الكلام ليس هذا محلّه.

تكملة

[في بيان مقدار ماء الوضوء]

استفاد بعض أصحابنا من قوله عليه السلام: «ائتني بإناء من ماء أتوضّأ للصلاة» واستنجائه من ذلك الماء أنّ ماء الاستنجاء محسوب من ماء

---

(١) من لايحضره الفقيه: ج ١ ص ٣٨ ح ٧٦.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٢٧ ح ٩.

الوضوء، وفرّع عليه دخوله في المدّ الذي يستحبّ الوضوء به قائلاً: إنّ المدّ لايكاد يبلغه الوضوء.

وهذا الكلام لايخلو من[١] بعد، فإنّ ماء الوضوء المسبغ المشتمل على غسل اليدين أولاً وتثنية الغسلات الثلاث والمضمضة والاستنشاق اللّذين كلّ منهما بثلاثة أكفّ يبلغ المدّ بغير شكّ، إذ المدّ لايزيد على مائتين واثنين وتسعين درهماً شرعية، وهي على ماحسبناه لايكاد تزيد على ربع المدّ التبريزي في زماننا هذا. وظاهر أنّ هذا القدر لايفضل عنه شيء عند الإتيان بالمستحبّات المذكورة قطعاً، بل قد يترآى عدم وفائه بها، فكيف يحسب ماء الاستنجاء منه؟

هذا واعلم أنّ أمره عليه السلام ابنه رضي الله عنه بإحضار الماء يعطي بظاهره أنّ إحضار الماء ليس من الاستعانة المكروهة في الوضوء، و لهذا ذكر أصحابنا أنّ إحضار الماء فيه ليس استعانة. و أمّا احتمال كون الأمر بذلك لبيان جواز الاستعانة فلا يدلّ على عدم الكراهة فلا يخلو من بُعد.

---

(١) (م): عن.

الحديث السادس

* كيفيّة التيمّم *

«... سألت أباعبدالله جعفر بـن مـحمّد الصـادق عـليه السلام عن التيمّم، فقال: إنّ عمّاراً أصابته جنابة فتمعّك كما تتمعّك الدابّة. فقال له رسول الله صلّى الله عـليه وآله وسلّم و هو يهزأ به: يا عمّار تمعّكت كما تتمعّك الدابة. فقلنا له: فكيف التيمّم؟ فوضع يديه على الأرض ثمّ رفعهما فمسح وجهه ويديه فوق الكفّ قليلاً».

تهذيب الأحكام: ج ١ ص ٢٠٧ ح ١

و بالسند المتصل الى شيخ الطائفة محمدبن الحسن الطوسي، عن الشيخ الجليل عمدة الإسلام محمد بن محمد بن النعمان المفيد، عن أحمد بن محمد، عن أبيه، عن سعد بن عبدالله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن داود بن النعمان قال:

سألت أبا عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام عن التيمّم، فقال: إنّ عمّاراً أصابته جنابة فتمعّك كما تتمعّك الدابّة. فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو يهزأ به: يا عمّار تمعّكت كما تتمعّك الدابة . فقلنا له : فكيف التيمّم ؟ فوضع يديه على الأرض ثمّ رفعهما فمسح وجهه ويديه فوق الكفّ قليلاً[1].

بيان

مالعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ **فتمعّك كما تتمعّك الدابّة** ﴾: أي تمرّغ و تقلّب في التراب، والمراد أنّه ماسّ التراب بجميع بدنه، فكأنّه لمّا رأى التيمّم في موضع

---

(١) تهذيب الأحكام: ج ١ ص ٢٠٧ ح ١.

الغسل ظنّ أنّه مثله في استيعاب البدن.

﴿ **وهو يهزأ به** ﴾: الهزء بالضمّ السخرية والاستخفاف، يعدّى بالباء و «من»، يقال: هزأ به وهزأ منه.

﴿ **تمعّكت كما تتمعّك الدابّة** ﴾: إمّا استفهام إنكاري أو خبر أُريد به لازم معناه نحو: حفظت التوراة. والأوّل أنسب بقوله عليه السلام يهزأ به.

﴿ **فقلنا له فكيف التيمّم** ﴾: هذا الكلام يحتمل وجهين:

الأوّل: أن يكون قائله داودبن‌النعمان والمقول له الإمام عليه السلام، والتيمّم المذكور وقع منه عليه السلام.

الثاني: أن يكون قائل هذا القول الصحابة الذين كانوا حاضرين مع عمّار رضي الله عنه والمقول له الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم والإمام عليه السلام حكى كلامهم بلفظه، و إلّا فالسياق يقتضي فقالوا، وحينئذٍ يكون الضمير في وضع ورفع ومسح للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ويدلّ عليه مارواه الصدوق في كتاب من لايحضره الفقيه، عن زرارة في الصحيح، عن الإمام أبي جعفر محمدبن عليّ الباقر عليهما السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ذات يوم لعمّار في سفر له: يا عمّار بلغنا أنّك أجنبت فكيف صنعت؟ قال: تمرّغت يارسول الله في التراب. قال: فقال له: كذلك يتمرّغ الحمار، أفلا صنعت كذا، ثمّ أهوى بيديه الى الأرض فوضعهما على الصعيد ثمّ مسح جبينه بأصابعه و كفّيه احداهما بالأُخرى ثمّ لم يُعِد ذلك[١].

وماروواه محيي السنّة من العامّة في كتاب المصابيح بهذا اللفظ: قال عمّار: كنّا في سريّة فأجنبت فصلّيت، فذكرت للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: إنّما كان يكفيك هكذا فضرب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم

---

(١) من لايحضره الفقيه: ج ١ ص ١٠٤.

بكفّيه الأرض ونفخ فيهما ثمّ مسح بهما وجهه وكفّيه[١] إنتهى.

وظنّي أنّ الحمل على الوجه الأوّل أوجه، إذ حمل لفظ «قلنا» على حكاية كلامهم بعيد جدّاً.

وفي صحيحة زرارة: فوضع أبو جعفر عليه السلام كفّيه على الأرض ثمّ مسح وجهه وكفّيه[٢].

و دلالة ما رواه الصدوق على الوجه الثاني ممنوعة لاحتمال عود ضمير «أهوى» الى الإمام عليه السلام، وعلى تقدير عوده الى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لايلزم عود تلك الضمائر إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم أيضاً لجواز أن يكون النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بيّن لعمّار والإمام عليه السلام بيّن لداود بن النعمان.

إن قلت: احتياج عمّار ونظرائه من الصحابة الى مشاهدة التيمّم البياني غير بعيد بأن يكون وقوع هذه القصّة في مبدأ الإسلام وقبل نزول آية التيمّم واشتهار كيفيّته بين الأُمّة. أمّا احتياج داود بن النعمان الى مشاهدة كيفيّة التيمّم من الصادق عليه السلام فمستبعد جدّاً كيف والرجل معدود من أفاضل الرواة فكيف يخفى عليه التيمّم؟! فالحمل على صدور التيمّم الواقع في الحديث عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم متعيّن.

قلت: احتياج داود الى مشاهدة تيمّم الإمام عليه السلام لا يقصر عن احتياج عمّار الى التيمّم البياني، لأنّ الأُمّة مختلفون في كيفيّة التيمّم اختلافاً شديداً، فبعضهم أوجب مسح كلّ الوجه واليدين الى المرفقين، وبعضهم خصّ المسح ببعض الوجه واليدين من الزندين، و بعضهم جعله مطلقاً بضربة، و بعضهم جعله مطلقاً بضربتين، و بعضهم فصّل بالوضوء

---

(١) مصابيح السنّة: ج ١ ص ٣٦.

(٢) التهذيب: ج ١ ص ٢٠٨ ح ٥.

والغسل، وبعضهم ثلّث الضربات. فأراد داود أن يشاهد فعل الإمام عليه السلام ليفوز بالعيان ويحصل له كمال الاطمئنان.

تبصرة

[في أنّ قول النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لعمّار لم يكن فيه استهزاء]

قوله عليه السلام: «وهو يهزأ به» لايخلو من إشكال، لأنّ الاستهزاء لايليق بمنصب النبوّة، ألا ترى الى أنّ موسى عليه السلام لمّا قال له قومه: ﴿أتتخذُنا هُزواً؟ قال: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾[١] وهذا يدلّ على أنّ الاستهزاء من عمل الجاهلين.

وعلى تقدير جواز صدور الاستهزاء عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم بالنسبة الى بعض الأفراد كيف يصدر ذلك عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم بالنسبة الى عمّار الذي هو من أعيان الصحابة وصفوتهم وأجلّائهم، ولم يزل صلّى الله عليه وآله وسلّم له مكرّماً موقرّاً حتّى قال: «عمّار جلدة بين عيني، تقتله الفئة الباغية»[٢].

وغاية مايمكن أن يقال: إنّ الاستهزاء هنا ليس على معناه الحقيقي -أعني السخرية- بل المراد به نوع من المزاح والمطايبة، ولابُعد في صدور ذلك عنه صلّى الله عليه وآله و سلّم بالنسبة الى عمّار و نظرائه، و يكون ذلك ناشئاً عن كمال اللطف بهم والمؤانسة معهم، فانّ الإنسان لايمازح غالباً إلّا من يحبّه، ولاقصور في المزاح بغير الباطل. فقد روي عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «إنّي أمزح ولا أقول إلّا الحقّ»[٣] و حديثه صلّى الله عليه و آله و سلّم مع العجوز التّي سألته أن يدعو لها

---

(١) البقرة: ٦٧.

(٢) سيرة ابن هشام: ج ٢ ص ١٤٢ ضمن قصّة بناء مسجد المدينة.

(٣) مكارم الأخلاق: ص ٢١.

بالجنّة[١] مشهور[٢].

تذكـرة

[في أنّ ضرب اليدين على الأرض هل هو جزء التيمّم أو لا؟]

ماتضمّنه هذا الحديث منالتعبير بوضع اليدينعلى الأرض موجود في بعض الأحاديث، وفي أكثرها وقع التعبير بالضرب. وهو وضع خاصّ مع اعتماد، ولعلّه الأحوط. ولوالدي قدّس الله روحه فيه كلام أورده في شرح الرسالة.

وكيف كان فهل هو أوّل أفعال التيمّم بحيث يجب تقديم[٣] النـيّة عليه ومقارنتها له أو هو بمنزلة اغتراف الماء للطهارة المائيّة؟

ظاهر أكثر الأصحاب الأوّل.

والعلّامة في النهاية[٤] على الثاني، وعبّر عن الضرب بنقل التراب ولم يجعله جزء من التيمّم كالاغتراف في الوضـوء، بـل هـو عـنده أمـر واجب خارج عن ماهية التيمّم.

واعترضه شيخنا الشهيد[٥] بأمرين:

الأوّل: أنّ الاغتراف غير معتبر لنفسه لسقوطه عند غـمس الوجـه اتّفاقاً بخلاف الضرب فانّه معتبر لنفسه.ولهذا لو وضع جبهته على الأرض لم يجزِ.

---

(١) انظر مناقب ابن شهرآشوب: ج ١ ص ١٤٨.

(٢) روي أنّ عجوزاً سألته صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّ يدعو لها بالجنّة، فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم لها: أما علمت أنّ الجنّة لاتدخلها العجائز، فحصل للعجوز اضطراب، فقرأ صلّى الله عليه وآله وسلّم: (إنّا انشأناهنّ إنشـاءً فجعلناهنّ أبكاراً عُرباً أتراباً) (منه دام ظلّه).

(٣) (م): تقدّم.

(٤) نهاية الأحكام: ج ٢ ص ٢٠٣.

(٥) ذكرى الشيعة: ص ١٠٧ س ٣٤

وفيه:انّ هذا الفرق غير مضرّ للعلّامة وهو يقول بموجبه ويجعل نقل التراب شرطاً في الصحّة فتأمّل.

والثاني: أنّ تخلّل الحدث بين الاغتراف وغسل الوجه غير مضرّ بخلاف تخلّله بين الضرب ومسح الجبهة

وفيه: أنّه إن أراد انّ تخلّله مضرّ عند القائلين بأنّ الضرب جزء من التيمّم فمسلّم ولاينفعه. و إن أراد أنّه كذلك عند العلّامة فممنوع. كيف وقد صرّح طاب ثراه في النهاية[1] بأنّ تخلّله غير مضرّ.

واعلم أنّ العلّامة مع حكمه بعدم جزئية الضرب للتيمّم جوّز مقارنة نيّته له.

وفيه: أنّه يستلزم عدم مقارنتها لشيء من أجزائه، بل لأمر خارج عنه، ولايرد مثله في مقارنة نيّة الوضوء لغسل اليدين والمضمضة والاستنشاق لأنّ كلّاً منها يصير حينئذٍ جزء الوضوء الكامل كما قالوه.

ولعلّ مراد العلّامة بنفي جزئية الضرب أنّه ليس جزءً حتمياً أصلياً يتعيّن النيّة قبله كمسح الجبهة، بل إن قارن المكلّف النيّة به صار جزءً والّا فلا، وحينئذٍ فلافرق بين الضرب وغسل اليدين عنده كما لايخفى.

ثمّ ما تضمّنه هذا الحديث من مسحه صلّى الله عليه وآله وسلّم وجهه يعطي بظاهره الاستيعاب . و هو مذهب عليّ بن بابويه[2] و في الأخبار[3] مايساعده. إلّا انّ السيّد المرتضى رضي الله عنه نقل الإجماع على عدم وجوبه. و يعضده الأخبار الصحيحة الناطقة بعضها بمسح الجبهة[4] وبعضها بمسح الجبين[5].

---

(١) نهاية الأحكام: ج ١ ص ٢٠٣.

(٢) راجع مختلف الشيعة: ج ١ ص٤٢٦.

(٣) تهذيب الأحكام: ج ١ ص٢٠٨ ح ٦٠٢ انظر المختلف: ج ١ ص ٤٢٨.

(٤) تهذيب الأحكام: ج ١ ص٢٠٧ ـ ٢٠٨ ح ٦٠١.

(٥) من لايحضره الفقيه: ج ١ ص ٥٧ ح ٢١٣.

و حكم المحقّق في المعتبر[١] بالتخيير بين مسح كلّ الوجه و بعضه يعني الجبهة، ونقله عن ابن أبي عقيل وكأنّه حمل عدم الوجوب في كلام المرتضى على عدم الوجوب الحتمي.

وأمّا استيعاب اليدين الى المرفقين فهذا الحديث الصحيح صريح في عدمه. وأوجبه علي بن بابويه[٢] لوروده في بعض الأخبار[٣]. ولو قيل بالتخيير هنا أيضاً كالوجه لكان وجهاً.

إرشاد فيه سداد

[في بيان أنّ الضربة الواحدة على الأرض في مطلق التيمّم كافٍ أم لا؟]

ظاهر هذا الحديث أنّه عليه السلام اكتفى بالضربة الواحدة. ولا ريب أنّ الكلام كان في تيمّم الجنب فإنّ عمّاراً كان جنباً، فهو حجّة من يجتزي بالضربة الواحدة كالمفيد[٤] والمرتضى[٥] رضي الله عنهما، و يعضده موثّقة زرارة[٦] وحسنة ابن أبي المقدام[٧].

وأجاب العلّامة في المختلف عن الاحتجاج بهذا الحديث وأمثاله بأنه لا دلالة فيه على أنّ التيمّم الذي وصفه الإمام عليه السلام بدل عن الوضوء أو الغسل و ذكر قصّة عمّار لا يدلّ على إرادة بيان بدل الغسل لاحتمال ذكر القصّة ثمّ يُسئل عليه السلام عن كيفيّة التيمّم مطلقاً أو عن

---

(١) المعتبر: ج ١ ص ٣٨٦.

(٢) راجع مختلف الشيعة: ج ١ ص ٤٣٤.

(٣) تهذيب الأحكام: ج ١ ص ٢٠٧ ح ٥٩٨. انظر المختلف: ج ١ ص ٤٣٤.

(٤) ذكره العلّامة في المختلف: ج ١ ص ٤٣١.

(٥) جمل العلم والعمل المطبوعة في ضمن رسائل الشريف المرتضى: المجموعة الثالثة: ص ٢٥

(٦) تهذيب الأحكام: ج ١ ص ٢٠٨ ح ٦.

(٧) تهذيب الأحكام: ج ١ ص ٢١٢ ح ١٧.

كيفيّة التيمّم الذي هو بدل عن الوضوء[١]. هذا كلامه.

ولايخفى أنّه بعيد جدّاً، وسوق الكلام يأباه، و حديث قصّة عمّار الذي رواه الصدوق في الصحيح عن زرارة ـ على ماتقدّم ـ صريح في كون التيمّم بدلاً عن الغسل وفي وحدة الضرب أيضاً، لأنّ في آخره: «ولم يعد ذلك» أي لم يعد ذلك الوضع. فمذهب المرتضىٰ لايخلو عن قوّة، و أحاديث التثنية يمكن حملها على الاستحباب جمعاً بين الأخبار، وهو خير من حملها على بدل الغسل. وأحاديث الوحدة على بدل الوضوء كما هو المشهور بين المتأخّرين، لأنّ في أحاديث الوحدة ماهو كالصريح في بدلية الغسل. وحكاية مناسبة الوحدة للوضوء والتثنية للغسل لاتنهض دليلاً.

وأمّا ما رواه الشيخ[٢] في الصحيح، عن زرارة، عن الإمام أبي جعفر محمدبن عليّ الباقر عليه السلام قال: قلت: كيف التيمّم؟ قال: هو ضرب واحد للوضوء والغسل من الجنابة، تضرب بيديك مرّتين ثمّ تنفضهما مرّة للوجه و مرّة لليدين»[٣] فلا دلالة فيه على التفصيل المشهور، وإن كان الشيخ في التهذيب والمحقّق في المعتبر[٤] قد فهما منه ذلك،بل قد يدّعى دلالته على التثنية مطلقاً، ومن ثمّ احتجّ به ابن بابويه[٥] على ذلك.

والحقّ أنّه مجمل بالنسبة الى ماذهب إليه هذان الشيخان، فإنّ قوله عليه السلام: «هو ضرب واحد» يحتمل أن يكون معناه أنّه نوع واحد غير مختلف سواء كان عن الوضوء أو الغسل، و مجيء الضرب بمعنى النوع

---

(١) مختلف الشيعة: ج١ ص٤٣٣.

(٢) (م): الشيخ الصدوق.

(٣) تهذيب الأحكام: ج١ ص٢١٠ ج١٤

(٤) المعتبر: ج١ ص٣٨٨.

(٥) الهداية: ص١٨.

والقسم في لسان الشرع شائع، كما يقال: الطهارة على ضربين مائيّة و ترابيّة. وحينئذٍ يُقرأ قوله عليه السلام «والغسل» بالجرّ عطفاً على الوضوء كما هو الظاهر، ويجعل جملة «تضرب بيديك الى آخره» مفسّرة للضرب الواحد.

ويحتمل أن يكون معناه أنّه ضربة واحدة على الأرض للوضوء و يجعل قوله عليه السلام «والغسل على الجنابة» ابتداء كلام إمّا برفع الغسل بالإبتداء على حذف مضاف، أي ويتمّم الغسل، أو جرّه بلام محذوفة متعلّقة بتضرب كأنّه قال: «وتضرب بيديك للغسل من الجنابة» و يكون من عطف الفعلية على الاسمية. والحديث على كلّ من هذين الحلّين لامناص فيه عن ارتكاب خلاف الظاهر، إذ الظاهر من الضرب هو الضرب على الأرض، والظاهر أنّ الكلام من عطف المفرد على المفرد، وهذه التقديرات على خلاف الأصل.

ويخطر بالبال أنّه يمكن حمل الضرب على ماهو الظاهر من الضرب على الأرض، وقراءة الغسل بالجرّ عطفاً على الوضوء كما هو الظاهر أيضاً، ويكون المراد من قوله عليه السلام: «واحد» الوحدة النوعيّة لا العددية ، أي أنّ الضرب على الأرض فيهما واحد غير مختلف، و حمل الوحدة على الوحدة النوعيّة[١] وإن كان فيه أدنى مخالفة للظاهر إلّا أنّها أقلّ من مخالفة الظاهر على الحلّين السابقين كما لا يخفى.

تتمّة

[في أنّ علوق التراب في التيمّم شرط أم لا؟]

المشهور بين أصحابنا عدم اشتراط علوق التراب بشيء من الكفّين،

---

(١) في هامش(م): يُستفاد من الحديث حينئذٍ تثنية الضرب مطلقاً كما فهم ابن بابويه رحمة الله عليه (منه دام ظلّه العالي).

واشترطه ابن الجنيد[١] و بعض العامّة.

و قد استدلّ الأصحاب على المشهور بالروايات المتضمّنة للنفض[٢].

واستضعفه والدي طاب ثراه في شرح الرسالة[٣] بأنّ الأجزاء الصغيرة الغبارية لايتخلّص كلّها من اليدين بالنفض بل يبقىٰ منها بقية كما تشهد به التجربة. ولعلّ النفض لما عساه يلصق بالكفّين من الأجزاء الترابية الكثيرة الموجبة لتشويه الوجه ويكون الغرض من النفض تقليلها، فلا دلالة للأمر بالنفض على عدم اشتراط العلوق، بل ربما يدلّ على اشتراطه فتأمّل[٤].

ثمّ إنّه طاب ثراه مال الى تقوية ما استدلّ به ابن الجنيد من أنّ «من» في قوله تعالى: ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾[٥] ظاهرة في التبعيض، و جعل كونها لابتداء الغاية سمجاً بعيداً.

و قال: إنّ ماتضمّنه صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام[٦] من إعادة ضمير «منه» في الآية الى التيمّم غير منافٍ للتبعيض الذي هو الظاهر، وجعل قوله عليه السلام في آخرها لأنّه يعلق من ذلك الصعيد ببعض الكفّين ولايعلق ببعضها دالاّ على اشتراط العلوق. ولعلّ وجه الدلالة على ذلك أنّ هذه الرواية قد دلّت على أنّه سبحانه لمّا علم أنّ ذلك الصعيد لايجري بأجمعه على الوجه لأنّه يعلق ببعض الكفّين ولايعلق

(١) حكاه العلّامة في مختلف الشيعة: ج ١ ص ٤٢٠.

(٢) تهذيب الأحكام: ج ١ ص ٢٠٧ـ ٢٠٨ ح ٤.

(٣) شرح الرسالة: لايوجد لدينا هذا الكتاب.

(٤) في هامش(م): لأنّ إيجاد النفض لايتمّ إلّا مع العلوق. ووجه التأمّل أنّه لاقائل بوجوب النفض (منه دام ظلّه).

(٥) المائدة: ٦.

(٦) تهذيب الأحكام: ج ١ ص ٦١ ح ١٧.

ببعضها قال: ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾.

و من تأمّل هذا الكلام و هذا التعليل حقّ التأمّل[١] علم إشعاره بوجوب العلوق، وظهر له أنّ التيمّم الذي أعاد الإمام عليه السلام ضمير «منه» إليه المراد به التيمّم به، فتأمّل.

---

(١) في هامش(م): حيث جوّز العلوق بالنفض دون النفض عنه للعلم بأنّ ذلك لا يجري بأجمعه على الوجه (منه دام ظلّه)

الحديث السابع

* صلاة حمّاد بن عيسىٰ *

«... قال لي أبوعبدالله جعفربن محمد الصـادق عـليه السلام يوماً: يا حمّاد أتحسن أن تُصلّي؟

قال: فقلت: يا سيّدي أنا أحفظ كتاب حريز في الصلاة.

فقال: لا عليك يا حمّاد قم فصلّ.

قال: فقمت بين يديه متوجّهاً الى القبلة، فـاستفتحت الصلاة، فركعت وسجدت.

فقال عليه السلام: ياحمّاد لاتحسن أن تصلّي، ماأقبح بالرجل منكم تأتي عليه ستّون سنة أو سبعون سنة فلا يقيم صلاة واحدة بحدودها تامّة.

قال حمّاد: فأصابني في نفسي الذلّ. فـقلت: جـعلت فداك فعلّمني الصلاة...»

الكافي: ج ٣ ص ٣١١ ح ٨، تهذيب الأحكام: ج ٢ ص ٨١ ح ٦٩

و بسنده المتصل الى شيخنا السعيد الشهيد محمدبن مكّي قدّس الله روحه، قال: قرأت على شيخنا الشيخ الإمام فخرالدين بن مطهّر دام فضله بداره بالحلّة آخر نهار الجمعة ثالث جمادي الأوّل سنة ستّ و خمسين وسبعمائة، قال: قرأت على والدي جمال الدين، قال: حدّثني والدي سديدالدين، عن السيّد رضي الدين بن طاووس، عن السيّد شمس الدين فخّار، عن الشيخ محمدبن إدريس، عن الشيخ عربي بن مسافر العبادي، عن الياس بن هشام الحائري، عن الشيخ أبي علي المفيد، عن والده الشيخ أبي جعفر الطوسي، عن الشيخ أبي عبدالله المفيد محمدبن محمد بن النعمان، عن أبي القاسم جعفربن محمد، عن محمد بن يعقوب الكليني، عن عليّ بن ابراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسىٰ قال:

قال لي أبوعبدالله جعفربن محمد الصادق عليه السلام يوماً: ياحمّاد أتحسن أن تُصلّي؟

قال: فقلت: يا سيّدي أنا أحفظ كتاب حريز في الصلاة.

فقال: لا عليك يا حمّاد قم فصلّ.

قال: فقمت بين يديه متوجّهاً الى القبلة، فاستفتحت الصلاة، فركعت وسجدت.

فقال عليه السلام: ياحمّاد لاتحسن أن تصلّي،

ما أقبح بالرجل منكم تأتي عليه ستّون سنة أو سبعون سنة فلايقيم صلاة واحدة بحدودها تامّة.
قال حمّاد: فأصابني في نفسي الذلّ. فقلت: جعلت فداك فعلّمني الصلاة.
فقام أبوعبدالله عليه السلام مستقبل القبلة منتصباً، فأرسل يديه جميعاً على فخذيه قد ضمّ أصابعه وفرّق بين قدميه حتّى كان بينهما قدر ثلاث أصابع منفرجات، واستقبل بأصابع رجليه[1] القبلة لم يُحرّفها عن القبلة، فقال بخشوع: «الله أكبر». ثمّ قرأ الحمد بترتيل و«قل هو الله أحد» ثمّ صبر هنيئة بقدر ما يتنفّس و هو قائم. ثمّ رفع يديه حيال وجهه و قال: «الله اكبر» و هو قائم. ثمّ ركع. وملأ كفّيه من ركبتيه مُنفرجات، و ردّ ركبتيه الى خلفه، ثمّ سوّى ظهره حتّى لو صُبَّ عليه قطرة من ماء أو دُهن لم تزل لاستواء ظهره، ومدَّ عنقه و غمضَّ عينيه، ثمّ سبّح ثلاثاً بترتيل فقال: «سبحان ربّي العظيم وبحمده». ثمّ استوى قائماً فلمّا استمكن من القيام قال: «سمع الله لمن حمده» ثمّ كبّر و هو قائم ورفع يديه حيال وجهه. ثمّ سجد وبسط كفّيه مضموتي الأصابع بين يدي ركبتيه حيال وجهه فقال: «سبحان ربّي الأعلىٰ وبحمده» ثلاث مرّات. ولم

---

(١) (م): رجليه جميعاً.

يضع شيئاً من جسده على شيء منه،وسجد على ثمانية أعظم: الكفّين، والركبتين، و أنامل إبهامي الرجلين، والجبهة، والأنف، وقال: سبعة منهنّ فرض يسجد عليها وهي التي ذكرهاالله عزّوجلّ في كتابه فقال: ﴿وانّ المساجد لله فلاتدعوا مع الله أحداً﴾ وهي الجبهة والكفّان والركبتان والإبهامان، و وضع الأنف على الأرض سنّة. ثمّ رفع رأسه من السجود، فلمّا استوى جالساً قال: «الله أكبر». ثمّ قعد على فخذهالأيسر وقد وضع قدمهالأيمن علىبطن قدمه الأيسر وقال: «استغفرالله ربّي وأتوب إليه». ثمّ كبّر وهو جالس وسجد السجدة الثانية، وقال كما قال في الأُولى، ولم يضع شيئاً من بدنه على شيء منه في ركوع ولاسجود، وكان مُجنّحاً، ولم يضع ذراعيه على الأرض.فصلّى ركعتين على هذا ويداه مضمومتا الأصابع وهو جالس في التشهّد، فلمّا فرغ من التشهّد سلّم وقال: يا حمّاد هكذا صلِّ[١].

بيان

مالعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ ياحمّاد أتحسن أن تصلّي ﴾: هو حمّاد بن عيسى الجهني، منسوب الى جُهينة ـ بضمّ الجيم ـ قبيلة، وهو من ثقاة أصحابنا،لقي

(١) الكافي: ج ٣ ص ٣١١ ح ٨، تهذيب الأحكام: ج ٢ ص ٨١ ح ٦٩.

الصادق والكاظم والرضا عليهم‌السلام، و دعا له الكاظم عليه السلام بالدار والزوجة والولد والخادم والحجّ خمسين حجّة، فنال كلّ ذلك. ولمّا أراد أن يحجّ الحادية والخمسين غرق في الجُحفة حين أراد غسل الإحرام و كان عمره نيفاً و سبعين سنة.

﴿ **أنا أحفظ كتاب حريز** ﴾: بالحاء المهملة وآخره زاي، وهو حريز ابن عبدالله‌السجستاني، أصله كوفي وسافر الى سجستان كثيراً فعرف بها، وهو من أصحاب الصادق عليه السلام، ثقة، صنّف كتباً.

﴿ **لا عليك** ﴾: «لا» نافية للجنس، وحذف اسمها في أمثال هذا مشهور، أي لا بأس عليك.

﴿ **ما أقبح بالرجل منكم** ﴾: فصّل عليه السلام بين فعل التعجّب و معموله. وهو مختلف فيه بين النحاة، فمنعه الأخفش والمبرّد، وجوّزه المازني والفرّاء بالظرف، ناقلاً عن العرب أنّهم يقولون: «ما أحسن بالرجل أن يصدق». وصدوره عن‌الإمام عليه السلام من‌أقوى الحجج على جوازه.

و «منكم»: حال من «الرجل» أو وصف له، فإنّ لامه جنسية.

والمراد: ما أقبح بالرجل من الشيعة أو من صلحائهم.

﴿ **بحدودها تامّة** ﴾: بحدودها متعلّق بيقيم، وتامّة إمّا حال من حدودها أو نعت ثانٍ ل‍«صلاة».

﴿ **فقال بخشوع** ﴾: أي بتذلّل وخوف وخضوع. وبذلك فُسِّر الخشوع في قوله تعالى: ﴿والذين هم في صلاتهم خاشعون﴾[١].

وفي الصحاح: خشع ببصره: أي غضّه[٢].

وروى الشيخ الجليل أبو علي الطبرسي في كتاب مجمع البيان عن

---

(١) المؤمنون: ٢.

(٢) صحاح اللغة: ج ٣ ص ١٢٠٤ لغة «خشع».

النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه رأى رجلاً يعبث بلحيته في صلاته فقال: «أما أنّه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه».

ثمّ قال الشيخ أبو عليّ: في هذا دلالة على أنّ الخشوع في الصلاة يكون بالقلب وبالجوارح.

فأمّا بالقلب فهو أن يفرغ قلبه بجمع الهمّة لها والإعراض عمّا سواها فلا يكون فيه غير العبادة و المعبود[١].

وأمّا بالجوارح فهو غضّ البصر والإقبال عليها وترك الإلتفات والعبث[٢].

﴿ ثمّ قرأ الحمد بترتيل ﴾: الترتيل التأنّي وتبيين الحروف بحيث يتمكّن السامع من عدّها، مأخوذ من قولهم ثغر رتّل ومرتّل إذا كان مفلجاً، وبه فسّر في قوله تعالى: ﴿ورتّل القرآن ترتيلاً﴾[٣].

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه حفظ الوقوف وبيان الحروف[٤] أي مراعاة الوقف التامّ والحسن[٥]، والإتيان بالحروف على الصفات المعتبرة من الهمس والجهر والاستعلاء والإطباق والغُنّة وأمثالها. والترتيل بكلّ من هذين التفسيرين مستحبّ.

ومن حمل الأمر في الآية على الوجوب فسّر الترتيب بإخراج

---

(١) (م): عبادة المعبود.

(٢) مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨ ص ٩٩ في ذيل تفسير الآية(٢) من سورة المؤمنون.

(٣) المزمّل: ٤.

(٤) قريب منه مافي جوامع الجامع: ص ٥١٥.

(٥) في هامش (م): الوقف التامّ هو الذي لايكون للكلام قبله تعلّق بما بعده لفظاً ولامعنى، والحسن هو الذي يكون له تعلّق لفظاً لامعنىً، وفي الفاتحة أربعة وقوف توام: على البسملة و مالك يوم الدين ونستعين والضالين، وعشرة حسنة: على بسم الله وعلى الرحمٰن وعلى الرحيم وعلى العالمين وعلى الرحمٰن وعلى الرحيم أيضاً وعلى نعبد وعلى المستقيم وعلى أنعمت عليهم وعلى غير المغضوب عليهم.

الحروف من مخارجها على وجه يتميّز ولايندمج بعضها في بعض.

﴿ هنيئة ﴾: بالتصغير أي لمحة قليلة.

﴿ بقدر ما يتنفّس ﴾: على البناء للمفعول.

﴿ حيال وجهه ﴾: أي بإزائه. والمراد أنّه عليه السلام لم يرفع يديه بالتكبير أزيد من محاذاة وجهه.

﴿ وملأكفّيه من ركبتيه ﴾: أي ماسهما بكلّ كفّيه ولم يكتف بوضع أطرافها، والظاهر أنّ المراد بالكفّ هنا ما يشمل الأصابع، وأنّ الانحناء الى أن تصل الأصابع الى الركبتين هو الواجب والزائد مستحبّ. و يدلّ عليه حديث زرارة.

﴿ فقال سبحان ربّي العظيم وبحمده ﴾: سبحان مصدر كغفران بمعنى التنزيه، ولايكاد يُستعمل إلّا مضافاً منصوباً بفعل مضمر كمعاذالله.

فمعنى سبحان ربّي: أُنزهه تنزيهاً عمّا لايليق بجناب قدسه وعزّ جلاله.

وهو مضاف الى المفعول. وربّما جوّز كونه مضافاً الى الفاعل بمعنى التنزّه.

والواو في «وبحمده» إمّا حالية أو عاطفة، والتقدير: وأنا متلبّس بحمده على التوفيق لتنزيهه والتأهيل لعبادته، كأنّه لمّا أسند التسبيح الى نفسه أوهم ذلك تبجحاً فعقّب بهذه الجملة الحالية ليزول على قياس ماقيل في ﴿ إيّاك نعبد و إيّاك نستعين﴾.

﴿ سمع الله لمن حمده ﴾: ضَمَّن «سمع» معنى استجاب فُعدّي باللام كما ضُمِّن معنى الإصغاء فعدّي بـ«الى» في قوله تعالى:

﴿لا يسّمّعون الى الملأ الأعلى﴾[1].

﴿ بين يدي ركبتيه ﴾: أي قدّامهما وقريباً منهما، وقد تقدّم الكلام على هذا اللفظ في الحديث الثالث.

﴿ وأنّ المساجد لله ﴾: تفسير المساجد بالأعضاء السبعة التي يُسجد عليها هو المشهور بين المفسّرين.

والمروي عن أبي جعفر محمدبن عليّ بن موسى عليه السلام أيضاً حين سأله المعتصم عن هذه الآية: ﴿فلا تدعوا مع الله أحداً﴾: «فلا تشركوا معه غيره في سجودكم عليها»[2].

وأمّا ماقاله بعض المفسّرين من أنّ المراد بها المساجد المشهورة فلا تعويل عليه بعد التفسير المروي عن الإمامين عليهما السلام[3].

﴿ وكان مجنّحاً ﴾: بالجيم والنون المشدَّدة والحاء المهملة، أي رافعاً مرفقيه عن الأرض حال السَجود جاعلاً يديه كالجنحين. فقوله: «ولم يضع ذراعيه على الأرض» عطف تفسير.

إيضاح

[في الفرق بين الرجل والمرأة في الآداب المذكورة]

ماتضمّنه هذا الحديث من الأفعال مشترك بين الرجل والمرأة سوى أُمور يسيرة تختصّ بالرجل، وهي ستة:

الأوّل: إرسال اليدين حال القيام، فإنّ المستحبّ لها وضع كلّ يد على الثدي المحاذي لها.

الثاني: التفريق بين القدمين، فإنّ المستحبّ لها جمعهما.

---

(١) فاطر: ٨.

(٢) تفسير نورالثقلين: ج ٥ ج ٤٣٩ نقلاً عن تفسير العيّاشي.

(٣) أي الإمام الصادق والإمام الجواد عليهما السلام.

الثالث: التجافي المعبَّر عنه بقوله: «ولم يضع شيئاً من بدنه على شيء منه» فانّ المستحبّ لها تركه.

الرابع: التجنّح، فإنّ المستحبّ لها تركه.

الخامس: التورّك بين السجدتين، فإنّ المستحبّ للمرأة ضمّ فخذيها و رفع ركبتيها.

السادس: وضع اليدين على الركبتين فإنّها تضعهما فوق ركبتيها لرواية زرارة[١] ولكن تجب عليها أن تنحني قدر ماينحني الرجل.

واحتمل بعض أصحابنا اجتزائها بدون انحناء الرجل بأن يكون الواجب عليها أن تنحني أن تصل يداها الى فخذيها فوق ركبتيها كما تشعر به الرواية، فإنّها معلّلة بقوله عليه السلام: «لئلّا تتطأطأ كثيراً فترتفع عجيزتها» وهذا الاحتمال غير بعيد.

وماتضمّنه الخبر من تغميضه عليه السلام عينيه حال ركوعه ينافي ماهو المشهور بين الأصحاب من استحباب نظر المصلّي حال ركوعه الى مابين قدميه كما يدلّ عليه خبر زرارة[٢].

والشيخ في النهاية[٣] عمل بالخبرين معاً وجعل التغميض أفضل من النظر الى مابين الرجلين.

والمحقّق في المعتبر[٤] عمل بخبر حمّاد.

وشيخنا الشهيد في الذكرى[٥] جمع بين الخبرين بأنّ الناظر الى مابين قدميه تقرب صورته من صورة المغمّض. وهو جمع بعيد.

---

(١) الكافي: ج ٣ ص ٣٣٥ ح ٢.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٣٣٤ ح ١.

(٣) نهاية الاحكام: ج ١ ص ٥٠٧ البحث الثاني في شغل النظر.

(٤) المعتبر: ج ٢ ص ٢٤٦.

(٥) ذكرى الشيعة: ص ١٨٣ الكلام في مستحبّات القيام.

والتخيير بين التغميض والنظر الخاصّ لايخلو من وجه.

تتـمّة

[الفرق بين السجود على الأنف والإرغام]

ماتضمّنه هذا الحديث من سجوده عليه السلام على الأنف الظاهر أنّه سنّة مغايرة للإرغام المستحبّ في السجود، فإنّه وضع الأنف على الرغام -بفتح الراء- وهو التراب، والسجود على الأنف كما روي عن عليّ عليه السلام «لاتجزي صلاة لايصيب الأنف ما يصيب الجبين»[١] يتحقّق بوضعه على مايصحّ السجود عليه وان لم يكن تراباً.

وربّما قيل: الإرغام يتحقّق بملاصقة الأنف للأرض وإن لم يكن معه اعتماد. ولهذا فسّره بعض علمائنا بمماسة الأنف التراب، والسجود يكون معه اعتماد في الجملة فبينهما عموم من وجه.

وفي كلام شيخنا الشهيد مايُعطي أنّ الإرغام والسجود على الأنف أمر واحد، مع أنّه عدّ في بعض مؤلفاته كلّاً منهما سنّة على حدة.

ثمّ على تفسير الإرغام بوضع الأنف على التراب هل تتأدّى سنّة الإرغام بوضعه على مطلق مايصحّ السجود عليه و ان لم يكن تراباً؟ حكم بعض أصحابنا بذلك وجَعَلَ التراب أفضل. وفيه مافيه، فليتأمّل[٢].

إكمـال

[حكم تكرار قراءة سورة التوحيد في صلاة واحدة]

ظاهر قول الراوي: «فصلّى ركعتين» على هذا يُعطي أنّه عليه السلام

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٤ ص ٩٥٤ باب ٤ من أبواب السجود ح ٤.

(٢) في هامش(م): وجهه أنّ حمل مطلق مايصحّ السجود عليه في ذلك الحكم كالتراب قياس مع الفارق. (منه دام ظلّه).

قرأ سورة التوحيد في الركعة الثانية أيضاً، وهو ينافي ماهو المشهور بين أصحابنا من استحباب مغايرة السورة في الركعتين وكراهة تكرار الواحدة فيهما إذا أحسن غيرها، كما رواه عليّ بن جعفر عن أخيه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام(١).

و يؤيّده ما مال إليه بعضهم من استثناء سورة الإخلاص من هذا الحكم. وهو جيّد. ويعضده ما رواه زرارة عن أبي جعفر عليه السلام من أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم صلّى ركعتين وقرأ في كلّ منهما قل هو الله أحد(٢). وكون ذلك لبيان الجواز بعيد.

ولعلّ استثناء سورة الإخلاص من بين السور واختصاصها بهذا الحكم لما فيها من مزيد الشرف والفضل.

فقد روى الشيخ الصدوق عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: من مضى عليه يوم واحد فصلّى فيه خمس صلوات ولم يقرأ فيها بـ«قل هو الله أحد» قيل له: ياعبدالله لست من المصلّين(٣).

و روى الشيخ أبو علي الطبرسي في تفسيره، عن أبي الدرداء، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ قلت: يارسول الله ومن يطيق ذلك؟ قال: اقرأوا «قل هو الله أحد»(٤).

وقد ذكر بعض العلماء في وجه معادلة هذه السورة لثلث القرآن كلاماً حاصله: أنّ مقاصد القرآن الكريم ترجع عند التحقيق الى ثلاثة معانٍ: معرفة الله تعالى، ومعرفة السعادة والشقاوة الأُخروية، والعلم بما

---

(١) تهذيب الأحكام: ج ٢ ص ٧٢ ح ٣١.

(٢) تهذيب الأحكام: ج ٢ ص ٩٦ ح ١٢٧.

(٣) ثواب الأعمال: ص ١٥٥ وفيه: مَن مضىٰ به.

(٤) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٥٦١.

يوصل الى السعادة و يُبعد عن الشقاوة. و سورة الإخلاص تشتمل على الأصل الأوّل وهو معرفة الله تعالى وتوحيده وتنزيهه عن مشابهة الخلق بالصمدية ونفي الأصل والفرع والكفؤ؛ وكما سُمّيت الفاتحة أُمّ القرآن لاشتمالها على تلك الأُصول الثلاثة عادلت هذه السورة ثلث القرآن لاشتمالها على واحد من تلك الأُصول. والله أعلم.

الحديث الثامن

* زكاة الأموال و زكاة الأجساد *

«... قال النبيّ صلّى الله عليه وآله و سلّم يوماً لأصحابه:
ملعون كلّ مال لايُزكّى؛ ملعون كلّ جسد لايُزكّىٰ، ولو في كلّ أربعين يوماً مرّة.
فقيل: يا رسول الله أمّا زكاة المال فقد عرفناها فما زكاة الأجساد؟
فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم لهم: ان تُصاب بآفة.
فقال: فتغيّرت وجوه الذين سمعوا ذلك منه.
قال: فلمّا رآهم قد تغيّرت ألوانهم قال لهم:هل تدرون ماعنيت بقولي؟
قالوا: لا يا رسول الله.
قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: بلى الرجل يخدش الخدشة، و ينكب النكبة ، و يعثر العثرة ، و يمرض المرضة، و يشاك الشوكة، و ما أشبه هذا حتّى ذكر في حديثه اختلاج العين».

الكافي: ج ٢ ص٥٨ ح ٢٩

وبالسند المتصل الى الشيخ الجليل محمدبن يعقوب الكليني، عن عليّ بن ابراهيم، عن هارون‌بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن الإمام أبي عبدالله جعفربن محمد الصادق عليه السلام قال:

قال النبيّ صلّى الله عليه وآله و سلّم يوماً لأصحابه: ملعون كلّ مال لايُزكّى؛ ملعون كلّ جسد لايُزكّى، ولو في كلّ أربعين يوماً مرّة.

فقيل: يا رسول الله أمّا زكاة المال فقد عرفناها فما زكاة الأجساد؟

فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم لهم: ان تُصاب بآفة.

فقال: فتغيّرت وجوه الذين سمعوا ذلك منه.

قال: فلمّا رآهم قد تغيّرت ألوانهم قال لهم: هل تدرون ماعنيت بقولي؟

قالوا: لا يا رسول الله.

قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: بلى الرجل يخدش الخدشة، و ينكب النكبة، و يعثر العثرة، و يمرض المرضة، ويشاك الشوكة، وما أشبه هذا

حتّى ذكر في حديثه اختلاج العين[١].

بيـان

مالعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ **ملعون كلّ مال لايزكّى** ﴾: أي بعيد عن الخير والبركة، يعني لاخير لصاحبه ولابركة.

ويجوز أن يراد: ملعون صاحبه على حذف مضاف أي مطرود بعيد عن رحمة الله تعالى. وقس عليه قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم «ملعون كلّ جسد لايزكّى».

وذكر الزكاة هنا من باب المشاكلة؛ ويجوز أن يكون استعارة تبعيّة، و وجه الشبه أنّ كلّ منهما وإن كان نقصاً بحسب الظاهر إلّا انّه موجب لمزيد الخير والبركة في نفس الأمر.

﴿ **فتغيّرت وجوه الذين سمعوا ذلك** ﴾: لأنّهم ظنّوا أنّ مراده صلّى الله عليه وآله وسلّم بالآفة: العاهة والبلية الشديدة التي كثيراً مايخلو عنها الإنسان سنين عديدة فضلاً عن أربعين يوماً.

﴿ **يخدش الخدشة** ﴾: يُخدش بالبناء للمفعول، و كذا يُنكب. والخدشة: تفرّق اتصال في الجلد من ظفر ونحوه، سواء خرج معه دم أو لا.

﴿ **ويعثر العثرة** ﴾: المراد بها عثرة الرجل. ويجوز أن يراد بها مايعمّ عثرة اللسان أيضاً. لكنّه بعيد.

﴿ **ويشاك الشوكة** ﴾: يقال: شاكته الشوكة، تشوكه، شاكةً وشيكةً إذا دخلت في جسده. وانتصاب الشوكة بالمفعولية المطلقة كانتصاب الخدشة والنكبة والعثرة.

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٥٨ ح ٢٦ باب شدّة ابتلاء المؤمن.

فإن قلت: تلك مصادر بخلاف الشوكة، فكيف يكون مفعولاً مطلقاً؟

قلت: قد يجيء المفعول المطلق غير المصدر إذا لابس المصدر بالآلية ونحوها نحو: ضربته سوطاً. و إن أبيت فاجعل انتصابها بنزع الخافض، أي يشاك بالشوكة.

﴿ **وما أشبه هذا** ﴾: يحتمل أن يكون من كلام النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وأن يكون من كلام الراوي.

﴿ **اختلاج العين** ﴾: عدّه صلّى الله عليه وآله وسلّم من جملة الآفات لأنّ الاختلاج مرض من الأمراض، وقد ذكره الأطباء. وهو حركة سريعة متواترة غير عادية تعرض لجزء من البدن كالجلد ونحوه بسبب رطوبة غليظة لزجة تنحلّ فتصير ريحاً بخارياً غليظاً يعسر خروجه من المسام، و تزاول الدافعة دفعة فيقع بينهما مدافعة واضطراب.

الحديث التاسع

* خطبة رسول الله ﷺ في شهر رمضان *

«... قال:إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم خطبنا ذات يوم فقال: أيّها الناس إنّه قد أقبل إليكم شهرالله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عندالله أفضل الشهور، و أيّامه أفضل الأيّام، و لياليه أفضل الليالي، و ساعاته أفضل الساعات. هو شهر دُعيتم فيه الى ضيافة الله، وجُعلتم فيه من أهل كرامته.أنفاسكم فيه تسبيح، و نومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب. فاسألوا الله ربّكم بنيّات صادقة و قلوب طاهرة أن يوفّقكم لصيامه، و تلاوة كتابه، فإنّ الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم...».

عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ٢٩٧ باب ٢٨، أمالي الصدوق: المجلس ٢٠ ص ٨٢

و بالسند المتصل الى الشيخ الجليل ثقة الإسلام محمدبن بابويه، عن أحمدبن الحسن بن القطّان، عن أحمدبن محمدبن السعيد الهمدانيّ، عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن أبيه، عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه الكاظم موسى بن جعفر، عن أبيه الصادق جعفربن محمد، عن أبيه الباقر محمدبن عليّ، عن أبيه زين العابدين عليّ بن الحسين، عن أبيه سيّد الشهداء الحسين بن عليّ، عن أبيه سيّد الوصيّين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهم السلام قال:

إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم خطبنا ذات يوم فقال: أيّها الناس إنّه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عندالله أفضل الشهور، وأيّامه أفضل الأيّام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات. هو شهر دُعيتم فيه الى ضيافة الله، و جُعلتم فيه من أهل كرامته. أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، و دعاؤكم فيه مستجاب. فاسألوا الله ربّكم بنيّات صادقة و قلوب طاهرة أن يوفّقكم لصيامه، وتلاوة كتابه، فإنّ الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم . واذكروا بجوعكم و

عطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه. وتصدّقوا على فقرائكم و مساكينكم، و وقّروا كباركم، وارحموا صغاركم، و صلوا أرحامكم، واحفظوا ألسنتكم، و غضّوا عمّا لايحلّ النظر إليه أبصاركم، وتحنّنوا على أيتام الناس يُتحنّن على أيتامكم، وتوبوا الى الله من ذنوبكم، وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم، فإنّها أفضل الساعات، ينظر الله تعالى فيها بالرحمةالى عباده، يجيبهم إذا ناجوه، ويلبّيهم إذا نادوه، ويستجيب لهم إذا دعوه.

أيّها الناس إنّ أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكّوها باستغفاركم،وظهوركم ثقيلة منأوزاركم فخفّفوا عنها بطول سجودكم، واعلموا أنّ الله تعالى جلّ ذكره أقسم بعزّته أن لا يعذّب المصلّين والساجدين، ولايروِّعهم بالنار يوم يقوم الناس لربّ العالمين.

أيّها الناس من فطّر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر كان له بذلك عندالله عتق رقبة، ومغفرة لما مضى من ذنوبه.

فقيل: يا رسول الله وليس كُلُّنا يقدر على ذلك.

فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: اتقوا النار ولو بشقّ تمرة، اتقوا النار ولو بشربة من ماء.

أيّها الناس مَن خفّف منكم في هذا الشهر عمّا ملكت يمينه خفّفالله عليه حسابه، و من كفّ فيه

شرّه كفّ الله عنه غضبه يوم يلقاه، ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه الله يوم يلقاه، و من وصل فيه رحمه وصله الله برحمته يوم يلقاه، و من قطع فيه رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه ، و مَن تطوّع فيه بصلاة كتب الله له براءة من النار، ومن أدّى فيه فرضاً كان له ثواب من أدّى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور، ومن أكثر فيه الصلاة عليّ ثقّل الله ميزانه يوم تخفّف الموازين، ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم فيه القرآن في غيره من الشهور.

أيّها الناس أبواب الجنان في هذا الشهر مفتّحة فاسألوا ربّكم أن لايغلقها عليكم، وأبواب النيران مغلّقة فاسألوا ربّكم أن لايفتحها عليكم ، والشياطين مغلولة فاسألوا ربّكم أن لايسلّطها عليكم.

قال أميرالمؤمنين عليه الصلاة والسلام: فقمت و قلت: يارسول‌الله ماأفضل‌الأعمال في هذا الشهر؟ فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عزّوجلّ، ثمّ بكىٰ.

فقلت: ما يبكيك يارسول الله؟

فقال صلّى‌الله عليه وآله وسلّم: أبكي لما يستحلّ منك في هذا الشهر، كأنّي بك وأنت تصلّي لربّك وقد انبعث أشقى الأوّلين و الآخرين شقيق عاقر

ناقة ثمود يضربك ضربة على قرنك فخضّب منه لحيتك.

فقلت: يا رسول الله وذلك في سلامة من ديني؟

فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم : في سلامة من دينك.

ثمّ قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا علىّ مَن قتلك فقد قتلني، ومن أبغضك فقد أبغضني لأنّك منّي كنفسي، و طينتك من طينتي، و أنت وصيّي وخليفتي على أُمّتي[1].

بيان

مالعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ خطبنا ذات يوم ﴾: ضمّن عليه السلام «خطبنا» معنى وعظنا، فعدّاه تعديته، و إلّا فخطب هنا لازم بمعنى النطق بالخطبة، وكما يضمّن المتعدّي بنفسه معنى المتعدّي بحرف فيعدّي به كذلك قد يضمّن اللازم معنى المتعدّي فيتعدّى بنفسه كما نحن فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح﴾[2] قالوا: إنّه ضَمّن معنى تنووا فَعدّي بنفسه، و إلّا فهو يتعدّى بعلى.

واليوم الذي أبهمه عليه السلام بقوله «ذات يوم» في بعض الروايات أنّه كان آخر جمعة من شعبان.

وعطف «فقال» على «خطبنا» بالفاء التعقيبية مع أنّه لا تعقيب بين الخطبة والقول إمّا على تأويل أراد أن يخطبنا كما قالوه في قوله تعالى:

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ٢٩٧ باب ٢٨. أمالي الصدوق: مجلس ٢٠ ص ٨٢.

(٢) البقرة: ٢٣٥.

﴿كم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون﴾[١] من أنّه بتأويل أردنا إهلاكها، أو على ماذكره بعض المحقّقين من النحاة من أنّ التعقيب في الفاء على نوعين: حقيقي معنوي نحو: جاء زيد فعمر، و مجازي ذكري وهو عطف مفصّل على مجمل كقوله تعالى: ﴿ونادى نوح ربّه فقال ربّ إنّ ابني من أهلي﴾[٢] ونحو قولك: توضّأت فغسلت وجهي ويديَّ و مسحت رأسي و رجلي، فانّ التفصيل حقّه أن يتعقّب الإجمال.

﴿ **إنّه قد أقبل إليكم شهر الله** ﴾: تأكيد الحكم بـ«انّ» مع أنّ قرب شهر رمضان ممّا لاينكره المخاطب ولايتردّد فيه لعلّه من إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر بجعل غير المنكر كالمنكر إذا لاح عليه شيء من أمارات الإنكار، كقوله: «إنّ بني عمّك فيهم رماح» فالمخاطبون كأنّهم لمّا لم يستعدّوا ولم يتهيّأوا لدخوله بالخروج من المظالم والتبعات وتهيئة الأقوات لتفطير الصائمين والصدقات ولم يحصل لهم الفرح والاستبشار بإقبال هذا الشهر العظيم الذي يغفر فيه الخطيئات وتستجاب فيه الدعوات جُعلوا كأنّهم منكرون لإقباله عليهم فخوطبوا خطاب المنكر، مع المبالغة في التأكيد بالإبهام بضمير الشأن ثمّ التفسير بقد التحقيقية.

ولايبعد كون التأكيد جارياً على مقتضى الظاهر نظراً الى أنّ الحكم ليس مجرّد إقبال الشهر، بل هو إقباله مصاحباً للبركة والرحمة والمغفرة.

ولعلّ هذا الحكم المقيّد ممّا يشكّ فيه بعض الحاضرين أو ينكره بعض المنافقين فخطابهم جميعاً بالحكم المؤكّد من قبيل تغليب المتّصف بأمر على غير المتّصف به.

و إسناد الإقبال الى الشهر مجاز عقلي. و لك أن تجعل التجوّز في الطرف لا في النسبة، إمّا في المسند بجعل الإقبال مجازاً عن القرب أو في

---

(١) الأعراف: ٤.

(٢) هود: ٤٥.

المسند اليه على طريقة الاستعارة بالكناية.

ويمكن طيّ الكشح عن التجوّز في المفرد بأن يعتبر تشبيه التلبّس الغير الفاعلي بالتلبّس الفاعلي و يستعمل فيه اللفظ الموضوع لإفادة التلبّس الفاعلي فيصير الكلام استعارة تمثيلية كما في: أراك تقدّم رجلاً و تؤخّر أُخرى.

و إضافة «الشهر» الى «الله تعالى» لعلّه لمزيد الاختصاص المفهوم ممّا نطق به الحديث القدسي الذي رواه العامّة والخاصّة: «إنّ الله تعالى يقول: إنّ الصوم لي وأنا أجزي عليه»[١].

و إمّا إشعار بأن رمضان من أسمائه تعالى كما رواه الشيخ الجليل قدوة المحدّثين محمدبن يعقوب الكليني طاب ثراه في كتاب الكافي، عن عدّة من أصحابنا، عن أحمدبن محمد، عن أحمدبن أبي نصر، عن هشام بن سالم، عن سعدبن سالم قال: كنّا عند أبي جعفر محمدبن عليّ الباقر عليه السلام فذكرنا رمضان، فقال عليه السلام: لاتقولوا هذا رمضان، ولا ذهب رمضان، ولاجاء رمضان، فانّ رمضاناسم منأسماءالله تعالى،وهو عزّوجلّ لايجيء و لايذهب، ولكن قولوا: شهر رمضان. الحديث[٢].

﴿ فانّ الشقي من حرم غفران الله ﴾: قصر اسم انّ على خبرها للمبالغة في شقاوة المحروم من الغفران في هذا الشهر، كأنّه لاشقي غيره على ماقالوا في نحو: «الأمير زيد والشجاع عمرو» من أنّ اللام إن حمل في المقام الخطابي على الاستغراق كان بمنزلة «كلّ أمير زيد وكلّ شجاع عمرو» و إن حُمل على الجنس أفاد أنّ زيداً جنس الأمير وعمراً جنس الشجاع متّحدان في الخارج. وكيف كان فالقصر الادّعائي حاصل.

﴿ وتصدّقوا على فقرائكم ومساكينكم ﴾: ربّما استدلّ بعطف

---

(١) الكافي: ج ٤ ص ٦٣ ح ٦، صحيح البخاري: ج ٣ ص ٣١، صحيح مسلم: ج ٣ ص ١٥٧.

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٦٩ ح ٢.

أحدهما على الآخر على تخالفهما، ولاخلاف في اشتراكهما في وصف عدميّ هو عدم وفاء الكسب والمال بمؤونتهومؤونةالعيال، إنّما الخلاف فيْ أنّ أيّهما هو الذي لا مال له ولا كسب بالكلّية، وهذا معنى في أنّ أيّهما أسوء حالاً.

فقال الفرّاء وثعلب وابن السكيت: هو المسكين، وبه قال أبو حنيفة. و وافقهم من علماء الشيعة الإمامية[1] ابن الجنيد[2] وسلّار[3] والشيخ الطوسي في النهاية[4] لقوله تعالى: ﴿أومسكيناً ذا متربة﴾[5] وهو المطروح على التراب لشدّة الاحتياج، ولأنّ الشاعر قد أثبت للفقير مالاً في قوله:

أمّا الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يُترك له سَبَدُ[6]

وقال الأصمعي: الفقير أسوء حالاً، وبه قال الشافعي، ووافقه من الإمامية المحقّق محمد بن إدريس الحلّيّ[7] والشيخ أبو جعفر الطوسي في المبسوط[8] والخلاف[9] لأنّ الله تعالى بدأ به في آية الزكاة[10] و هو يدلّ على الاهتمام بشأنه في الحاجة، ولاستعاذة النبيّ صلّى الله عليه وآله

---

(١) في هامش (م): ممّن صرّح بأنّ المعنى هو هذا فخر المحقّقين في الإيضاح، ويدلّ عليه أيضاً كلام الصحاح، ولو كان الخلاف في أنّ أيّهما أقلّ من الآخر لما صحّ الاستدلال بالكسب وآية السفينة (منه دام ظلّه العالى)

(٢) مختلف الشيعة: ج ٢ ص ١٩٨.

(٣) المراسم: ص ١٣٢.

(٤) النهاية ونكتها: ج ١ ص ٤٣٣ باب مستحقّ الزكاة.

(٥) البلد: ١٦.

(٦) وفي صحاح اللغة: مالَه سَبدٌ ولا لَبد: أي لا قليل ولا كثير.

(٧) السرائر: ج ١ ص ٤٥٦.

(٨) المبسوط: ج ١ ص ٢٤٦.

(٩) الخلاف: ج ٢ كتاب قسمة الصدقات مسألة (١٠).

(١٠) التوبة: ٦٠ وهي قوله تعالى: ﴿إنّما الصدقات للفقراء والمساكين﴾.

وسلّم من الفقر؛ مع قوله: «اللّهمّ أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني مع المساكين»[1] و لأنّ الفقر مأخوذ من كسر الفقار من شدّة الحاجة.

و إثبات الشاعر المال للفقير لايوجب كونه أحسن حالاً من المسكين فقد أثبت تعالى للمساكين مالاً في آية السفينة[2].

والحقّ أنّ المسكين أسوء حالاً من الفقير، لا لما ذكر، بل لما رواه شيخ الطائفة محمدبن‌الحسن الطوسي قدّس‌الله روحه في كتاب التهذيب، عن محمدبن يعقوب، عن عليّ بن ابراهيم، عن أحمدبن محمد، عن أحمد ابن خالد، عن عبدالله بن يحيى، عن عبدالله بن مسكان، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: قول الله عزّوجلّ: ﴿انّما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ قال: الفقير الذي لايسأل الناس، والمسكين أجهد منه، والبائس أجهدهم... الحديث[3].

وهذا حديث صحيح. وقوله عليه السلام: «الفقير الذي لايسأل الناس» الظاهر أنّه كناية عن أنّ له مالاً أو كسباً في الجملة، وهو يقنع به و كان قاصراً عن مؤونته ولا يسأل الناس.

وقوله عليه السلام: «المسكين أجهد منه» أي أشقّ حالاً. والجهد: بالفتح المشقّة، بمعنى أنّه لا مال ولا كسب له أصلاً[4].

وعلى هذا فيشكل جعل البائس أجهد منه، اللّهمّ إلّا أن يعتبر فيه الضعف البدني كالزمانة ونحوها كما اعتبره قتادة في الفقير.

---

(١) الجامع الصغير: ج ١ ص٥٦.

(٢) الكهف: ٧٩ وهي قوله تعالى: ﴿أمّا السفينة فكانت لمساكين﴾.

(٣) تهذيب الأحكام: ج ٤ ص ١٠٤ ح ٣١ باب زيادات الزكاة. الكافي: ج ٣ ص ٥٠١ ح ١٦.

(٤) في هامش(م): إنّما حملنا على هذا المعنى لما من أنّ الخلاف في أنّ أيّها أسوء حالاً معناه أنّ أيّهما هو الّذي لامال ولا كسب له.(منه دام ظلّه).

وتظهر فائدة الخلاف في الترادف والتخالف فيما لو أُريد بسط الزكاة على الأصناف الثمانية أو نذر أو أوصى للفريقين معاً.

قيل: وتظهر أيضاً في الكفّارة فإنّها مخصوصة بالمسكين.

وردّ[١] بأنّه لاخلاف في أنّه إذا ذكر أحدهما وحده دخل الآخر، انّما الخلاف فيما إذا ذُكرا معاً. وقد نصّ الشيخ وغيره على ذلك. وفيه مافيه.

﴿ ووقّروا كباركم ﴾: التوقير: التعظيم والاحترام. والمراد بالكبار مايشمل الكبار سنّاً أو شأناً كالمعلّمين.

﴿ وصلوا أرحامكم ﴾: قصر بعض العلماء الرحم على من يحرم نكاحه. والظاهر أنّه كلّ من عرف نسبه وإن بَعُد.

ويؤيّده ما رواه عليّ بن ابراهيم في تفسير قوله تعالى: ﴿فهل عسيتم إن تولّيتم أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم﴾[٢] أنّها نزلت في بني أُميّة وما صدر منهم بالنسبة الى أئمّة أهل البيت عليهم السلام[٣].

والظاهر حصول الصلة بأقلّ مايسمّى برّاً وإحساناً، وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «صلوا أرحاكم ولو بالسلام»[٤].

﴿ وتحنّنوا على أيتام المسلمين ﴾: الحنين الى الشيء: توقان النفس إليه. والحنان: الرحمة، ومنه الحنّان بالتشديد.

﴿ وأنفسكم مرهونة بأعمالكم ﴾: قد يعتبر تشبيه توقّف خلاص النفس من العذاب على العمل الصالح بتوقّف تخليص الرهن على أداء الدين، ليكون الكلام استعارة بالكناية. والصحيح أنّه تشبيه بليغ لا

---

(١) في هامش(م): هذا الردّ مذكور في كلام أصحابنا المتأخّرين كالشيخ أحمدبن فهد ومن تأخّر عنه (منه دام ظلّه).

(٢) محمّد: ٢٢.

(٣) تفسير القميّ: ج ١ ص ٣٠٨ في ذيل تفسير آيه(٢٢) من سورة محمّد.

(٤) بحارالأنوار: ج ٧٤ ص ١٠٤.

استعارة، لأنّ الطرفين مذكوران. وقس عليه قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «وظهوركم ثقيلة الى آخره».

﴿ **ولايروعهم** ﴾: بالتشديد أي لايفزعهم والروع بالفتح: الفزع، و روّعت فلاناً إذا فزّعته.

﴿ **اتقوا النار ولو بشقّ تمرة** ﴾: أي ولو كان الاتّقاء بشقّ تمرة، فحذفت كان مع اسمها. وهذه الواو واو الحال عند صاحب الكشّاف و إعتراضية عند بعض المحقّقين،وعاطفة على محذوف عند بعضهم، فإنّهم قالوا في قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «اطلبوا العلم ولو بالصين»[١] أنّ التقدير: اُطلبوا العلم لو لم يكن بالصين ولو كان بالصين.

والشقّ بالكسر: نصف الشيء.

﴿ **كان له ثواب من أدّى سبعين فريضة** ﴾: المراد بالسبعين إمّا العدد الخاصّ أو معنى الكثرة، فانّ السبعين جارٍ مجرىٰ المثل في الكثرة كما قالوه في قوله تعالى: ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم﴾[٢].

وقد يقال في وجه تخصيص السبعين بذلك من بين سائر الأعداد أنّها تكرير ماهو أكمل الآحاد، أعني السبعة بعدّه عدد كامل هو العشرة لاشتماله على جميع مخارج الكسور التسعة، و لأنّ جميع مافوقه يحصل بإضافة الآحاد إليه أو بتكريره أو بهما معاً.

ووجه أكملية السبعة اشتمالها على جملة أقسام العدد، لأنّه إمّا زوج أو فرد، إمّا أوّل أو غير أوّل، و إمّا منطق أو أصم، و إمّا مجذور أو غير مجذور، و إمّا تامّ أو زائد أو ناقص، و إمّا زوج الزوج أو زوج الفرد. وقد اشتملت السبعة على جميع هذه الأنواع إلّا الزائد والفرد غير الأوّل.

﴿ **ثقّل الله ميزانه** ﴾: ثقل الميزان كناية عن كثرة الحسنات و

---

(١) عوالي اللئالي: ج ٤ ص ٧٠ ح ٣٧.

(٢) التوبة: ٨٠.

رجحانها على السيئات.

وقد اختلف أهل الإسلام في أنّ وزن الأعمال الوارد في الكتاب والسنّة هل هو كناية عن العدل والإنصاف والتسوية أو المراد به الوزن الحقيقي؟ فبعضهم على الأوّل لأنّ الأعراض لايعقل وزنها، وجمهورهم على الثاني للوصف بالخفّة والثقل في القرآن والحديث، والموزون صحائف الأعمال أو الأعمال نفسها بعد تجسيمها في تلك النشأة.

﴿ **الورع عن محارم الله** ﴾: للورع عندهم درجات أربع:

الأولى: ورع التائبين: وهو مابه يخرج الإنسان عن الفسق، وهو المصحّح لقبول الشهادة.

الثانية: ورع الصالحين. وهو التوقّي من الشبهات، فإنّ مَن رتع الحمى أوشك أن يدخله قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: دع مايريبك الى مالايريبك[1].

الثالثة: ورع المتّقين. وهو ترك الحلال الذي يتخوّف أن ينجر الى الحرام، كما قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لايكون الرجل من المتّقين حتّى يدع ما لابأس به مخافة مابه بأس»[2] وذلك مثل الورع عن التحدّث بأحوال الناس مخالفة أن ينجر الى الغيبة.

الرابعة: ورع الصدّيقين: وهو الإعراض عمّا سوى الله تعالى خوفاً من صرف ساعة من العمر فيما لايفيد زيادة القرب عندالله عزّوجلّ وان كان معلوماً أنّه لاينجر الى حرام ألبتة.

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم في هذه الخطبة: الورع عن محارم الله ظاهر في المرتبة الأُولى من الورع. ولايبعد إدراج الثانية والثالثة فيه

---

(١) الجامع الصغير: ج ٢ ص ١٥.

(٢) سنن ابن ماجه: ج ٢ ص ١٤٠٩ ح ٤٢١٥.

كما لا يخفى.

﴿ **على قرنك** ﴾: القرن أحد جانبي الرأس.

﴿ **وذلك في سلامة من ديني** ﴾: المشار إليه بذلك هو شهادته عليه السلام المدلول عليها بالكلام السابق. و«في» بمعنى «مع» كما في قوله تعالى: ﴿ادخلوا في أُمم قد خلت من قبلكم من الجنّ والإنس في النار﴾[١].

و«من» بمعنى «في» كما في قوله تعالى: ﴿إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة﴾[٢].

هداية فيها دراية

[في حمل «خطبنا» على تضمين معنى «وعظنا»]

ماذكرناه في قوله عليه السلام «خطبنا» من الحمل على التضمين أولى من الحمل على النصب بنزع الخافض، فانّ التضمين أكثر وروداً في اللغة وأدقّ مسلكاً، فهو على تقدير المجازية أولى من الإضمار.

والحقّ أنّه حقيقة لا إضمار فيه، وليس اللفظ مستعملاً في كلا المعنيين ولاالمعنى الآخر مراداً بلفظ مقدّر على حدة ليلزم ذلك، بل اللفظ مستعمل في معناه الحقيقي، وهو المقصود منه أصالة ولكن قصد بتبعيته معنى آخر من غير أن يستعمل فيه ذلك اللفظ أو يقدّر لفظ آخر. فلفظ «خطب» مستعمل في معناه أصالة، وتعديته بنفسه مشعر بتبعية معنى الوعظ له.

وكذلك لفظ «تكبّروا» في قوله تعالى: ﴿ولتكبّروا الله على ماهداكم﴾[٣] مستعمل في معناه، وتعديته بـ«على» يشعر باستتباعه معنى

---

(١) الأعراف: ٣٨.

(٢) الجمعة: ٩.

(٣) البقرة: ١٨٥.

الحمد من دون تجوّز ولا إضمار، فتأمّل.

إشارة فيها إنارة[١]

[في كيفيّة وزن الأعمال]

الحقّ أنّ الموزون في النشأة الأُخرىٰ هو نفس الأعمال لاصحائفها. وما يقال من أنّ تجسّم العرض طولاً خلاف طور العقل فكلام ظاهري عامّي. والذي عليه الخواصّ من أهل التحقيق أنّ نسخ الشيء وحقيقته أمر مغاير لصورته التي يتجلّى بها على المظاهر[٢] الظاهرة ويلبسها لذي المدارك الباطنة، وأنّه يختلف ظهوره في تلك الصور بحسب اختلاف المواطن والنشآت فيلبس في كلّ موطن لباساً ويتجلبب في كلّ نشأة بجلباب، كما قالوا: إنّ لون الماء لون إنائه.

وأمّا الأصل الذي تتوارد هذه الصور عليه ويعبّرون عنه تارة بالنسخ و مرّة بالوجه وأُخرى بالروح فلا يعلمه إلّا علّام الغيوب، فلا بُعد في كون الشيء في موطن عرضاً وفي أُخرى جوهراً. ألا ترى الى الشيء المبصر فانّه انّما يظهر لحسّ البصر إذا كان محفوفاً بالجلابيب الجسمانية ملازماً لوضع خاصّ وتوسّط بين القرب والبعد المفرطين وأمثال ذلك، وهو يظهر في الحسّ المشترك عريّاً من تلك الأُمور التي كانت شرط ظهوره لذلك الحسّ، ألا ترى الى ما يظهر في اليقظة من صورة العلم فانّه في تلك النشأة أمر عرضي ثمّ إنّه يظهر في النوم بصورة اللبن، فالظاهر في الصورتين نسخ واحد تجلّى في كلّ موطن بصورة، وتجلّى في كلّ نشأة بجلية، وتزيّى في كلّ عالم بزي، وتسمّى في كلّ مقام باسم، فقد تجسّم في مقام ماكان

---

(١) (ل): إشارة و إنارة.

(٢) (م): المشاعر.

عرضاً في مقام آخر، وعسى تظفر في هذا الكتاب بما تزيل عن قلبك الارتياب في هذا الباب إن شاء الله تعالى.

تتمّة

[توجيه «في» الظرفية في كلام أميرالمؤمنين عليه السلام]

لك أن تجعل الظرفية في قوله عليه السلام «في سلامة من ديني» ظرفية مجازية بتشبيه ملابسة قتله عليه‌السلام لسلامة الدين في الاجتماع معها بملابسة المظروف للظرف، فيكون لفظة في استعارة تبعيّة.

ولك أن تعتبر تشبيه المنتزعة من القتل وسلامة الدين ومصاحبة أحدهما الآخر بالهيئة المنتزعة من المظروف والظرف واصطحابهما، فيكون الكلام استعارة تمثيلية تركّب كلّ من طرفيها، لكنّه لم يصرّح من الألفاظ التي هي بازاء المشبّه به إلّا بكلمة «في»، فإنّ مدلولها هو العمدة في تلك الهيئة وماعداه تبع له فيلاحظ معه في ضمن ألفاظ منوية، فلا تكون لفظة «في» استعارة، بل هي على معناها الحقيقي.

ولك أن تشبّه سلامة الدين بما يكون محلّاً وظرفاً للشيء على طريقة الاستعارة بالكناية ويكون ذكر كلمة «في» قرينة وتخيّلاً على قياس ماذكره بعض المحقّقين في قوله تعالى: ﴿اولئك على هدى من ربّهم﴾[1].

وفي هذا المقام بحث طويل ليس هذا محلّه وقد أوردناه في حواشينا على المطوّل فمن أراده فليقف عليه هناك.

---

(١) البقرة: ٥.

الحديث العاشر

* أهمـيّة الحـجّ *

«... قال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لقيه أعرابي فقال: يا رسول الله إنّي خرجت أُريد الحجّ ففاتني و أنا رجل مُميل فمرني أن أصنع بمالي ماأبلغ به مثل أجر الحاجّ.

فالتفت إليه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و قال له: انظر الى أبي قبيس فلو أنّ أباقبيس ذهبة حمراء انفقته في سبيل الله مابلغت ما يبلغ الحاجّ.

ثمّ قال: إنّ الحاجّ اذا أخذ في جهازه لم يرفع شيئاً ولم يضعه إلّا كتب الله له عشر حسنات و محا عنه عشر سيئات. ورفع له عشر درجات، فإذا ركب بعيره لم يرفع خفّاً ولم يضعه إلّا كتب الله له مثل ذلك...».

تهذيب الأحكام: ج ٥ ص ١٩ ـ ٢٠ ح ٢

و بالسند المتصل الى الشيخ الأعظم محمد بن الحسن الطوسي، عن الشيخ الجليل محمد بن محمد بن النعمان المفيد، عن الصدوق محمد بن عليّ بن بابويه، عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفّار[1]، عن موسى بن القاسم، عن صفوان و ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه أميرالمؤمنين عليهم السلام قال:

إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لقيه أعرابي فقال: يا رسول‌الله إنّي خرجت اُريد الحجّ ففاتني و أنا رجل مُميل فمرني أن أصنع بمالي ما أبلغ به مثل أجر الحاجّ.

فالتفت إليه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقال له: انظر الى أبي قبيس فلو أنّ أباقبيس ذهبة حمراء انفقته في سبيل الله مابلغت مايبلغ الحاجّ.

ثمّ قال: إنّ الحاجّ اذا أخذ في جهازه لم يرفع شيئاً

---

(١) في هامش (م): هذا الحديث صحيح السند بناءً على أنّ محمدبن الحسن الصفّار هو ابن فروخ. و كلام أبي داود صريح في أنّ محمدبن الحسن الصفّار إثنان: ابن فروخ وغيره، والأوّل ثقة والثاني ممدوح. لكن الظاهر أنّ كليهما واحد وهوابن فروخ الثقة وأنّ أبي داود واهم في كلامه، والله أعلم بحقيقة الحال. (منه دام ظلّه).

و لم يضعه إلّا كتب الله له عشر حسنات و محا عنه عشر سيئات . و رفع له عشر درجات ، فإذا ركب بعيره لم يرفع خفّاً و لم يضعه إلّا كتب الله له مثل ذلك، فإذا طاف بالبيت خرج من ذنوبه، فإذا سعى بين الصفا والمروة خرج من ذنوبه ، فإذا وقف بعرفات خرج من ذنوبه، فإذا وقف بالمشعر الحرام خرج من ذنوبه ، فإذا رمى الجمار خرج من ذنوبه.

قال: فعدّد رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم كذا و كذا موقفاً إذا وقفها الحاجّ خرج من ذنوبه.

ثمّ قال : أنّى لك أن تبلغ مايبلغ الحاجّ[١].

بيـان

ما لعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ **لقيه أعرابي** ﴾: بفتح الهمزة منسوب الى الأعراب، وهم سكّان البادية خاصّة، ويقال لسكّان الأمصار عرب. وليس الأعراب جمعاً للعرب، بل هو ممّا لاواحد له، نصّ عليه في الصحاح[٢].

﴿ **وأنا رجل مُميل** ﴾: أي صاحب مال وثروة.

﴿ **انظر الى أبي قُبيس** ﴾: الظاهر أنّ المراد نظر العين إن كان هذا الكلام بمكّة وما قاربها، و إلّا فنظر القلب.

﴿ **إذا أخذ في جهازه** ﴾: أي شرع فيه. والجهاز بفتح الجيم وكسرها.

---

(١) تهذيب الأحكام: ج ٥ ص ١٩ ـ ٢٠ ح ٣.

(٢) صحاح اللغة: ج ١ ص ١٧٨ لغة «عرب».

﴿ **إلّا كتب الله له مثل ذلك** ﴾: أي عشر حسنات. ويجوز أن يراد بذلك مايعمّ محو السيئات ورفع الدرجات أيضاً.

﴿ **خرج من ذنوبه** ﴾: شبّه مفارقة الذنوب والتخلّص منها بالخروج من البيت وشبهه، فالكلام استعارة مصرّحة تبعية أو شبّه الذنوب بالشيء المحيط بالإنسان كالثوب ونحوه كما قال الله تعالى: ﴿وأحاطت به خطيئته﴾[١] فالكلام استعارة بالكناية، وذكر الخروج تخييل.

﴿ **فإذا سعى بين الصفا والمروة خرج من ذنوبه** ﴾: قد تكرّر ذكر الخروج من الذنوب في هذا الحديث مراراً، ولعلّ ذلك لتأكيد البُعد عنها والتنصّل عن تبعاتها، أو لأنّه يحصل بإزاء كلّ نسك من تلك المناسك الخروج من نوع من أنواع الذنوب فإنّها تتنوع الى مالية وبدنية، والبدنية الى قولية وفعلية، والفعلية تختلف باختلاف الآلات التي تفعل بها، إلى غير ذلك. وقد ورد في بعض الأخبار تنويعها الى مغيّرة للنعم ومنزلة للنقم و حابسة للرزق وهالكة للستور ومعجلة للفناء[٢]، وكما أنّ لكلّ دواء من الأدوية اختصاصاً بإزالة مرض من الأمراض لأسباب و خصوصيات لاتوجد في غيره فلعلّ لكلّ فعل من أفعال الحجّ اختصاصاً بتكفير نوع من أنواع الذنوب لمناسبات وخصوصيات لايعلمها إلّا علّام الغيوب. و يؤيّد ذلك ما أورده الغزالي في الإحياء عن الإمام جعفربن محمد الصادق عليه السلام بإسناده الى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «إنّ من الذنوب لايكفّرها إلّا الوقوف بعرفة»[٣] وامثال هذه الأخبار كثيرة، والله أعلم.

---

(١) البقرة: ٨١

(٢) في هامش (م): عن الصادق عليه السلام: الذنوب الذي تغيّر النعم: البغي، والذي يُنزل النقم: الظلم، والذي تحبس الرزق: الزنا ، والتي تهتك الستور: شرب الخمر، والتي تعجّل الفناء: قطيعة الرحم. (منه دام ظلّه).

(٣) إحياء علوم الدين:: ج١ ص١٨٨.

الحديث الحادي عشر

* جهاد النفس *

«... إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعث سرية، فلمّا رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر و بقي عليهم الجهاد الأكبر قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس. ثمّ قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه».

أمالي الصدوق: المجلس ٧١ ص ٤١٨، معاني الأخبار: ص ١٦٠

وبالسند المتصل الى الشيخ الصدوق محمدبن بابويه، عن الحسن بن إدريس، عن أبيه، عن أحمدبن محمدبن عيسى، عن محمدبن يحيى الخزاز، عن موسى بن إسماعيل، عن أبيه، عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه أميرالمؤمنين عليه الصلاة والسلام:

إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعث سرية، فلمّا رجعوا قال:مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس. ثمّ قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه[1].

بيان

مالعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ **بعث سرية** ﴾: السرية: القطعة من الجيش من خمسة أنفس الى ثلاثمائة أو أربعمائة.

---

(١) أمالي الصدوق: مجلس ٧١ ص ٤١٨، معاني الأخبار: ص ١٦٠.

﴿ مرحباً بقوم ﴾: الرحب بالضمّ: السعة، وبالفتح: الواسع. ونصب «مرحباً» بفعل لازم الحذف سماعاً كأهلاً وسهلاً، أي أتيت بكم رحباً وسعة.

والباء في «بقوم» إمّا للسببيّة أو للمصاحبة.

وعن المبرّد: انّ نصبه على المصدر، أي رحبت بلادك مرحباً.

﴿ جهاد النفس ﴾: أي قهرها و بعثها على ملازمة الطاعات، و مجانبة المنهيّات، و مراقبتها على ممرّ الأوقات، و محاسبتها على ماربحته و خسرته في دار المعاملة من السعادات، وكسر قواها البهيمية والسبعية بالرياضات والمجاهدات كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قد أفلح من زكّاها* وقد خاب من دسّاها﴾[1].

﴿ أفضل الجهاد من جاهد نفسه ﴾: هذا الخبر لايحمل على المبتدأ بحسب الظاهر، فلابدّ إمّا من جعل المصدر هنا بمعنى اسم الفاعل، أي أفضل المجاهدين من جاهد نفسه، أو أن يكون الخبر محذوفاً والتقدير: أفضل الجهاد جهاد من جاهد نفسه.

﴿ التي بين جنبيه ﴾: قد يظنّ أنّ فيه دلالة على عدم تجرّد النفس[2].

والحقّ أنّه لا دلالة فيه على ذلك، بل هو كفاية عن كمال قرب، فانّ تجرّد النفس ممّا لاينبغي أن يرتاب فيه. وقد قامت عليه البراهين العقليّة

---

(١) الشمس: ٩ ـ ١٠.

(٢) في هامش (م): ويمكن أن يُراد بالنفس هنا القوىٰ الحيوانية من الشهوة والغضب وأمثالهما، وإطلاق النفس على هذه القوىٰ سائغ. وقال الغزالي في كتاب مدارج القدس: تطلق النفس على الجامع للصفات المذمومة وهي القوىٰ الحيوانية المضادّة للقوىٰ العقلية، وهو المفهوم عند إطلاق الصوفية، و إليه الإشارة بقوله عليه السلام: «أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك» إنتهى كلامه. (منه دام بقاؤه).

وأشارت إليه الكتب السماوية والأخبار النّبويّة وشهدت له الأمارات السرية والمكاشفات الذوقية.

تبصرة

[في فضيلة جهاد النفس]

جهاد النفس أفضل الجهاد كما تضمّنه هذا الحديث، وقد تكفّل سبحانه للمجاهدين بأن يهديهم الطريق القويم والصراط المستقيم، قال سبحانه: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سُبُلنا﴾[١].

فيجب على كلّ شخص أن يجاهد نفسه بالمحاسبة والمراقبة و يصدّها عن الحظوظ الفانية الدنيّة و يضيّق عليها في حركاتها و سكناتها و خطراتها وخطواتها، فإنّ كلّ نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لاعوض لها يمكن أن يشترى بها كنز من الكنوز لايُتناهى نعيمه أبد الآباد، وانقضاء هذه الأنفاس ضائعة أو مصروفة الى مايجلب الهلاك خسران عظيم هائل لاتسمح به نفس عاقل.

فإذا أصبح العبد وفرغ من صلاة الصبح ينبغي أن يتوجّه الى نفسه و يقول: يا نفس ليس لي بضاعة إلّا العمر ومهما يفنى منه فهو من رأس المال، وهذا يوم جديد وقد أمهلني الله تعالى فيه، وأنعم عليّ به، ولو توفّاني لكنت تتمنين أن ترجعي الى الدنيا يوماً واحداً لتعملي فيه عملاً صالحاً، فافرضي أنّك توفّيت ثمّ رُددت، فإيّاك ثمّ إيّاك أن تضيّعي هذا اليوم، واعلمي أنّ هذا اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة، وقد ورد في الخبر:

«أنّه ينشر للعبد لساعات اليوم والليلة أربع وعشرون خزانة، فيفتح

---

(١) العنكبوت: ٦٩.

له منها خزانة فيراهامملوءةنوراً من حسناته التي عملها في تلك الساعة فينـاله من الفرح والسرور والاستبشار ما لو وُزِّع على أهل النار لأشغلهم ذلك عن الإحساس بألمِها.

وتفتح له خزانة اُخرى فيراها مظلمة يفوح نتنها، ويتغشّاه ظلامها، وهي الساعة التي عصى الله تعالى فيها، فيناله من الهول والفزع مالو قُسِّم على أهل الجنّة لنغَّص عليهم نعيمها.

وتفتح خزانة اُخرى فيراها فارغة ليس فيها شيء، وهي الساعة التي نام فيها أو اشتغل بشيء من مباحات الدنيا، فيتحسّر على خلوّها ويندم على مافاته من الربح العظيم الذي كان قادراً على تحصيله في تلك الساعة. وهكذا يعرض عليه خزائن أوقاته في طول عمره»[١].

فاجتهدي يانفس في هذا اليوم أن تـعمّري خـزائـنك ولاتـتركيها خالية من تـلك الكـنوز العـظيمة والسـعادات الجسـيمة ولاتـميلي الى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من الدرجات العليّة ماكـنت قـادرة على تحصيله بأدنى توجّه، وينالك ماينال التاجر القادر على الربح العظيم إذا أهمله وتساهل فيه، فلاتنفك عنك الحسرة أبداً، نعوذ بالله من ذلك.

تتـمّة

[في وقوع النفس الناطقة بين القوى المتضادّة]

النفس الإنسانية واقعة بين القوّة الشهوانية والقوّة العاقلة. فبالاُولى تحرص على تناول اللذات البدنية البهيمية كالغذاء والسفاد والتـغالب وسائر اللذات العاجلة الفانية، وبالاُخرى تـحرص عـلى تـناول العـلوم الحقيقية والخصال الحميدة المؤدّية الى السعادات الباقية الأبدية. والى

---

(١) عدّة الداعي: باب ٢ ص ١٠٣.

هاتين القوّتين أشار سبحانه بقوله: ﴿وهديناه النجدين﴾[١] وبقوله تعالى: ﴿انّا هديناه السبيل إمّا شاكراً و إمّا كفوراً﴾[٢] فإن جُعلت الشهوة منقادة للعقْل فقد فزت فوزاً عظيماً واهتديت صراطاً مستقيماً، و إن سلّطت الشهوة على العقل وجعلته منقاداً لها ساعياً في استنباط الحيل المؤدّية الى مراداتها هلكت يقيناً وخسرت خسراناً مبيناً.

واعلم انّك نسخة مختصرة من العالم فيك بسائطه و مركباته و مادّياته ومجرّداته، بل أنت العالم الكبير، بل الأكبر كما قال أميرالمؤمنين وسيّد الموحدين عليه السلام:

دواؤك فيك و ما تبصر   و داؤك منك و ما تشعر
وتزعم أنّك جرم صغير   وفيك انطوى العالم الأكبر[٣]

وما من شيء إلّا وأنت تشبهه من وجه لكنّ الغالب عليك أربعة أوصاف: الملكية والسبعية والبهيمية والشيطانية، فمن حيث الملكية تتعاطى أفعال الملائكة من عبادة الله سبحانه وطاعته والتقرّب إليه، ومن حيث الغضب تتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والهجوم على الناس بالضرب والشتم، ومن حيث الشهوة تتعاطى أفعال البهائم من الشره والشبق والحرص، ومن حيث الشيطانية تتعاطى أفعال الشياطين فتستنبط وجوه الشرّ وتتوصّل الى الأغراض بالمكر والحيل.

فكأنّ المجتمع في اهابك أيّها الإنسان ملك وكلب وخنزير وشيطان، فالكلب هو الغضب، والخنزير هو الشهوة. فإن اشتغلت بجهاد هذه الثلاثة ودفع كيد الشيطان ومكره بالبصيرة الناقدة وبكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه، إذ بالغضب تنكسر سورة الشهوة، وأذللت

---

(١) البلد: ١٠.

(٢) الدهر: ٣.

(٣) الديوان المنسوب لأميرالمؤمنين عليه السلام: ص ٥٧.

الكلب بتسليط الخنزير، وجعلت الكلّ مقهورين تحت السياسة اعتدل الأمر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكلّ على الصراط المستقيم، و إن لم تجاهدهم قهروك واستخدموك، فلا تزال في استنباط الحيل و تدقيق الفكر في تحصيل مطلوبات الخنزير ومرادات الكلب، فيكون دائماً في عبادة كلب وخنزير. وهذا حال أكثر الناس الذين همّتهم مصروفة الى البطن والفرج ومناقشة الخلق ومعاداتهم.

والعجب منك انّك تنكر على عبّاد الأصنام عبادتهم لها، ولو كشف الغطاء عنك وكوشفت بحقيقة حالك ومثّل لك ما يمثّل للمكاشفين إمّا في النوم أو اليقظة لرأيت نفسك قائماً بين يدي خنزير مشمّراً ذيلك في خدمته، ساجداً له مرّة وراكعاً اُخرى، منتظراً لاشارته وأمره، فمهما طلب الخنزير شيئاً من شهواته توجّهت على الفور الى تحصيل مطلوبه واحضار مشتهياته، ولأبصرت نفسك جاثياً بين يدي كلب عقور عابداً له، مطيعاً لما يلتمسه، مدقّقاً للفكر في الحيل الموصلة الى طاعته، وأنت بذلك ساع فيما يرضي الشيطان و يسرّه، فإنّه هو الذي يهيّج الخنزير والكلب و يبعثهما على استخدامك، فأنت من هذا الوجه عابد للشيطان وجنوده، و مندرج في المخاطبين المعاتبين يوم القيامة بقوله تعالى: ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لاتعبدوا الشيطان انّه لكم عدوّ مبين﴾[1].

فليراقب كلّ عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده لئلّا يكون ساعياً طول عمره في عبادة هؤلاء، وهذا غاية الظلم، حيث صيّر المالك مملوكاً والسيّد عبداً والرئيس مرؤوساً، إذ العقل هو المستحقّ للسيادة والرئاسة والاستيلاء، وهو قد سخّره لخدمة هؤلاء، وسلّطهم عليه و حكّمهم فيه.

---

(١) يس: ٦٠.

قال بعض المفسّرين عند قوله تعالى: ﴿و سخّر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً انّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون﴾[١] وقد سخّر لك الكون وما فيه لئلّا يسخّرك منه شيء وتكون مسخّراً لمن سخّر لك الكلّ، فإن جعلت نفسك مسخّرة لما في الكون أسيرة للذات الفانية فقد جهلت فضل الله لديك، وكفّرت نعمته عليك، إذ خلقك عبداً لنفسه حرّاً من الكلّ، فاستعبدك الكلّ ولم تشتغل بعبودية الحقّ بحال.

---

(١) الجاثية: ١٣.

الحديث الثاني عشر

❊ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ❊

❊ وشرائطهما ❊

«... قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: إنّ الله عزّوجلّ يبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له.
قيل له: و ما المؤمن الذي لا دين له يا رسول الله؟
قال: الذي لاينهى عن المنكر.
قال مسعدة: و سُئل أبو عبدالله عليه السلام عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أواجب هو على الأُمّة جميعاً؟ فقال: لا. فقيل له: و لم؟ قال: إنّما هو على القويّ المطاع العالم بالمعروف من المنكر، لا على الضعفةِ الذين لايهتدون سبيلاً. والدليل على ذلك من كتاب الله عزّوجلّ قوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أُمّة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر﴾ فهذا خاصّ غير عامّ، كما قال الله عزّوجلّ: ﴿ومن قوم موسى أُمّة يهدون بالحقّ و به يعدلون﴾».

الكافي: ج٥ ص٥٩ ح١٥ و١٦

و بالسند المتصل عن الشيخ الجليل محمدبن يعقوب، عن عليّ بن ابراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة عن الإمام أبي عبدالله جعفربن محمد الصادق عليه السلام قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ الله عزّوجلّ يبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له.

قيل له: وما المؤمن الذي لا دين له يارسول الله؟

قال: الذي لاينهى عن المنكر[1].

قال مسعدة: و سُئل أبو عبدالله عليه السلام عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أواجب هو على الأُمّة جميعاً؟ فقال:لا. فقيل له: ولم؟ قال: إنّما هو على القويّ المطاع العالم بالمعروف من المنكر، لا على الضعفةِ الذين لايهتدون سبيلاً. والدليل على ذلك من كتاب الله عزّوجلّ قوله تعالى: ﴿ ولتكن منكم أُمّة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر﴾ فهذا خاصّ غير عامّ، كما قال الله عزّوجلّ: ﴿ومن قوم

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ٥٩ ح ١٥.

موسى أُمّة يهدون بالحقّ وبه يعدلون﴾[١].

بيـان

ما لعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ ليبغض المؤمن الضعيف ﴾: أي ضعيف الإيمان، والمراد أنّه سبحانه يعامله معاملة المبغض مع من أبغضه ويوصل إليه مايترتّب على البغضاء من الجزاء السيء. وهكذا أكثر مايوصف به سبحانه فإنّه إنّما يؤخذ باعتبار الغايات لا المبادئ.

﴿ الذي لاينهى عن المنكر ﴾: المراد به القبيح، أعني الحرام. والمراد بالمعروف الذي يذكر في مقابله: الفعل الحسن المشتمل على رجحان فيختصّ بالواجب والمندوب، ويخرج المباح والمكروه وان كانا داخلين في الحسن. «وسُئل أبو عبدالله عليه السلام... الى آخره». المراد بالمعروف هنا الواجب، والمراد من السؤال عن وجوبهما على الأُمّة جميعاً وجوبهما على كلّ واحد منهم عالماً كان أو جاهلاً، مؤثّراً أمره ونهيه أو غير مؤثّر.

﴿ والدليل على ذلك ﴾: أي على أنّ الوجوب إنّما هو على بعض الأُمّة، فالمشار إليه بذلك هو الأمر اللازم من حصر الوجوب على من صفته كذا وكذا، لانفس الحصر كما هو ظاهر.

﴿ ولتكن منكم أُمّة ﴾: كلام الإمام عليه السلام صريح في أنّ «من» في الآية تبعيضيّة، وأمّا مافي بعض التفاسير من جعلها بيانية والمعنى كونوا أُمّة تأمرون بالمعروف فبعيد جدّاً.

﴿ فهذا خاصّ غير عامّ ﴾: أي طلب الأمر بالمعروف والنهي عن

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ٥٩ ح ١٦.

المنكر لا يعمّ الأُمّة جميعاً بل يختصّ ببعضهم.

تبصرة

[في أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هل هو واجب عيني أو كفائي؟]

اختلف أصحابنا في وجوب الحسبة، أعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هل هو عيني أو كفائي؟

فالشيخ[١] والمحقّق[٢] و ابن إدريس[٣] و جماعة من متأخّري علمائنا ومنهم شيخنا الشهيد في شرح الإرشاد[٤] والمحقّق الشيخ علي طاب ثراه[٥] على الأوّل. والسيد المرتضى[٦] وأبو الصلاح[٧] والعلّامة[٨] وبعض المتأخّرين كالشهيد الثاني[٩] على الثاني.

ولنمثّل محلّ النزاع بما لو كان في البلد شخص يترك الصلاة و يشرب الخمر مثلاً وفي البلد عشرة أشخاص يجوز كلّ منهم تأثير أمره ونهيه في ذلك الشخص من غير ضرر يلحقه، وشرع واحد منهم في أمره ونهيه وكان ترتّب الأثر على ذلك مظنوناً، فبمجرّد ذلك قبل حصول الأثر ـ أعني فعل الصلاة وترك شرب الخمر ـ هل يسقط وجوب الأمر والنهي عن التسعة الباقية أم يجب عليهم مشاركته في الأمر والنهي و عدم

---

(١) الاقتصاد: ص ١٤٧.

(٢) شرائع الإسلام: ج ١ ص ٢٥٨ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٣) السرائر: ج ٢ ص ٢٢.

(٤) روض الجنان في شرح الإرشاد: لايوجد لدينا الجزء الثاني.

(٥) جامع المقاصد: ج ٤ ص ٤٨.

(٦) نقله عنه ابن إدريس في السرائر: ج ٢ ص ٢٢.

(٧) الكافي في الفقه: ص ٢٦٤.

(٨) مختلف الشيعة: ج ٤ ص ٤٥٧.

(٩) اللمعة الدمشقية: ج ٢ ص ٤١٣.

تقاعدهم من ذلك الى أن يحصل الأثر؟

والقائلون بالوجوب العيني استدلّوا بصدر هذا الحديث، فإنّ ظاهره الوجوب العيني، وبأحاديث أُخرى يقارب مضمونها ذلك، كما روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام: من ترك إنكار المنكر بقلبه ويده ولسانه فهو ميّت في الأحياء(١).

وما روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال لأصحابه: قد حقّ لي أن آخذ البريء منكم بالسقيم، وكيف لايحقّ لي ذلك وأنتم يبلغكم عن الرجل منكم القبيح فلا تنكرونه عليه ولاتهجرونه وتؤذونه حتّى يتركه(٢). وأمثال هذه الأحاديث كثيرة. والاستدلال كما ترى.

والقائلون بالوجوب الكفائي استدلّوا بالآية الكريمة وبما تضمّنه آخر هذا الحديث.

ويخطر بالبال أنّ الآية والحديث إنّما يدلّان على عدم وجوبهما على كلّ واحد من آحاد الأُمّة، وهو كذلك، لأنّه ليس كلّ واحد منهم مستجمعاً لشرائط الوجوب. ولايدلّان على أنّهما يسقطان عن المستجمعين لشرائط الوجوب بقيام البعض منهم قبل ترتّب الأثر والنزاع ليس إلّا في هذا. وسقوطهما عن غير مستجمع الشرائط لايقتضي الوجوب الكفائي كما في الحجّ.

ولايبعد أن يقال إنّه إذا شرع أحد العشرة في المثال السابق بالأمر والنهي فإن ظنّ التسعة الباقون أنّ مشاركتهم له لاتثمر تعجيل ترتّب الأثر ولارسوخ الانزجار في قلب منَ يراد انزجاره بل وجودها في ذلك كعدمها فالمشاركة غير واجبة والوجوب على الكفاية، و إلّا فالوجوب على

---

(١) تهذيب الأحكام: ج٦ ص١٨١ ح٢٣.

(٢) تهذيب الأحكام: ج٦ ص١٨٢ ح٢٤.

العشرة عيني. وكلام ابن البرّاج يمكن تنزيله على هذا التفصيل، فقول العلّامة في المختلف[١] أنّ مذهبه هو مذهب السيّد بعينه محلّ نظر.

هذا وقد استدلّ العلّامة في التذكرة على الوجوب الكفائي بأنّ الغرض من الأمر والنهي وقوع المعروف وارتفاع المنكر، فمتى حصلا بفعل واحد كان الأمر والنهي من غيره عبثاً[٢] هذا كلامه.

وفيه: أنّه إن أراد بقوله «فمتى حصلا» الحصول الفعلي فهو خروج عن محلّ النزاع، و إن أراد الحصول بالقوّة فإن كان مراده أنّ الأمر والنهي من الغير حينئذٍ عبث في بعض الأوقات لم ينفعه أو دائماً منعناه. والسند -أي سند المنع-[٣] ماعرفت في التفصيل فتدبّر[٤].

تنبيه

[في الشروط الأربعة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]

تضمّن هذا الحديث بعض شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمشهور منها أربعة:

الأوّل: علم الآمر والناهي وتمييزه بين المعروف والمنكر.

الثاني: إصرار المأمور والمنهي على الذنب وعدم ظهور أمارة الإقلاع.

---

(١) مختلف الشيعة: ج ٤ ص ٤٥٨.

(٢) تذكرة الفقهاء: ج ١ ص ٤٥٨ مسألة اختلف علماؤنا في وجوبهما -الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- الى الأعيان أو على الكفاية...

(٣) «أي سند المنع» ليس في (م).

(٤) وجه التدبّر: إنّ كلام العلّامة طاب ثراه من أنّ الفرض في الأمر والنهي هو نفس وقوع المعروف و ارتفاع المنكر لاتعجيل ذلك و رسوخه في قلب المأمور والمنهي. فإذا علمنا أنّهما سيقعان بفعل الغير كان أمرنا أو نهينا غير داخلين فيما هو الفرض فيلحقان بالعبث. (منه دام ظلّه).

الثالث: تجويز التأثير.

الرابع: عدم توجّه ضرر مالي أو بدني أو عرضي الى الآمر والناهي ولاالى أحد من المسلمين بسببه.

وقد تضمّن هذا الحديث الشرط الأوّل والثالث.

ولايخفى أنّ هذه الأربعة إنّما هي شروط الحسبة التي باللسان أو اليد. وأمّا الحسبة القلبية المعبّر عنها بالإنكار القلبي فغير مشروطة بمجموع هذه الأربعة. وهي على أنواع:

الأوّل: اعتقاد وجوب مايترك وتحريم مايفعل وعدم الرضا به، وهو مشروط بالشرط الأوّل فقط.

الثاني: مقت مرتكب المعصية وبغضه على ارتكابها، وهو البغض في الله المأمور به في السنّة المطهّرة، وهو مشروط بالشرطين الأوّلين فقط.

الثالث: إظهار الكراهية بغير اللسان واليد كعدم المكالمة وترك المخالطة، وهو مشروط بالشروط الأربعة، وفي عدّه من أنواع الإنكار القلبي مسامحة.

ومن هذا يظهر أنّ ماذكره المحقّق والعلّامة وغيرهما من أنّ وجوب الإنكار القلبي مطلق أي غير مشروط بشيء من الشروط الأربعة غير مستقيم فليتأمّل[١].

ولايخفى أنّ إطلاق النهي على كلّ من مراتب الإنكار القلبي تجوّز، وكذا في إطلاق الأمر والنهي على كلّ من أنواع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سوى بعض أفراد الأمر والنهي اللساني وكأنّ ذلك صار حقيقة شرعيّة، فتخصيص التجوّز بالنوع الأوّل من أنواع الإنكار القلبي كما يظهر

---

(١) وجهه: أنّه يمكن أن يريد أولاً بالإنكار القلبي المرتبة الأُولى صفة و إطلاق المطلق عليه لأنّ توقّف الشيء على العلم والتميز بينه وبين غيره لالخروجه عن كونه واجباً مطلقاً. (منه دام ظلّه).

من كلام بعض علمائنا محلّ نظر.

هداية

[في الشرط الخامس للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]

هذه الشروط الأربعة هي المذكورة في كتب أصحابنا رضوان الله عليهم، وقد اشترط بعض العلماء شرطاً خامساً وهو أن لايكون الآمر والناهي مرتكباً للمحرّمات واشترط فيه العدالة، واستدلّ بقوله تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم﴾[١] وبقوله تعالى: ﴿ كبر مقتاً عندالله أن تقولوا ما لاتفعلون﴾[٢] وبما روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «مررت ليلة أُسري بي بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت: من أنتم؟ فقالوا: كنّا نأمر بالخير ولانأتيه وننهى عن الشر ونأتيه»[٣] وبأنّ هداية الغير فرع الاهتداء والإقامة بعد الاستقامة، ولهذا قيل انّ الإصلاح زكاة نصاب الصلاح.

والحقّ أنّه غير شرط، وأنّ الواجب على فاعل الحرام المشاهد فعله من غيره أمران: تركه و إنكاره، ولايسقط بترك إحداهما وجوب الآخر، والأحاديث الدالّة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شاملة للعدل والفاسق. والإنكار في الآيتين المذكورتين على عدم العمل بما يأمر به وبقوله لا على الأمر والقول، وكذلك ماتضمّنه حديث الإسراء. وأيضاً فالصغائر النادرة لاتخل بالعدالة ولفاعلها أن ينهى عن المنكر اتّفاقاً مع اندراجه في الآيتين والحديث، وما هو جوابكم فهو جوابنا.

---

(١) البقرة: ٤٤.

(٢) الصفّ: ٣.

(٣) ارشاد القلوب للديلمي: الباب الأوّل ص ٢١، تفسير الدرالمنثور: ج ١ ص ٦٤.

و أمّا حكاية الفرعية فكلام شعري، و أيضاً فلو تمّت دلائلكم لاقتضت عدم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلّا على المعصوم عليه السلام، ومن لم يقع منه من حين بلوغه أو حين توبته ذنب صغير ولا كبير فينسد باب الحسبة، والله أعلم.

الحديث الثالث عشر

❋ الإجمال في طلب الرزق ❋

«... قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في حجّة الوداع: ألا انّ الروح الأمين نفث في روعي أنّه لاتموت نفس حتّى تستكمل رزقها فاتّقوا الله واجملوا في الطلب ، ولايحملنّكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بشيء من معصية الله فإنّ الله تعالى قسّم الأرزاق بين خلقه حلالاً و لم يقسّمها حراماً ، فمن اتّقى الله و صبر آتاه رزقه من حلّه ، و من هتك حجاب ستر الله عزّوجلّ و أخذه من غير حلّه قُصَّ به من رزقه الحلال وحوسب عليه يوم القيامة».

الكافي: ج ٥ ص ٨٠ ح ١

وبسندي المتصل الى الشيخ الجليل محمدبن يعقوب، عن محمدبن يحيى، عن أحمد بن محمد و عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن أبي حمزة الثمالي، عن الإمام أبي جعفر محمدبن عليّ الباقر عليه السلام قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في حجّة الوداع: ألا انّ الروح الأمين نفث في روعي أنّه لاتموت نفس حتّى تستكمل رزقها فاتّقوا الله وأجملوا في الطلب، ولايحملنّكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بشيء من معصية الله فإنّ الله تعالى قسّم الأرزاق بين خلقه حلالاً ولم يقسّمها حراماً، فمن اتّقى الله وصبر آتاه رزقه من حلّه، و من هتك حجاب ستر الله عزّوجلّ و أخذه من غير حلّه قُصّ به من رزقه الحلال و حوسب عليه يوم القيامة[١].

بيان

مالعلّه يحتاج إلى البيان في هذا الحديث

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ٨٠ ح ١.

﴿**نفث في روعي**﴾: النفث بالنون والفاء والثاء المثلّثة بمعنى النفخ. والروع بالضمّ: القلب والعقل. والمراد أنّه أُلقي في قلبي وأُوقع في بالي.

﴿ **وأجملوا في الطلب** ﴾: أي لايكون كدّكم فيه كدّاً فاحشاً، و قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «اتّقوا الله واجملوا في الطلب» يحتمل معنيين:

الأوّل: أن يكون المراد اتّقوا الله في هذا الكدّ الفاحش، أي لاتقيموا عليه، كما تقول: «اتّق الله في فعل كذا» أي لاتفعله.

الثاني: أن يكون المراد أنّكم إذا اتقيتم الله لاتحتاجون الى هذا الكدّ والتعب، ويكون إشارة الى قوله تعالى: ﴿ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً * و يرزقه من حيث لايحتسب﴾[1].

﴿ **ولايحملنّكم** ﴾: أي لايبعثكم ويحدوكم، والمصدر المسبوك من أنّ المصدرية ومعمولها منصوب بنزع الخافض، أي لايبعثكم استبطاء رزقكم[2] على طلبه بالمعصية .

﴿ **قسّم الأرزاق بين خلقه حلالاً** ﴾: نصبه على الحالية أو المفعولية بتضمين قسّم معنى جعل.

﴿ **ومن هتك حجاب ستر الله** ﴾: هتك الستر: تمزيقه و خرقه . و إضافة الحجاب الى الستر إن قرأته بكسر السين بيانية وبفتحها لامية، وفي الكلام استعارة مصرَّحة مرشّحة تبعية.

﴿ **قصّ به** ﴾: بالبناء للمفعول من المقاصّة.

تبصرة

[في صحّة اطلاق الرزق على الحرام]

الرزق عندالأشاعرة كلّ ما انتفع به حيّ، سواء كان بالتغذّي أو بغيره،

---

(١) الطلاق : ٢ ـ ٣.

(٢) (ع): الرزق.

مباحاً كان أو حراماً. وخصّه بعضهم بما تربّى به الحيوان من الأغذية والأشربة.

وعند المعتزلة هو كلّ ما صحّ انتفاع الحيوان به بالتغذّي أو غيره وليس لأحد منعه منه. فليس الحرام رزقاً عندهم.

وقال الأشاعرة في الردّ عليهم: لو لم يكن الحرام رزقاً لم يكن المتغذّي به طول عمره مرزوقاً وليس كذلك لقوله تعالى: ﴿وما من دابّة في الأرض إلّا على الله رزقها﴾(١).

وفيه نظر، فإنّ الرزق عند المعتزلة أعمّ من الغذاء، وهم لم يشترطوا الانتفاع بالفعل. فالمتغذّي طول عمره بالحرام إنّما يردّ عليهم لو لم ينتفع مدّة عمره بشيء انتفاعاً محلّلاً ولا بشرب الماء والتنفّس في الهواء، بل ولا يمكن من الانتفاع بذلك أصلاً. وظاهر أنّ هذا ممّا لا يوجد، فلهم أن يقولوا لو مات حيوان قبل أن يتناول شيئاً محلّلاً ولا محرّماً يلزم أن يكون غير مرزوق، فما هو جوابكم فهو جوابنا.

هذا ولا يخفى أنّ الأحاديث المنقولة في هذا الباب متخالفة، والمعتزلة تمسّكوا بهذا الحديث، وهو صريح في مدّعاهم غير قابل للتأويل.

والأشاعرة تمسّكوا بما رووه عن صفوان بن اُميّة قال: «كنّا عند رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ جاء عمر بن قُرَّة فقال: يارسول الله انّ الله كتب عليّ الشقوة فلا أراني أُرزق الّا من دفّي بكفّي فاذن لي في الغناء من غير فاحشة. فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة. أي عدوّ الله لقد رزقك الله طيّباً فاخترت ماحرّم الله عليك من رزقه مكان ما أحلَّ الله لك من حلاله، أمّا أنّك لو قلت بعد هذه المقالة ضربتك ضرباً وجيعاً»(٢).

والمعتزلة يطعنون في سند الحديث تارة ويؤولونه على تقدير

---

(١) هود: ٦.

(٢) سنن ابن ماجه: ج ٢ ص ٨٧٢ كتاب الحدود، مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

سلامته أُخرى بأنّ سياق الكلام يقتضي أن يقال: فاخترت ماحرّم الله عليك من حرامه مكان ماأحلّ الله لك من حلاله، و إنّما قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من رزقه» مكان «من حرامه» فأطلق على الحرام اسم الرزق لمشاكلة قوله: «فلا أراني أُرزق» وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لقد رزقك الله» و هذا كما يقوله من يخصّ الثناء باللسان في قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم : «لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[1] أنّه من باب المشاكلة لقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ثناءً عليك» أنّ المراد «كما وصفت نفسك».

والمشاكلة وان كانت نوعاً من المجاز إلّا أنّها من المحسّنات المعنوية الكثيرة الورود في القرآن والحديث الفاشية في نظم البلغاء و نثرهم، فليس الحمل عليها ببعيد ليرتفع التعاند من البين ويزول التنافي بين الحديثين.

وتمسّك المعتزلة أيضاً بقوله تعالى: ﴿وممّا رزقناهم ينفقون﴾[2].

وقال الشيخ الجليل الطوسي في تفسيره الموسوم بالتبيان[3] ما حاصله: إنّ هذه الآية تدلّ على أنّ الحرام ليس رزقاً، لأنّه سبحانه مدحهم بانفاق الرزق، والانفاق من الحرام لايوجب المدح. وقد يقال أنّ تقديم الظرف يفيد الحصر، وهو يقتضي كون المال المنفق على ضربين: مارزقه الله وما لم يرزقه، وأنّ المدح إنّما هو على الانفاق ممّا رزقهم الله وهو الحلال، لا ممّا سوّلت لهم أنفسهم من الحرام، ولو كان كلّ ماينفقونه رزقاً من الله سبحانه لم يستقم الحصر، فتأمّل[4].

---

(١) سنن ابن ماجه: ج ١ ص ١٢٦٣ كتاب الدعاء.

(٢) البقرة: ٣.

(٣) التبيان: ج ١ ص ٥٧.

(٤) وجه التّأمّل: أنّ التقديم لاينحصر في أن يكون للحصر فقط، إذ يمكن أن يكون هاهنا للسجع. وأيضاً انّما أُستفيد من هذا كون الحلال رزقاً لأنّ الحرام ليس برزق مع أنّه المبحوث عنه وأيضاً يمكن أن يكون «من» في قوله تعالى ﴿ ممّا رزقناهم ﴾ للتبعيض.

الحديث الرابع عشر

* كتاب أمير المؤمنين عليه السلام *
* الى شريح القاضي في شراء بيت *

«... قال لي شريح: اشتريت داراً بثمانين ديناراً و كتبت كتاباً وأشهدت عدولاً، فبلغ أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فبعث اليّ مولاه قنبر فأتيته، فلمّا دخلت عليه قال: يا شريح اشتريت داراً وكتبت كتاباً وأشهدت عدولاً ووزنت مالاً؟

فقلت : نعم.

قال عليه السلام: يا شريح اتّق الله فإنّه سيأتيك من لاينظر في كتابك ولايسأل عن بيتك حتّى يخرجك من دارك شاخصاً و يُسلمك الى قبرك خالصاً، فانظر أن لاتكون اشتريت هذه الدار من غير مالكها، ووزنت مالاً من غير حلّه، فإذا أنت قد خسرت الدارين جميعاً الدنيا والآخرة...».

أمالي الصدوق: المجلس ٥١ ص٢٧٦

و بالسند المتصل الى الشيخ الجليل محمد بن بابويه، عن صالح بن عيسى بن أحمد ، عن محمد بن محمد بن علي ، عن محمد بن الفرج الرخجي ، عن عبدالله بن محمد العجلي ، عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسني، عن أبيه، عن أبان مولى زيد بن علي، عن عاصم بن بهدلة قال:

قال لي شريح: اشتريت داراً بثمانين ديناراً و كتبتُ كتاباً و أشهدت عدولاً، فبلغ أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فبعث اليّ مولاه قنبر فأتيته ، فلمّا دخلت عليه قال : يا شريح اشتريت داراً و كتبت كتاباً و أشهدت عدولاً و وزنت مالاً؟

فقلت : نعم.

قال عليه السلام: يا شريح اتّق الله فإنّه سيأتيك من لاينظر في كتابك و لا يسأل عن بيتك حتّى يخرجك من دارك شاخصاً و يُسلمك الى قبرك خالصاً ، فانظر أن لاتكون اشتريت هذه الدار من غير مالكها، و وزنت مالاً من غير حلّه ، فإذا أنت قد خسرت الدارين جميعاً الدنيا والآخرة.

ثمّ قال عليه السلام : يا شريح فلو كنت عندما

اشتريت هذه الدار أتيتني فكتبت لك كتاباً على هذه النسخة إذن لم تشترها بدرهمين.
قال: قلت: وما كنت تكتب ياأميرالمؤمنين؟
قال عليه السلام: كنت أكتب لك هذا الكتاب:
بسم الله الرحمٰن الرحيم. هذا مااشترى عبد ذليل من ميت أزعج بالرحيل. اشترى منه داراً في دار الغرور من جانب الفانين الى عسكر الهالكين، و تجمع هذه الدار حدوداً أربعة: فالحدّ الأوّل منها ينتهي الى دواعي الآفات، والحدّ الثاني منها ينتهي الى دواعي العاهات ، والحدّ الثالث منها ينتهي الى دواعي المصيبات، والحدّ الرابع منها ينتهي الى الهوى المردي والشيطان المغوي، و فيه يشرع باب هذه الدار. اشترى هذا المفتون بالأمل من هذاالمُزعج بالأجل جميع هذه الدار بالخروج من عزّ القنوع والدخول في ذُلّ الطلب. فما أدرك هذا المشتري من درك فعلى مُبلي أجسام الملوك ، و سالب نفوس الجبابرة مثل كسرى و قيصر و تُبّع و حِمْيَرَ و من جمع المال الى المال فأكثر، و بنى فشيّد، و نجّد فزخرف، وادخر بزعمهللولد إشخاصهم جميعاً الى موقف العرض لفصل القضاء و خسر هُنالك المبطلون .
شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوىٰ، و نظر بعين الزوال لأهل الدنيا ، و سمع منادي الزهد ينادي في عرصاتها : ما أبين الحقّ لذي

عينين! إنّ الرحيل أحد اليومين، تزوّدوا من صالح الأعمال، وقرّبوا الآمال بالآجال[١].

بيان

مالعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿**حتّى يخرجك من دارك شاخصاً**﴾:يقال: شخص بصره -بالفتح- فهو شاخص: إذا فتح عينيه وصار لايطرف. وهو هنا كناية عن الموت. و يجوز أن يكون من «شَخص من البلد» بمعنى ذهب وسار، أو من «شخص السهم» إذا ارتفع عن الهدف.

والمراد: يخرجك منها مرفوعاً محمولاً على أكتاف الرجال.

﴿ **ويسلمك الى قبرك خالصاً** ﴾: سلّمه إليه: أعطاه فتناوله منه. والمراد خالصاً من الدنيا وحطامها، ليس معك شيء منها.

﴿ **فانظر أن لاتكون اشتريت هذه الدار من غير مالكها** ﴾: أي تأمّل وتدبّر لئلّا تكون أو في أن لا تكون . والمصدر المسبوق منصوب بنزع الخافض أي تأمّل في عدم كونك شارياً لها من غير مالكها وفي أدائك ثمنها من غير حلّه وتفحّص عن ذلك لئلّا تكون واقعاً.

﴿ **فإذا أنت قد خسرت** ﴾: «إذا» هذه الفجائية كالواقعة في قوله تعالى: ﴿فإذا هم خامدون﴾[٢] أي فتكون مفاجئاً للخسران.

﴿ **اذن لم تشترها بدرهمين** ﴾: إذن: حرف جواب وجزاء، والأكثر وقوعها بعد «أن» و«لو». واختلف في رسم كتابتها، والجمهور بالألف والنون، والمازني بالنون، والفرّاء كالجمهور إن علمت وكالمازني إن

---

(١) أمالي الصدوق: مجلس ٥١ ص٢٧٦ ـ ٢٧٨ وفي آخر الحديث:فقد دنا الرحلة والزوال. ونهج البلاغة: ص ٣٦٤ الرسالة الثالثة «صبحي الصالح» مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

(٢) يس: ٢٩.

أهملت.

﴿ ازعج بالرحيل ﴾: بالبناء للمفعول من أزعجه فانزعج إذا أقلقه و قلعه من مكانه.

﴿ يجمع هذه الدار ﴾: أي يحويها ويحيط بها الهوى المهوي المردي: أي المُهلك، والردى: الهلاك، والمراد هنا هلاك الدين.

﴿ يشرع باب هذه الدار ﴾: يشرع بالبناء للمفعول بمعنى يفتح، يقول: أشرعت باباً الى الطريق أي فتحته .

﴿بالخروج من عزّ القنوع﴾:الباء للعوض،والقنوع بالضمّ:القناعة.

﴿ فما أدرك هذا المشتري من درك ﴾: «ما» شرطية، وأدرك بمعنى لحق، واسم الإشارة مفعوله.

وفي الصحاح: الدرك: التبعة، يحرّك ويسكّن، يقال: مالحقك من درك فعليّ خلاصة[1]. إنتهى.

﴿ فعلى مبلى أجسام الملوك ﴾: مُبلى كمكرم من البلاء بالكسر، وهو الدثور والاندراس، والجار والمجرور خبر مقدّم عن أشخاصهم.

﴿ مثل كسرى ﴾: وهو بكسر الكاف وفتحها لقب ملوك الفرس، وهو معرّب خسرو أي واسع الملك.

﴿ وقيصر ﴾: لقب ملك الروم.

﴿ وتُبّع ﴾: بضمّ التاء المثنّاة من فوق وتشديد الباء الموحّدة المفتوحة: ملك اليمن. وهو مفرد، وجمعه التبابعة.

﴿ وحمير ﴾: بكسر أوّله أبو قبيلة من اليمن كان منهم الملوك في الزمن السابق.

﴿ وبنى فشيّد ﴾: الشيد بكسر الشين مايُطلى به الحائط من الجصّ

---

(١) صحاح اللغة: ج ٤ ص ١٥٨٢ مادة «درك».

و نحوه، يقال: شاده يشيده شيداً بالفتح جصّصه، وهو مشيد أي معمول بالشيد، والمشيّد بالتشديد: المطوّل.

﴿ ونجَّد فزخرف ﴾: «نجَّد» بالنون والجيم المشدّدة والدال المهملة من النجدة، وهو ما ارتفع من الأرض. ويجوز أن يكون ممّا ينجد به البيت أي يزيّن من بسط وفرش ووسائد.

والزخرف بالضمّ: الذهب، وزخرفه: زيّنه.

﴿ إشخاصهم لفصل القضاء ﴾: أي ازعاجهم واحضارهم، الضمير للبائع والمبيع والمشتري وصاحب الدرك، أي أنّ الموت متعهّد ومتكفّل بإحضارهم جميعاً للقضاء الفصل، والكلام كلّه استعارات، ولا يخفى تفصيلها على الناقد البصير.

﴿ في عرصاتها ﴾: أي ساحاتها. والضمير إمّا للدار أو للدنيا، والأوّل أقرب وان كان أبعد.

﴿ ما أبين الحقّ لذي عينين ﴾: «ما» تعجبية أي ما أظهر الحقّ لصاحب البصيرة.

﴿ أنّ الرحيل أحد اليومين ﴾: أي كما أنّ لابن آدم يوم ولادة وهو يوم القدوم الى هذه الدار فله يوم رحيل عنها وهو يوم الموت، فينبغي أن لايزول عن خاطره بل يجعله أبداً نصب عينيه.

﴿ وقرّبوا الآمال بالآجال ﴾: أي قصّروها بتذكّر الموت الذي هو هادم اللذّات وفاضح الآمال.

إشارة

[التوجيه العرفاني للحديث]

يمكن أن تكون «الدار» في قوله عليه السلام «اشترى منه داراً» رمز الى هذه البُنية البدنية، والمشتري رمز الى النفس الناطقة الإنسانيّة العاكفة

على تلك البُنية الظلمانية المشغولة بها عن العوالم المقدّسة النـورانـيّة، والبائع رمز الى الأبوين اللذين منهما حصلت الأجزاء المنوية المـتكوّن منها البُنية التي مبدأها من جانب الفانين، ومآلها الى عسكر الهالكين.

ثمّ هذه البُنية أعني البدن وإن كان مركّباً للـنفس و وسـيلة لهـا الى تحصيل كمالاتها لكن قوّتها البهيميّة دواعي وأسباب لآفـات النـفس و عاهاتها ومصيباتها واتّباعها للهوىٰ والشيطان، فنزّل عليه السـلام تـلك الدواعي منزلة حدود الدار المكتنفة بها من جوانبها.

ولمّا كان الخروج من ولاية الله والدخول في ولاية الطاغوت يحصل باتّباع الهوى والشيطان ناسب أن يجعل باب تلك الدار في هذا الحدّ.

ولمّا كان ذلّ النفس وخروجها عن استغنائها الذي كانت عليه في عالمها النوراني ملازماً لعكوفها على هذا البدن الهيولائي ومسبّباً عـن تعلّقها به وشرائها له شبّهه عليه السلام بالثمن الذي هو من لوازم الشراء.

ولمّا كان الموت هو السائق الذي يسوق الخلق بأجمعهم طوعاً و كرهاً الى موقف القيامة ليقضي بينهم الحكم العدل وينتصف من المعتدي للمعتدى عليه شبّهه عليه السلام بشخص ضمن الدرك وتعهّد أن يحضر كلّ من له دخل في هذه المعاملة الى دار القضاء ليحكم بينهم ويقضي لمن له الحقّ بحقّه.

هذا ما خطر بالبال في معنى هذا الكلام. ولعلّ أمـيرالمـؤمنين أراد معنى آخر غير هذا لم يهتد نظري الكليل إليه، ولم يعثر فكري العـليل عليه، والله أعلم بحقيقة الحال.

الحديث الخامس عشر

* توبة عامل بني أُميّة وأداء حقوق الناس *

«... كان لي صديق من كتّاب بني أُميّة فقال: استأذن لي على أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فاستأذنت له فأذن له، فلمّا دخل و سلّم، جلس ثمّ قال: جعلت فداك إنّي كنت في ديوان هؤلاء القوم فأصبت من دنياهم مالاً كثيراً و أغمضت في مطالبه.
فقال أبو عبدالله عليه السلام: لـولا أنّ بني أُميّة وجدوا من يكتب لهـم ويـجبي لهـم الفـيء و يـقاتل عـنهم جماعتهم لما سلبونا حقّنا، و لو تركهم الناس و ما في أيديهم ما وجدوا شيئاً إلّا ما وقع في أيديهم...».

الكافي: ج٥ ص١٠٦ ح٤

و بالسند المتصل الى الشيخ الجليل محمد بن يعقوب، عن عليّ بن محمد بن بندار، عن إبراهيم بن إسحاق، عن عبدالله بن حمّاد، عن عليّ بن أبي حمزة قال:

كان لي صديق من كتّاب بني اُميّة فقال: استأذن لي على أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فاستأذنت له فأذن له، فلمّا دخل وسلّم، جلس ثمّ قال: جعلت فداك إنّي كنت في ديوان هؤلاء القوم فأصبت من دنياهم مالاً كثيراً و أغمضت في مطالبه.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: لولا أنّ بني اُميّة وجدوا من يكتب لهم ويجبي لهم الفيء و يقاتل عنهم جماعتهم لما سلبونا حقّنا، و لو تركهم الناس و ما في أيديهم ماوجدوا شيئاً إلّا ما وقع في أيديهم.

فقال الفتى: جعلت فداك فهل لي من مخرج منه؟

قال: إن قلت لك تفعل؟ قال: أفعل.

قال: فاخرج من جميع مااكتسبت في ديوانهم، فمن عرفت منهم رددت عليه ماله، و من لم

تعرفه تصدّقت به و أنا أضمن لك على الله الجنّة.
فأطرق الفتى طويلاً ثمّ قال : قد فعلت جعلت فداك.
قال ابن أبي حمزة: فرجع الفتى معنا الى الكوفة فما ترك شيئاً على وجه الأرض إلّا خرج منه حتّى ثيابه الّتي على بدنه.
قال: فقسمنا له قسمة وشرينا له ثياباً وبعثنا إليه بنفقة. قال: فما أتى عليه إلّا أشهر قلائل حتّى مرض فكنّا نعوده.
قال: فدخلت عليه يوماً و هو في السوق قال: ففتح عينيه ثمّ قال: يا عليّ وفى لي - والله - صاحبك.
قال: ثمّ مات وتولّينا أمره. فخرجت حتّى دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فلمّا نظر اليّ قال لي: يا علي وفينا والله لصاحبك.
قال: فقلت: صدقت جعلت فداك هكذا والله قال لي عند موته[١].

بيان

مالعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ من كتّاب بني اُميّة ﴾: أي من عمّالهم.

﴿ أغمضت في مطالبه ﴾: أي تساهلت في تحصيله ولم اجتنب من

(١) الكافي: ج ٥ ص١٠٦ ح ٤.

الحرام والشبهات. وأصله من غماض العين.

﴿ ويجبي لهم الفيء ﴾: يجبي بالجيم. أي يجمع، يقال: جبيت الخراج جباية، وجبوته جباوة، والمراد بالفيء الخراج.

﴿ إلّا خرج منه ﴾: أي فارقه وأخرجه من يده. وفي الكلام استعارة بالكناية و تخييل، شبّه المال بالشيء المخيط بالإنسان كالثوب و نحوه و أثبت له الخروج منه[١].

﴿ فقسمنا له قسمة ﴾: أي فرضنا له فيما بيننا شيئاً وقسّطناه على أنفسنا.

﴿ أشهر قلائل ﴾: الوصف بالقلائل لتأكيد القلّة فانّ أفعل من جموع القلّة وليس من المشتركات بين جمع القلّة والكثرة كأذرع ورجال ليكون الوصف مؤسّساً لمجيء شهور، فكأنّها كانت أقرب الى الثلاثة من العشرة.

﴿ و هو في السوق ﴾: أي في النزع.

تبصرة

[حرمة إعانة الظلمة حتّى إذا كان الفعل مباحاً]

يستفاد من قوله عليه السلام «لو لأنّ بني اُميّة... الى آخره» انّ إعانة الظالمين حرام ولو كانت بما هو مباح في نفسه لقوله عليه السلام: «ويشهد جماعتهم».

ويؤيّده مارواه الشيخ في الحسن عن ابن أبي يعفور قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أصحابه فقال له: أصلحك الله انّه ربّما أصاب الرجل منّا الضيق أو الشدّة فيدعى الى البناء يبنيه أو النهر يكريه أو المسنّاة يصلحها فما تقول في ذلك؟ فقال أبو عبدالله عليه

---

(١) قوله «وفي الكلام استعارة... الى قوله: الخروج منه» ليس في (ل).

السلام: ما أحبّ أن عقدت لهم عقدة أو وكيت لهم وكاء وأنّ لي مابين لابتيها لا و لامَدَّة بقلم؛ إنّ أعوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من نار حتّى يحكم الله بين العباد[١].

وفي الصحيح عن يونس بن يعقوب قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: لاتعنهم على بناء مسجد[٢].

و روى ابن بابويه، عن الحسن بن زيد، عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ألا ومَن علّق سوطاً بين يدي سلطان جائر جعل الله ذلك السوط يوم القيامة ثعباناً من نار طوله سبعون ذراعاً سلّطه الله عليه في نار جهنّم، وبئس المصير[٣].

وأمثال هذه الأحاديث كثيرة.

وهي كما ترى عامّة في الإعانة بالمحرّم والمباح بل المندوب.

وربّما يستأنس له بقوله تعالى: ﴿ولاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسّكم النار﴾[٤].

و يظهر من كلام بعض فقهائنا في مبحث المكاسب أنّ معونة الظالمين إنّما تحرم إذا كانت بما هو محرَّم في نفسه، وأمّا إعانتهم على تحصيل أموالهم و خياطة ثيابهم وبناء منازلهم مثلاً فليس بمحرَّم.

وهذا التفصيل إن كان قد انعقد عليه إجماع فلا كلام فيه، وإلّا فللنظر فيه مجال، فإنّ النصوص على ماقلناه متظافرة.

وأيضاً فعلى هذا لامعنى حينئذٍ لتخصيص الإعانة بالظالمين فانّ إعانة كلّ أحد بالمحرَّم محرَّمة، بل فعل المحرَّم في نفسه حرام، سواء كان

---

(١) تهذيب الأحكام: ج٦ ص٣٣١ ح٤٠.

(٢) تهذيب الأحكام: ج٦ ص٣٣٨ ح٦٢.

(٣) أمالي الصدوق: مجلس ٦٦ ص٣٨٧.

(٤) هود: ١١٣.

إعانة أو غير إعانة.

والعجب من العلّامة في التذكرة[1] حيث خصّ تحريم معونتهم بما يحرم، ثمّ استدلّ على ذلك بالروايات السالفة. وهي كما عرفت صريحة في خلاف ماادّعاه فتأمّل.

هذا والظاهر أنّ مرجع الإعانة الى العرف، فما سُمّي إعانة عرفاً حرام.

وما ينقل عن بعض الأكابر أنّ خياطاً قال إنّي أخيط للسلطان ثيابه فهل تراني داخلاً بهذا في أعوان الظلمة؟ فقال: الداخل في أعوان الظلمة من يبيعك الأبر والخيوط، وأمّا أنت فمن الظلمة أنفسهم. فالظاهر أنّه محمول على نهاية المبالغة في الاحتراز عنهم والاجتناب من تعاطي أُمورهم، و إلّا فالأمر مشكل جدّاً. نسأل الله العصمة والتوفيق.

هداية

[انكشاف أحوال النشأة الأُخرى عند الاحتضار]

ماتضمّنه هذاالحديث من قول ذلك الرجل عند حضور موته: «وفى لي والله صاحبك» يدلّ على أنّه ينكشف للإنسان عند الاحتضار بعض أحوال تلك النشأة ويظهرعليه أنّه من أهل السعادة أو الشقاوة كما ظهر لهذا الرجل وفاء الصادق عليه السلام بما ضمنه له من الجنّة.

وقد ورد في هذا المعنى أحاديث متكثّرة، فقد روى المخالف والمؤالف عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: لن يخرج أحدكم من الدنيا حتّى يعلم أين مصيره، وحتّى يرى مقعده من الجنّة أو النار[2].

و روى الشيخ الجليل ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني في

---

(١) تذكرة الفقهاء: ج ١ ص ٥٨٢ مسألة ويحرم معونة الظالمين على الظلم.

(٢) إحياء علوم الدين: ج ٤ ص ٤٥١.

كتاب الجنائز من الكافي في باب مايعاين المؤمن والكافر، عن عليّ بن عقبة، عن أبيه في حديث طويل قال: قال لي أبوعبدالله جعفربن محمد الصادق عليه السلام: يا عقبة لايقبل الله من العباد يوم القيامة إلّا هذا الأمر الذي أنتم عليه. وما بين أحدكم وبين أن يرى ماتقرُّ به عينه إلّا أن تبلغ نفسه الى هذه، ثمّ أهوى عليه السلام بيده الى الوريد.. الحديث[١].

وعن بعض أصحاب القلوب أنّه فتح عينيه وهو محتضر وتبسّم و قال: ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾[٢].

و نقل المحدّثون من أصحابنا أحاديث متكثّرة صريحة في أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأميرالمؤمنين عليه السلام يحضران عند كلّ محتضر ويبشّرانه بما يؤول إليه حاله من سعادة أو شقاوة. والأبيات التي عن أميرالمؤمنين عليه السلام في هذا المضمون في مخاطبة الحارث الهمداني مشهورة[٣] و في كثير من كتب السير مسطورة. رزقنا الله البشارة بالسعادة، و مَنَّ علينا جميعاً بالحُسنىٰ و زيادة، إنّه جواد كريم رؤوف رحيم.

---

(١) الصافّات: ٦١.

(٢) الكافي: ج٣ ص١٢٨ ح١.

(٣)إشارة الى قوله عليه السلام:

يا حار همدانَ من يَمُتْ يَرَني ... من مُومِنٍ أو مُنافقٍ قُبُلا

الحديث السادس عشر

* دعاء أداء القرض *

«... شكوت الى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ديناً كان عليّ فقال: يا عليّ قل: «اللّهمّ أغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمّن سواك» فلو كان عليك مثل صبير ديناً قضاه الله عنك. والصبير: اسم جبل باليمن، ليس باليمن جبل أعظم منه».

أمالي الصدوق: المجلس ٦١ ص٣٤٧

و بالسند المتصل الى الشيخ الجليل محمد بن بابويه، عن محمد بن بكران النقّاش، عن أحمدبن محمد الهمداني مولى بني هاشم، عن عبيد بن حمدون الرواسي، عن حسين بن نصر، عن أبيه، عن عمرو بن شمر، عن جابر بن عبدالله الأنصاري، عن الإمام أبي جعفر محمد بن عليّ الباقر، عن أبيه عليّ بن الحسين زين العابدين، عن أبيه الحسين بن عليّ، عن أميرالمؤمنين عليهم السلام قال:

شكوت الى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ديناً كان عليّ فقال: يا عليّ قل: «اللّهمّ أغنني بحلالك عن حرامك و بفضلك عمّن سواك» فلو كان عليك مثل صبير ديناً قضاه الله عنك. والصبير: اسم جبل باليمن، ليس باليمن جبل أعظم منه[١].

قال جامع هذه الأحاديث عفا الله عنه: كثر عليّ الدين في بعض السنين حتّى تجاوز ألفاً و خمسمائة مثقال ذهباً، وكان أصحابه متشدّدين في تقاضيه غاية التشدّد حتّى شغلني الاهتمام به عن أكثر أشغالي، ولم يكن لي في وفائه حيلة ولاالى أدائه وسيلة، فواظبت على هذا الدعاء فكنت

---

(١) أمالي الصدوق: مجلس ٦١ ص ٣٤٧.

أُكرره كلّ يوم بعد صلاة الصبح، وربّما دعوت به بعد الصلوات الأُخر فيسّر الله سبحانه قضاءه وعجّل أداءه في مدّة يسيرة بأسباب غريبة ما كانتْ تخطر بالبال ولا تمرّ بالخيال.

الحديث السابع عشر

❊ عصمة الأنبياء عليهم السلام ❊

«... قال المأمون لأبي الحسن الرضا عليه السلام: ما معنى قول الله: ﴿و لمّا جاء موسى لميقاتنا و كلّمه ربُّه قال ربِّ أرني أنظُر إليك... الآية﴾ كيف يجوز أن يكون كليم الله موسى بن عمران لايعلم أنّ الله تعالى لايجوز عليه الرؤية حتّى يسأله هذا السؤال؟

فقال الرضا عليه السلام: إنّ موسى عليه السلام علم أنّ الله تعالى جلّ أن يُرى بالأبصار ولكنّه لمّا كلّمه وقرّبه نجيّاً رجع الى قومه و أخبرهم أنّ الله تعالى كلّمه و قرّبه و ناجاه. فقالوا: لن نؤمن لك حتّى نسمع كلامه كما سمعت...».

عيون أخبار الرضا: ج١ ص ٢٠٠ ـ ٢٠٢ باب ١٥

و بسندي المتصل الى الشيخ الصدوق ثقة الإسلام محمد بن بابويه قدّس الله روحه، عن تميم بن عبدالله القرشي، عن أبيه عبدالله بن تميم، عن أحمد بن سليمان النيشابوري، عن عليّ بن الجهم في حديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة قال:

قال المأمون لأبي الحسن الرضا عليه السلام: ما معنى قول الله: ﴿ولمّا جاء موسى لميقاتنا وكلّمه ربُّه قال ربِّ أرني أنظُر إليك... الآية﴾[1] كيف يجوز أن يكون كليم الله موسى بن عمران لايعلم أنّ الله تعالى لايجوز عليه الرؤية حتّى يسأله هذا السؤال؟

فقال الرضا عليه السلام: إنّ موسى عليه السلام علم أنّ الله تعالى جلّ أن يُرى بالأبصار ولكنّه لمّا كلّمه وقرّبه نجيّاً رجع الى قومه وأخبرهم أنّ الله تعالى كلّمه وقرّبه وناجاه. فقالوا: لن نؤمن لك حتّى نسمع كلامه كما سمعت . و كان القوم سبعمائة ألف رجل. فاختار منهم سبعين ألفاً. ثمّ

---

(١) الأعراف: ١٤٣.

اختار منهم سبعة آلاف، ثمّ اختار منهم سبعمائة، ثمّ اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربّه. فخرج بهم الى طور سيناء فأقامهم في سفح الجبل، و صعد موسى الى الطور وسأل الله تعالى أن يكلّمه ويسمع كلامه، فكلّمالله تعالى وسمعوا كلامه من فوق وأسفل و يمين و شمال و وراء وأمام، لأنّ الله تعالى أحدثه في الشجرة ثمّ جعله منبعثاً منها حتّى سمعوه من جميع الوجوه.

فقالوا: ﴿لن نؤمن لك﴾ بأنّ هذا كلام الله ﴿حتّى نرى الله جهرة﴾[1].

فلمّا قالوا هذا القول العظيم بعث الله عليهم صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا.

فقال موسى عليه السلام: ياربّ ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنّك ذهبت بهم وقتلتهم لأنّك لم تكن صادقاً فيما ادّعيت من مناجاة الله تعالى إيّاك. فأحياهم الله وبعثهم معه.

فقالوا: إنّك لو سألت الله تعالى أن يريك تنظر إليه لأجابك و كنت تخبرنا كيف هو و نعرفه حقّ معرفته.

فقال موسى عليه السلام : يا قوم إنّ الله لايُرى بالأبصار ولا كيفيّة له وانّما يُعرف بآياته و يُعلم بأعلامه.

---

(١) البقرة: ٥٥.

فقالوا: لن نؤمن لك حتّى تسأله.

فقال موسى عليه السلام: ياربّ انّك قد سمعت مقالة بني اسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم.

فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى سلني ما سألوك فلن اواخذك بجهلهم. فعند ذلك قال موسى عليه السلام: ﴿ربّ أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فإن استقرّ مكانه فسوف تراني فلمّا تجلّى ربّه للجبل جعله دكّاً وخرَّ موسى صعقا فلمّا أفاق قال سبحانك تبت إليك﴾ يقول: رجعت الى معرفتي بك عن جهل قومي ﴿و أنا أوّل المؤمنين﴾[1] منهم بأنّك لاتُرى.

فقال المأمون: لله درّك فأخبرني عن قول‌الله تعالى: ﴿و لقد همّت به و همّ بها لولا أن رأى برهان ربّه﴾[2].

فقال الرضا عليه السلام: لقد همّت به، ولولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بها كما همّت به،لكنّه كان معصوماً والمعصوم لايهمّ بذنب.

فقال المأمون: لله درّك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿وذاالنون إذ ذهب مغاضباً فظنّ أن لن نقدر عليه﴾[3].

---

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) يوسف: ٢٤.

(٣) الأنبياء: ٨٧.

فقال الرضا عليه السلام: ذاك يونس بن متّى ﴿ذهب مغاضباً﴾ لقومه ﴿فظنّ﴾ بمعنى استيقن ﴿أن لن نقدر عليه﴾ أن لن نضيّق عليه رزقه، و منه قوله تعالى: ﴿وأمّا إذا ما ابتليٰه ربّه فقدر عليه رزقه﴾[١] أي ضيّق وقتّر ﴿فنادى في الظلمات﴾ ظلمة الليل وظلمة البحر وبطن الحوت ﴿أن لا إله إلّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين﴾ بتركي مثل هذه العبادة التي فرغت لها في بطن الحوت فاستجاب الله له. قال سبحانه: ﴿فلو لا أنّه كان من المسبّحين للبث في بطنه الى يوم يُبعثون﴾[٢].
فقال المأمون: لله درّك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله تعالى : ﴿ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر﴾[٣].

قال الرضا عليه السلام: لم يكن أحد عند مشركي مكّة أعظم ذنباً من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنّهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة و ستّين صنماً ، فلمّا جاءهم صلّى الله عليه وآله وسلّم بالدعوة الى كلمة الاخلاص كَبُر ذلك عليهم و عَظُم و قالوا: ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً انّ هذا لشيء عجاب * وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إنّ هذا لشيء

---

(١) الفجر: ١٦.

(٢) الصافات: ١٤٣ـ ١٤٤.

(٣) الفتح: ٢.

يُراد* ماسمعنا بهذا في الملّة الآخرة إن هذا إلّا اختلاق﴾[١] فلمّا فتح الله تعالى على نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم مكّة قال: يامحمّد ﴿انّا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك و ما تأخّر﴾ عند مشركي أهل مكّة بدعائك الى توحيد الله فيما تقدّم وما تأخّر.

فقال المأمون: لقد شفيت صدري يابن رسول الله وأوضحت لي ماكان ملتبساً، فجزاك الله عن أنبياء الله وعن الإسلام خيراً[٢].

بيـان

مالعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ **قرّبه نجيّاً** ﴾: فعيل من المناجاة وهي المسارّة. و يمكن جعله مصدراً. وهو على التقديرين حال من فاعل «قرّب» أو مفعوله.

﴿ **حتّى نرى الله جهرة** ﴾: أي عياناً. وانتصابها على المفعول المطلق أو الحال من فاعل «نرى» أو مفعوله.

﴿ **جعله دكّاً** ﴾: أي مدكوكاً مُفَتتاً.

والخرور: السقوط على الوجه.

﴿ **و صعقاً** ﴾: أي مغشيّاً عليه.

﴿ **و لقد همّت به** ﴾: همّ بالشيء قصده و عزم عليه. والمراد ـ والله أعلم ـ قصدت مخالطته.

---

(١) ص: ٥ ـ ٧.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ٢٠٠ ـ ٢٠٢ باب ١٥.

﴿ ولولا أن رأى برهان ربّه ﴾: لقصد مخالطتها. فقوله تعالى: ﴿وهمّ بها﴾ جواب «لولا» مقدّم عليها،أو دالّ على الجواب،كما تقول:«قتلتك لولا أن أخاف الله» وستسمع لهذا زيادة تحقيق.

﴿ أن لن نضيّق عليه ﴾: رزقه، ومنه قوله تعالى: ﴿إنّ ربّك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾[1] والمراد ـ والله أعلم ـ أنّه علم أنّا نرزقه من غير تقتير، سواء كان مقيماً بين قومه أو مهاجراً عنهم.

وهذا التفسير الذي فسّره الإمام عليه السلام هو الحقّ الذي لامحيل عنه، فلا يُعبأ بعده بما قيل من أنّ المراد: فظنّ أن لن نقضي عليه بالعقوبة، من القدر بمعنى القضاء، أو هو تمثيل لحاله بحال من ظنّ أن لن نقدر عليه، أو هي خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسمّيت ظنّاً للمبالغة، وأمثال ذلك ممّا هو بالإعراض عنه حقيق.

﴿ سبحانك انّي كنت من الظالمين ﴾: بتركي مثل هذه العبادة التي فرغت لها في بطن الحوت. هذا كلام منه عليه السلام لم أظفر به في شيء من التفاسير التي اطّلعت عليها، وهو يؤيّد ما قاله أهل الكشف والعرفان من أنّ القرب الّذي حصل ليونس على نبيّنا وآله وعليه السلام في بطن الحوت لم يحصل له قبل ذلك ولابعده مثله، حتّى جعلوا التقام الحوت معراجاً له عليه السلام، ونقلوا في ذلك حديثاً عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد نظّمه العارف الرومي في المثنوي.

﴿ انّ هذا لشيء يُراد ﴾: أي أنّ هذا الأمر من نوائب الدهر يُراد بنا فلا مردّ له، أو أنّ ماقصده محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم من الرئاسة والترفّع على العرب والعجم شيء يريده كلّ أحد.

﴿ ماسمعنا بهذا في الملّة الآخرة ﴾: أي ماسمعنا بما يقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم من التوحيد في الملّة التي أدركنا عليها آباءنا، أو في

(١) الإسراء: ٣٠.

ملّة عيسى عليه السلام التي هي آخر الملل، فإنّ النصارىٰ مثلّثون[1] غير موحّدين أيضاً.

﴿ والاختلاق ﴾: الكذب المخترع.

تذكرة فيها تبصرة

[البحث بين الأشاعرة والمعتزلة حول رؤية الله سبحانه]

الأشاعرة تمسّكوا بالآية الموردة في السؤال الأوّل على إمكان رؤيته تعالى من وجهين:

الوجه الأوّل: أنّه سبحانه علّق رؤية موسى عليه السلام له جلّ شأنه على استقرار الجبل ، و هو في نفسه أمر ممكن، والمعلّق على الممكن ممكن.

وقالت المعتزلة: ليس المعلّق عليه هو استقرار الجبل مطلقاً، فإنّ الجبل كان وقت هذا التعليق مستقرّاً وهو الآن مستقرّ أيضاً، بل استقراره حال التجلّي وهو غير ممكن، لأنّه سبحانه قد علّق عليه وقوع الرؤية بعد إخباره تعالى بعدم وقوعها بقوله: ﴿لن تراني﴾، و وقوع الرؤية بعد إخباره سبحانه بأنّها لاتقع محال، فاستقرار الجبل الذي علّق عليه هذا المحال محال أيضاً، وتعليق وقوع ما عُلم امتناع وقوعه على أمر صريح في امتناع وقوع ذلك الأمر، كما تقول لمن يجادلك في أمر: «إن كان كلامك حقّاً فشريك الباري موجود» تريد بهذا أنّ حقيقة كلامه محال كوجود الشريك للباري[2] فظاهرأنّه لايلزم من هذا الكلام الاعتراف بإمكان الشريك

---

(١) في هامش (ع): أي يجعلون له سبحانه ابناً وزوجة، وهو تعالى ثالثهم. (منه رحمه الله).

(٢) في هامش(ع): كلّ هذا الكلام للشيخ ابن ميثم البحراني، ووجه تمامية هذا الكلام على أنّ النفي، إذ لو كان المعنى لن تراني لم يتم كما لايخفىٰ. (منه رحمه الله). راجع شرح نهج البلاغة خطبة ١٧٨ وخطبة ١٨٣.

لتعليقه على الممكن في ذاته وهو الصدق فتدبّر[(١)].

الوجه الثاني: إنّ رؤيته تعالى لو كانت ممتنعة كما يزعمه المعتزلة لم يسألها موسى عليه السلام لأنّ العاقل لايطلب المحال، فسؤالها يدلّ على أنّه عليه السلام كان يعتقد جوازها عليه تعالى، كما نقوله نحن.

وما زعمه المعتزلة من امتناعها عليه تعالى يقتضي جهل النبيّ العظيم المعزّز بالتكليم بما يجوز عليه سبحانه ويمتنع دون آحاد المعتزلة ومن له طرف من علم الكلام. وهذه طريقة عوجاء وملّة شنعاء لايسلكها أحد من العقلاء.

والمعتزلة أيضاً تمسّكوا بتلك الآية وقالوا: إذا كانت الرؤية جائزة عليه تعالى كما تدّعونه فلم يسأل موسى عليه السّلام وقومه[(٢)] إلّا أمراً جائزاً عليه جلّ شأنه، فلم استعظم الله سبحانه ذلك السؤال استعظاماً بليغاً وسمّاه ظلماً ودكّ له الجبل وأرسل بسببه الصاعقة، قال الله تعالى: ﴿فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم﴾[(٣)]؟.

فأجابهم الأشاعرة: بأنّ ذلك الاستعظام البليغ والإنكار الشديد إنّما صدر عنه تعالى لأنّ موسى عليه السلام سأل الرؤية في الدنيا وعلى طريقة المقابلة والجهة، وذلك ممّا يمتنع عليه سبحانه.

وإنّما يجوز رؤيته في الآخرة من دون جهة ومقابلة.

وللمعتزلة أن يقولوا: إنّ هذا يقتضي جهل النبيّ المعظّم المعزّز بالتكليم بما يجوز عليه سبحانه ويمتنع دون آحاد الأشاعرة، ومن له طرف

---

(١) في هامش (ع): وجه التدبّر: أنّه لايصير دليلاً برأسه، غايته أن تصير الزامياً فتدبّر. (منه رحمه الله).

(٢) (ع): ولاقومه.

(٣) النساء: ١٥٣.

من علم الكلام الى آخر ماشنّعتم به علينا ونسبتموه أيّها الاخوان إلينا.

توضيح حال وتزييف مقال[١]

[في صحّة تقدّم الجزاء على الشرط]

أكثر النحاة على أنّ الجزاء لايتقدّم على الشرط، لأنّ له صدر الكلام، فالجزاء في نحو قولك: «أنا ظالم إن فعلت كذا» مقدّر بعد الشرط والإسمية المقدّمة دليل عليه، والتقدير: فعلت كذا فأنا ظالم.

وذهب بعضهم الى جواز تقديمه، فلا تقدير حينئذٍ.

وقول الإمام عليه السلام في الجواب عن السّؤال الثاني «ولقد همَّت به ولولا أن رأى برهان ربّه لهمَّ بها كما همَّت به» ليس نصّاً في شيء من المذهبين كما لايخفى.

نعم قد يدّعى أنّه ظاهر في الأوّل لقرينة تقدير اللام فيتأيّد به ما قاله المحقّقون من المفسّرين من أنّ قوله تعالى: ﴿وهمّ بها﴾ ليس هو جواب «لولا» لأنّها في حكم أدوات الشرط، فلا يتقدّم جوابها عليها، بل الجواب محذوف يدلّ عليه المذكور، والتقدير: لولا أن رأى برهان ربّه لهمَّ بها.

وأمّا ما ذهب إليه صاحب الكشّاف[٢] وأكثر المفسّرين من أنّ التقدير: «لولا أن رأى برهان ربّه لخالطها» فممّا لاينبغي الإلتفات إليه، فإنّه يقتضي بظاهره وقوع الهمّ بالمعصية من ذلك النبيّ الجليل و يحوج الى سلوك مسالك التجوّز والتأويل، كما يقال المراد أنّ نفسه عليه السلام مالت الى مخالطتها بمقتضى الشهوة المركوزة في الطبع ميلاً شديداً يشبه الهمّ والعزم، أو أنّه سبحانه أطلق الهمّ على ذلك الميل النفساني على طريقة

---

(١) «وتزييف مقال» ليس في(ل).

(٢) تفسير الكشّاف: ج ٢ ص٤٥٦ في ذيل تفسير آية(٢٤) من سورة يوسف.

المشاكلة، أو أنّه من قبيل تسمية المشارف على الشيء باسمه، و أمثال ذلك ممّا يوجب صرف الكلام حقيقة من غير داعٍ يدعو إليه و باعث يبعث عليه لاتساع باب التقدير كما لايخفى على الناقد الخبير.

تتمّة مهمّة

[في المراد من «برهان ربّه»]

المراد ببرهان ربّه: مانصبه من الدلائل العقلية والنقليّة الدلالة على وجوب اجتناب المحارم والتباعد عن الذنوب والمآثم.

وقد يستفاد من كلام الإمام عليه السلام أنّ من جملة ذلك الهمّ بالمعصية والقصد إليها فإنّه عليه السلام جعل ذلك من منافيات العصمة، حيث قال: والمعصوم لايهمّ بذنب ولا يأتيه.

اللّهمّ الّا أن يقال: جعل الهمّ بالمعصية منافياً للعصمة لايقتضي كونه ذنباً لجواز كونه من قبيل السهو والنسيان، فإنّهما ينافيان العصمة عند الإمامية وليسا من الذنوب.

و من جوّز على الأنبياء صلوات الله عليهم اقتراف المعاصي وارتكاب الآثام فسّر همّ يوسف عليه السلام بأنّه حلّ سراويله وجلس منها مجلس المجامع، وفسّر البرهان بأنّه سمع صوتاً: إيّاك و إيّاها فلم يرتدع، ثمّ سمعه ثانياً فلم ينته[1]، ثمّ سمع ثالثاً: أعرض عنها فلم ينزجر، حتّى تمثّل له يعقوب عليه السلام عاضّاً على أنملته.

وقيل: سمع صوتاً: يا يوسف لاتكن كالطائر كان له ريش فلمّا زنا قعد لاريش له.

وقيل: بدت فيما بينهما كفّ مكتوب فيها: ﴿وإنّ عليكم لحافظين﴾

---

(١) (ل): ينتبه.

كراماً كاتبين﴾[١] فلم ينصرف عمّا هو عليه، ثمّ رأى فيها: ﴿ولا تقربوا الزنا إنّه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾[٢] فلم يتنبّه، ثمّ رأى فيها: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله﴾[٣] فلم يتأثّر بذلك. فقال الله سبحانه وتعالى لجبرئيل: أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة، فانحط جبرئيل و هو يقول: يا يوسف أتعمل عمل السفهاء و أنت مكتوب في ديوان الأنبياء؟!

وأنا أقول: قاتل الله قوماً يعتقدون في أنبياء الله التلبّس بمعاصيه و عدم الانزجار والارتداع عمّا هم فيه مع مشاهدة أمثال هذه الزواجر الجليلة والروادع القوية. نعوذ بالله من اقتحام أودية الغواية ونسأله العصمة والهداية.

و إنّي ليعجبني كلام العلّامة الزمخشري في التشنيع عليهم أعمى الله أبصارهم وخذل أنصارهم، قال في الكشّاف بعد نقل كلامهم وتبيين مرامهم: هذا ونحوه ممّا يورده أهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله و أنبيائه، و أهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم و رواياتهم بحمدالله بسبيل، و لو وجدت من يوسف عليه السلام أدنى زلّة لنعيت[٤] عليه و ذكرت توبته و استغفاره، كما نعيت على آدم زلّته، و على داود و على نوح و على أيّوب[٥] وعلى ذي النون وذكرت توبتهم واستغفارهم.

كيف وقد أثنى عليه وسُمّي مخلصاً، فعُلم بالقطع أنّه ثبت في هذا

---

(١) الإنفطار: ١٠ ـ ١١.

(٢) الإسراء: ٣٢.

(٣) البقرة: ٢٨١.

(٤) في هامش (ع): النعي: هو إظهار الخبر الرديء. (منه رحمه الله).

(٥) في هامش(ع): قوله «وعلى أيّوب» فيه نظر، إذ لم يجر له ذكر في القرآن إلّا على وجه يدلّ على عظم شأنه وأمّا ان كان بتقصيره فلم يذكر القرآن دلالة عليه، وقد نبّه على هذا صاحب الكشف. (منه رحمه الله).

المقام الدحض[١]، وأنّه جاهد نفسه مجاهدة أُولي القوّة والعزم، ناظراً في دليل التحريم ووجه القبح حتّى استحقّ من الله الثناء فيما أنزل من كتب الأوّلين.

ثمّ في القرآن الذي هو حجّة على سائر كتبه مصداق لها ولم يقتصر إلّا على استيفاء قصّته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الآخرين كما جعله لجدّه الخليل إبراهيم عليه السلام و ليقتدي به الصالحون الى آخر الدهر في العفّة وطيب الإزار والتثبّت في مواقف العثار.

فأخزى الله اولئك في إيرادهم مايؤدّي الى أن يكون أنزل الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العزيز المبين ليقتدى بنبي من أنبياء الله في القعود بين شعب الزانية، وفي حلّ تكتّه للوقوع عليها، وفي أن ينهاه ربّه ثلاث كرّات و يصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن و بالتوبيخ العظيم بالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير أُنثاه وهو جاثم مربضه ولا يتجلجل ولا ينتهي ولا يتنبّه حتّى يتداركه الله بجبرئيل، ولو أنّ أوقح الزناة وأشطرهم وأحدّهم حدقة و أجلحهم وجهاً لقي بأدنى مالقي به نبيّ الله ممّا ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولاعضو يتحرّك، فيا له من مذهب ما أفحشه و من ضلال ما أبينه[٢].
إنتهى كلام العلّامة جزاه اللّه عن أنبيائه خيراً.

وللفخر الرازي في هذا المقام كلام جيد جدّاً تنازعني نفسي الى ذكره و تأبى أن أطويه على غرّه.

قال في التفسير الكبير: انّ الذين لهم تعلّق بهذه الواقعة هم يوسف

---

(١) في هامش (ع): الدحِض: بالحاء المهملة المكسورة والضاد المعجمة: مايزلق فيه القدم. (منه رحمه الله).

(٢) تفسير الكشّاف: ج ٢ ص ٤٥٧ في تفسير الآية (٢٤) من سورة يوسف.

عليه السلام والمرأة وزوجها والنسوة والشهود و ربّ العالمين و ابليس، و كلّهم قالوا ببراءة يوسف عليه السلام عن الذنب فلم يبق لمسلم توقّف في هذا الباب. أمّا يوسف عليه السلام فلقوله: ﴿هي راودتني عن نفسي﴾[١]. و قوله: ﴿ربّ السجن أحبّ الي ممّا يدعونني إليه﴾[٢].

وأمّا المرأة فلقولها: ﴿أنا راودته عن نفسه فاستعصم﴾[٣]. وقالت: ﴿الآن حصحص الحقّ أنا راودته عن نفسه﴾[٤].

وأمّا زوجها فلقوله: ﴿انّه من كيدكن انّ كيدكنّ عظيم﴾[٥].

وأمّا النسوة فلقولهن: ﴿امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبّاً إنّا لنراها في ضلال مبين﴾[٦]. و قولهنّ: ﴿حاش لله ما علمنا عليه من سوء﴾[٧].

وأمّا الشهود فقوله تعالى: ﴿وشهد شاهد من أهلها﴾[٨].

وأمّا شهادة اللّه بذلك فقوله عزّ من قائل: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنّه من عبادنا المخلصين﴾[٩].

وأمّا إقرار إبليس بذلك فلقوله: ﴿فبعزّتك لاغوينّهم أجمعين* إلّا عبادك منهم المخلصين﴾[١٠] فأقرّ بأنّه لايمكنه إغواء العباد المخلصين،

---

(١) يوسف: ٢٦.

(٢) يوسف: ٣٣.

(٣) يوسف: ٣٢.

(٤) يوسف: ٥١.

(٦) يوسف: ٢٨.

(٦) يوسف: ٣٠.

(٧) يوسف: ٥١.

(٨) يوسف: ٢٦.

(٩) يوسف: ٢٤.

(١٠) ص: ٨٢ـ ٨٣

وقد قال اللّه تعالى: ﴿إنّه من عبادنا المخلصين﴾[١].

فقد أقرّ إبليس بأنّه لم يغوه.

وعند هذا نقول: هؤلاء الجهّال الذين نسبوا الى يوسف عليه السلام الفضيحة إن كانوا من أتباع دين الله فليقبلوا شهادة اللّه بطهارته، و ان كانوا من أتباع ابليس و جنوده فليقبلوا إقرار إبليس[٢]. و هو كلام ظريف جيد جدّاً.

إرشـاد

[اضطرب كلام المفسّرين في تفسير آية الفتح]

اضطرب كلام المفسّرين الذين لايجوّزون صدور الذنوب صغيرها و كبيرها عن الأنبياء عليهم السلام في تفسير الآية التي اشتمل عليها السؤال الرابع، فإنّ ظاهرها صدور الذنب سابقاً ولاحقاً منه صلّى الله عليه وآله وسلّم[٣] وما ذكره الإمام عليه السلام هو الوجه الصحيح والحقّ الصريح الذي لاريب فيه ولاشكّ يعتريه.

وقد ذكر أصحاب السير أنّ المشركين كانوا يقولون إن مكّن اللّه تعالى محمّداً من بيته و حكمه في حرمه تبينّا أنّه نبيّ حقّ، فلمّا يسّر اللّه له صلّى اللّه عليه وآله وسلّم فتح مكّة دخلوا في دين اللّه أفواجاً وأذعنوا بنبوّته كما نطق به الكتاب العزيز، وزال إنكارهم عليه صلّى اللّه عليه وآله و سلّم في الدعوة الى ترك عبادة الأصنام، وصار ذنبه عندهم مغفوراً، كما قرّره الإمام عليه السلام.

ولايخفى انّه إذا حمل الذنب المذكور في الآية على معناه

---

(١) يوسف: ٢٤.

(١) التفسير الكبير: ج ١٨ ص١١٦ في ذيل تفسير آية ٢٤ من سورة يوسف.

(٣) «منه صلّى الله عليه وآله وسلّم» ليس في (ع).

الظاهري، الذي فهمه أكثر المفسّرين لم يصحّ تعليل الفتح بغفران الذنب إلّا بتكلّف بعيد، كأن يقال: لمّا كان الفتح متضمّناً لجهاد العدوّ صحّ بهذا الإعتبار جعله سبباً لغفران الذنب المتقدّم والمتأخّر. وأمثال ذلك ممّا لايخفىٰ بُعده.

وأمّا على ماقرّره الإمام عليه السلام في الجواب فاستقامة التعليل ممّا لايحوم حوله شكّ ولاارتياب.

والعجب من أكثر علماء الشيعة الإمامية ومفسّريهم كشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي والشيخ الجليل أمين الإسلام الشيخ أبي علي الطبرسي والسيّد الأجلّ قدوة أهل الإيمان المرتضى علم الهدىٰ قدّس الله أرواحهم مع كثرة تصنيفهم في التفسير والحديث والكلام كيف لم يذكروا في شيء من كتبهم هذا الجواب الذي ذكره الإمام عليه السلام وذكروا وجوهاً ضعيفة لاتشفي العليل ولاتروي الغليل، مع أنّ هذا الحديث موجود في مؤلّفات الشيخ الصدوق ثقة الإسلام محمد بن بابويه ككتاب عيون الأخبار[١] وغيره، وزمانه طاب ثراه متقدّم على زمانهم.

وأمّا الذين يجوّزون صدور المعاصي عن الأنبياء صلوات اللّه عليهم فمن جوّز عليهم الصغائر والكبائر معاً أبقى الذنب على عمومه، وقال: المراد بما تقدّم وما تأخّر هو ما وقع منه صلّى اللّه عليه وآله و سلّم قبل النبوّة وبعدها، أو قبل الفتح و بعده، أو ماوقع وما سيقع، أو ذنب أبويك آدم و حواء ببركتك وذنب اُمّتك بدعوتك.

و من جوّز الصغائر فقط ومنع من صدور الكبائر عنهم عليهم السلام حمل الذنب على الصغائر و جعل التقدّم والتأخّر كما جعله اُولئك.

وكلّ هذه الوجوه مشتركة في عدم استقامة التعليل بدون تكلّف .

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ٢٠٣.

ولا يخفى أنّ التقدّم والتأخّر على تفسير الإمام عليه السلام لا يمكن حمله على ماقبل النبوّة و بعدها لأنّه صلوات اللّه عليه لم يدعهم الى التوحيد قبل النبوّة، و لاعلى ما قبل الفتح و بعده، لأنّهم أذعنوا له صلّى اللّه عليه وآله وسلّم بعد الفتح ولم يكن مذنباً عندهم حينئذٍ.

اللّهمّ إلّا أن يُراد بالنسبة الى من بلغهم خبر الفتح بعد مدّة.

والأنسب حمل ذلك على ما صدر منه صلوات اللّه عليه من الدعوة الى التوحيد قبل الهجرة وبعدها.

الحديث الثامن عشر

* صفات الجليس *

«... قال رسول الله صلّى الله عـليه وآله وسـلّم: قـالت الحواريّون لعيسى عليه‌السلام: ياروح الله من نجالس؟ قال : من يذكّركم الله رؤيته، و يزيد في علمكم منطقه ، و يرغبكم في الآخرة عمله».

الكافي: ج١ ص٣٩ ح٣

و بالسند المتصل الى الشيخ الجليل أمين الإسلام محمّد بن يعقوب الكليني، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد البرقي، عن شريف بن سابق، عن الفضل بن أبي قرّة، عن الإمام أبي عبداللّه جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: قالت الحواريّون لعيسى عليه السلام: يا روح اللّه من نجالس؟

قال: من يذكّركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، و يرغبُكم في الآخرة عمله[1].

بيان

مالعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ **قالت الحواريّون** ﴾: هم خواصّ عيسى عليه السلام.

قيل: سمّوا حواريّون لأنّهم كانوا قصّارين يحورون الثياب، أي يقصرونها و ينقّونها من الأوساخ ويبيّضونها، مشتق من الحور وهو البياض الخالص.

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٣٩ ح ٣.

و قال بعض العلماء: إنّهم لم يكونوا قصّارين على الحقيقة و إنّما أُطلق هذا الاسم عليهم رمزاً الى انّهم كانوا ينقّون نفوس الخلائق عنْأوساخ الأوصاف الذميمة والكدورات،ويرقّونها الى عالمالنور من عالم الظلمات

﴿ من يذكّركم الله رؤيته ﴾: وصف عليه السلام من يجوز مجالسته بثلاثة أوصاف:

الأوّل: أن تكون رؤيته موجبة لذكر الله تعالى كما هو مشاهد من رؤية العبّاد والزهّاد والسالكين.

الثاني: أن يكون كلامه موجباً لازدياد علم من يجالسه.

الثالث: أن يكون عمله ممّا يرغّب في الآخرة، أي تكون رؤية أعماله و عباداته ممّا يوجب إقبال الرأي على الأعمال الأُخروية والإعراض عن الاشغال الدنيوية.

ولايخفى أنّ المراد بالمجالسة في هذا الحديث ما يشمل الأُلفة والمخالطة والمصاحبة. وفيه إشعار بأنّ من لم يكن على هذه الصفات فلاينبغي مجالسته ولامخالطته، فكيف من كان موصوفاً بأضدادها كأكثر أبناء زماننا.

فطوبىٰ لمن وفّقه الله سبحانه لمباعدتهم والاعتزال عنهم والأُنس بالله وحده والوحشة منهم، فإنّ مخالطتهم تميت القلب وتفسد الدين و يحصل بسببها للنفس ملكات مهلكة مؤدّية الى الخسران المبين، وقد ورد في الحديث: «فرّ من الناس فرارك من الأسد»[١].

وقال معروف الكرخي لأبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «أوصني يابن رسول الله، فقال: أقلل معارفك. قال: زدني.قال: انكر

---

(١) ليس حديثاً، راجع إحياء علوم الدين كتاب العزلة.

من عرفت منهم[١].

وروى الشيخ الجليل زين السالكين جمال الدين أحمدبن فهد في كتاب التحصين عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ليأتينّ على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلّا من يفرَّ من شاهق الى شاهق، ومن جُحر الى جُحر كالثعلب بأشباله.

قالوا: ومتى ذلك الزمان؟

قال: إذا لم تنل المعيشة إلّا بمعاصي الله فعند ذلك حلّت العزو بة.

قالوا: يارسول الله أمرتنا بالتزويج!

قال: بلى، ولكن إذا كان ذلك الزمان فهلاك الرجال على يدي أبويه، فإن لم يكن له أبوان فعلى يدي زوجته وأولاده، فإن لم يكن له زوجة ولا ولد فعلى يدي قرابته وجيرانه.

قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟

قال: يعيّرونه بضيق المعيشة ويكلّفونه مالا يطيق حتّى يوردوه موارد الهلكة[٢].

---

(١) التحصين: ص١١. ومعروف الكرخي من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام.

(٢) التحصين: ص١٣.

الحديث التاسع عشر

* أوصاف رسول الله صلى الله عليه وآله في التوراة *

«... قال إنّ يهودياً كان له على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم دنانير فتقاضاه.
فقال: يايهوديّ ماعندي ماأعطيك.
قال: فإنّي لا أُفارقك يامحمّد حتّى تقضيني.
فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: إذن أجلس معك.
فجلس صلّى الله عليه وآله وسلّم معه حتّى صلّى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة. و كان أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يتهدّدونه ويتواعدونه. فنظر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إليهم فقال: ماالّذي تصنعون به؟
فقالوا: يارسول الله يهودي يحبسك!
فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: لم يبعثني ربّي عزّوجلّ بأن أظلم معاهداً ولاغيره...».

أمالي الصدوق: المجلس ٧١ ص٤١٧

و بالسند المتصل الى الشيخ الجليل عمادالإسلام محمد بن بابويه، عن الحسين بن إدريس، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد ابن يحيى الخزّاز، عن موسى بن اسماعيل، عن أبيه، عن الإمام أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه أميرالمؤمنين عليهم السلام قال:

إنّ يهودياً كان له على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم دنانير فتقاضاه.

فقال: يايهوديّ ماعندي ماأعطيك.

قال: فإنّي لا أُفارقك يامحمد حتّى تقضيني.

فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: إذن أجلس معك.

فجلس صلّى الله عليه وآله وسلّم معه حتّى صلّى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاءالآخرة والغداة. و كان أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يتهدّدونه ويتواعدونه.

فنظر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إليهم فقال: ما الّذي تصنعون به؟

فقالوا: يارسول الله يهودي يحبسك!

فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: لم يبعثني ربّي عزّوجلّ بأن أظلم معاهداً ولاغيره.
فلمّا علا النهار قال اليهوديّ: أشهد أن لاإله إلّا الله وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، و شطر مالي في سبيل الله، أما والله ما فعلت بك الذي فعلت إلّا لأنظر الى نعتك في التوراة فإنّي قرأت نعتك في التوراة محمد بن عبدالله مولده بمكّة و مهاجره بطيبة و ليس بفظّ ولاغليظ ولاسخّاب ولامترنّن بالفحش ولاقول الخنا، وأنا أشهد أن لاإله إلّا الله وأنّك رسول الله، وهذا مالي فاحكم فيه بما أنزل الله. وكان اليهوديّ كثير المال.
ثمّ قال عليّ عليه السلام: كان فراش رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عباءه، وكانت مرفقته أدماً حشوها ليف فثنيت له ذات ليلة فلمّا أصبح قال: لقد منعني الفراش الليلة الصلاة، فأمر صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يجعل بطاق واحد[١].

بيان

مالعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ بأن أظلم معاهداً ﴾: اسم مفعول من العهد بمعنى الأمان أو الذمّة[٢].

---

(١) أمالي الصدوق: مجلس ٧١ ص ٤١٧.
(٢) (ع): والذمّة.

﴿ **و شطر مالي في سبيل الله**﴾:الشطر يجيء بمعنى النصف، و بمعنى الجزء المطلق، وكلّ منهما محتمل هنا. ولعلّ قوله فيما بعد: «**فاحكم فيه بما أنزل الله**» ناظر الى الثاني.

﴿ **الّا لانظر الى نعتك في التوارة** ﴾: أي لاعلم أنّ النعت الذي في التوراة نعتك أم لا. فاختصر الكلام لدلالة المقام.

﴿ **مولده بمكّة** ﴾: الملك بمعنى النقص والهلاك.

وسمّي البلد الحرام مكّة لأنّها تنقص الذنوب و تفنيها، أو تهلك من قصدها بظلم كما وقع لأصحاب الفيل.

﴿ **ومهاجره بطيبة** ﴾: مهاجر بفتح الجيم أي موضع هجرته، و الهجرة بكسر الهاء وضمها: الخروج من أرض الى أُخرى.

وطيبة بفتح الطاء وسكون الياء: مدينة الرسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم.

﴿ **ليس بفظّ ولاغليظ ولاسخّاب** ﴾: الفظّ والغليظ متقاربان، وهما بمعنى السيء الخلق القاسي القلب الخشن الكلام.

والسخّاب بالسين المهملة والخاء المعجمة المشدّدة و آخره باء تحتانية: صيغة مبالغة من السخب بالتحريك، و هو شدّة الصوت، يقال: تساخب القوم أي تصايحوا وتضاربوا.

﴿ **ولامترنّن بالفحش ولاقول الخنا** ﴾: و مترنّن بالراء المهملة والنونين من الرنّة بالفتح و التشديد بمعنى الصوت.

والخنا بالخاء المعجمة المفتوحة و النون: مرادف للفحش.

﴿ **كان فراش رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عباءه** ﴾: الهاء في عباءه يجوز أن تكون ضميراً راجعاً اليه صلّى الله عليه وآله وسلّم وأن تجعل تاء من أصل الكلمة.

﴿ **وكانت مرفقته أدماً** ﴾: المرفقة: المخدَّة.

والأدم بفتحتين: جمع أديم وهو الجلد.

﴿ **فثنيت** ﴾: أي العباءة بمعنى جُعلت على طاقين.

﴿ **لقد منعني الفراش الليلة الصلاة** ﴾: أي أنّه للينه ونعومته لم تسمح النفس بمفارقته والقيام عنه الى صلاة الليل.

ولعلّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أراد بالصلاة بعضها، فإنّ أصحابنا على أنّ قيام بعض من الليل وصلاة الوتر كانا من خصائصه الواجبة عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم.

الحديث العشرون

* ذمّ عبادة الطاغوت وحبّ الدنيا *

«... عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: مرّ عيسى بن مريم عليه السلام على قرية قد مات أهلها وطيرها و دوابّها فقال: أما أنّهم لم يموتوا إلّا بسخطة ولو ماتوا متفرّقين لتدافنوا.

فقال الحواريّون: يا روح الله وكلمته ادع الله أن يحييهم لنا فيخبرونا ما كانت أعمالهم فنجتنبها.

فدعا عيسى عليه السّلام ربّه، فنودي من الجوّ أن نادهم. فقام عيسى عليه السلام بالليل على شرف من الأرض فقال: يا أهل هذه القرية.

فأجابه منهم مجيب: لبيّك يا روح الله وكلمته...».

الكافي: ج ٢ ص٣١٨ ح١١

و بالسند المتصل الى الشيخ الجليل محمد بن يعقوب، عن عدّة من أصحابنا، عن أحمدبن محمدبن خالد، عن منصور بن العبّاس، عن سعيد بن جناح، عن عثمان بن سعيد، عن عبدالحميد بن عليّ الكوفي، عن مهاجر الأسدي، عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال:

مرّ عيسى بن مريم عليه السلام على قرية قد مات أهلها وطيرها و دوابّها فقال: أما أنّهم لم يموتوا إلّا بسخطة ولو ماتوا متفرّقين لتدافنوا.

فقال الحواريّون: يا روح الله وكلمته ادع الله أن يحييهم لنا فيخبرونا ما كانت أعمالهم فنجتنبها.

فدعا عيسى عليه السلام ربّه، فنودي من الجوّ أن نادهم. فقام عيسى عليه‌السلام بالليل على شرف من الأرض فقال: يا أهل هذه القرية.

فأجابه منهم مجيب: لبيّك يا روح الله وكلمته.

فقال عليه السلام: ويحكم ما كانت أعمالكم؟

قال: عبادة الطاغوت وحبّ الدنيا مع خوف قليل و أمل بعيد و غفلة في لهو ولعب.

فقال عليه السلام: كيف كان حبّكم للدنيا؟

قال: كحبّ الصبي لأُمّه، إذا أقبلت علينا فرحنا و

سررنا، و إذا أدبرت عنّا بكينا و حزنّا.

قال: كيف كانت عبادتكم للطاغوت؟

قال: الطاعة لأهل المعاصي.

قال عليه السلام: كيف كانت عاقبة أمركم؟

فقال: بتنا في ليلة في عافية وأصبحنا في الهاوية.

فقال عليه السلام: و ما الهاوية؟

قال: سجّين.

قال: وما سجّين؟

قال: جبال من جمر توقد علينا الى يوم القيامة.

قال عليه السلام: فما قلتم وما قيل لكم؟

قال: قلنا: ردّنا الى الدنيا فنزهد فيها، قيل لنا: كذبتم.

قال: ويحك كيف لم يكلّمني غيرك من بينهم؟

قال: يا روح الله إنّهم مُلجمون بلجم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد، وأنا كنت فيهم ولم أكُ منهم، فلمّا نزل العذاب عمّني معهم، فأنا معلّق بشعرة على شفير جهنم لاأدري أُكبكب فيها أم أنجو منها.

فالتفت عيسى عليه السلام الى الحواريّين وقال: يا أولياء الله أكل الخبز اليابس بالملح الجريش والنوم على المزابل خير كثير مع عافية الدنيا والآخرة[1].

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣١٨ ح ١١.

بيـان

ما لعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ أما أنّهم ﴾: «أما» بالتخفيف حرف استفتاح وتنبيه تدخل على الجمل لتنبيه المخاطب وطلب إصغائه الى مايُلقى إليه. وقد يحذف ألفها نحو: أم والله زيد قائم.

﴿ لم يموتوا الّا بسخطة ﴾: السخط بالتحريك وبضمّ أوّله وسكون ثانيه: الغضب.

﴿ ولو ماتوا متفرقين لتدافنوا ﴾: الظاهر أنّ تفاعل هنا بمعنى فعل كتوانى بمعنى تأنّى. ويمكن ابقاؤه على أصل المشاركة بتكلّف.

﴿ فقال الحواريّون ﴾: قد تقدّم الكلام في تفسير الحواريّـين فـي الحديث الثامن عشر.

﴿ فنودي من الجوّ ﴾: هو بتشديد الواو: مابين السماء والأرض.

﴿ على شرف ﴾: الشرف: المكان العالي.

قيل: ومنه سُمّي الشريف شريفاً تشبيهاً للـعلوّ المـعنوي بـالعلوّ المكاني.

﴿ فقال ويحكم ﴾: ويح اسم فعل بمعنى الترحّم، كما أنّ «ويـل» كلمة عذاب. وبعض اللغويين يستعمل كلّاً منهما مكان الأُخرى.

﴿ عبادة الطاغوت ﴾: هو فعلوت من الطغيان، وهو تجاوز الحـدّ. وأصله طغيون فقدّموا لامه على عينه على خلاف القياس ثمّ قلبوا الياء ألفاً فصار طاغوت. وهو يُطلق على الكاهن والشيطان والأصنام، وعـلى كـلّ رئيس في الضلالة، وعلى كلّ مايصدّ عن عبادة الله تعالى، وعلى كلّ مـا عُبد من دون الله تعالى.

و يجيء مفرداً كقوله تعالى: ﴿يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت

وقد أُمروا أن يكفروا به﴾[١] وجمعاً كقوله تعالى: ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات﴾[٢].

﴿ وغفلة في لهو ولعب ﴾: لفظة «في» هنا بمعنى الظرفية المجازيّة كما في نحو «النجاة في الصدق»، أو بمعنى «مع» كما في قوله تعالى: ﴿ادخلوا في أُمم قد خلت﴾[٣] أو للسببية كقوله تعالى: ﴿فذلكن الذي لمتنّني فيه﴾[٤].

﴿ إذا أقبلت علينا... الى آخره ﴾: الشرطيتان واقعتان موقع المفسّرة لـ«حبّ الصبيّ لأُمّه».

﴿ فأنا معلّق بشعرة على شفير جهنّم ﴾: كناية عن أنّه مشرف على الوقوع فيها. ولا يبعد أن يُراد به معناه الصريح. والشفير: حافّة الشيء وجانبه.

﴿ أُكبكب فيها ﴾: على صيغة المبني للمفعول، أي أُطرح فيها على وجهي.

﴿ بالملح الجريش ﴾: أي الّذي لم ينعم دقّه.

بيان حال[٥]

[في تشبيه حال أهل الدنيا بشخص مدلّى في بئر]

ماذكره هذا الرجل المكلّم لعيسى عليه السلام في وصف أصحاب تلك القرية وما كانوا عليه من الخوف القليل والأمل البعيد والغفلة واللهو

---

(١) النساء: ٦٠.

(٢) البقرة: ٢٥٧.

(٣) الأعراف: ٣٨.

(٤) يوسف: ٣٢.

(٥) (ع): تبيين حال وذكر مثال.

واللعب والفرح بإقبال الدنيا والحزن بإدبارها هو بعينه حالنا وحال أهل زماننا، بل أكثرهم خالٍ عن ذلك الخوف القليل أيضاً، نعوذ بالله من الغفلة وسوء المنقلب.

وما أحسن مانقله الشيخ الصدوق محمدبن بابويه رحمه الله في كتاب إكمال الدين وإتمام النعمة[١] عن بعض الحكماء في تشبيه حال الإنسان واغتراره بالدنيا وغفلته عن الموت وما بعده من الأهوال و إنهماكه في اللذات العاجلة الفانية الممتزجة بالكدورات بشخص مدلّى في بئرٍ، مشدود وسطه بحبل، وفي أسفل ذلك البئر ثعبان عظيم متوجّه إليه منتظر سقوطه فاتح فاه لإلتقامه، وفي أعلى ذلك البئر جرذان أبيض وأسود لايزالان يقرضان ذلك الحبل شيئاً فشيئاً ولايفتران عن قرضه آناً من الآنات، وذلك الشخص مع أنّه يرى ذلك الثعبان ويشاهد انقراض الحبل آناً فآناً قد أقبل على قليل عسل قد لطخ به جدار ذلك البئر وامتزج بترابه واجتمع عليه زنابير كثيرة، وهو مشغول بلطعه، منهمك فيه، ملتذّ بما أصاب منه، مخاصم لتلك الزنابير عليه، قد صرف باله بأجمعه الى ذلك غير ملتفت الى مافوقه وماتحته.

فالبئر هو الدنيا، والحبل هو العمر، والثعبان الفاتح فاه هو الموت، والجرذان:[٢] الليل والنهار القارضان للأعمار، والعسل المختلط بالتراب هو لذّات الدنيا الممتزجة بالكدورات والآلام، والزنابير هم أبناء الدنيا المتزاحمون عليها.

ولعمري انّ هذا المثل من أشدّ الأمثال إنطباقاً على الممثّل له. نسأل الله البصيرة والهداية ونعوذ به من الغفلة والغواية.

---

(١) كمال الدين: ج ٢ ص ٥٩٣.

(٢) في (ع): والجرذان هو.

هداية

[إطلاق العبادة على طاعة أهل العصيان على نحو الحقيقة]

لعلّك تظنّ أنّ ماتضمّنه هذا الحديث من أنّ الطاعة لأهل المعاصي عبادة لهم جارٍ على ضرب من التجوّز لاالحقيقة، وليس كذلك بل هو حقيقة، فإنّ العبادة ليس إلاّ الخضوع والتذلّل والطاعة والانقياد.

ولهذا جعل سبحانه اتّباع الهوى والانقياد إليه عبادة للهوى فقال تعالى: ﴿افرأيت من اتّخذ إلهه هواه﴾[1] وجعل طاعة الشيطان عبادة له فقال تعالى: ﴿الم أعهد إليكم يابني آدم أن لاتعبدوا الشيطان﴾[2] وقد مرّ فيه كلام في الحديث الحادي عشر.

وقد روى الشيخ الجليل محمّد بن يعقوب الكليني في باب الزي و التجمّل من كتاب الكافي عن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام أنّه قال: من أصغى الى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق يؤدّي عن اللّه فقد عبداللّه، و إن كان يؤدّي عن الشيطان فقد عبد الشيطان[3].

و روى في آخر باب الشرك من الكافي أيضاً عن أبي عبداللّه جعفربن محمّد الصادق عليه السلام أنّه عليه السلام قال: من أطاع رجلاً في معصية فقد عبده[4].

وروى في كتاب العلم من الكافي أيضاً في باب التقليد عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: ﴿اتّخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله﴾. فقال عليه السلام: والله مادعوهم الى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم ماأجابوهم، ولكن أحلّوا لهم حراماً و

---

(٢)الجاثية: ٢٣.

(٢)يس: ٦٠.

(٣)الكافي: ج٦ ص٤٣٤ ح٢٤.

(٤)الكافي: ج٢ ص٣٩٨ ح٨.

حرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون[١].

و روى في هذا الباب بطريق آخر أنّه عليه السلام سُئل عن هذه الآية فقال: والله ماصلّوا لهم ولاصاموا ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فاتّبعوهم[٢].

و إذا كان اتّباع الغير والانقياد إليه عبادة له فأكثر الخلق عند التحقيق مقيمون على عبادة أهواء نفوسهم الخسيسة الدنية وشهواتهم البهيميّة والسبعيّة على كثرة أنواعها واختلاف أجناسها، وهي أصنامهم التي هم عليها عاكفون، والأنداد التي هم لها من دون الله عابدون. وهذا هو الشرك الخفيّ، نسأل الله سبحانه أن يعصمنا عنه و يطهّر نفوسنا منه بمنّه وكرمه.

وما أحسن ماقالت رابعة العدوية رضي الله عنها:

لك ألف معبود مطاع أمرُه　　　دون الإله و تدّعي التوحيد

تذكرة[٣]

[في حقيقة عذاب القبر وكيفيته]

ما تضمّنه هذا الحديث من كون أهل تلك القرية في جبال من جمر توقد عليهم الى يوم القيامة صريح في وقوع العذاب في مدّة البرزخ، أعني ما بين الموت والبعث. وقد انعقد عليه الإجماع، و نطقت به الأخبار، و دلّ عليه القرآن العزيز، وقال به أكثر أهل الملل و إن وقع الاختلاف في تفاصيله.

والذي يجب علينا هو التصديق المجمل بعذاب واقع بعد الموت و قبل الحشر في الجملة. وأمّا كيفيّاته وتفاصيله فلم نكلّف بمعرفتها، و أكثرها ممّا لا يسعه عقولنا، فينبغي ترك البحث والفحص عن تلك التفاصيل

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٥٣ ح ١.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٥٣ ح ٣.

(٣) (ع): تذكرة وتبصرة.

و صرف الوقت فيما هو أهمّ منها، أعني فيما يصرف ذلك العذاب و يدفعه عنّا كيفما كان وعلى أي نوع حصل، وهو المواظبة على الطاعات واجتناب المنهيّات لئلّا يكون حالنا في الفحص عن ذلك والاشتغال به عن الفكر فيما يدفعه وينجي منه كحال شخص أخذه السلطان وحبسه ليقطع في غدٍ يده ويجدع أنفه، فترك الفكر في الحيل المؤدّية الى خلاصه وبقي طول ليله متفكّراً في أنّه هل يقطع بالسكين أو بالسيف؟ وهل القاطع زيد أو عمرو؟

هذا و لعلّنا نورد بعض الأحاديث الواردة في هذا الباب من طرق أهل البيت عليهم السلام في أواخر هذا الكتاب، و لنورد هنا حديثاً واحداً مختصراً.

روينا عن الشيخ الصدوق محمدبن بابويه رحمه الله بسنده الى أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ بين الدنيا والآخرة ألف عقبة أهونها و أيسرها الموت»(١) و في هذا الحديث كفاية، والله الهادي.

ثمّ لايخفى أنّ ما قاله هذا الرجل من أنّه كان فيهم ولم يكن منهم فلمّا نزل العذاب عمّه معهم يُشعر بأنّه ينبغي المهاجرة عن أهل المعاصي والاعتزال عنهم، و أنّ المقيم معهم شريك لهم في العذاب و محترق بنارهم و إن لم يشاركهم في أعمالهم وأقوالهم.

وقد يستأنس لذلك بعموم قوله تعالى: ﴿إنّ الذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنّا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنّم وساءت مصيراً﴾(٢).

---

(١) من لايحضره الفقيه: ج ١ ص ١٢٤ ح ٣٥٩.

(٢) النساء: ٩٧.

و بما رواه الشيخ الجليل محمدبن يعقوب الكليني في باب مجالسة أهل المعاصي من كتاب الكافي عن الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام أنّه نهى بعض أصحابه عن مجالسة رجل من أهل الضلال.

فقال: أي شيء عليَّ منه إذا لم أقل مايقول؟

فقال عليه السلام: أما تخاف أن تنزل به نقمة فتصيبكم جميعاً[١].

والحديث طويل نقلنا منه موضع الحاجة.

ولو لم يكن في الاعتزال عن الناس فائدة سوى ذلك لكفى. كيف و فيه من الفوائد ما لا يعدّ ولا يحصى؟ نسأل الله سبحانه أن يوفّقنا لذلك بمنّه وكرمه.

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥ ح ٢.

الحديث الحادي والعشرون

* علّة اختلاف الأحاديث *

«... قال: فاقبل عليّ عليه السلام فقال: قد سألت فافهم الجواب. إنّ في أيدي الناس حقّاً و باطلاً، و صدقاً و كذباً، و ناسخاً و منسوخاً، و عامّاً و خاصّاً، و محكماً و متشابهاً، و حفظاً و وهماً ، و قد كذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في عهده حتّى قام خطيباً فقال: «أيّها الناس قد كثرت عليّ الكذّابة، فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار» ثمّ كذِب عليه بعده، و إنّما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس. رجل منافق يظهر الإيمان متصنّع بالإسلام لايتأثّم ولايتحرّج أن يكذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم متعمّداً، فلو علم الناس أنّه منافق كذّاب لم يقبلوا منه...».

الكافي: ج١ ص٦٢ ـ ٦٣ ح١

وبالسند المتصل الى الشيخ الجليل عمادالإسلام محمدبن يعقوب، عن عليّ بن ابراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن ابراهيم بن عمر اليماني، عن أبان بن أبي عيّاش، عن سليمان بن قيس الهلالي قال:

قلت لأميرالمؤمنين علي عليه السلام: إنّي سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذرّ شيئاً في تفسير القرآن وأحاديث عن نبيّ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم غير مافي أيدي الناس، ثمّ سمعت منك تصديق ماسمعته منهم، و رأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن و من الأحاديث من نبيّ الله أنتم تخالفونهم فيها و تزعمون أنّ ذلك كلّه باطل، أفترى الناس يكذبون على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم متعمّدين و يفسّرون القرآن بآرائهم.

قال: فأقبل عليّ عليه السلام فقال: قد سألت فافهم الجواب. إنّ في أيدي الناس حقّاً و باطلاً، و صدقاً و كذباً، و ناسخاً و منسوخاً، و عامّاً و خاصّاً، و محكماً و متشابهاً، و حفظاً و وهماً، وقد

كذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في عهده حتّى قام خطيباً فقال: «أيّها الناس قد كثرت عليّ الكذّابة، فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار» ثمّ كذب عليه بعده، و إنّما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس.

رجل منافق يظهر الإيمان متصنّع بالإسلام لايتأثّم ولايتحرّج أن يكذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم متعمّداً، فلو علم الناس أنّه منافق كذّاب لم يقبلوا منه ولم يصدّقوه ولكنّهم قالوا: هذا صحب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و رآه وسمع منه، فأخذوا عنه وهم لايعرفون حاله، وقد أخبره الله تعالى عن المنافقين بما أخبره و وصفهم بما وصفهم فقال عزّوجلّ: ﴿و إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم... الآية﴾[1] ثمّ بقوا بعده فتقرّبوا الى أئمّة الضلال والدعاة الى النار بالزور والكذب والبهتان، فولّوهم الأعمال و حملوهم على رقاب الناس وأكلوا بهم الدنيا، وإنّما الناس مع الملوك والدنيا إلّا من عصم الله. فهذا أحد الأربعة.

و رجل سمع من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم شيئاً لم يحفظه على وجهه و وهم فيه فلم

---

(١) المنافقون: ٤.

يتعمّد كذباً، فهو في يده يقول به ويـعمل بـه و يرويه و يقول أنا سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فلو علم المسلمون أنّه وهم لم يقبلوه، ولو علم هو أنّه وهم لرفضه.

و رجل ثالث سمع من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم شيئاً أمر به ثمّ نهى عنه وهو لايعلم أو سمعه ينهى عن شيء ثمّ أمر بـه وهـو لايـعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ، ولو علم أنّه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنّه منسوخ لرفضوه.

و آخر رابع لم يكذب على رسول الله صـلّى الله عليه وآله وسلّم مبغض للكذب خوفاً من الله و تعظيماً لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يَسْهُ بل حفظ ماسمع على وجهه، فجاء به كـما سمع لم يزد فيه و لم ينقص منه، و علم الناسخ من المنسوخ، فعمل بالناسخ و رفض المنسوخ، فإنّ أمر النبيّ صلّى الله عـليه وآله وسـلّم مـثل القرآن ناسخ و منسوخ و خاصّ و عام و محكم و متشابه. وقد كان يكون من رسول الله صـلّى الله عليه وآله وسلّم الكلام له وجـهان: كـلام عـامّ وكلام خاصّ مثل القرآن، و قال الله عزّوجلّ في كتابه: ﴿ماأتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عـنه

فانتهوا﴾[١].

فيشتبه على من لم يعرف ولم يدر ما عنى الله به و رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وليس كلّ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يسأله عن الشيء فيفهم، وكان منهم من يسأله ولايستفهمه حتّى أن كانوا ليحبّون أن يجيء الأعرابي الطارئ فيسأل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّى يسمعوا.

و قد كنت أدخل على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كلّ يوم دخلة، وكلّ ليلة دخلة، فيخلّيني فيها أدور معه حيث دار، قد علم أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري، وربّما كان يأتيني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أكثر ذلك في بيتي، وكنت إذا دخلت عليه بعض منازله أخلاني وأقام عنّي نساءه فلا يبقى عنده غيري، و إذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم يُقم عنّي فاطمة ولاأحداً من بنيّي وكنت إذا سألته أجابني، وإذا سكتُّ عنه وفنيت مسائلي ابتدأني، فما نزلت على رسول‌الله صلّى‌الله‌عليه‌وآله وسلّم آية من القرآن إلّا أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطّي و علّمني تأويلها و تفسيرها و ناسخها و

(١) الحشر: ٧.

منسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصّها وعامّها، و دعا الله أن يعطيني فهمها و حفظها، فما نسيت آية من كتاب الله عزّوجلّ ولاعلماً أملاه عليّ و كتبته مذ دعا لي بما دعا، وما ترك شيئاً علّمه الله من حلال ولاحرام ولاأمر ولانهي أو شيء كان أو يكون ولاكتاباً منزلاً على أحد قبله من طاعة أو معصية إلّا علّمنيه وحفظته فلم أنس حرفاً واحداً، ثمّ وضع يده على صدري و دعا الله لي أن يملأ قلبي علماً وحكماً ونوراً.

فقلت: يانبيّ الله بأبي أنت وأُمّي مذ دعوت الله بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يَفُتني شيء لم أكتبه أفتتخوف عليّ النسيان فيما بعد؟

فقال: لالست أتخوّف عليك النسيان أو الجهل[1].

بيـان

ما لعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ ومحكماً ومتشابهاً ﴾: المحكم في اللغة هو المضبوط المتقن.

ويُطلق في الاصطلاح على ما اتّضح معناه وظهر لكلّ عارف باللغة مغزاه، وعلى ما كان محفوظاً من النسخ أو التخصيص أو منهما معاً، وعلى ما كان نظمه مستقيماً خالياً عن الخلل، وعلى ما لا يحتمل من التأويل إلّا وجهاً واحداً ويقابله بكلّ من هذه المعاني المتشابهة. وكلّ منهما يجوز أن يكون مراداً له عليه السلام بقوله: محكماً ومتشابهاً.

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٦٢ ـ ٦٤ ح ١.

﴿ قد كثرت عليَّ الكذّابة ﴾: بالتشديد كسيّارة، والجارّ إمّا متعلّق به أو بـ«كثرت» على تضمين اجتمعت ونحوه.

﴿ فليتبوّأ مقعده من النار ﴾: أي لينزل منزله منها، تقول: تبوّأت منزلاً أي نزلته. وهذا الحديث معدود من المتواترات.

﴿ متصنّع بالإسلام ﴾: أي متكلّف له ومتدلّس به غير متّصف به في نفس الأمر.

﴿ لايتأثّم ولايتحرّج ﴾: العطف تفسيري، أي لايعدّ نفسه آثماً بالكذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

﴿ وقد أخبره الله عن المنافقين بما أخبره... الى آخره ﴾: المراد انّ المنافقين كان ظاهرهم ظاهراً حسناً، وكلامهم كلاماً مزيّناً مدلّساً يوجب اغترار الناس بهم وتصديقهم لهم فيما ينقلونه عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم من الأحاديث، ويرشد الى ذلك أنّه سبحانه خاطب نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بقوله: ﴿إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾ أي لصباحتهم و حسن منظرهم ﴿وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾[1] أي تصغي إليه لذلاقة ألسنتهم.

﴿ بالزور والكذب ﴾: متعلّق بـ«تقرّبوا» والعطف تفسيري.

﴿ ناسخ و منسوخ ﴾: خبر ثانٍ لـ«أن»، أو خبر مبتدأ محذوف أي بعضه ناسخ وبعضه منسوخ، أو بدل من «مثل» وجرّه على البدلية من القرآن ممكن، فإنّ قيام البدل مقام المبدل منه غير لازم عند كثير من المحقّقين. وقد جعل صاحب الكشّاف «الجنّ» في قوله تعالى: ﴿وجعلوا لله شركاء الجنّ﴾[2] بدلاً من «شركاء» ولايقوم مقامه[3].

---

(١) المنافقون: ٤.

(٢) الأنعام: ١٠٠.

(٣) تفسير الكشّاف: ج ٢ ص ٥٢.

﴿ **وقد كان يكون من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم** ﴾: اسم كان ضمير الشأن و «يكون» تامّة، وهي مع اسمها الخبر.

﴿ **وله وجهان** ﴾: نعت للكلام لأنّه في حكم النكرة أو حال منه. و إن جعلت «يكون» ناقصة فهو خبرها.

﴿ **فيشتبه** ﴾: متفرّع على ماقبل الآية.

﴿ **ولم يدر ماعنى الله به** ﴾: الموصول مفعول «يدر»، ويحتمل أن يكون فاعل «يشتبه».

﴿ **الأعرابي الطارىء** ﴾: أي المتجدّد قدومه.

﴿ **فيخلّيني فيها أدور معه** ﴾: يخلّيني: إمّا من الخلوة أو من التخلية، أي يتركني أدور معه حيث دار. والظاهر أنّه ليس المراد الدوران الجسمي بل العقلي.

والمعنى أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يطلعني على الأسرار المصونة عن الأغيار ويتركني أخوض معه في المعارف اللاهوتية والعلوم الملكوتية التي جلّت عن أن يكون شريعة لكلّ وارد أو يطّلع عليها الّا واحد بعد واحد.

﴿ **وعلّمني تأويلها وتفسيرها** ﴾: التأويل: إرجاع الكلام وصرفه عن معناه الظاهري الى معنى أخفى منه، مأخوذ من آل يؤول إذا رجع. وقد تقرّر أنّ لكلّ آية ظهراً وبطناً.

والمراد أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أطلعه عليه السلام على تلك البطون المصونة وعلّمه تلك الأسرار المكنونة.

والتفسير لغةً: كشف معنى اللفظ و إظهاره، مأخوذ من الفسر، وهو مقلوب السفر، يقال: أسفرت المرأة عن وجهها إذا كشفته، وأسفر الصبح إذا ظهر.

وفي الاصطلاح: علم يبحث فيه عن كلام الله المنزل للإعجاز من

حيث الدلالة على مراده سبحانه.

وقولنا: «المنزل للإعجاز» لإخراج البحث عن الحديث القدسي.

﴿ **من طاعة أو معصية** ﴾: أي ممّا يوجب طاعة الله أو معصيته.

﴿ **أن يملأ قلبي علماً وحكماً** ﴾: أي حكمة فإنّ الحكم بضمّ الحاء يجيء بمعنى الحكمة أيضاً ولا يبعد أن يُقرأ «وحِكَماً»: بكسر الحاء وفتح الكاف: جمع حكمة.

تنبيه[1]

[تحقيق حول وضع الحديث وذكر بعض الأحاديث الموضوعة]

لاريب في أنّه قد كُذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم للتوصّل الى الأغراض الفاسدة والمقاصد الباطلة من التقرّب الى الملوك و ترويج الآراء الزائفة أي الضعيفة وغير ذلك.

ودعوى صرف القلوب عن ذلك ظاهرة البطلان. وما تضمّنه هذا الحديث من قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم «قد كثرت عليَّ الكذّابة» دليل على وقوعه، لأنّ هذا القول إمّا أن يكون قد صدر عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أولا، والمطلوب على التقديرين حاصل كما لايخفى . و لوجود الأحاديث المتنافية التي لايمكن الجمع بينها، وليس بعضها ناسخاً لبعض قطعاً.

وما ذكره عليه السلام من وضع الحديث للتقرّب الى الملوك قد وقع كثيراً، فقد حُكي أنّ غيّاث بن إبراهيم دخل على المهدي العبّاسي وكان يحبّ المسابقة بالحمام فروى عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «لاسبق إلّا في خفّ أو حافر أو نصل أو جناح» فأمر له المهدي بعشرة

---

(١) (ع): تبصرة.

آلاف درهم. فلمّا خرج قال المهدي: أشهد أنّ قفاه قفا كذّاب على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، ماقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم «أو جناح» ولكن هذا أراد أن يتقرب إلينا، وأمر بذبح الحمام، وقال: أنا حملته على ذلك[1].

وقد وضع الزنادقة ـ خذلهم الله ـ كثيراً من الأحاديث، وكذلك الغلاة والخوارج.

و يُحكى أنّ بعضهم كان يقول بعد ما رجع عن ضلالته: انظروا الى هذه الأحاديث عمّن تأخذونها فإنّا كنّا إذا رأينا رأياً وضعنا له حديثاً.

وقد صنّف جماعة من العلماء كالصغاني وغيره كتباً في بيان الأحاديث الموضوعة، وعدّوا من تلك الأحاديث:

«السعيد من وعظ بغيره».

«الشقي من شقي في بطن اُمّه».

«الجنّة دار الأسخياء».

«طاعة النساء ندامة».

«دفن البنات من المكرمات».

«اطلبوا الخير عند حسان الوجوه».

«لا همّ إلّا همّ الدين، ولا وجع إلّا وجع العين».

«الموت كفّارة لكلّ مسلم».

«إنّ التجار هم الفجّار».

قال الصغاني في كتاب الدر الملتقط: ومن الموضوعات مازعموا أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: إنّ الله يتجلّى يوم القيامة للخلائق عامّة، ويتجلّى لك ياأبابكر خاصّة.

---

(١) الدراية للشهيد الثاني: ص٥٦.

وأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «حدّثني جبرئيل انّ الله تعالى لمّا خلق الأرواح اختار روح أبي بكر من بين الأرواح» وأمثال ذلك كثير.

ثمّ قال الصغاني: وأنا انتسب الى عمر وأقول فيه الحقّ لقول النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «قولوا الحقّ ولو على أنفسكم والوالدين والأقربين».

فمن الموضوعات ما روي أنّ أوّل **من يُعطى** كتابه بيمينه عمر بن الخطّاب وله شعاع كشعاع الشمس. قيل: فأين أبوبكر؟ فقال: سرقته الملائكة.

ومنها: «من سبّ أبابكر وعمر قُتل، ومن سبَّ عثمانَ وعليّاً جُلد الحدّ» الى غير ذلك من الأحاديث المختلفة.

ومن الموضوعات: «زُر غبّاً تُزد حبّاً».

«النظر الى الخضرة تزيد في البصر».

«من قاد أعمى أربعين خطوة غفر الله له».

«العلم علمان: علم الأديان و علم الأبدان» إنتهى كلام الصغاني منتخباً.

و قد ظهر في الهند بعد الستّمائة من الهجرة شخص اسمه بابارتن ادّعى أنّه من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؛ وأنّه عمّر الى ذلك الوقت، وصدّقه جماعة، واختلق أحاديث كثيرة زعم أنّه سمعها من النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم. قال صاحب القاموس: سمعنا تلك الأحاديث من أصحاب أصحابه، وقد صنّف الذهبي كتاباً في تبيين كذب ذلك اللعين سمّاه «كسر وثن بابارتن» والأحاديث الموضوعة أكثر من أن تحصى.

تذكـرة

[اخبار أميرالمؤمنين عليه السلام عن بعض المغيّبات]

ماتضمّنه هـذا الحـديث مـن تـعليمه صـلّى الله عـليه وآله وسـلّم لأميرالمؤمنين عليّ عليه السلام ما كان و ما يكـون يـمكن حـمله عـلى الأحكام الشرعيّة في المسائل الكائنة والمتجدّدة، و يمكن حمله على بعض المغيّبات التي أطلع الله تعالى رسوله صـلّى الله عـليه وآله وسـلّم عليها، فقد نقل أصحاب السير من الخاصّ والعامّ أنّ أميرالمؤمنين عـليه السلام أخبر بكثير من ذلك، كقوله[1] عليه السلام لمّا استأذنه طلحة والزبير في الخروج الى العمرة: «والله مايريدان العمرة ولكن يريدان البصرة، وإنّ الله تعالى سيردّ كيدهما ويظفرني بهما».

وكإخباره[2] عن عدم عبور الخوارج النهر وقال: «كيف يعبرونه وقد أخبرني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّ مصرعهم دونه».

وكإخباره[3] عن قتل نفسه قبل قتله بثلاث ليالٍ، وكان لايتناول فيهما إلّا مايسدّ الرمق ويقول: ألقى الله خميصاً.

وكإخباره[4] كميل بن زياد بقتل الحجّاج له.

وكإخباره[5] وهو متوجّه الى صفّين لمّا مرّ بكربلاء عن قتل الحسين عليه السلام فيها.

وكإخباره[6] بزوال دولة بني العبّاس على يد الأتراك. وغير ذلك ممّا هو مشهور وفي كتب السير مسطور.

وقد تظافرت الأخبار بأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أملى على أميرالمؤمنين عليه السلام كتابي الجفر والجامعة وأنّ فيهما علم مـاكـان ومايكون الى يوم القيامة.

ونقل الشيخ الجليل عمادالإسلام محمدبن يـعقوب الكـليني فـي كتاب الكافي عن الإمام جعفربن محمد الصادق عليه السلام أحـاديث

كثيرة في أنّ ذينك الكتابين كانا عنده، وأنّهما لا يزالان عند الأئمّة عليهم السلام يتوارثونه واحداً بعد واحد[١].

وقال المحقّق الشريف في شرح المواقف في مبحث تعلّق العلم الواحد بمعلومين: إنّ الجفر والجامعة كتابان لعلي كرّم الله وجهه قد ذكر فيهما على طريقة علم الحروف الحوادث التي تحدث الى انقراض العالم، وكان الأئمّة المعروفون من أولاده يعرفونهما ويحكمون بهما.

وفي كتاب قبول العهد الذي كتبه عليّ بن موسى الرضا عليه السلام الى المأمون: إنّك قد عرفت من حقوقنا مالم يعرفه آباؤك فقبلت منك عهدك إلّا أنّ الجفر والجامعة يدلّان على أنّه لا يتمّ.

ولمشايخ المغاربة نصيب من علم الحروف ينسبون فيه الى أهل البيت عليهم السلام، ورأيت بالشام نظماً أُشير فيه بالرموز الى أحوال ملوك مصر وسمعت أنّه مستخرج من ذينك الكتابين الى هنا كلام الشريف.

---

(١) راجع الكافي: ج ١ ص ٢٣٨ باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة.

الحديث الثاني والعشرون

* وصايا أمير المؤمنين عليه السلام حين شهادته *

«... قال: لمّا حضرت أبي الوفاة أقبل يوصي، فقال: هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أخو محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وابن عمّه وصاحبه:

أوّل وصيتي انّي أشهد أن لاإله الّا الله وأنّ محمّداً رسوله، اختاره بعلمه، وارتضاه بخبرته، و أنّ الله باعث من في القبور، وسائل الناس عن أعمالهم، عالم بما في الصدور.

ثمّ إنّي أُوصيك ياحسن -وكفى بك وصيّاً- بما أوصاني به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فإذاكان ذلك يا بنيّ فالزم بيتك، و أبكِ على خطيئتك، ولاتكن الدنيا أكبر همّك، و أُوصيك يا بنيّ بالصلاة عند وقتها، والزكاة في أهلها عند محلّها...».

أمالي الطوسي: المجلس١ ج١ ص٧، أمالي المفيد: المجلس ٢٦ ص ٢٢٠

و بالسند المتصل الى شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي، قال: حدّثنا محمد بن محمد بن النعمان في شهر رمضان سنة تسع وأربعمائة، حدّثنا عمر بن محمد بن عليّ الصيرفي المعروف بابن الزيات، حدّثنا أبو عليّ محمد بن همّام الإسكافي ، حدّثنا جعفر بن محمد بن مالك ، حدّثنا احمد بن سلامة الغنوي بفتح الغين والنون، حدّثنا محمد بن الحسين العامري، حدّثنا أبو معمّر، عن أبي بكر بن عيّاش، عن الفجيع العقيلي، حدّثنا الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام قال:

لمّا حضرت أبي الوفاة أقبل يوصي، فقال: هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أخو محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وابن عمّه وصاحبه: أوّل وصيتي انّي أشهد أن لاإله الّا الله وأنّ محمّداً رسوله، اختاره بعلمه، وارتضاه بخبرته، وأنّ الله باعث من في القبور، وسائل الناس عن أعمالهم، عالم بما في الصدور.

ثمّ إنّي أُوصيك ياحسن - وكفى بك وصيّاً- بما أوصاني به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فإذا كان ذلك يا بنيّ فالزم بيتك، و ابكِ على خطيئتك، ولاتكن الدنيا أكبر همّك، و أُوصيك

يا بنيّ بالصلاة عند وقتها، والزكاة في أهلها عند محلّها، والصمت عند الشبهة، والعدل في الرضا والغضب، و حسن الجوار، و إكرام الضيف، و رحمة المجهود و أصحاب البلاء، وصلة الرحم، وحبّ المساكين ومجالستهم، والتواضع فإنّه من أفضل العبادة، و قصر الأمل، و ذكر الموت، والزهد، فإنّك رهينُ موتٍ وغرضُ بلاءٍ وطريح سَقَم.

وأُوصيك بخشية الله في سرّ أمرك وعلانيتك، وأنهاك عن التسرّع في القول والفعل، وإذا عرض شيء من أمر الآخرة فابدأ به، و إذا عُرض شيء من أمر الدنيا فتأنّه حتّى تُصيب رشدك فيه. و إيّاك ومواطن التهمة والمجلس المظنون به السوء فإنّ قرين السوء يغرّ جليسه. وكن لله - يا بنيّ - عاملاً، وعن الخنا زجوراً، وبالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً. وراخ الإخوان في الله، وأحبّ الصالح، ودار الفاسق عن دينك وأبغضه بقلبك و زايله بأعمالك لئلّا تكون مثله، و إيّاك والجلوس في الطرقات ، ودع المماراة و مجاراة من لاعقل له ولاعلم.

واقتصد - يا بنيّ - في معيشتك، واقتصد في عبادتك، وعليك فيها بالأمر الدائم الذي تطيقه، والزم الصمت تسلم، وقدّم لنفسك تغنم، وتعلّم الخير تعلم، وكن لله ذاكراً على كلّ حال، وارحم

من أهلك الصغير، ووقّر منهم الكبير، ولاتأكلن طعاماً حتّى تصدّق قبل أكله، وعليك بالصوم فإنّه زكاة البدن و جنّة لأهله، و جاهد نفسك، واحذر جليسك، واجتنب عدوك . و عليك بمجالس الذكر، وأكثر من الدعاء، فإنّي لم آلك يا بنيّ نصحاً. و هذا فراق بيني و بينك(١).

بيان

ما لعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ **وارتضاه بخبرته** ﴾: الخُبر والخُبرة بالخاء المعجمةالمضمومة الموحّدة الساكنة: يرادف العلم، فهذه الجملة كالمؤكّدة لما قبلها.

﴿ **فإذاكان ذلك** ﴾: الإشارةالى حلول أجله عليه السلام، و«كان» تامّة.

﴿ **عند محلّها** ﴾: بكسر الحاء، أي عند أجلها، و هو حلول الحول في النقدين والأنعام. وحول الزكاة عندنا أحد عشر شهراً.

﴿ **و حسن الجوار** ﴾: عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتّى ظننت أنّه سيورّثه»(٢) والأحاديث في ذلك كثيرة.

وليس حسن الجوار كفّ الأذى عنه فقط، بل تحمّل الأذى منه أيضاً.

ومن جملة حسن الجوار ابتداؤه بالسلام، وعيادته في مرضه، و تعزيته في المصيبة، وتهنئته في الفرج، والصفح عن زلّاته، وعدم التطلّع الى عوراته، وترك مضايقته فيما يحتاج اليه من وضع جذوعه على جدارك وتسليط ميزابه الى دارك، وماشابه ذلك.

---

(١) أمالي الطوسي: المجلس الأوّل ج ١ ص ٧، أمالي المفيد: مجلس ٢٦ ص ٢٢٠.

(٢) الجامع الصغير: ج ٢ ص ١٤٧.

﴿ و إكرام الضيف ﴾: عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»[١] الى غير ذلك من الأحاديث.

و من جملة إكرامه: تعجيل الطعام، و طلاقة الوجه، والبشاشة، و حسن الحديث حال المؤاكلة، ومشايعته الى باب الدار، وأمثال ذلك.

وقد عُدّ من جملة إكرام الضيف تقديم الفاكهة إليه قبل الطعام لأنّه أوفق بالطبّ وأبعد عن الضرر كما قدّمها سبحانه في قوله عزّوجلّ: ﴿وفاكهة ممّا يتخيّرون* ولحم طيرٍ ممّا يشتهون﴾[٢].

﴿ و رحمة المجهود ﴾: أي الذي وقع في تعب ومشقّة.

﴿ وحبّ المساكين ومجالستهم ﴾: روي أنّ الحسن عليه السلام اجتاز بالمدينة في طريق وهو راكب، فرأى جماعة من المساكين وقد أخرجوا كسراً يابسة وهم يأكلونها، فسلّم عليهم فقالوا: هلّم يابن رسول الله الى الغذاء. فنزل عليه السلام وجلس معهم على الأرض وشاركهم في الأكل حتّى فرغوا، ثمّ قام[٣].

و روي أنّه عليه السلام مرّ يوماً بجماعة من المجذومين وهم يأكلون و كان عليه السلام صائماً فقالوا: هلّم الى الغذاء. فقال: إنّي صائم وخشي أن يكون قد حصل لهم بذلك كسر قلب، فقال: تأتوني الليلة جميعاً لأفطر معكم. فأتوه عند المساء وأكل معهم على خوان واحد جبراً لقلوبهم.

و ربّما روي ذلك عن الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام.

﴿ و قصَر الأمل ﴾: في الحديث: إذا أصبحت فلا تحدّث نفسك

---

(١) جامع الأخبار: باب ٩٤ ص١٥٨، سنن ابن ماجه: ج ٢ ص ١٢١٢ كتاب الأدب.

(٢) الواقعة: ٢٠ ـ ٢١.

(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ٢٣.

بالمساء، و إذا أمسيت فلا تحدّث نفسك بالصباح، وخذ من حياتك لموتك، ومن صحتك لسقمك، فإنّك لاتدري مااسمك غداً[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: إنّما أخاف عليكم اثنين: اتّباع الهوىٰ و طول الأمل. أمّا اتّباع الهوىٰ فإنّه يصدّ عن الحقّ. وأمّا طول الأمل فإنّه يُنسي الآخرة[٢].

وروي أنّ اُسامة بن زيدبن ثابت اشترى وليدة بمائة دينار الى شهر. فبلغ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: ألا تعجبون من اُسامة المشتري الى شهر، أنّ اُسامة لطويل الأمل... الحديث[٣].

وسبب طول الأمل هو حبّ الدنيا، فإنّ الانسان إذا أنس بها وبلذّاتها ثقل عليه مفارقتها وأحبّ دوامها فلا يتفكّر في الموت الذي هو سبب مفارقتها، فإنّ من أحبّ شيئاً كره الفكر فيما يزيله ويبطله، فلا يزال يمنّي نفسه البقاء في الدنيا ويقدّر حصول مايحتاج إليه من أهل ومال وأدوات وأسباب و يصير فكره مستغرقاً في ذلك، فلا يخطر الموت بخاطره، و ان خطر بباله الموت والتوبة والإقبال على الأعمال الاُخروية أخّر ذلك من يوم الى يوم، ومن شهر الى شهر، ومن سنة الى سنة، وقال: الى أن أكتهل و يزول سنّ الشباب، فإذا اكتهل قال: الى أن أصير شيخاً، فإذا شاخ قال: الى أن اُتمّم عمارة هذه الدار أو اُزوّج ولدي الفلاني أو الى أن أرجع من هذا السفر. وهكذا يؤخّر التوبة شهراً بعد شهر وسنة بعد سنة، وكلّما فرغ من شغل عرض له شغل بل أشغال حتّى يختطفه الموت وهو غافل عنه، غير مستعدّ له، مستغرق القلب في اُمور الدنيا، فتطول في الآخرة حسرته و تكثر ندامته، وذلك هو الخسران المبين، نعوذ بالله منه.

---

(١) صحيح البخاري: ج ٨ ص ١١٩. نظير هذه الرواية.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٣٥ ح ٣.

(٣) المحجة البيضاء: ج ٨ ص ٢٤٥ نقلاً عن البيهقي في شعب الإيمان.

﴿ فانّك رهين موت ﴾: فعيل بمعنى مفعول،أي إنّك مرهون الموت و ماله، وقد رهنك في هذه الدنيا مدّة قليلة ثمّ عن قريب يفكّ رهنه و يتصرّف في ماله.

﴿ وغرض بلاء ﴾: بالغين والضاد المعجمتين أي هدف بلاء.

﴿ و طريح سقم ﴾: أي مطروح له، ذليل عنده، وهو متمكّن منك غاية التمكّن، إذ الإنسان لتركّبه من المواد المتضادّة المشرفة على الإنحلال في غاية الاستعداد للأمراض والأسقام بفتحتين و بضمّ السين و إسكان القاف كالحَزن والحُزن.

﴿ وأُوصيك بخشية الله ﴾: قال المحقّق الطوسي طاب ثراه في بعض مؤلّفاته ماحاصله: إنّ الخوف والخشية و إن كانا في اللغة بمعنى واحد إلّا انّ بين خوف الله وخشيته في عرف أرباب القلوب فرقاً هو: إنّ الخوف تألّم النفس من العقاب المتوقّع بسبب ارتكاب المنهيّات والتقصير في الطاعات، وهو يحصل لأكثر الخلق. و إن كانت مراتبه متفاوتة جدّاً، والمرتبة العليا لاتحصل إلّا للقليل.

والخشية: حالة تحصل عند الشعور بعظمة الحقّ و هيبته و خوف الحجب عنه.وهذه‌الحالة لاتحصل إلّا لمن‌اطّلع على جلال الكبرياء وذاق لذّة القرب، و لذلك قال سبحانه: ﴿ انّما يخشى الله من عباده العلماء ﴾[1] فالخشية خوف خاصّ، وقد يُطلقون عليها الخوف أيضاً. انتهى كلامه.

والمراد بالخشية في العلانية أن تظهر آثارها في الأفعال والصفات من كثرة البكاء ودوام التحرّق وملازمة الطاعات وقمع الشهوات حتّى يصير جميعها مكروهاً لديه كما يصير العسل مكروهاً عند من عرف أنّ فيه سمّاً قاتلاً مثلاً. و إذا احترقت جميع الشهوات بنار الخوف ظهر في القلب الذبول والخشوع والانكسار، وزال عنه الحقد والكبر و الحسد،

---

(١) فاطر: ٢٨.

وصار كلّ همّه النظر في خطر العاقبة، فلا يتفرّغ لغيره ولا يصير له شغل إلّا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والاحتراز من تضييع الأنفاس والأوقات و مؤاخذة النفس في الخطوات والخطرات. وأمّا الخوف الّذي لا يترتّب عليه شيء من هذه الآثار فلا يستحقّ أن يُطلق عليه اسم الخوف، وانّما هو حديث نفس. ولهذا قال بعض العارفين: إذا قيل لك هل تخاف الله؟ فاسكت عن الجواب، فإنّك إن قلت «لا» كفرت، و إن قلت «نعم» كذبت.

﴿ **وأنهاك عن التسرّع في القول والفعل** ﴾: أي الإسراع والمبادرة إليهما من دون تأمّل و تدبّر.

﴿ **و إذا عرض شيء من أمر الدنيا فتأنّه** ﴾: الهاء للسكت، ويحتمل أن يكون من باب الحذف والايصال، أي فتأنّ فيه.

﴿ **ومواطن التُّهَمَة** ﴾: هي بالتحريك.

﴿ **يغرّ جليسه** ﴾: أي يخدعه ويوقعه فيما هو فيه.

﴿ **وكن لله يابنيّ عاملاً** ﴾: تقديم الظرف للحصر، أي ليكن عملك خالصاً لوجه الله غير ملاحظ فيه غيره حتّى الفوز بالثواب والخلاص من العقاب، كما قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «والله ماعبدتك خوفاً من نارك، ولاطمعاً في جنّتك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»[١] وهذه مرتبة عالية لايصل إليها إلّا القليل.

وانّما حملنا الكلام عليها، لأنّ بقيّة المراتب أظهر من أن يوصى بها و ستسمع في الإخلاص كلاماً في الحديث السابع والثلاثين إن شاءالله تعالى.

﴿ **وعن الخنا زجوراً** ﴾: أي زاجراً عن الفحش نفسك وغيرك.

﴿ **وراخ الإخوان في الله** ﴾: راخ بالخاء المعجمة من المراخاة، وهي ضدّ التشدّد.

---

(١) عوالي اللئالي: ج ١ ص ٤٠٤ وج ٢ ص ١١.

﴿ **وزايله بأعمالك** ﴾: أي لتكن أعمالك مباينة لأعماله. والمزايلة: المباينة.

﴿ **ودع المماراة** ﴾: أي المجادلة.

﴿**ومجاراة من لاعقل له**﴾:أي الخوض معه في الكلام.

﴿ **واقتصد يابنيّ في معيشتك واقتصد في عبادتك** ﴾: الاقتصاد هو التوسّط بين التبذير والتقتير. والمراد من الإقتصاد في العبادة: الإتيان منها بما لايلحق البدن منه مشقّة شديدة لئلا يتنفّر الطبع عنها.

روى الشيخ الجليل محمدبن يعقوب عن الإمام أبي عبدالله جعفربن محمد الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأميرالمؤمنين عليه السلام: ياعليّ إنّ هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، لاتبغّض الى نفسك عبادة ربّك، انّ المنبَتّ - يعني المفرط في السير - لاظهراً أبقى ولاأرضاً قطع، فاعمل عمل من يرجو أن يموت هرماً، واحذر حذر من يتخوّف أن يموت غداً[١].

﴿ **والزم الصمت تسلم** ﴾: أي تسلم من آفات اللسان والمعاصي الناشئة منه. وهي متكثّرة جدّاً، فإنّه ما من موجود ومعدوم وخالق و مخلوق و معلوم و موهوم الاّ ويتناوله اللسان و يتعرّض له بنفي أو إثبات. و هذه الخاصيّة لاتوجد في بقيّة أعضاء الإنسان، فإنّ العين لاتصل الى غير الألوان والأضواء، والأُذن لاتصل الى غير الأصوات، واليد لاتصل الى غير الأجسام. وأمّا اللسانفميدانه واسع جدّاً، وله في كلّ من الخير والشر مجال عريض.

وعن معاذبن جبل أنّه قال: قلت: يارسول الله أنؤاخذ بما نقول؟ فقال: ثكلتك أُمّك، وهل يكبّ الناس في النار على مناخرهم إلّا حصائد

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٨٧ ح ٦.

ألسنتهم[١].

وعنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت[٢]. والأحاديث في ذلك كثيرة.

﴿ فانّه جنّة ﴾: أي وقاية من النار.

﴿ فإنّي لم آلك يابنيّ نصحاً ﴾: أي لم أمنعك، والألو في الأصل بمعنى التقصير، لكنّه كثيراً مايضمّن معنى المنع فيتعدّى الى مفعولين كما فيما نحن فيه. ولنا في هذا المقام كلام على بعض الأعلام أوردناه في شرحنا على الحاشية الخاطبية[٣] فمن أراده فليقف عليه.

﴿ و هذا فراق بيني و بينك ﴾: يجوز أن يُقرأ بإضافة المصدر الى الظرف على الاتّساع، ويجوز أن يُقرأ «فراق» بالتنوين والظرف نعته. وقد قُرىء بالوجهين قوله تعالى: ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾[٤].

نقل مقال لإزالة إشكال

[توجيه استغفار المعصومين عليهم السلام]

ماتضمّنه صدر الحديث من قوله عليه السلام: «وابك على خطيئتك» لايستقيم بظاهره على قواعد الإمامية القائلين بالعصمة. وقد ورد مثله كثيراً في الأدعية المرويّة عن أئمّتنا عليهم السلام، كما روي عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام أنّه كان يقول في سجدة الشكر: «ربّ عصيتك بلساني ولو شئت وعزّتك لأخرستني، وعصيتك ببصري ولو شئت وعزّتك لأكمهتني، وعصيتك بسمعي ولو شئت وعزّتك لأصممتني...

---

(١) مسند أحمدبن حنبل: ج ٥ ص ٢٣٧.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٦٦٧ ح ٦.

(٣) وهي حاشية على شرح مختصر تلخيص المفتاح للتفتازاني.

(٤) الكهف: ٧٨.

الى آخر الدعاء(١).

وفي الصحيفة الكاملة المنسوبة الى الإمام زين العابدين عليه السلام أشياء كثيرة من هذا القبيل، بل روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم مايشعر بذلك أيضاً.

روى الشيخ الجليل محمدبن يعقوب الكليني في باب الاستغفار من كتاب الكافي عن الإمام أبي عبدالله جعفربن محمد الصادق عليه السلام انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يتوب الى الله عزّوجلّ كلّ يوم سبعين مرّة(٢).

وروى العامّة في صحاحهم أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: إنّي لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرّة(٣) وأمثال ذلك من طرق الخاصّة والعامّة كثيرة.

وأحسن ماتضمحلّ به هذه الشبهة ماأفاده الفاضل الجليل بهاءالدين عليّ بن عيسى الأربلي قدّس الله روحه في كتاب كشف الغمّة، قال رحمه الله: إنّ الأنبياء والأئمّة عليهم السلام تكون أوقاتهم مستغرقة بذكر الله تعالى، وقلوبهم مشغولة به، وخواطرهم متعلّقة بالملأ الأعلى، وهم أبداً في المراقبة كما قال عليه السلام: «اعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تره فإنّه يراك» فهم أبداً متوجّهون إليه، منقلبون بكلّيتهم عليه، فمتى انحطّوا عن تلك الرتبة العالية والمنزلة الرفيعة الى الاشتغال بالمأكل والمشرب والتفرّغ الى النكاح وغيره من المباحات عدّوه ذنباً واعتقدوه خطيئة، فاستغفروا منه.

ألا ترى انّ بعض عبيد الدنيا لو قعد يأكل ويشرب وينكح وهو يعلم

---

(١) الكافي: ج ٣ ص ٣٢٦ ح ١٩.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٤٣٨ ح ٤.

(٣) صحيح البخاري: ج ٧ ص ٨٣ كتاب الدعوات.

أنه بمرأى من سيّده ومسمع لكان ملوماً عند الناس ومقصّراً فيما يجب عليه من خدمة سيّده ومالكه، فما ظنّك بسيّد السادات ومالك الأملاك، و الى هذا أشار عليه السلام بقوله: «إنّه ليران على قلبي وإنّي لاستغفر بالنهار سبعين مرّة» و بقوله: «حسنات الأبرار سيئات المقرّبين»[1] هذا ملخّص كلامه خصّه الله بإكرامه.

و قد اقتفى أثره القاضي الفاضل البيضاوي في شرح المصابيح عند شرح قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّه ليغان على قلبي و إنّي لاستغفر الله في اليوم مائة مرّة» قال: الغين لغة في الغيم، وغان على كذا: أي غطّى عليه.

قال أبوعبيدة في معنى الحديث: أي يتغشّى قلبي مايلبسه.

وقد بلغنا عن الأصمعِيّ أنّه سُئل عن هذا الحديث فقال للسائل: عن قلب مَن تروي هذا؟ فقال عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: لو كان غير قلب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لكنت أُفسّره لك.

قال القاضي: ولله درّ الأصمعي في انتهاج منهج الأدب و إجلاله القلب الذي جعله الله موقع وحيه ومنزل تنزيله. وبعد فانّه مشرب سدّ عن أهل اللسان موارده، وفتح لأهل السلوك مسالكه. وأحقّ من يعرب أو يعبّر عنه مشايخ الصوفية الذين بارك الحقّ أسرارهم، ووضع الذكر عنهم أوزارهم، ونحن بالنور المقتبس من مشكاتهم نذهب ونقول: لمّا كان قلب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أتمّ القلوب صفاءً وأكثرها ضياءً وأعرفها عرفاناً، وكان صلّى الله عليه وآله وسلّم معيّناً مع ذلك لتشريع الملّة و تأسيس السنّة، ميسّراً غير معسّر، لم يكن له بدّ من النزول الى الرخص، والالتفات الى حظوظ النفس مع ماكان ممتحناً به من أحكام البشريّة،

---

(١) كشف الغمّة: ج ٢ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

فكان إذا تعاطى شيئاً من ذلك أسرعت كدورة ما الى القلب لكمال رقّته و فرط نورانيّته، فإنّ الشيء كلّما كان أرقّ وأصفى كان ورود المكدّرات عليه أبين وأهدى. وكان صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا أحسّ بشيء من ذلك عدّه على النفس ذنباً فاستغفر منه. إنتهى كلامه ملخّصاً.

وللشيخ العارف كمال الدين عبدالرزاق الكاشي رحمه الله في هذا المقام كلام جيد جدّاً منعني عن ذكره خوف التطويل، والله الهادي الى سواء السبيل.

وفي استغفار المعصومين عليهم السلام أقوال أخر. منها كلام الشيخ لطف الله الصافي حفظه الله في شرح حديث [illegible] فليراجع.

الحديث الثالث والعشرون

* وجوب الحذر من الذّنوب *

«... قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: عجبتُ لمن يحتمي من الطعام مخافة الداء كيف لايحتمي من الذنوب مخافة النار».

أمالي الصدوق: المجلس ٣٤ ص١٥٩

و بالسند المتصل الى الشيخ الصدوق محمد بن بابويه، عن جعفر بن عليّ بن الحسن الكوفي، عن جدّه الحسن بن عليّ بن عبدالله، عن جدّه عبدالله بن المغيرة، عن اسماعيل بن مسلم، عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه أميرالمؤمنين عليّ عليهم السّلام قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: عجبتُ لمن يحتمي من الطعام مخافة الداء كيف لايحتمي من الذنوب مخافة النار[1].

وليس في هذا الحديث مايحتاج الى البيان. ولايخفى انّ إطلاق الحمية على اجتناب الذنوب من باب المشاكلة.

---

(١) أمالي الصدوق: مجلس ٣٤ ص ١٥٩.

الحديث الرابع والعشرون

* ذمّ الفحّاش وقليل الحياء *

«... قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ الله حرّم الجنّة على كلّ فحّاش بذيّ، قليل الحياء، لايبالي بما قال ولاما قيل له، فإنّك إن فتّشته لم تجده إلّا لُـغية أو شرك شيطان.

قيل: يارسول الله وفي الناس شرك شيطان؟

فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: أما تقرأ قول الله عزّ وجلّ: ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾».

الكافي: ج ٢ ص ٣٢٣ ح ٣

و بالسند المتصل الى الشيخ الجليل ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني، عن عدّة من أصحابنا، عن أحمدبن محمدبن خالد، عن عثمان بن عيسى، عن عمربن أُذينة، عن أبان بن أبي عيّاش، عن سُليم بن قيس، عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ الله حرّم الجنّة على كلّ فحّاش بذيّ، قليل الحياء، لايبالي بما قال ولاما قيل له، فإنّك إن فتّشته لم تجده إلّا لُغية أو شرك شيطان.

قيل: يارسول الله وفي الناس شرك شيطان؟

فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: أما تقرأ قول الله عزّوجلّ: ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾[1].

بيـان

مالعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ إنّ الله حرّم الجنّة ﴾: لعلّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أراد أنّها محرّمة عليهم زماناً طويلاً لامحرّمة مؤبّداً، أو المراد جنّة خاصّة معدّة

(١) الكافي: ج٢ ص٣٢٣ ح٣. والآية في سورة الإسراء: ٦٤.

لغير الفحّاش و إلّا فظاهره مشكل، فإنّ العصاة من هذه الأُمّة مآلهم الى الجنّة وان طال مكثهم في النار.

﴿ بذيّ ﴾: بالباء التحتانية الموحّدة المفتوحة والذال المعجمة المكسورة والياء المشدّدة من البذاء بالفتح والمدّ بمعنى الفحش.

﴿ قليل الحياء ﴾: إمّا أن يراد به معناه الظاهري أو يُراد عديم الحياء، كما يقال: فلان قليل الخير أي عديمه.

﴿ لم تجده إلّا لغية ﴾: يحتمل أن يكون بضمّ اللام و إسكان الغين المعجمة وفتح الياء المثنّاة من تحت، أي ملغى. والظاهر أنّ المراد به المخلوق من الزنا.

ويحتمل أن يكون بالعين المهملة المفتوحة أو الساكنة والنون أي من دأبه أن يلعن الناس أو يلعنوه.

قال في كتاب أدب الكاتب: فعل بضمّ الفاء واسكان العين من صفات المفعول، وبفتح العين من صفات الفاعل. يقال: رجل هُمْزة للذي يُهزأ به، و هُمَزة لمن يَهزأ بالناس. وكذلك «لُعْنَة» و«لُعَنَة»[١] إنتهى كلامه.

﴿ أو شرك شيطان ﴾: المصدر بمعنى اسم المفعول، أو اسم الفاعل، أي مشاركاً فيه مع الشيطان او مشاركاً فيه الشيطان.

تبصرة

[في تفسير (وشاركهم في الأموال والأولاد)]

قال المفسّرون في قوله تعالى: ﴿ و شاركهم في الأموال والأولاد ﴾[٢] أنّ مشاركة الشيطان لهم في الأموال حملهم على تحصيلها

---

(١) أدب الكاتب: ص ٥٦٧.

(٢) الاسراء: ٦٤.

وجمعها من الحرام، وصرفها فيما لا يجوز، وبعثهم على الخروج في إنفاقها عن حدّ الاعتدال إمّا بالإسراف والتبذير أو البخل والتقتير وأمثال ذلك.

وأمّا المشاركة لهم في الأولاد فحثّهم على التوصّل اليها بالأسباب المحرّمة من الزنا ونحوه، أو حملهم على تسميتهم إيّاهم بعبد العزّى و عبد اللات، أو على تضليل الأولاد بالحمل على الأديان الباطلة[1] الزائفة والأفعال القبيحة. هذا كلام المفسّرين.

وقد روى الشيخ الجليل ثقة الإسلام أبو جعفر محمدبن الحسن الطوسي قدّس الله روحه حديثاً يتضمّن معنى آخر للمشاركة مع الأولاد، روى في باب الاستخارة للنكاح من تهذيب الأحكام، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله جعفربن محمد الصادق عليه السلام انّه قال: «إذا تزوّج أحدكم كيف يصنع؟

قال: قلت له: ماأدري جعلت فداك؟

قال عليه السلام: فإذا همّ بذلك فليصلّ ركعتين ويحمدالله ويقول: اللّهمّ إنّي أُريد أن أتزوّج فقدّر لي من النساء أعفّهنّ فرجاً، وأحفظهنّ لي في نفسها وفي مالي، وأوسعهنّ رزقاً، وأعظمهنّ بركة، وقدّر لي منها ولداً طيّباً تجعله خلفاً صالحاً في حياتي وبعد موتي. فإذا دخلت عليه فليضع يده على ناصيتها ويقول: اللّهمّ على كتابك تزوّجتها، وفي أمانتك أخذتها، و بكلماتك استحللت فرجها، فإن قضيت لي في رحمها شيئاً فاجعله سلماً سوياً، ولاتجعله شرك شيطان.

قلت: وكيف يكون شرك شيطان؟

فقال عليه السلام لي: إنّ الرجل إذا دنا من المرأة وجلس مجلسه حضره الشيطان، فإن هو ذكر اسم الله تنحّى الشيطان عنه، و إن فعل ولم

---

(١) «الباطلة» ليس في (ع).

يسمّ أدخل الشيطان ذكره فكان العمل منهما جميعاً والنطفة واحدة.

قلت: فبأيّ شيء يعرف هذا؟ قال: بحبّنا وبغضنا(١).

وهذا الحديث يعضد ما قاله المتكلّمون من أنّ الشياطين أجسام شفّافة تقدر على الولوج في بواطن الحيوانات ويمكنها التشكّل بأيّ شكل شاءت.

وبه يضعف ما قاله بعض الفلاسفة من أنّها النفوس الأرضيّة المدبّرة للعناصر، أو النفوس الناطقة الشريرة التي فارقت أبدانها وحصل لها نوع تعلّق وأُلفة بالنفوس الشريرة المتعلّقة بالأبدان فتمدّها وتعينها على الشر والفساد.

---

(١) تهذيب الأحكام: ج٧ ص٤٠٧ ح١.

الحديث الخامس والعشرون

* حديث عتق بريرة *
* والأحكام المستنبطة منه *

«... قال: إنّ بريرة كانت عند زوج لها وهـي مـملوكة، فاشترتها عائشة فاعتقتها ، فخيّرها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: إن شاءت أن تقرّ عند زوجها و إن شاءت فارقته. وكان مواليها الّذين باعوها اشترطوا على عائشة أنّ لهم ولاءها. فقال رسول الله صـلّى الله عليه وآله وسلّم: الولاء لمن أعتق.

و تُصدّق على بريرة بلحم فأهدته الى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فعلّقته عائشة وقالت: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لايأكل لحم الصدقة.

فجاء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم واللحم معلّق فقال: ماشأن هذا اللحم لم يُطبخ؟

فقالت: يارسول‌الله صُدّق به على بـريرة وأنت لاتـأكـل الصدقة...».

الكافي: ج ٥ ص ٤٨٥ ـ ٤٨٦ ح ١

و بالسند المتصل الى الشيخ الجليل أمين الإسلام محمد بن يعقوب الكليني، عن عليّ بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد، عن الحلبي، عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال:

إنّ بريرة كانت عند زوج لها وهي مملوكة، فاشترتها عائشة فأعتقتها، فخيّرها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: إن شاءت أن تقرّ عند زوجها و إن شاءت فارقته.

وكان مواليها الذين باعوها اشترطوا على عائشة أنّ لهم ولاءها. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: الولاء لمن أعتق.

وتُصدّق على بريرة بلحم فأهدته الى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فعلّقته عائشة وقالت: إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لا يأكل لحم الصدقة.

فجاء رسول‌الله صلّى الله عليه وآله وسلّم واللحم معلّق فقال: ماشأن هذا اللحم لم يُطبخ؟

فقالت: يارسول الله صُدّق به على بريرة وأنت لاتأكل الصدقة.

فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: هو لها صدقة ولنا هدية، ثمّ أمر بطبخه. فجاء فيها ثلاث من السنن[1].

بيـان

مالعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ **إنّ بريرة كانت عند زوج لها** ﴾: بريرة مصغّرة بالباء الموحدّة والياء المثنّاة من تحت المتوسّطة بين الرائين المهملتين وآخرها هاء. و اسم زوجها مغيث بالميم المضمومة والغين المعجمة ثمّ الياء المثنّاة من تحت والثاء المثلّثة.

وقد اُختلف في أنّه هل كان حرّاً أو عبداً، ومن ثمّ اختلف الفقهاء في تخيير الأمة إذا اُعتقت تحت حرّ.

﴿ **إن شاءت أن تقرّ** ﴾: بالفتح أي تمكث، ويجوز الكسر تقول: قِررت بالمكان بالكسر اَقرّ بالفتح، وقررت أقِرّ بالعكس.

﴿ **انّ لهم ولاءها** ﴾: الولاء بفتح الواو، وهو في الأصل بمعنى الدنوّ. و يُطلق في الشرع على علاقة بين الشخصين توجب الإرث سوى علاقة النسب والزوجية. والمراد به هنا العلاقة المترتّبة على العتق الموجبة للإرث.

﴿ **لا يأكل لحم الصدقة** ﴾: هي ما اُعطي للغير تبرّعاً بقصد القربة غير هدية. فيدخل فيها الزكاة والمنذورات والكفّارات وأمثالها.

وعرّفها بعض الفقهاء بالعطيّة المتبرّع بها من غير نصاب للقربة.

﴿ **فجاء فيها ثلاث من السنن** ﴾: هذا من كلام الصادق عليه السلام:

---

(١) الكافي: ج ٥ ص ٤٨٥ ـ ٤٨٦ ح ١.

أي وردت بسبب بريرة ثلاثة أحكام من السنن النبوية:

الأوّل: تخيير الأمة المعتقة تحت حرّ أو عبد على الخلاف بين فسخ النكاح و إبقائه.

الثاني: ثبوت الولاء للمعتق دون البائع المشترط له.

الثالث: إنّ الصدقة المحرّمة على بني هاشم إذا دُفعت الى شخص فأهداها إليهم لم تكن محرّمة عليهم.

تبصرة

[هل للأمة المعتقة وزوجها حرّ حقّ فسخ النكاح أم لا؟]

ماتضمّنه هذا الحديث من ثبوت الخيار للأمة المعتقة ممّا لاخلاف فيه مع رقيّة الزوج.

أمّا مع حرّيته فأكثر علمائنا على ثبوته، لأنّ زوج بريرة كان حرّاً كما في بعض الروايات، وبه قال أبو حنيفة، ولصحيحة أبي الصباح الكناني عن الصادق عليه السلام: «أيّما امرأة أُعتقت فأمرها بيدها، إن شاءت أقامت و إن شاءت فارقت»[1] وهي بعمومها شاملة لمحلّ النزاع.

والأقلّ من علمائنا[2] على انتفائه، وعليه الشافعي ومالك وأحمد لما روي عن ابن عبّاس: «إنّ زوج بريرة كان عبداً أسود، وكأنّي أنظر إليه يطوف خلفها في سكك المدينة يبكي ودموعه تسيل على لحيته»[3].

ثمّ ماتضمّنه الحديث من أنّ عائشة **أعتقتها**ظاهره اعتاق كلّها، وكذا ظاهر صحيحة أبي الصباح، فالأمة المبعّضة لا خيار لها وان تحرّر أكثرها، اقتصاراً فيما خالف الأصل على الفرد الظاهر من النصّ.

---

(١) تهذيب الأحكام: ج ٧ ص ٣٤١ ح ٢٥.

(٢) «من علمائنا» ليس في (ل).

(٣) سنن ابن ماجه: ج ١ ص ٦٧١.

واعلم انّ المستفاد من الأخبار أنّ عتق بريرة وقع بعد الدخول بها، فقد روي أنّ مغيثاً استشفع برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لو راجعتيه فإنّه أبو ولدك. فقالت: يا رسول الله تأمرني بأمرك؟ فقال: لا انّما أنا شافع. فقالت: لا حاجة لي فيه[1].

لكن علماءنا رضي الله عنهم أثبتوا الخيار للأمة سواء وقع عتقها قبل الدخول أو بعده عملاً بعموم الصحيحة السابقة، فإن وقع قبله وفسخت سقط المهر، وإن وقع بعده لم يسقط المهر وكان للسيّد طلبه.

تذنيب

[استثناء من المسألة السابقة]

استثنى الفقهاء من تخيير الأمة المعتقة صورة واحدة هي ما إذا ساوى مهرها ثلث مال مولاها وقيمتها ثلثاً آخر وخلّف مالاً بقدر قيمتها بعد وصيته بعتقها ووقع العتق قبل الدخول، فإنّ اختيارها الفسخ يوجب سقوط المهر فلا ينفذ العتق في جميعها لزيادته على الثلث فيبطل خيارها.

تذكرة

[حرمة الصدقة الواجبة على بني هاشم]

مادلّ عليه هذا الحديث من تقرير النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم عائشة على قولها «وأنت لاتأكل الصدقة» يُعطي بظاهره تحريم الصدقة الواجبة والمندوبة معاً عليه، لأن اللام في الصدقة إمّا للجنس أو للاستغراق، إذ لاعهد بحسب الظاهر.

---

(١) سنن ابن ماجه: ج ١ ص ٦٧١.

وكذا ما روي من أنّ الحسن عليه السلام أخذ وهو صغير تمرة من تمر الصدقة فقال له النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: كخ كخ ليطرحها، و قال: ماشعرت أنّا لانأكل الصدقة[١].

ولاخلاف بين أهل الإسلام في تحريم الصدقة الواجبة عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم في الجملة، إنّما الخلاف في المندوبة.

وقد حكم العلّامة في التذكرة [٢] بتحريمها أيضاً عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم لعلوّ شأنه، وزيادة رفعته، وعدم لياقتها بشرفه ومنزلته، لما فيها من الغضّ بمقامه وتسليط المتصدّق، ومنصب النبوّة أجلّ وارفع من ذلك . وهو أحد قولي الشافعي.

وأمّا الأئمّة عليهم السلام فالظاهر إلحاقهم في ذلك بالنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، فتحرم عليهم المندوبة، وبه حكم العلّامة في التذكرة[٣].

وأمّا مارواه العامّة عن الإمام أبي جعفر محمدبن عليّ الباقر عليه السلام أنّه كان يشرب من سقايات بين مكّة والمدينة، فقيل له: أتشرب من الصدقة؟! فقال: إنّما حُرّم علينا الصدقة المفروضة[٤]. فهو ممّا تفرّد بروايته العامّة. وفي طريقه ضعف.

وأمّا بقيّة بني هاشم فلاخلاف عندنا في جواز أخذهم الصدقة المندوبة. وللشافعي قولان.

وهل الصدقة المحرّمة على بني هاشم مخصوصة بالزكاة أو عامّة في جميع الصدقات كالمنذورات والكفّارات؟ ظاهر أكثر أصحابنا العموم. وفي بعض الروايات مايدلّ على التخصيص بالزكاة، وهو مستند

---

(١) صحيح مسلم: ج ٣ ص ١١٧.

(٢) تذكرة الفقهاء: ج ١ ص ٢٣٥ س ١٣.

(٣) تذكرة الفقهاء: ج ١ ص ٢٣٥ س ١٦.

(٤) ذكره العلّامة في التذكرة: ج ١ ص ٢٣٥ س ١٧.

العلّامة[١] في تجويزه دفع النذور[٢] والكفّارات إليهم. وفيه مافيه[٣].

ولاكلام في جواز أخذ الهاشمي الصدقة الواجبة من مثله، لكن هل هذا الحكم مخصوص بمن عدا النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والأئمّة عليهم السلام أو شامل له و لهم صلوات الله عليهم أجمعين فيجوز لهم أيضاً قبول الصدقة من الهاشمي؟ لم أظفر لعلمائنا رضوان الله عليهم فيه بشيء، لكنّ المناسب لعلوّ شأنهم تحريم الصدقة عليهم كيف ما كانت ومن أيّ شخص صدرت، سواء الهاشمي وغيره.

خاتمة

[مَن هم آل النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم؟]

ذكر بعض أصحاب الكمال في معرض تحقيق الآل كلاماً يناسب هذا المقام حاصله: إنّ آل النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كلّ من يؤول إليه، وهم قسمان:

الأوّل: من يؤول إليه مآلاً صوريّاً جسمانياً كأولاده و من يحذو حذوهم من أقاربه الصوريين الذين تحرم عليهم الصدقة في الشريعة المحمدية.

والثاني: من يؤول إليه مآلاً معنويّاً روحانيّاً، وهم أولاده الروحانيّون من العلماء الراسخين والأولياء الكاملين والحكماء المتألهين المقتبسين من مشكاة أنواره، سواء بالزمان أو لحقوه.

ولاشكّ أنّ النسبة الثانية آكد من الأُولى.

و إذا اجتمع النسبتان كان نوراً على نور كما في الأئمّة المشهورين

---

(١) تذكرة الفقهاء: ج١ ص٢٣٥ س١٩.

(٢) (ع): المنذور.

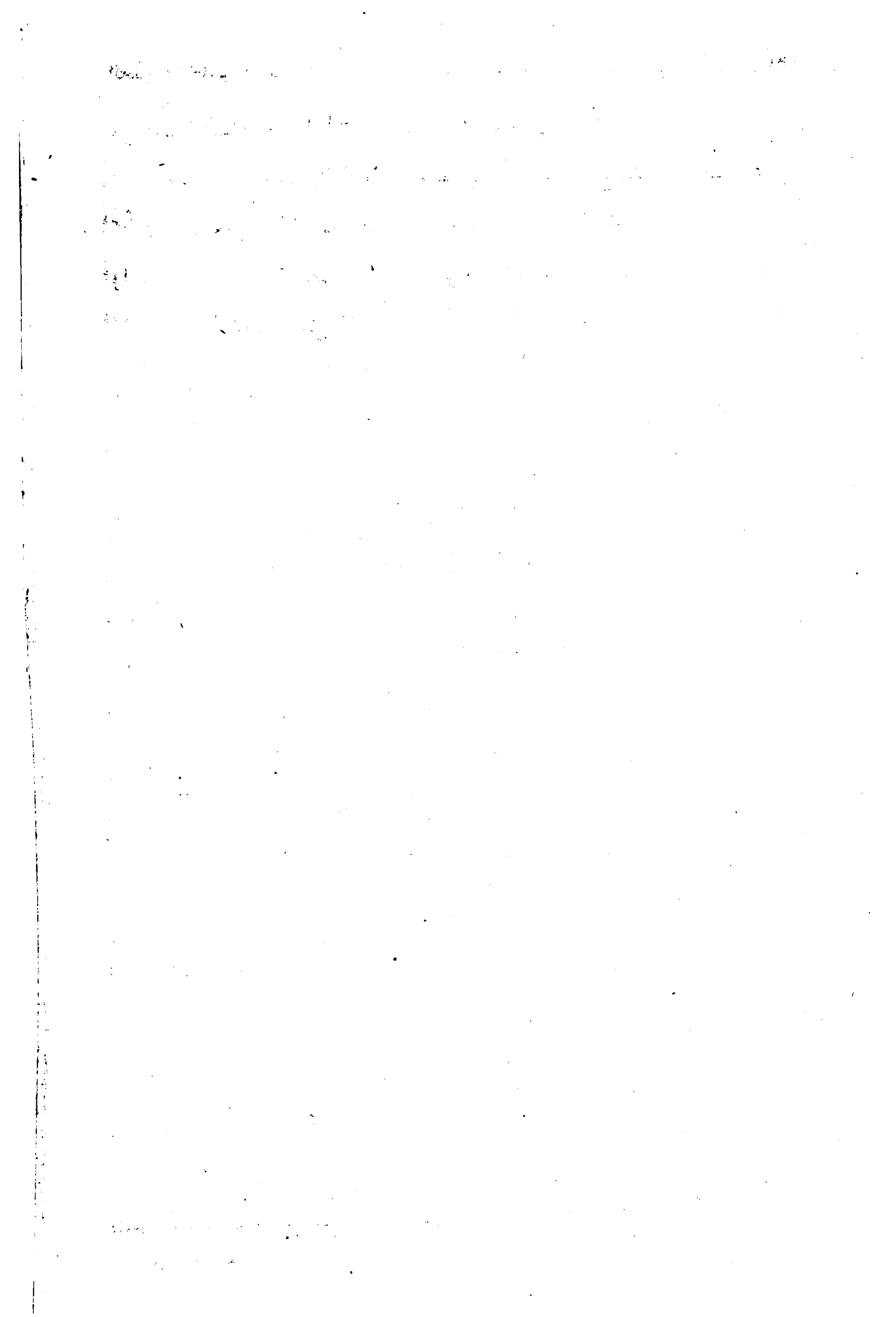
(٣) في هامش(ع): وجهه أنّ التخصيص في الروايات ذكري، والتخصيص الذكري ضعيف عندنا (منه رحمه الله).

من العترة الطاهرة صلوات الله عليهم أجمعين.

وكما حرّم على الأولاد الصوريين الصدقة الصورية حرّم على الأولاد المعنوية[1] الصدقة المعنويّة، أعني تقليد الغير في العلوم والمعارف. هذا ملخّص كلامه. وهو ممّا يستوجب أن يُكتب بالتبر على الأحداق لابالحبر على الأوراق.

---

(١) في (ع): المعنويين.



الحديث السادس والعشرون

* صلاح تقدير الله للعباد وذمّ العُجب *

«... قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: قال الله عزّوجلّ يا بني آدم كلّكم ضالّ إلّا من هديت، وكلّكم عائل إلّا من أغنيت، وكلّكم هالك إلّا من أنجيت، فاسألوني أكفكم وأهدكم سبيل رُشدكم.

و إنّ من عبادي من لايصلحه إلّا الفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك.

و إنّ من عبادي من لايصلحه إلّا الغنى، ولو افقرته لأفسده ذلك.

و إنّ من عبادي من لايصلحه إلّا الصحّة، ولو أمرضته لأفسده ذلك.

وإنّ من عبادي من لايصلحه إلّا المرض،ولو أصححت جسمه لأفسده ذلك.

و إنّ من عبادي من يجتهد في عبادتي و قيام الليل فأُلقي عليه النعاس نظراً منّي إليه فيرقد حتّى يصبح...»

أمالي الصدوق: المجلس ٦ ص١٦٨

و بالسند المتصل الى الشيخ الجليل شيخ الطائفة أبي جعفر محمد ابن الحسن الطوسي، عن الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان، عن عمر بن محمد، عن علي بن مهرويه القزويني، عن داود بن سليمان، عن الإمام أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه أمير المؤمنين عليهم السلام قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: قال الله عزّوجلّ: يا بني آدم كلّكم ضالّ إلّا من هديت، وكلّكم عائل إلّا من أغنيت، وكلّكم هالك إلّا من أنجيت، فاسألوني أكفكم وأهدكم سبيل رُشدكم.

و إنّ من عبادي من لايصلحه إلّا الفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك.

و إنّ من عبادي من لايصلحه إلّا الغنى، و لو افقرته لأفسده ذلك.

و إنّ من عبادي من لايصلحه إلّا الصحّة، ولو أمرضته لأفسده ذلك.

و إنّ من عبادي من لايصلحه إلّا المرض، ولو أصححت جسمه لأفسده ذلك.

و إنّ من عبادي من يجتهد في عبادتي و قيام

الليل فأُلقي عليه النعاس نظراً منّي إليه فيرقد حتّى يصبح، ويقوم حين يقوم وهو ماقت لنفسه زارٍ عليها، ولو خلّيت بينه و بين ما يريد لدخله العجب بعمله ثمّ كان هلاكه في عجبه و رضاه عن نفسه، فيظنّ أنّه قد فاق العابدين وجاز باجتهاده حدّ المقصّرين فيتباعد بذلك منّي وهو يظنّ أنّه يتقرّب إليّ.

ألا فلا يتكلنّ العاملون على أعمالهم و إن حَسُنَت، ولا ييأس المذنبون من مغفرتي لذنوبهم و إن كثرت، لكن برحمتي فليثقوا، وبفضلي فليرجوا، و إلى حُسن نظري فليطمئنّوا، وذلك إنّي أُدبّر عبادي بما يصلحهم، وأنا بهم لطيف خبير[١].

بيان

مالعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ كلّكم ضالّ إلّا من هديت ﴾: إذا أُضيفت «كلّ» الى ضمير جمع جاز مراعاة لفظها فيفرد ضميرها، ومراعاة معناها[٢] فيكون بحسب مايُضاف إليه، يقال: كلّهم قائم وكلّهم قائمون. وقد رُوعي هنا جانب اللفظ كما قال الله تعالى: ﴿وكلّهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾[٣].

والهداية: هي الدلالة بلطف، سواء كانت دلالة موصلة الى المطلوب

---

(١) أمالي الصدوق: مجلس ٦ ص١٦٨.

(٢) «معناها فيجمع ضميرها» ظاهراً، كذا في هامش نسخة (ل).

(٣) مريم: ٩٥.

أم دلالة على مايوصل إليه.

ومن الأوّل قوله تعالى: ﴿والله لايهدي القوم الظالمين﴾[١] وقوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا﴾[٢] و قوله تعالى: ﴿والذين قُتلوا في سبيل الله فلن يضلّ أعمالهم* سيهديهم ويصلح بالهم﴾[٣].

ومن الثاني: قوله تعالى: ﴿وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى﴾[٤] و قوله تعالى: ﴿إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً و إمّا كفوراً﴾[٥] وقوله تعالى: ﴿وهديناه النجدين﴾[٦] أي طريقي الخير والشر. فإنّ المراد إراءتهما لأنّ الآية مورده في معرض الامتنان، ولا يمن بالإيصال الى طريق الشر. وبهذا يظهر ضعف التفصيل بأنّ الهداية إن تعدّت الى المفعول الثاني بنفسها كانت بمعنى الدلالة الموصلة الى المطلوب. و إن تعدّت باللام أو الى كانت بمعنى الدلالة على مايوصل.

﴿ **وكلّكم عائل إلّا من أغنيت** ﴾: يقال: عال يعيل عيلة وعيولاً إذا افتقر.

﴿ **وأهدكم سبيل رشدكم** ﴾: المراد بالهداية هنا الدلالة الموصولة، فإنّ الدلالة على مايوصل حاصلة من دون سؤال.

وهداية الله سبحانه للعباد على خمسة أنواع كما قاله بعض الأعلام:

الأوّل: إفاضة القوى التي يتمكّنون بها من الإهتداء الى مصالحهم كالقوّة العقليّة والمشاعر الظاهرة والحواس الباطنة.

والثاني: نصب الدلائل العقليّة الفارقة بين الحقّ والباطل والصلاح

---

(١) البقرة: ٢٥٨.

(٢) العنكبوت: ٦٩.

(٣) محمّد: ٤ ـ ٥.

(٤) فصّلت: ١٧.

(٥) الدهر: ٣.

(٦) البلد: ١٠.

والفساد.

والثالث: هدايتهم بإرسال الرسل و إنزال الكتب.

والرابع: أن يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الأشياء كما هي بالمنامات الصادقة أو الإلهام أو الوحي.

الخامس: أن يمحو عنهم ظلمات أبدانهم ويميط عنهم جلابيب نواسيتهم[١] ويشهدهم التجلّيات الأحديّة فتندكّ عند ذلك جبال أنانيتهم، فيخّرون خروراً ويصيرون هباءً منثوراً، ويستهلك في نظرهم الأغيار و تحترق الحجب و الأستار، وينادون ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهّار﴾[٢].

﴿ثمّ كان هلاكه في عجبه ورضاه عن نفسه﴾: لا ريب أنّ من عمل أعمالاً صالحة من صيام الأيّام و قيام الليالي و أمثال ذلك يحصل لنفسه ابتهاج.

فإن كان من حيث كونها عطية من الله له ونعمة منه تعالى عليه وكان مع ذلك خائفاً من نقصها مشفقاً من زوالها طالباً من الله الإزدياد منها لم يكن ذلك الابتهاج عجباً.

و إن كان من حيث كونها صفة قائمة به ومضافة اليه فاستعظمها و ركن إليها و رأى نفسه خارجاً عن حدّ التقصير بها و صار كأنّه يمنّ على الله سبحانه بسببها فذلك هو العجب المهلك، وهو من أعظم الذنوب، حتّى روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ماهو أكبر من ذلك: العجب، العجب [٣].

و عن أمير المؤمنين عليه السلام: سيّئة تسؤك خير من حسنة تعجبك[٤].

---

(١) جمع الناسوت أي البدن.

(٢) غافر: ١٦.

(٣) الجامع الصغير: ج ٢ ص ١٣١ مع اختلاف يسير.

(٤) نهج البلاغة: حكمة ٦٤.

﴿ ألا فـلايتّكلنّ العـاملون عـلى أعـمالهم وان حَسُـنت ﴾: أي لايعتمدون في دخول الجنّة على محض تلك الأعمال و إن أتوا بها حسنة تامّة الأركان، فانّ المفسدات الخفيّة كثيرة جدّاً وقلّما يخلو عمل عـنها كما تضمّنه الخبر الذي رواه الشيخ العارف جمال الدين أحمد بن فهد في كتاب عدّة الداعي، عن معاذبن جبل، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال:

إنّ الله خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السماوات، فجعل في كـلّ سماء ملكاً قد جلّلها بعظمته، وجعل على كلّ باب من أبواب السماوات ملكاً بوّاباً، فتكتب الحفظة عمل العبد من حين يصبح الى حين يُمسي، ثمّ ترتفع الحفظة بعمله وله نور كنور الشمس، حتّى إذا بلغ سماءالدنيا فتزكّيه و تكثّره فيقول: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا مَلَك الغيبة، فمن اغتاب لا أدع عمله يجاوزني الى غيري، أمرني بذلك ربّي.

قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: ثمّ تجيء الحفظة من الغد ومـعهم عمل صالح فتمرّ به تزكّيه وتكثّره حتّى يبلغ السماء الثانية، فيقول الملك الذي في السماء الثانية: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، إنّما أراد بهذا عرض الدنيا، أنا صاحب الدنيا لا أدع عمله يجاوزني الى غيري.

قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: ثمّ تصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجاً بصدقةٍ وصلاة، فتعجب به الحفظة وتجاوزه الى السماء الثـالثة، فـيقول المَلَك: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وظهره، أنا صاحب الكِبرَ إنّه عمل وتكبّر على الناس في مـجالسهم، أمـرني ربّـي أن لاأدع عـمله يجاوزني الى غيري.

قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: وتصعد الحفظة بعمل العبد يـزهر كالكوكب الدرّي في السماء له دويّ بالتسبيح والصوم والحجّ، فتمرّ به الى السماء الرابعة، فيقول لهم المَلَك: قفوا واضربواِ بهذا العمل وجه صاحبه

و بطنه، أنا ملك العُجب، إنّه كان يعجب بنفسه و إنّه عمل وأدخل نفسه العُجب، أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري.

قال صلّى الله عليه و آله وسلّم: وتصعد الحفظة بعمل العبد كالعروس المزفوفة الى بعلها، فتمرّ به الى مَلَك السماء الخامسة بالجهاد والصدقة ما بين الصلاتين، و لذلك العمل ضوء كضوء الشمس، فيقول المَلَك: قفوا أنا مَلَك الحسد، اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه إنّه كان يحسد من يتعلّم أو يعمل لله بطاعته، و إذا رأى لأحدٍ فضلاً في العمل والعبادة حسده ووقع فيه، فيحمِلُهُ على عاتقه ويلعنُه عمله.

قال صلّى الله عليه و آله وسلّم: وتصعد الحفظة بعمل العبد فتجاوز [به إلى] السماء السادسة، فيقول المَلَك: قفوا أنا صاحب الرحمة، اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واطمسوا عينيه، إنّ صاحبه لا يرحم شيئاً، إذا أصاب عبداً من عباد الله ذنباً للآخرة أو ضرّاً في الدنيا شمت به، أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني.

قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: وتصعد الحفظة بعمل العبد بفقه واجتهاد و ورع، وله صوت كالرعد وضوء كضوء البرق و معه ثلاثة آلاف مَلَك، فتمرّ الى ملك السماء السابعة، فيقول المَلَك: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، أنا ملك الحجاب احجُب كلّ عمل ليس لله، إنّه أراد رفعه عند القوّاد[1] وذكراً في المجالس وصيتاً في المدائن، أمرني ربّي أن لأدع عملاً يجاوزني الى غيري مالم يكن لله خالصاً.

قال صلّى الله عليه و آله وسلّم: وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجاً به من صلاة و زكاة وصيام وحجّ وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر كثير، تشيّعه ملائكة السماوات والملائكة السبعة بجماعتهم فيطأن الحُجب كلّها حتّى يقوموا بين يديه سبحانه فيشهدوا له بعمل ودعاء، فيقول: أنتم

(١) في هامش(ع): قوّاد جمع قائد وهو من يقود العسكر والأُمراء والخوانين. (منه دام ظلّه).

حفظة عمل عبدي وأنا رقيب على مافي نفسه إنّه لم يردني بهذا العمل، عليه لعنتي. فتقول الملائكة: عليه لعنتك ولعنتنا... الحديث[١]. وهو طويل أخذنا منه موضع الحاجة، وهو ينبّهك على أنّ العمل الخالص من الشوائب أقلّ قليل. نسأل الله العصمة والتوفيق.

﴿ **ولاييأس المذنبون من مغفرتي لذنوبهم وان كثرت** ﴾: كما قال سبحانه: ﴿إنّ ربّك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾[٢] وقال سبحانه: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله انّ الله يغفر الذنوب جميعاً﴾[٣].

وفي الخبر عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: ليغفرنّ الله تعالى يوم القيامة مغفرة ماخطرت قطّ على قلب أحد حتّى انّ ابليس ليتطاول لها رجاء أن تصيبه[٤].

وروي في الكافي عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: لولا أنّكم تذنبون ثمّ تستغفرون الله لخلق الله خلقاً حتّى يذنبوا ثمّ يستغفروا الله فيغفر لهم[٥].

ونقل الغزالي في الإحياء[٦] عن الإمام أبي جعفر محمدبن عليّ الباقر عليه السلام أنّه كان يقول لأصحابه: أنتم أهل العراق تقولون: أرجى آية في كتاب الله عزّوجلّ قوله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله﴾[٧] ونحن أهل البيت نقول: ﴿ولسوف

---

(١) عدّة الداعي: باب ٤ ص٢٢٨ ـ ٢٢٩.

(٢) الرعد: ٦.

(٣) الزمر: ٥٣.

(٤) تفسير العيّاشي: ج ١ ص٣٥٧، احياء علوم الدين: ج ٤ ص١٤٦.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٤٢٤ ح١ والحديث طويل.

(٦) إحياء علوم الدين: ج ٤ ص ١٤٤. و هذا الحديث منقول عن محمد بن علي ابن الحنفية، و كذا في مجمع البيان.

(٧) الزمر: ٥٣.

يعطيك ربّك فترضى﴾[١]. أراد عليه السلام أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لا يرضى وواحد من أُمّته في النار.

والأحاديث الواردة في سعة عفو الله وجزيل رحمته ووفور مغفرته كثيرة جدّاً، ولكن لابدّ لمن يرجوها و يتوقّعها من العمل الخالص المعدّ لحصولها وترك الانهماك في المعاصي المفوّت لهذا الاستعداد، كمن ألقى البذر في أرض وساق إليها الماء في وقته ونقّاها من الشوك والأحجار و بذل جهده في قلع النباتات الخبيثة المفسدة للزرع ثمّ جلس ينتظر كرم الله ولطفه سبحانه مؤمّلاً أن يحصل له وقت الحصاد مائة قفيز مثلاً. فهذا هو الرجاء الممدوح. وأمّا من تغافل عن الزراعة واختار الراحة طول السنة و صرف أوقاته في اللهو واللعب ثمّ جلس ينتظر أن ينبت الله له زرعاً من دون سعي وكدّ وتعب وكان طامعاً أن يحصل له كما يحصل لصاحبه الذي صرف ليله ونهاره في السعي والكدّ والتعب، فهذا حمق وغرور لارجاء.

فالدنيا مزرعة الآخرة، والأرض القلب، والإيمان البذر، والطاعات هي الماء الذي يُسقى به الأرض. وتطهير القلب من المعاصي والأخلاق الذميمة بمنزلة تنقية الأرض من الشوك والأحجار والنباتات الخبيثة، و يوم القيامة هو وقت الحصاد.

فاحذر أن يغرّك الشيطان ويثبّطك عن العمل و يقنعك بمحض الرجاء والأمل، وانظر الى حال الأنبياء والأولياء واجتهادهم في الطاعات و صرفهم العمر في العبادات ليلاً ونهاراً،أما كانوا يرجون عفو الله و رحمته؟ بلى والله إنّهم كانوا أعلم بسعة رحمة الله وأرجى لها منك ومن كلّ أحد، ولكن علموا أنّ رجاء الرحمة من دون العمل غرور محض وسفه بحت، فصرفوا في العبادات أعمارهم، وقصروا على الطاعات ليلهم ونهارهم.

---

(١) الضحى: ٥.

الحديث السابع والعشرون

❊ أحكام النذر والقسم ❊

«... قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لايـمين لولد مع والده، ولالمملوك مع مولاه، ولاللمرأة مـع زوجها، ولانذر في معصية، ولايمين في قطيعة».

تهذيب الأحكام: ج٨ ص٢٨٥ ح٤٢

و بالسند المتصل الى الشيخ الجليل شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي، عن الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان، عن أبي القاسم جعفر بن محمد، عن الشيخ الأجلّ ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني، عن عليّ بن ابراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن حازم، عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لا يمين لولد مع والده، ولا للمملوك مع مولاه، ولا للمرأة مع زوجها ، ولا نذر في معصية ، ولا يمين في قطيعة[1].

بيان

مالعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ **لايمين** ﴾: اليمين: القسم.

قيل: مأخوذ اليمين بمعنى القوّة، لأنّ الشخص يتقوّى به على فعل مايحلف على فعله وترك مايحلف على تركه.

وقيل: مأخوذ من اليُمن بمعنى البركة لحصول التبرّك بذكر الله تعالى.

---

(١) تهذيب الأحكام: ج ٨ ص ٢٨٥ ح ٤٢

وقيل: مأخوذ اليمين بمعنى الجارحة المخصوصة، لأنّهم كانوا عندالحلف يضربون أيمانهم بيمين المحلوف له. وهذه الوجوه الثلاثة ذكرها أبوعلي الطبرسي رحمه الله في تفسيره مجمع[1] البيان[2].

﴿ لولد مع والده ﴾: سواء كان الولد ذكراً أو أنثى، وسواء كان الوالد حرّاً أو عبداً.

أمّا لو كان كافراً فهل هو في ذلك كالمسلم؟ لايحضرني فيه تصريح لعلمائنا. واطلاق الحديث يشمله. ويمكن إخراجه[3] رفع السبيل.

﴿ ولاللمملوك مع مولاه ﴾: سواء تعدّد المولى أو لا. والظاهر أنّ المتحرّر بعضه كذلك.

﴿ ولاللمرأة مع زوجها ﴾: وهل المتمتع بها كذلك؟ لم أجد لأحد من علمائنا فيه تصريحاً. والمطلّقة رجعيّاً زوجة.

وهل يشترط في الزوج البلوغ؟ ظاهر الحديث العموم وللنظر فيه مجال. ولم أظفر للأصحاب فيه بكلام.

﴿ ولانذر في معصية ﴾: النذر لغة: الوعد، وشرعاً: التزام بفعل أو ترك، يقول لله عليّ متقرّباً. والماضي منه مفتوح العين، ويجوز في مضارعه ضمّها وكسرها.

﴿ ولايمين في قطيعة ﴾: أي قطيعة الرحم كأن يحلف أن لايكلّم أباه مثلاً.

ويمكن أن يكون صلّى الله عليه وآله وسلّم أراد بالقطيعة مايشمل قطيعة الأخ في الدين أيضاً.

---

(١) (ع): تفسيره الموسوم بمجمع البيان.

(٢) مجمع البيان: ج١ ـ ٢ ص٣٢١ في تفسير الآية(٢٢٤) من سورة البقرة.

(٣) (ل): بأنّه هو.

تبـصرة

[هل المراد بالنفي نفي الصحّة أو نفي العدم]

نفيه صلّى الله عليه وآله وسلّم يمين الولد والمملوك والمرأة مع الوالد والمالك والزوج يمكن أن يراد به نفي الصحّة، فلا ينعقد في الأصل من دون سبق إذنهم فيها، ولا تؤثّر الإذن المتعقّبة وأن يُراد به نفي اللزوم فينعقد ويكون لهم إلزامها وحلّها. وهذا هو الّذي أفتى به أكثر علمائنا كالمحقّق(١) وغيره، ومال إليه العلّامة في القواعد(٢).

وقد يُستأنس له بعموم الآيات الدالّة على وجوب الوفاء باليمين كقوله تعالى: ﴿ولا تنقضوا الأيمان﴾(٣) خرج ما إذا حلّها الأب والمالك والزّوج فيبقى(٤) الباقي. وفيه مافيه.

وذهب بعض المتأخّرين الى الأوّل، لأنّ نفي الصحّة هو أقرب المجازات الى نفي الحقيقة(٥).

وهذا أظهر لولا أنّ الثاني أشهر. والخلاف إنّما هو في غير الحلف على فعل واجب أو ترك محرّم.

أمّا الحلف على أحدهما فلا بحث في لزومه، وأنّه لا ولاية لأحد على حلّه.

ولا يخفىٰ أنّ النصّ بالولاية على هؤلاء إنّما ورد في اليمين، وليس في نذرهم نصّ.

---

(١) شرائع الإسلام: ج ٢ ص ٧١٢ الأمر الثاني من كتاب الايمان.

(٢) قواعد الأحكام: ج ٢ ص ١٣١ الفصل الثاني في شروط الحالف.

(٣) النساء: ١٤١.

(٤) (ع): فبقي.

(٥) لأنّ المراد من اليمين الصحيح يمين العبد والزوجة بدون إذن السيد والزوج ليسا يميناً عندهم حتّى ينهى عن بعضها. (منه رحمه الله) [كذا في هامش (ل) و(ع)].

و بعض المتأخّرين من علمائنا جعل نذرهم في ذلك كيمينهم، و دليلهم غير واضح ، لكن روى الشيخ في التهذيب ، عن الحسن بن عليّ الوشّاء، عن الكاظم عليه السلام قال: قلت له: إنّ لي جارية حلفت منها بيمين فقلت: لله عليَّ أن لا أبيعها أبداً. فقال عليه السلام: فِ لله بنذرك[١].

قال شيخنا الشهيد في الدروس بعد نقل هذا الخبر: وفيه دقيقة[٢].

وأراد رحمه الله أنّه يدلّ على أنّ النذر يسمّى يميناً فيستنبط منه توقّف نذر الولد و أخويه على الإذن لورود النصّ في توقّف يمينهم. وهذه التسمية وان اُستفيدت من كلام السائل لكن تقرير الإمام عليه السلام له في قوّة تلفّظه به. هكذا نُقل عنه رحمه الله.

وأنت خبير بأنّ التقرير على هذه التسمية على تقدير تسليمه لا يجعلها حقيقة لجواز التقدير على المجاز، على أنّ الظاهر من قوله عليه السلام: «فِ لله بنذرك» الردّ عليه في تسمية اليمين نذراً لا تقريره عليها[٣] كما لا يخفىٰ.

وبالجملة فأمثال هذه الدلائل الضعيفة لا تصلح لتأسيس الأحكام الشرعيّة، و إلّا فيصار على ما يقتضيه ظاهر النصّ هو الأولى، والله أعلم.

هداية

[حقيقة النذر وأقسامه]

قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا نذر في معصية» يشمل ما إذا كان نذرها مطلقاً نحو: «لله عليّ أن أتزوّج خامسة» مثلاً، ومعلّقاً سواء كانت المعصية شرطاً نحو: «إن شربت خمراً فللّه عليّ كذا» إذا لم يقصد زجر

---

(١) تهذيب الأحكام: ج٨ ص٣١٠ ح٢٦.

(٢) الدروس الشرعية: ج٢ ص١٥٠.

(٣) (ع): عليه.

النفس عنه، أو جزءً نحو: «إن شفي مريضي فللّه عليّ أن أصوم العيد» مثلاً.

هذا وقد ذهب السيّد المرتضىٰ رضي الله عنه الى بطلان النذر المطلق مطلقاً، طاعة كان أو معصية، واعتبر في ماهية النذر أن يكون معلّقاً على شيء، وادّعى على ذلك إجماع الإماميّة.

وقال: إنّ العرب لاتعرف من النذر إلّا ماكان معلّقاً كما قاله ثعلب، والكتاب والسنّة وردا بلسانهم،والنقل على خلاف الأصل[1] هذا ملخّص كلامه طاب ثراه.

وقد خالفه أكثر علمائنا وحكموا بانعقاد النذر المطلق كالمعلّق، وقد استدلّ على ذلك بوجوه:

الأوّل: نقل الشيخ الإجماع على ذلك.

الثاني: بأنّه ورد في الكتاب مطلقاً غير مقيّد بشرط كقوله تعالى: ﴿إنّي نذرت للرحمٰن صوماً﴾[2] ﴿إنّي نذرت لك مافي بطني محرّراً﴾[3] ﴿يوفون بالنذر﴾[4] وغير ذلك.

الثالث: إطلاق قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه»[5]. ولو كان النذر مختصّاً بالشروط لم يحسن إطلاق الأمر بالطاعة بمجرّد النذر، بل كان ينبغي أن يقول: فليطعه إذا حصل الشرط المعلّق عليه.

الرابع : ظاهر ما رواه أبوالصباح الكناني في الصحيح عن الصادق عليه السلام قال: «سألته عن رجل قال: عليّ نذر، فقال: ليس النذر بشيء

---

(١) الانتصار: ص ١٦٤.

(٢) مريم: ٢٦.

(٣) آل عمران: ٣٥.

(٤) الانسان: ٧.

(٥) سنن ابن ماجه: ج ١ ص ٦٨٧.

حتّى يُسمّي شيئاً لله صياماً أو صدقة أو حجّاً»[1] فقد جعل عليه السلام المصحّح للنذر هو تسمية الصيام أو الصدقة أو الحجّ لله تعالى. ولو كان الشرط من المصحّحات لذكره أيضاً. هذا خلاصة مااستدلّ به على شمول النذر للمطلق والمعلّق.

و يخطر بالبال أنّه ليس في شيء من هذه الدلائل ما ينهض حجّة على السيّد.

أمّا نقل الشيخ الإجماع فظاهر، أي ظاهر خلاف للإجماع لمخالفة السيّد.

وأمّا الآيات الثلاثة فإنّما دلّت على وقوع نذر الصوم والتحرير والوفاء به. ولاريب أنّ السيّد يحمله على المشروط، فانّ ماعداه ليس نذراً عنده، وليس في الآيات دلالة على أنّ النذر المذكور فيها لم يكن معلّقاً على شرط.

أمّا الأُولى فمع أنّها حكاية عمّا وقع في شريعة أُخرى لم تتضمّن سوى أمر مريم عليها السلام بأن تخبر الناس أنّها نذرت صوماً أي صمتاً، و كونها لم تذكر الشرط في هذا الخبر لايقتضي أن لاتكون قد ذكرته في النذر، ولم يثبت أنّ كلامها هذا كان صيغة النذر حتّى يقال انّه خالٍ عن الشرط، بل الموجود في التفاسير أنّه كان إخباراً عن وقوع النذر سابقاً.

فإن قلت: هذا الكلام مستلزم لمخالفة النذر فلابدّ من الحمل على أنّه هو صيغة النذر لتسلم من الحنث.

قلت: لعلّها استثنت حال النذر الإخبار به، أو أنّها كانت مضطرّة الى الكلام بهذا القدر لئلّا يظنّ قومها أنّ تركها إجابتهم وقع منها عناداً أو خجلاً من صدور ماتوهّموه في حقّها. وبعض المفسّرين على أنّ إخبارها

---

(١) تهذيب الأحكام: ج ٨ ص ٣٠٣ ح ٢.

بالنذر كان بالإشارة فأطلق سبحانه عليها القول مجازاً.

وقد نقل الشيخ الجليل أبو علي الطبرسيّ رحمه الله في مجمع البيان أنّه كان قد أُذن لها أن تتكلّم بهذا القدر ثمّ تسكت ولاتتكلّم بشيء آخر[١]. وهو صريح في أنّ كلامها هذا لم يكن صيغة النذر بل إخباراًلسبق وقوعه منها كما مرّ.

وأمّا الآية الثانية فهي وان احتملت أن يكون هذا الكلام الصادر عن إمراة عمران هو صيغة النذر إلّا أنّ كلام المفسّرين صريح في أنّها قالته بعد صدور النذر.

قال في الكشّاف: روي أنّها كانت عاقراً لم تلد الى أن عجزت، فبينا هي في ظلّ شجرة بصرت بطائر يطعم فرخاً له، فتحرّكت نفسها للولد و تمنّته وقالت: اللّهمّ إنّ لك عليّ نذراً شكراً إن رزقتني ولداً أن أتصدّق به على بيت المقدس فيكون من سدنته و خدمته ، فحملت بمريم عليها السّلام[٢] إنتهى كلام الكشّاف.

فإن قلت: قد روى الشيخ أبو عليّ الطبرسي رحمه الله في كتاب مجمع البيان عند تفسير هذه الآية عن أبي عبدالله جعفربن محمد الصادق عليه السلام أنّه قال: إنّ الله عزّوجلّ أوحى إلى عمران: إنّي واهب لك ذكراً يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتىٰ بإذن الله وجاعله رسولاً الى بني إسرائيل. فحدّث إمرأته بذلك وهي أُمّ مريم عليها السلام، فلمّا حملت بها قالت: ﴿ربّ إنّي نذرت لك مافي بطني محرّراً﴾ الحديث[٣] وهو يشعر بأنّ هذا القول هو صيغة النذر وأنّه لم يسبق منها نذر تحريره إن رزقته كما رواه في الكشّاف، إذ بعد إعلام الله سبحانه بهبة الولد لامعنى لاستجلابه

---

(١) مجمع البيان: ج ٥ ـ ٦ ص ٥١٢ في تفسير الآية (٢٧) من سورة مريم.

(٢) تفسير الكشّاف: ج ٣ ص ٣٥٥ في تفسير الآية (٣٥) من سورة آل عمران.

(٣) مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ٤٣٤ في تفسير الآية (٣٥) من سورة آل عمران.

بالنذر.

قلت: ليس في هذه الرواية إشعار بما زعمت، فإنّ قوله عليه السلام «فلمّا حملت... الى آخره» لا[١] يدلّ إلّا على أنّها وقع منها هذا القول بعد الحمل، وهو لا يدلّ على عدم وقوع النذر قبله بشيء من الدلالات، وإخبار الله سبحانه عمران بهبة الذكر له لا ينافي نذرها، لأنّه لم يخبره بأنّه يحصل منها، وعلى تقدير علمها بذلك يمكن أن يكون نذرها كان قد وقع قبل إخباره سبحانه. وبالجملة فلا دلالة في هذه الآية على ما ينافي مذهب السيّد بوجه.

وأمّا الآية الثالثة فذكرها في معرض الاستدلال عجيب، فإنّها لم تتضمّن إلّا المدح بالوفاء بالنذر، وذلك النذر الّذي هو سبب نزولها معلّق على الشرط باتّفاق الأُمّة، والقصّة أشهر من أن تُذكر، ولكنّها نذكرها تبرّكاً بذكر من نزلت الآية بل السورة في شأنهم سلام الله عليهم أجمعين.

قال القاضي البيضاوي في تفسيره: عن ابن عبّاس: إنّ الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا، فعادهما رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في ناس، فقالوا: يا أباالحسن لو نذرت على ولديك. فنذر علي و فاطمة رضي الله عنهما وفضّة جاريتهما صوم ثلاثة أيّام إن برءا. فشفيا وما معهم شيء ، فاستقرض علي رضي الله عنه من شمعون الخيبري ثلاث أصوع من شعير. فطحنت فاطمة عليها السلام صاعاً واختبزت خمسة أقراص فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم مسكين فآثروه و باتوا لم يذوقوا إلّا الماء وأصبحوا صياماً. فلمّا أمسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه. ثمّ وقف عليهم في الثالثة أسير ففعلوا مثل ذلك. فنزل جبرئيل عليه السلام بهذه السورة وقال: خذها يا محمّد هنّأك الله

---

(١) (ع): لم.

في أهل بيتك[1] إنتهى كلام القاضي.

وأمّا الاستدلال بقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من نذر أن يطيع الله فليطعه» فلو تمّ التقريب الذي ذكرتموه فيه لدلّ على عدم مشروعيّة النذر المعلّق كما لا يخفى. و ما هو جوابكم فهو جواب السيّد قدّس الله روحه، على أنّه رحمه الله لا يعمل بخبر الآحاد، فأمثال هذه الأخبار ليست حجّة عليه.

وأمّا رواية أبي الصباح فهو يقول بموجبها من أنّ تسمية العبادة شرط في النذر و مصحّح له والإمام عليه السلام جعل تسمية العبادة كالجزء الأخير من المصحّحات كما تشعر به «حتّى» الانتهائية ولم يحصر المصحّح في ذلك، فيصحّ أن يكون له مصحّحات أُخر من التعليق وغيره.

هذا وربّما يستدلّ على ماذهب إليه الأكثر من صحّة النذر المطلق بما رواه الشيخ في الصحيح عن منصور بن حازم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إذا قال الرجل: عليّ المشي الى بيت الله وهو محرم بحجّة، أو عليّ هدي كذا و كذا، فليس بشيء حتّى يقول: لله عليّ المشي الى بيته، أو يقول: لله عليّ كذا وكذا»[2] فإنّه عليه السلام قد بيّن النذر المطلق بقوله: لله عليّ المشي الى بيته، والمعلّق بقوله: لله عليّ هدي كذا وكذا إن لم أفعل كذا.

و لا يخفى أنّ هذه الرواية كما تحتمل التنزيل على هذا المعنى تحتمل التنزيل على معنى آخر هو أن يكون قوله عليه السلام « إن لم أفعل كذا » قيداً لمجموع النذرين معاً، و مع قيام الاحتمال يسقط الاستدلال.

---

(١) تفسير البيضاوي: ج٢ ص٥٢٦ في تفسير الآية(١٢) من سورة الإنسان.

(٢) تهذيب الأحكام: ج٨ ص٣٠٣ ح١.

تذنيب

[في وجوب رجحان متعلّق النذر واليمين]

متعلّق اليمين لابدّ أن يكون وقت الحلف راجحاً ديناً أو دنياً أو متساوي الطرفين، ولو طرت مرجوحيّته جاز مخالفة اليمين من غير كفّارة عندنا، فإن زالت المرجوحيّة قبل المخالفة حرمت، فإن عادت عاد جواز المخالفة. وهكذا كلّما عادت عاد وكلّما زالت زال.

و أمّا متعلّق النذر فالمشهور بين أصحابنا اشتراط كونه راجحاً بحسب الدين، فلا يصحّ نذر المباح إلّا عند بعض.

لا يقال : من نذر الصدقة بهذا الدينار مثلاً وجب عليه تخصيصه بالصدقة، مع أنّ هذا التخصيص غير راجح في الأصل.

لأنّا نقول: المنذور هنا هو الصدقة الخاصّة لا نفس التخصيص، وفعل الصدقة الخاصّة كان راجحاً قبل النذر على تركها لا الى بدل، ولو فرض نذر نفس التخصيص لصحّ أيضاً لأنّه راجح بهذا المعنى، فتدبّر[1].

---

(١) وجه التدبّر: عدم تمامية هذا الجواب كما لايخفى (منه رحمه الله).

الحديث الثامن والعشرون

* أُنموذج من قضاء أمير المؤمنين عليه السلام *

«... قضى أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام بين رجلين اصطحبا في سفر، فلمّا أرادا الغذاء أخرج أحدهما من زاده خمسة أرغفة وأخرج الآخر ثلاثة أرغفة، فمرّ بهما عابر سبيل فدعواه الى طعامهما، فأكل الرجل معهما حتّى لم يبق شيء، فلمّا فرغوا أعطاهما العابر بهما ثمانية دراهم ثواب ما أكل من طعامهما.

فقال صاحب الثلاثة أرغفة لصاحب الخمسة أرغفة: أقسمها نصفين بيني وبينك.

و قال صاحب الخمسة: لا بل يأخذ كلّ واحد منّا من الدراهم على عدد ما أخرج من الزاد.

قال: فأتيا أميرالمؤمنين عليه السلام في ذلك ، فلمّا سمع مقالتهما قال لهما: اصطلحا فإنّ قضيّتكما دنيّة...»

الكافي: ج٧ ص٤٢٧ ح١٠

و بالسند المتصل الى الشيخ الجليل محمد بن يعقوب الكليني، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد وعليّ بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن عبدالرحمٰن بن الحجّاج قاضي بغداد قال: سمعت ابن أبي ليلى يحدّث أصحابه قال:

قضى أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام بين رجلين اصطحبا في سفر، فلمّا أرادا الغذاء أخرج أحدهما من زاده خمسة أرغفة وأخرج الآخر ثلاثة أرغفة، فمرّ بهما عابر سبيل فدعواه الى طعامهما، فأكل الرجل معهما حتّى لم يبق شيء، فلمّا فرغوا أعطاهما العابر بهما ثمانية دراهم ثواب ما أكل من طعامهما.

فقال صاحب الثلاثة أرغفة لصاحب الخمسة أرغفة: أقسمها نصفين بيني وبينك.

وقال صاحب الخمسة: لا بل يأخذ كلّ واحد منّا من الدراهم على عدد ما أخرج من الزاد.

قال: فأتيا أميرالمؤمنين عليه السلام في ذلك، فلمّا سمع مقالتهما قال لهما : اصطلحا فإنّ قضيّتكما دنيّة.

فقالا: اقض بيننا بالحّق.
قـال: فـأعطى صـاحب الخـمسة أرغـفة سـبعة دراهم، وأعطى صاحب الثلاثة درهـماً واحـداً، وقال لهما: أليس أخرج أحدكما من زاده خمسة أرغفة وأخرج الآخر ثلاثة؟ قالا: نعم.
قال: أليس أكل معكما ضيفكما مثل ما أكلتما؟
قالا: نعم.
قال: أليس أكل كلّ واحد منكما ثلاثة أرغفة غير ثلث؟ قالا: نعم.
قال: أليس أكلت أنت يا صـاحب الثـلاثة ثـلاثة أرغفة غير ثلث، وأكلت يا صاحب الخمسة ثلاثة أرغفة غير ثلث، وأكل الضيف ثلاثة أرغفة غير ثلث؟ أليس بقي لك يـا صـاحب الثـلاثة ثـلث رغيف من زادك، وبقي لك يا صاحب الخـمسة رغيفان وثلث وأكلت ثلاثة غير ثلث؟ فأعطاكما بكـلّ ثـلث رغـيف درهـماً. وأعـطى صـاحب الرغيفين وثلث سبعة دراهم وأعـطى صـاحب الثلاثة أرغفة درهماً[1].

قال جامع هذه الأحاديث عفى الله عنه: القضايا الغريبة المنقولة عن أميرالمؤمنين عليه السلام كثيرة. وقد اشتمل تهذيب الأحكام والكافي و كتاب من لا يحضره الفقيه على طرف منها. وقد أفرد لها بعض العلماء كتاباً ضخماً اطّلعت عليه بخراسان سنة اثنين وسبعين وتسعمائة.

---

(١) الكافي: ج ٧ ص ٤٢٧ ح ١٠.

الحديث التاسع والعشرون

* الآثار السيّئة للثروة *

«... جاء رجل موسر الى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نقيّ الثوب فجلس الى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فجاء رجل معسر درن الثوب فجلس الى جنب الموسر، فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه.

فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: خفت أن يمسّك من فقره شيء؟ قال: لا.

قال: فخفت أن يصيبه من غناك شيء؟ قال: لا.

قال: فخفت أن يوسّخ ثيابك؟ قال: لا.

قال: فما حملك على ماصنعت؟

فقال: يا رسول الله إنّ لي قريناً يزيّن لي كلّ قبيح ويقبّح لي كلّ حسن وقد جعلت له نصف مالي.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم للمعسر: أتقبل؟ قال: لا.

فقال له الرجل: ولم؟

قال: أخاف أن يدخلني مادخلك».

الكافي: ج ٢ ص ٢٦٢ ح ١١

و بالسند المتصل الى الشيخ الجليل محمد بن يعقوب، عن عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عثمان بن عيسى، عمّن ذكره، عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال:

جاء رجل موسر الى رسول‌الله صلّى‌الله عليه وآله وسلّم نقيّ الثوب فجلس الى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فجاء رجل معسر درن الثوب فجلس الى جنب الموسر ، فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه.

فقال‌له رسول‌الله صلّى‌الله عليه وآله وسلّم: خفت أن يمسّك من فقره شيء؟ قال: لا.

قال: فخفت أن يصيبه من غناك شيء؟ قال: لا.

قال: فخفت أن يوسّخ ثيابك؟ قال: لا.

قال: فما حملك على ماصنعت؟

فقال: يا رسول الله إنّ لي قريناً يزيّن لي كلّ قبيح و يقبّح لي كلّ حسن وقد جعلت له نصف مالي.

فقال رسول‌الله صلّى‌الله عليه‌وآله وسلّم للمعسر: أتقبل؟ قال: لا.

فقال له الرجل: ولم؟

قال: أخاف أن يدخلني مادخلك[١].

بيان

مالعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ **فجلس الى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم** ﴾: «إلى» إمّا بمعنى «مع» كما قاله بعض المفسّرين في قوله تعالى: ﴿من أنصاري الى الله﴾[٢] أو بمعنى «عند» كما في قول الشاعر:

* أشهى اليّ من الرحيق السلسل *[٣]

ويجوز أن يضمّن جلس معنى توجّه ونحوه.

﴿ **درن الثوب** ﴾: بفتح الدال وكسر الراء المهملتين صفة مشبّهة من الدرن بفتحهما، وهو الوسخ.

﴿ **فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه** ﴾ : ضمير «فخذيه» يعود الى الموسر، أي جمع الموسر ثيابه وضمّها تحت فخذي نفسه لئلّا تلاصق ثياب المعسر. ويحتمل عوده الى «المعسر».

و«من» على الأوّل إمّا بمعنى «في»، أو زائدة على القول بجواز زيادتها في الإثبات. وعلى الثاني لإبتداء الغاية. والعود الى «الموسر» أولى كما يرشد اليه قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «فخفت أن يوسّخ ثيابك» فافهم[٤].

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٦٢ ح ١١.

(٢) الصف: ١٤.

(٣) البيت هكذا:

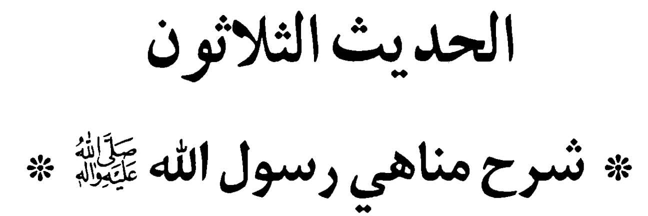
هلّا سبيلٌ الى الشّباب فذكره ... أشهى اليّ من الرحيق السلسل

(٤) في هامش(ع): لأنّ قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم «فخفت» الغرض من مجرّد التشنيع كما هو الغرض أن تبيّن، أعني قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم «أن يمسّك من فقره شيء» و«خفت أن يصيبه» وهذه التعريفات الثلاثة منخرطة في سلك واحد. ولو كانت ثياب الموسر تحت فخذي المعسر لأمكن أن يكون قبضها من تحت فخذيه خوفاً من أن يوسّخها. (منه دام ظلّه).

﴿ **إنّ لي قريناً يزيّن لي كلّ قبيح** ﴾: أي إنّ شيطاناً يقوّيني ويجعل القبيح حسناً في نظري، والحسن قبيحاً. وهذا الفعل الشنيع الذي يصدر منّي من جملة إغوائه لي.

﴿ **قد جعلت له نصف مالي** ﴾: أي في مقابلة ماصدر منّي إليه من كسر قلبه وزجراً لنفسي عن العود الى مثل هذه الزلّة.

﴿ **قال: أخاف أن يدخلني ما دخلك** ﴾: أي من ا لكبر والغرور والترفّع على الناس واحتقارهم وسائر الأخلاق الذميمة التي هي من لوازم التموّل والغنى.



الحديث الثلاثون

* شرح مناهي رسول الله صلى الله عليه وآله *

«... نهىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن الأكل على الجنابة فإنّه يورث الفقر.
و نهى عن تقليم الأظافر بالأسنان.
وقال: لاتجعلوا المساجد طرقاً حتى تصلّوا فيها ركعتين.
و نهى أن يبول أحد تحت شجرة مثمرة أو على قارعة الطريق.
و نهى أن يبول الرجل وفرجه بادٍ للشمس أو للقمر.
و قال: إذا دخلتم الغائط فتجنّبوا القبلة.
و نهىٰ أن يدخل الرجل في سوم أخيه المؤمن.
و نهىٰ أن يكثر الكلام عند المجامعة وقال: منه يكون خرس الولد.
و نهىٰ أن تتكلّم المرأة عند غير زوجها وغير ذي محرم منها أكثر من خمس كلمات ممّا لابدّ لها منه.
و نهىٰ عن الشرب في آنية الذهب والفضة.
و نهىٰ عن لبس الحرير والديباج والقزّ للرجال. وأمّا النساء فلابأس...».

أمالي الصدوق: المجلس ٦٦ ص ٣٧٨ـ ٣٨٨، ومن لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٢ـ ١١

و بالسند المتصل الى الشيخ الصدوق ثقة الإسلام محمد بن بابويه القمّي، عن حمزة بن محمد بن أحمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، قال: حدّثنا أبو عبدالله عبدالعزيز بن محمد بن عيسى الأبهري، قال: حدّثنا أبو عبدالله محمد بن زكريّا الجوهريّ البصري، قال: حدّثنا شعيب بن واقد، قال حدّثنا الحسين ابن زيد، عن الإمام الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهم السلام قال:

نهىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن الأكل على الجنابة فإنّه يورث الفقر.

ونهى عن تقليم الأظافر بالأسنان.

وقال: لاتجعلوا المساجد طرقاً حتّى تصلّوا فيها ركعتين.

ونهى أن يبول أحد تحت شجرة مثمرة أو على قارعة الطريق.

و نهى أن يبول الرجل و فرجه بادٍ للشمس أو للقمر.

وقال: إذا دخلتم الغائط فتجنّبوا القبلة.

ونهىٰ أن يدخل الرجل في سوم أخيه المؤمن.

و نهىٰ أن يكثر الكلام عند المجامعة و قال: منه يكون خرس الولد.

ونهىٰ أن تتكلّم المرأة عند غير زوجها وغير ذي محرم منها أكثر من خمس كلمات ممّا لابدّ لها منه.

ونهىٰ عن الشرب في آنية الذهب والفضة.

ونهىٰ عن لبس الحرير والديباج والقزّ للرجال. وأمّا النساء فلابأس.

و قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: لعن الله الخمر و عاصرها و غارسها و شاربها و ساقيها و بائعها و مشتريها و آكل ثمنها و حاملها والمحمولة إليه.

و قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: من شربها لم تقبل له صلاة أربعين يوماً، و إن مات وفي بطنه شيء منها كان حقّاً على الله أن يسقيه من طينة خبال، وهو صديد أهل النار وما يخرج من فروج الزناة فيجتمع ذلك في قدر جهنّم فيشربه أهل النار فيصهر مافي بطونهم والجلود.

ونهىٰ عن ضرب وجوه البهائم.

ونهىٰ ان يقول الرجل للرجل: لا وحياتك وحياة فلان.

ونهىٰ عن الكلام يوم الجمعة والإمام يخطب.

ونهىٰ ان يستعمل أجيراً حتّىٰ يعلم ماأُجرته.

ونهىٰ أن يختال الرجل في مشيته.

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: من عرضت له

فاحشة أو شهوة فاجتنبها من مخافة الله عزّوجلّ حرّم الله عليه النار، وآمنه من الفزع الأكبر، و أنجز له ما وعده في كتابه في قوله تعالى: (ولمن خاف مقام ربّه جنّتان)، و من ملأ عينه من حرام ملأالله عينه يوم القيامة من النار إلّا أن يتوب ويرجع.

ونهىٰ عن الغيبة وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: من اغتاب امرىءً مسلماً بطل صومه، ونقض وضوءه، و جاء يوم القيامة يفوح من فيه رائحة أنتن من الجيفة يتأذّى به أهل الموقف.

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: من ذرفت عيناه من خشية الله كان له بكلّ قطرة من دموعه قصراً في الجنة مكلّل بالدرّ والجواهر، فيه ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولاخطر على قلب بشر.

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: لاتحقّروا شيئاً من الشرّ و إن صغر في أعينكم، ولاتستكثروا الخير و إن كثر في أعينكم.

وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: لاكبيرة مع الاستغفار، ولاصغيرة مع الإصرار[١].

بيان

مالعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

---

(١) أمالي الصدوق: مجلس ٦٦ ص٣٧٨ـ ٣٨٨، ومن لايحضره الفقيه: ج ٤ ص٢ـ ١١ وقد لخّص المؤلف هذا الحديث، وذكر قسماً منه في الحديث الرابع والثلاثين.

﴿ حتّى تصلّوا ﴾: حتّى هذه إمّا لإنتهاء الغاية بمعنى «إلى» أو للاستثناء بمعنى «إلّا» ومجيئها للاستثناء مشهور بينهم، وقد عدّوا منه قول الشاعر:

ليس العطاء من الفضول سماحة حتّى يجود و ما لديه قليل

والمعنى على الأوّل أنّ كراهة الاستطراق مُغيّاً بالصلاة، وعلى الثاني أنّ كراهة الاستطراق حاصلة إلّا مع الصلاة. والمعنيان متقاربان، وبينهما فرق لايخفى على المتأمّل.

﴿ إذا دخلتم الغائط ﴾: هو المكان المطمئن[١] من الأرض، وكان سكّان البادية يقصدونه لقضاء الحاجة. والمراد به مكان التخلّي كيف كان.

﴿ في سوم أخيه ﴾: الدخول في السوم يتحقّق بأن يطلب شراء ماأُريد أن يشتريه أو يبذل للمشتري متاعاً غير مااتّفق مع البائع عليه.

وقد اختلفوا في أنّ النهي عن ذلك في الحديث هل هو للتحريم أو الكراهة؟ أمّا لو التمس الداخل من المدخول عليه تركه له فلا تحريم قطعاً، ولاكراهة على الظاهر.

﴿ أن يكثر الكلام عند المجامعة ﴾: النهي هنا محمول على الكراهة اتفاقاً. ولفظ «يكثر» إمّا أن يُقرأ مبنيّاً للمفعول أو الفاعل.

وعلى الأوّل تعمّ الكراهة الفاعل والمفعول، ويعضده قول الصادق عليه السلام: «اتّقوا الكلام عند التقاء الختانين»[٢].

وعلى الثاني يمكن أن يخصّص بالرجل بعود الضمير إليه في قوله عليه السلام: «نهى أن يدخل الرجل» ويؤيّده قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ياعليّ لاتتكلّم عند الجماع كثيراً»[٣].

---

(١) المطمئن أي المنخفض.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ٤٩٨ ح ٧.

(٣) من لايحضره الفقيه: ج ٣ ص ٥٥٢ ح ٤٨٩٩.

لكنّه يضعف بأن «الرجل» في قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «نهىٰ أن يدخل الرجل في سوم أخيه» المراد به الشخص كما في قوله: «ونهىٰ أن يبول الرجل و فرجه بادٍ للشمس» لا الذات الموصوفة بالرجولية ، وهذا ظاهر.

﴿ **طينة خبال** ﴾: بفتح الخاء المعجمة والباء الموحّدة، وهو في الأصل الفساد.

﴿ **فيصهر مافي بطونهم** ﴾: بالصاد المهملة من صهرت الشيء بمعنى أذبته. والمراد أنّ ذلك الصديد يذيب بحدّته أحشاء شاربيه وجلودهم.

﴿ **أن يختال الرجل في مشيته** ﴾: أي يتبختر كما يفعله المتكبرون، والنهي عن الاختيال والأُمور المذكورة قبله محمول[1] على الكراهة اتّفاقاً إلّا الكلام في أثناء الخطبة فإنّ في تحريمه خلافاً.

﴿ **ولمن خاف مقام ربّه جنّتان** ﴾: المراد بمقام ربّه - والله أعلم- موقفه الذي يوقف فيه العباد للحساب، أو هو مصدر بمعنى قيامه على أحوالهم و مراقبته لهم، أو المراد مقام الخائف عند ربّه.

وفسّر الجنّتان بجنّة يستحقّها العبد بعقائده الحقّة وأُخرى بأعماله الصالحة، أو أحدهما لفعل الحسنات والأُخرى لاجتناب السيّئات، أو جنّة يثاب بها والأُخرى يتفضّل بها عليه، أو جنّة روحانية وأُخرى جسمانية.

﴿ **ذرفت عيناه** ﴾: ذرف الدمع بالذال المعجمة يذرف ذرفاً بالسكون و ذرفاً بالتحريك أي سال، وذرفت عينه إذا سال دمعها.

تبصرة
[في معنى الشجرة المثمرة]

---

(١) (ع): محمولة.

فسّر بعضهم الشجرة المثمرة التي تضمّن الحديث النهي عن البول تحتها بما من شأنها الإثمار ولو في الاستقبال، وبنى ذلك على ماتقرّر في الأُصول من عدم اشتراط بقاء المعنى المشتقّ منه في صدق المشتق حقيقة.

وهو بناء عجيب فإنّ ماذكر في الأُصول على تقدير تمامه انّما يقتضي المساواة في الكراهة بين المثمرة بالفعل وبين ماكانت مثمرة في وقت ما، لا بينها وبين مامن شأنها الإثمار في الاستقبال، فإنّ إطلاق المشتقّ على من سيتّصف بأصله مجاز اتّفاقاً، و إنّما الخلاف في إطلاقه على من اتّصف به وقتاً ما ثمّ زال الإتّصاف.

هداية[1]

[في التكلّم مع الأجنبيّة]

الظاهر أنّ المراد بما لابدّ منه في نهي المرأة عن التكلّم بأزيد من خمس كلمات ما دعت الضرورة إليه كالإقرار والشهادة و نحوهما، فيشكل حينئذٍ التحديد بالخمس، فإنّه [يجوز][2] على حسب الضرورة إجماعاً.

وقد يُحمل على مااحتاجت عرفاً الى التكلّم به من غير ضرورة شرعيّة كسؤال الأجنبي القادم عن أهلها مثلاً، لكن في جواز مثل هذا الكلام لها مطلقاً نظر.

ولايبعد أن يقال: إنّ من العلماء من ذهب الى أنّ استماع صوت الأجنبيّة إنّما يحرم مع خوف الفتنة لا بدونه، ولهم على ذلك دلائل ليس

---

(١) (ع): تبيين.

(٢) «يجوز» ليس في (ل) و(ع).

هذا محلّ ذكرها.

وممّن ذهب الى ذلك العلّامة[١] جمال الحقّ والدين قدّس الله سرّه في كتاب تذكرة الفقهاء[٢] فيحمل الحديث على هذا بقيد عدم مظنّة الفتنة[٣] ويكون الزائد على الخمس مكروهاً، وكذا ما دون الخمس بدون الحاجة.

ويمكن جعل «الخمس» هنا كناية عن القلّة كما جعلت «السبعون» في قوله تعالى: ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرّة﴾[٤] كناية عن الكثرة. والكلام السابق جارٍ فيه كما لا يخفىٰ[٥].

تبصرة[٦]

[في الفرق بين الصلاة المقبولة والمجزية]

لعلّ المراد بعدم قبول صلاة شارب الخمر أربعين يوماً عدم ترتّب الثواب عليها في تلك المدّة لاعدم إجزائها، فإنّها مجزية اتّفاقاً. فهو يؤيّد مايستفاد من كلام السيّد المرتضىٰ علم الهدى أنار الله برهانه من أنّ قبول العبادة أمر مغاير للإجزاء.

فالعبادة المجزية: هي المبرئة للذمّة المخرجة عن عهدة التكليف، والمقبولة: هي مايترتّب عليها الثواب. ولاتلازم بينهما ولااتّحاد كما يظنّ.

---

(١) «العلّامة» ليس في (ع).

(٢) تذكرة الفقهاء: ج ١ ص ٥٨٢.

(٣) لايخفىٰ أنّ من جوّز استماع صوتها بهذا الشرط لايلزمه أن يجوّز لها أن يسمع الغير صوتها بهذا الشرط أيضاً، إلّا انّا لم نجد قائلاً بجواز الاستماع وتحريم الاستماع (منه رحمه الله).

(٤) التوبة: ٨٠.

(٥) من انّه على حسب الضرورة قلّ أو كثر ، و إن أُريد الحاجة عرفاً ففي جوازه نظر. (منه دام ظلّه).

(٦) (ع): بسط مقال لتحقيق حال.

وممّا يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿إنّما يتقبّل الله من المتّقين﴾[١] مع أنّ عبادة غير المتّقي مجزية إجماعاً.

وقوله تعالى حكاية عن إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام: ﴿ربّنا تقبّل منّا﴾[٢] مع أنّهما لايفعلان غير المجزي.

وقوله تعالى: ﴿فتقبّل من أحدهما ولم يتقبّل من الآخر﴾[٣] مع أنّ كلّاً منهما فعل ما أُمر به من القربان.

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ من الصلاة لما يقبل نصفها وثلثها وربعها، وأنّ منها لما تلفّ كما يلفّ الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها»[٤] والتقريب ظاهر.

ولأنّ الناس لم يزالوا في سائر الأعصار والأمصار يدعون الله تعالى بقبول أعمالهم بعد الفراغ منها، ولو اتّحد القبول والإجزاء لم يحسن هذا الدعاء إلّا قبل الفعل كما لايخفى. فهذه وجوه خمسة تدلّ على انفكاك الإجزاء عن القبول.

وقد يجاب عن الأوّل: بأنّ التقوى على مراتب ثلاث:

أوّلها: التبرّء عن الشرك، وعليه قوله تعالى: ﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾[٥] قال المفسّرون: هي قوله «لاإله الّا الله».

وثانيها: التجنّب عن المعاصي.

وثالثها: التنزّه عمّا يشغل عن الحقّ جلّ وعلا.

ولعلّ المراد بالمتّقين أصحاب المرتبة الأُولى. وعبادة غير المتّقين

---

(١) المائدة: ٢٧.

(٢) البقرة: ١٢٧.

(٣) المائدة: ٢٧.

(٤) الكافي: ج ٣ ص ٣٦٣ ح ٥، سنن أبي داود: ج ١ ص ٢١١.

(٥) الفتح: ٢٦.

بهذا المعنى غير مجزية وسقوط القضاء لأنّ الإسلام يجبّ ماقبله.

وعن الثاني: بأنّ السؤال قد يكون للواقع والغرض منه بسط الكلام مع المحبوب وعرض الافتقار لديه كما قالوه في قوله تعالى: ﴿ربّنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾[١] على بعض الوجوه[٢].

و عن الثالث: بأنّه تعبير بعدم القبول عن عدم الإجزاء و لعلّه لخلل في الفعل.

و عن الرابع: أنّه كناية عن نقص الثواب وفوات معظمه.

وعن الخامس: انّ الدعاء لعلّه لزيادة الثواب و تضعيفه.

وفي النفس من هذه الأجوبة شيء. وعلى ماقيل في الجواب عن الرابع ينزل عدم قبول صلاة شارب الخمر عند غير السيّد المرتضى رحمه الله.

تذكرة[٣]

[حرمة الغيبة وموارد جوازها]

---

(١) البقرة: ٢٨٦.

(٢) في الآية وجهان آخران:

الأوّل: انّ المراد ـ والله أعلم ـ لاتؤاخذنا بما أدّىٰ الى نسيان أو خطأ من تفريط وقلّة مبالاة، فانّ النسيان والخطأ أغلب مايكونان من عدم الاعتناء بالشيء كما أشار إليه العارف الروميّ في المثنوي.

الثاني: انّ المراد لايؤاخذنا بما وقع منّا خطأً ونسياناً، فانّ الذنوب كالسموم فكما أنّ تناولها يؤديّ الى الهلاك و إن كان خطأً ونسياناً، فتعاطي المأثم لايبعد أن يفضي الى العقاب و إن كان خطأً أو نسياناً، لكنّه سبحانه وعد التجاوز عنه رحمة وفضلاً فيجوز أن يدعو الإنسان به استدامة للنعمة و اعتداداً بها. كذا في تفسير القاضي. (منه رحمه الله) [تفسير البيضاوي: ج١ ص١٤٧].

(٣) (ع): تتميم نفعه عميم.

نهيه صلّى الله عليه وآله وسلّم عن الغيبة محمول على التحريم في غير المواضع المستثناة بإجماع الأمّة، وحكمه صلّى الله عليه وآله وسلّم بإبطالها الصوم ونقضها الوضوء مبنيّ على كمال المبالغة في نقصها من ثوابهما حتّى كأنّهما قد بطلا بالأصل.

ومن هذا القبيل مارواه الشيخ الطوسي طاب ثراه في كتاب تهذيب الأخبار عن الصادق عليه السلام قال: سمع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إمرأة تسابّ جارية لها وهي صائمة، فدعا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بطعام فقال لها: كُلي. فقالت: إنّي صائمة. فقال: كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك! إنّ الصوم ليس من الطعام والشراب[١].

هذا وقد عُرّفت الغيبة بأنّها التنبيه حال غيبة الإنسان المعيّن أو بحكمه على مايكره نسبته إليه ممّا هو حاصل فيه ويُعدّ نقصاً بحسب العرف قولاً أو إشارة أو كنايةً أو تعريضاً أو تصريحاً.

والتقييد بالمعيّن لإخراج المبهم من جمع غير محصور كأحد أهل البلد.

و «بحكمه» لإدراج المبهم من محصور كأحد قاضيي البلد فاسق مثلاً، فانّ الظاهر أنّه غيبة ولم أجد أحداً تعرّض له.

وقولنا «ممّا هو فيه» لإخراج البهت. وفائدة القيود الباقية ظاهرة.

وقد جُوّزت الغيبة في عشرة مواضع: الشهادة، والنهي عن المنكر، و شكاية المتظلّم، ونصح المستشير، وجرح الشاهد والراوي، و تفضيل بعض العلماء والصنّاع على بعض، و غيبة المتظاهر بالفسق الغير المستنكف على قول، وذكر المشتهر بوصف مميّز له كالأعور والأعرج مع عدم قصد الاحتقار والذمّ و ذكره عند من يعرفه بذلك بشرط عدم

---

(١) تهذيب الأحكام: ج ٤ ص ١٩٤ ح ١.

سماع غيره على قول، والتنبيه على الخطأ في المسائل العلمية ونحوها بقصد أن لا يتّبعه أحد فيها.

تنبيه[١]

[في بيان أنّ الإصرار على الصغيرة كبيرة أيضاً]

قد يفهم من نفي الصغيرة مع الإصرار أنّها تصير كبيرة معه، فلو لبس الحرير مثلاً مصرّاً عليه يصير ذلك اللبس كبيرة. والمشهور فيما بين القوم أنّ الكبيرة هي نفس الإصرار على الصغيرة، لأنّ الصغيرة المصرّ عليها تصير بالإصرار كبيرة. فكأنّهم يحملون الحديث على معنى أنّه لا أثر للصغيرة في ترتّب العقاب مع الإصرار، بل العقاب معه يترتّب على نفس الإصرار الذي هو من الكبائر، فكأنّ الصغيرة مضمحلّة في جنبه.

والإصرار في الأصل من الصرّ وهو الشدّ والربط، ومنه سمّيت الصرّة، ثمّ أُطلق على الإقامة على الذنب من دون استغفار، كأنّ المذنب ارتبط بالإقامة عليه، كذا ذكره المفسّرون في تفسير قوله تعالى: ﴿ولم يصرّوا على مافعلوا وهم يعلمون﴾[٢].

وقد قسّم بعض الأعلام الإصرار الى فعلي وحكمي. وقال: الفعلي: هو الدوام على نوع واحد من الصغائر بلا توبة، أو الإكثار من جنس الصغائر بلا توبة.

والحكمي: هو العزم على تلك الصغيرة بعد الفراغ منها. أمّا لو فعل الصغيرة ولم يخطر بباله بعدها توبة ولاعزم على فعلها فالظاهر أنّه غير مصرّ. إنتهى كلامه.

---

(١) في (ع): إتمام فيه اهتمام.

(٢) آل عمران: ١٣٥.

ولايخفى أنّ تخصيصه الإصرار الحكمي بالعزم على تلك الصغيرة بعد الفراغ منها يُعطي أنّه لو كان عازماً على الصغيرة الأُخرى بعد الفراغ ممّا هو فيه لايكون مصرّاً. والظاهر أنّه مصرّ أيضاً. وتقييده بـ«بعد الفراغ منها» يقتضي بظاهره أنّ من كان عازماً مدّة سنة على لبس الحرير مثلاً لكنّه لم يلبسه أصلاً لعدم تمكّنه لايكون في تلك المدّة مصرّاً. و هو محلّ نظر.

تحقيق(١)

[في بيان معنى الذنوب الكبيرة وعددها]

اختلف آراء الأكابر في تحقيق الكبائر، فقال قوم: كلّ ذنب توعّد الله عليه بالعقاب في الكتاب العزيز.

وقال بعضهم: هي كلّ ذنب رتّب عليه الشارع حدّاً أو صرّح فيه بالوعيد.

وقال طائفة: هي كلّ معصية تؤذن بقلّة اكتراث فاعلها بالدين.

وقال آخرون: كلّ ذنب علم حرمته بدليل قاطع.

وقيل: كلّ ماتوعّد عليه توعّداً شديداً في الكتاب أو السنّة.

وعن ابن مسعود أنّه قال: اقرؤا من أوّل سورة النساء الى قوله تعالى: ﴿ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفّر عنكم سيّئاتكم﴾(٢) فكلّ مانهى عنه في هذه السورة الى هذه الآية فهو كبيرة.

وقال جماعة: الذنوب كلّها كبائر لاشتراكها في مخالفة الأمر والنهي، لكن قد يُطلق الصغير والكبير على الذنب بالإضافة الى مافوقه وماتحته، فالقبلة صغيرة بالنسبة الى الزنا وكبيرة بالنسبة الى النظر بشهوة.

---

(١) في (ع): نقل آراء ورفع غطاء.

(٢) النساء: ٣١.

قال الشيخ الجليل أمين الإسلام أبو عليّ الطبرسيّ طاب ثراه في كتاب مجمع البيان بعد نقل هذا القول: والى هذا ذهب أصحابنا رضوان الله عنهم فانّهم قالوا المعاصي كلّها كبيرة لكن بعضها أكبر من بعض، وليس في الذنوب صغيرة، وإنّما يكون صغيراً بالإضافة الى ماهو أكبر ويستحقّ العقاب عليه أكثر[١]. إنتهى كلامه.

وقال قوم: إنّها سبع: الشرك بالله، وقتل النفس التي حرّم الله، وقذف المحصنة[٢]، وأكل مال اليتيم، والزنا، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين، ورووا في ذلك حديثاً عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم[٣].

وزاد بعضهم على ذلك ثلاثة عشر أُخرى: اللواط، والسحر، والربا، والغيبة، واليمين الغموس، وشهادة الزور، وشرب الخمر، واستحلال الكعبة[٤]، والسرقة، ونكث الصفقة[٥]، والتعرّب بعد الهجرة، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله.

وقد يُزاد أربعة عشر أُخرى: أكل الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أُهلّ لغير الله به[٦] من غير ضرورة، والسحت، والقمار، والنجش في الكيل والوزن، و معونة الظالمين، و حبس الحقوق من غير عُسر، والإسراف، والتبذير، والخيانة، والاشتغال بالملاهي، والإصرار على الذنوب. وهذه الأربعة عشر منقولة في عيون الأخبار عن الإمام الرضا عليه السلام[٧].

فهذه عشرة أقوال في ماهية الكبيرة، وليس على شيء منها دليل

---

(١) مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٣٨ في تفسير الآية (٣١) من سورة النساء.

(٢) في هامش(ع): أي العفيفة سواء كانت ذات بعل أو لا. (منه).

(٣) مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٣٩ في تفسير الآية (٣١) من سورة النساء.

(٤) أي ترك احترامها لأنّها البيت المحرّم بنصّ القرآن (منه).

(٥) في هامش(ع): الصفقة هي العهد مأخوذة من صفق اليد باليد عند التعاهد. (منه).

(٦) في هامش (ع): أي ما رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزّى عند ذبحه. (منه).

(٧) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ٢٨٥ ح ٣٣.

تطمئنّ به النفس. ولعلّ في إخفائها مصلحة لاتهتدي إليه عقولنا كما في إخفاء ليلة القدر والصلاة الوسطىٰ وغير ذلك.

وقد نقل أصحاب الحديث عن ابن عبّاس رضي الله عنه أنّه سُئل عن الكبائر أسبع هي؟ فقال: هي الى السبعمائة أقرب منها الى السبعة[١].

وربّما يقال ماذهب إليه الإمامية من أنّ الذنوب كلّها كبائر كما نقله الشيخ الطبرسيّ عنهم كيف يستقيم مع ماتقرّر من أنّ الصغائر مغفورة لمن اجتنب الكبائر لقوله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفّر عنكم سيّئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً﴾[٢] فإنّه يقتضي أن تكون الكبائر ذنوباً مخصوصة لتجتنب فيحصل باجتنابها تكفير الصغائر.

والحاصل أنّ تكفير الصغائر باجتناب الكبائر على القول بأنّ كلّاً منها اُمور مخصوصة معقول، فما معناه على القول بأنّ الوصف بالكبر والصغر إضافي؟

وجوابه: انّ معناه أنّ من عنّ له أمران منها ودعت نفسه إليهما بحيث لايتمالك، فكفّها عن أكبرهما مرتكباً أصغرهما فانّه يكفّر عنه ماارتكبه لما استحقّه من الثواب على اجتناب الأكبر، كمن عنّ له التقبيل والنظر بشهوة فكفّ عن التقبيل وارتكب النظر، كذا قيل. وفيه تأمّل.

تنبيه[٣]

[في تعريف العدالة]

ممّا ذكرناه يظهر أنّ قولهم العدل من يجتنب الكبائر ولايصرّ على الصغائر ينبغي أن يُراد به أنّه إذا عنّ له أمران كفّ عن الأكبر ولم يصرّ على

---

(١) مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٣٩ في تفسير الآية (٣١) من سورة النساء.

(٢) النساء: ٣١.

(٣) (ع): تذنيب.

الأصغر. وهذا المعنى وإن كان غير مشهور فيما بينهم لكنّه هو الذي يقتضيه النظر بناءً على ذلك المذهب، فما في كلام بعض الأعلام من أنّه يلزمهم أن يكون كلّ معصية مُخرجة عن العدالة محلّ نظر[١].

ثمّ لايخفى أنّ كلام الشيخ الطبرسي مشعر بأنّ القول بأنّ الذنوب كلّها كبائر متّفق عليه بين علماء الإمامية. وكفى بالشيخ ناقلاً.

إذا قالت حذام فصدّقوها | فانّ القول ما قالت حذام

ولكن صرّح بعض أفاضل المتأخّرين منهم بأنّهم مختلفون وأنّ بعضهم قائل ببعض الأقوال السالفة، ونُسب هذا القول الى رئيس الطائفة الشيخ المفيد وابن البرّاج و أبي الصلاح والمحقّق محمد بن إدريس والشيخ أبي عليّ الطبرسي رضوان الله عليهم. و تحقيق ماهو الحقّ يقتضي نمطاً آخر من الكلام.

---

(١) في هامش (ع): إذ العدالة على مايظهر من كلامهم ملكة تبعث على كفّ النفس عن الأكبر مع عدم الاصرار على الأصغر، والذنوب و إن كانت كلّها كبائر لكن ليس كلّ كبيرة مُخرجة عن العدالة، بل الكبيرة التي لم يكفّ... منها والتي يصرّ عليها. نعم يلزم من ظاهر كلامهم أنّ العدالة لايجامع من الذنوب إلّا واحداً وهو أصغر الجميع. ولعلّهم يريدون الأصغر من كلّ نوع من أنواع الذنوب و إن كان تعينه لايخلو من إشكال. (منه).

الحديث الحادي والثلاثون

* التسامح في أدلّة السنن *

«... عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنّه قال: مں سمع شيئاً من الثواب على شـيء فصنعه كان له أجرُهُ و إن لم يكن على مابلغه».

الكافي: ج ٢ ص ٨٧ ح ١

و بالسند المتصل الى الشيخ الجليل عمادالإسلام محمدبن يعقوب الكلينيّ، عن عليّ بن ابراهيم، عن أبيه إبراهيم بن هاشم، عن محمد بن أبي عمير، عن هاشم بن سالم، عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنّه قال:

من سمع شيئاً من الثواب على شيء فصنعه كان له أجرُهُ و إن لم يكن على مابلغه[1].

بيـان

مالعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ **من سمع شيئاً من الثواب** ﴾ : يحتمل أن يراد بسماع الثواب مطلق بلوغه إليه ، سواء كان على سبيل الرواية أو الفتوى أوالمذاكرة أو نحو ذلك، كما لو رآه في شيء من كتب الحديث والفقه مثلاً . و يؤيد هذا التعميم أنّه ورد في حديث آخر عن الصادق عليه السلام : «من بلغه شيء من الثواب»[2].

و يمكن أن يُراد السماع من لفظ الراوي أو المفتي خاصّة فانّه هو الشائع الغالب في الزمن السالف. و أمّا الحمل على التحمّل بأحد الوجوه

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٨٧ ح ١ باب من بلغه ثواب من الله على عمل.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٨٧ ح ٢ باب من بلغه ثواب من اللّه على عمل.

السنة المشهورة فلايخلو من بُعد، وظاهر الإطلاق أنّ ظنّ صدق الناقل غير شرط في ترتّب الثواب، فلو تساوى صدقه وكذبه في نظر السامع و عمل بقوله فاز بالأجر.

نعم يشترط عدم ظنّ كذبه لقيام بعض القرائن. والظاهر انّ تصريح الراوي بترتّب الثواب غير شرط، بل قوله انّ العمل الفلاني مستحبّ أو مكروه كافٍ في ترتّب الثواب على فعله أو تركه.

﴿ **على شيء** ﴾: أي على فعل شيء أو تركه.

﴿ **فصنعه** ﴾: أي أتى بذلك الشيء سواء كان فعلاً أو تركاً.

﴿ **كان له أجره** ﴾: الضمير في «أجره» إمّا أن يعود الى «الشيء» أي كان له الأجر المترتّب على ذلك الشيء، أو الى «من» أي كان لذلك العامل أجره، أي الأجر الذي طلبه بذلك العمل.

﴿ **وان لم يكن على مابلغه** ﴾: اسم «يكن» ضمير الشأن، و يجوز عوده الى الشيء أو الثواب أو المسموع، و يؤيّده أنّ في رواية اُخرى: «وان لم يكن الحديث كما بلغه»[١].

تبصرة

[وجه التسامح في أدلّة السنن في نظر الإمامية]

هذا الحديث حسن الطريق متلقّى بالقبول، وقد تأيّد بأخبار اُخرى كما رواه الشيخ الجليل محمد بن يعقوب في الكافي، عن محمدبن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن سنان، عن عمران الزعفراني، عن محمد بن مروان قال: سمعت أباجعفر محمد الباقر عليه السلام يقول: من بلغه ثواب من الله على عمل فعمل ذلك العمل التماس ذلك الثواب اُوتيه و إن لم يكن الحديث كما بلغه[٢].

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٨٧ ح ٢ باب من بلغه ثواب من الله على عمل.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٨٧ ح ٢.

وما رواه الشيخ الصدوق محمدبن بابويه في كتاب ثواب الأعمال، عن أبيه عليّ بن بابويه، عن عليّ بن موسى، عن أحمدبن محمد، عن عليّ بن الحكم، عن هشام، عن صفوان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من بلغه شيء من الثواب على شيء من الخير فعمله كان له أجر ذلك و إن كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يقله[1].

وهذا هو سبب تساهل فقهائنا في البحث عن دلائل السنن، وقولهم باستحباب بعض الأعمال التي ورد بها أخبار ضعيفة وحكمهم بترتّب الثواب عليها. فلا يرد عليهم أنّهم قد اتفقوا على أنّ الحديث الضعيف لاتثبت به الأحكام الشرعية، والاستحباب حكم شرعي، لأنّ حكمهم باستحباب تلك الأعمال وترتّب الثواب عليها ليس مستنداً في الحقيقة الى تلك الأحاديث الضعيفة، بل الى هذا الحديث الحسن المشتهر المعتضد بغيره من الأحاديث.

نعم يرد البحث على من اقتصر من أصحابنا على العمل بالصحاح ولم يعمل بالحسان وان اشتهرت واعتضدت بغيرها، وهو نادر.

هذا و وجه عدم استنادهم الى هذا الخبر في وجوب ماتضمّن الخبر الضعيف وجوبه كاستنادهم إليه في استحباب ماتضمّن استحبابه ظاهر، فإنّ هذا الخبر لم يتضمّن إلّا ترتّب الثواب على العمل، وهو لا يقتضي الأمر بالعمل.

كلام على كلام[2]

[وجه التسامح في أدلّة السنن في نظر العامّة]

قد ظهر لك وجه عمل أصحابنا بالأحاديث الضعيفة في السنن و أنّه

---

(١) ثواب الأعمال: ص ١٦٠.

(٢) (ع): ختام وكلام على كلام.

راجع في الحقيقة الى العمل بذلك الحديث الحسن. فاعلم أنّ بعض الأعلام من مخالفينا بعد مانقل الإشكال في تجويز القوم بل استحبابهم العمل بالخبر الضعيف في فضائل الأعمال كما صرّح به النووي في الأذكار مع حكمهم بعدم ثبوت الأحكام الشرعية بالأحاديث الضعيفة قال في التفصّي عن هذا الإشكال: إذا وجد حديث ضعيف في فضيلة عمل من الأعمال ولم يكن هذا العمل ممّا يحتمل الكراهة والحرمة فانّه يجوز العمل به و يستحبّ، لأنّه مأمون الخطر ومرجوّ النفع، إذ هو دائر بين الإباحة والاستحباب فالاحتياط العمل به ورجاء الثواب.

و أمّا إذا دار بين الحرمة والاستحباب فلاوجه لاستحباب العمل به، و إذا دار بين الكراهة والاستحباب فمجال النظر فيه واسع، إذ في العمل دغدغة الوقوع في المكروه، وفي الترك مظنّة ترك المستحبّ، فلينظر إن كان خطر الكراهة أشدّ بأن تكون الكراهة المحتملة شديدة والاستحباب المحتمل ضعيفاً فحينئذٍ ترجّح الترك على الفعل فلا يستحبّ العمل، وان كان خطر الكراهة أضعف بأن تكون الكراهة على تقدير وقوعها كراهة ضعيفة دون مرتبة ترك العمل على تقدير استحبابه فالاحتياط العمل. وفي صورة المساواة يحتاج الى نظر تام، والظنّ أنّه مستحبّ أيضاً، لأنّ المباحات تصير عبادة بالنيّة فكيف مافيه شبهة الاستحباب لأجل الحديث الضعيف، فجواز العمل واستحبابه مشروطان، أمّا جواز العمل فبعدم احتمال الحرمة، وأمّا الاستحباب فبما ذكرنا مفصّلاً.

ثمّ قال: بقي هنا شيء وهو أنّه إذا عدم احتمال الحرمة فجواز العمل ليس لأجل الحديث، إذ لو لم يوجد الحديث يجوز العمل، إذ المفروض انتفاء احتمال الحرمة.

لايقال: الحديث الضعيف ينفي احتمال الحرمة.

لأنّا نقول: الحديث الضعيف لايثبت به شيء من الأحكام الخمسة،

وانتفاء احتمال الحرمة يستلزم ثبوت الإباحة، والإباحة حكم شرعي فلا يثبت بالحديث الضعيف.

ولعلّ مراد النووي ماذكرنا وانّما ذكر جواز العمل توطئة للاستحباب.

و حاصل الجواب: انّ الجواز معلوم من خارج، والاستحباب أيضاً معلوم من القواعد الشرعية الدالّة على استحباب الاحتياط في أمر الدين فلم يثبت شيء من الأحكام بالحديث الضعيف، بل أوقع الحديث الضعيف شبهة الاستحباب فصار الاحتياط أن يعمل به، واستحباب الاحتياط معلوم من قواعد الشرع. إنتهى كلامه بلفظه.

وفيه نظر، لأنّ خطر الحرمة في هذا الفعل الذي تضمّن الحديث الضعيف استحبابه حاصل كلّما فعله المكلّف لرجاء الثواب، لأنّه لا يعتدّ به شرعاً ولا يصير منشأً لاستحقاق الثواب إلّا إذا فعله المكلّف بقصد القربة ولاحظ رجحان فعله شرعاً، فإنّ الأعمال بالنيّات، وفعله على هذا الوجه مردّد بين كونه سنّة ورد الحديث بها في الجملة وبين كونه تشريعاً وادخالاً لما ليس من الدين فيه.

ولاريب أنّ ترك السنّة أولى من الوقوع في البدعة، فليس الفعل المذكور دائراً في وقتٍ من الأوقات بين الإباحة والاستحباب ولا بين الكراهة والاستحباب ، بل هو دائماً دائر بين الحرمة والاستحباب ، فتاركه متيقّن للسلامة و فاعله متعرّض للندامة ، على أنّ قولنا بدورانه بين الحرمة والاستحباب إنّما هو على سبيل المماشاة و ارخاء العنان، و إلّا فالقول بالحرمة من غير ترديد ليس عن السداد ببعيد، والتأمّل الصادق على ذلك شهيد.

هذا وقد تفصّى بعض الفضلاء عن أصل الإشكال بأنّ معنى قولهم «يجوز العمل بالحديث في فضائل الأعمال دون مسائل الحلال

والحرام» أنّه إذا ورد حديث صحيح أو حسن في استحباب عمل وورد حديث ضعيف في أنّ ثوابه كذا وكذا جاز العمل بذلك الحديث الضعيف والحكم بترتّب ذلك الثواب على ذلك الفعل، وليس هـذا الحكـم أحـد الأحكام الخمسة التي لاتثبت بالاحاديث الضعيفة.

وبعضهم بأنّ معنى قولهم الأحكام لاتثبت بالأحاديث الضعيفة انّها لاتستقل بإثابتها لأنّها لاتصير مقوّية ومؤكّدة لما تثبت به.

ومعنى تجويزهم العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال أنّه إذا دلّ على استحباب عمل حديثان صحيح وضعيف مثلاً جاز للمكلّف حال العمل ملاحظة دلالة الضـعيف أيضاً عـليه فـيكون عـاملاً بـه فـي الجملة.

ولايخفى ما في هذين الكلامين من الخلل : أمّـا الأوّل فـلمخالفته منطوق عبارات القوم، فإنّها صريحة في استحباب الإتيان بالفعل إذا ورد في استحبابه حديث ضعيف غير قابلة لهذا التأويل السخيف.

وأمّا الثاني فمع بعده وسماجته يـقتضي عـدم صـحّة التـخصيص بفضائل الأعمال دون مسائل الحـلال والحـرام، فـإنّ العـمل بـالحديث الضعيف بهذا المعنى لانزاع بين أهـل الإسـلام فـي جـوازه فـي جـميع الأحكام، والله أعلم.

الحديث الثاني والثلاثون

* دعاء شيبة الهذلي *
* في أُمور الدنيا والآخرة *

«... قال: أتى رجل الى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يقال له شيبة الهذلي فقال: يا رسول الله إنّي شيخ قد كبرت سنّي و ضعفت قوّتي عن عمل كنت عوّدته نفسي من صلاة و صيام و حجّ فعلّمني يا رسول الله كلاماً ينفعني الله به و خفّف عليّ يا رسول الله.

فقال: أعدها، فأعادها ثلاث مرّات.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ماحولك شجرة ولامدرة إلّا و قد بكت من رحمتك؛ فإذا صلّيت الصبح فقل عشر مرّات: «سبحان الله العظيم وبحمده، ولاحول ولاقوّة إلّا بالله العليّ العظيم» فإنّ الله عزّوجلّ يعافيك بذلك من العمى والجنون والجذام والفقر والهرم...».

أمالي الصدوق: المجلس ١٣ ص ٤٩، ثواب الأعمال: ص ١٩٠

وبالسند المتصل الى الشيخ الصدوق عمادالإسلام مخمدبن عليّ بن بابويه، عن أبيه، عن سعد بن عبدالله، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن وهب، عن عمر بن نهيك، عن سلام المكّي، عن الإمام أبي جعفر محمد بن عليّ الباقر عليه السلام قال:

أتى رجل الى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يقال له شيبة الهذلي فقال : يا رسول الله إنّي شيخ قد كبرت سنّي وضعفت قوّتي عن عمل كنت عوّدته نفسي من صلاة و صيام و حجّ فعلّمني يا رسول الله كلاماً ينفعني الله به و خفّف عليّ يا رسول الله.

فقال: أعدها، فأعادها ثلاث مرّات.

فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم : ما حولك شجرة ولامدرةإلّا وقد بكت من رحمتك؛ فإذا صلّيت الصبح فقل عشر مرّات: «سبحان الله العظيم وبحمده، ولاحول ولاقوّة إلّا بالله العليّ العظيم» فإنّ الله عزّوجلّ يعافيك بذلك من العمى والجنون والجذام والفقر والهرم.

فقال: يا رسول الله هذا للدنيا فما للآخرة.

قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: تقول في دبر كلّ صلاة: «اللّهمّ اهدني من عندك، وأفض عليّ من فضلك، وانشر عليّ من رحمتك، وأنزل عليّ من بركاتك».

قال: فقبض عليهنّ بيده ثمّ مضى. فقال رجل لابن عبّاس: ماأشدّ ماقبض عليها خالُك.

فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: أما أنّه إن وافى بها يوم القيامة لم يدعها متعمّداً فُتحت له ثمانية أبواب الجنّة يدخل من أيّها شاء[1].

بيـان

مالعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ **يقال له شيبة الهذلي** ﴾: شيبة بالمعجمات، والهذلي: بضمّ الهاء وفتح الذال المعجمة منسوب الى هذيل بالضمّ: طائفة، وقياس النسبة الى فُعَيْل فَعَيلي بإثبات الياء لا فُعَلِي. و إنّما تُحذف الياء من فَعَيْلة غير المضاعفة كجهني نسبة الى جُهَيْنة، فقولهم هذلي وقرشيّ شاذّ، والقياس هذيلي وقريشي.

﴿ **فقال أعدها** ﴾: أي أعد تلك الكلمات، أو أعد حكاية ضعفك، أو مسألتك.

﴿ **فأعادها ثلاث مرّات** ﴾: فيه تغليب، والمراد ذكرها ثلاثاً. و إن حُملت الإعادة على معناها فالذكر وقع أربعاً.

﴿ **شَجَرَة ولامَدَرَة** ﴾: بالفتحات قطعة الطين اليابس.

---

(١) أمالي الصدوق: مجلس ١٣ ص ٤٩، ثواب الأعمال: ص ١٩٠.

﴿ **سبحان الله العظيم وبحمده** ﴾: تقدّم تفسيره في الحديث السابع.

﴿ **ولاحول ولاقوّة** ﴾: الحول: القدرة على التصرّف.

﴿ **والهرم** ﴾: بفتحتين أقصى كبر السن. والمراد هنا الضعف والاسترخاء الناشيء منه تسمية اللازم باسم الملزوم.

﴿ **في دبُر كلّ صلاة** ﴾: دُبُر الشيء بضمّتين وبضمّ أوّله و إسكان ثانيه: عقبه.

﴿ **اللّهم اهدني من عندك** ﴾: قد مرّ في الحديث السادس والعشرين الكلام في هداية الله سبحانه للعباد وأنّها على خمسة أنواع، والمراد هنا ماعدا النوع الأوّل والثالث.

﴿ **وأفض عليّ من فضلك** ﴾: في الكلام استعارة مكنية وتخييل.

﴿ **وأنزل عليّ من بركاتك** ﴾: أي من تشريفاتك و كراماتك، سُمّي إيصالها إلينا منه سبحانه إنزالاً على سبيل الاستعارة تشبيهاً للعلوّ والتسفّل[1] الرتبيين بالعلوّ والتسفّل[2] المكانيين

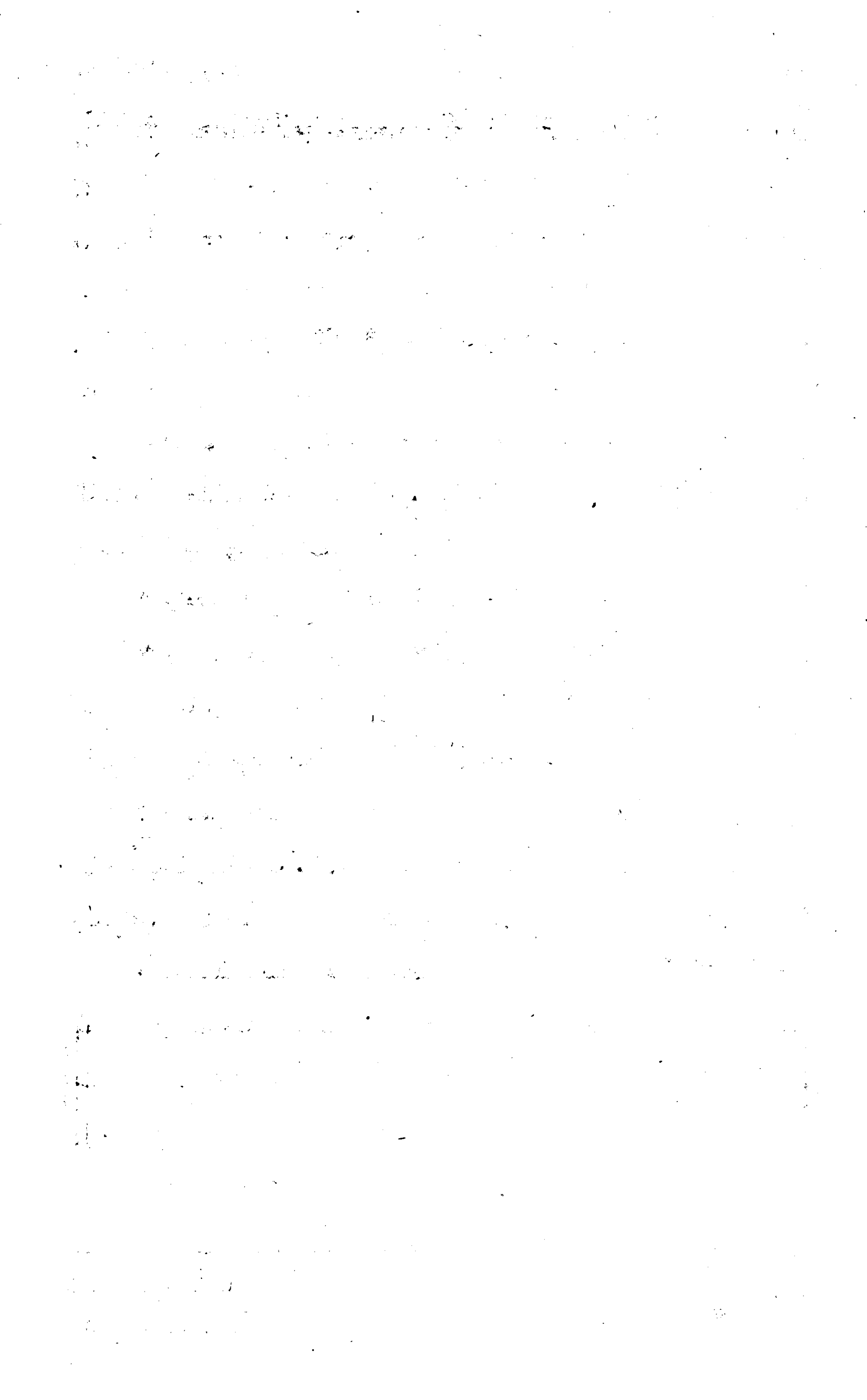
﴿ **فقبض عليهنّ بيده** ﴾: الظاهر عود الضمير الى الكلمات الأربع الأُخروية بقرينة قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم «إن وافى بها يوم القيامة»، ولعلّ المراد بالقبض عدّها بالأصابع وضمّها لهنّ.

﴿ **ما أشدّ ماقبض عليها خالك** ﴾: أي صاحبك، يقال: أنا خال هذا الفرس أي صاحبه. ويمكنأن يراد بالخال معناه الحقيقي ويكون عبدالله بن عبّاس رضي الله عنه[3] منتسباً من جانب الأُمّ الى هذيل، والله أعلم.

---

(١) و (٢) (ع): السفل.

(٣) (ع): رحمه الله.



الحديث الثالث والثلاثون

* ثواب إدخال السرور على المؤمنين *

«... قال أبوعبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في حديث طويل : إذا بعث الله المؤمن من قبره خرج معه مثال يُقدمه أمامه، كلّما رأى المؤمن هولاً من أهوال يوم القيامة قال له المثال: لاتفزع ولاتحزن وأبشر بالسرور والكرامة من الله عزّوجلّ ، حتّى يقف بين يدي الله عزّوجلّ فيحاسبه حساباً يسيراً و يأمر به الى الجنّة والمثال أمامه.

فيقول له المؤمن : يرحمك الله نعم الخارج خرجت معي من قبري وما زلت تبشّرني بالسرور والكرامة من الله عزّوجلّ حتّى رأيت ذلك فمن أنت؟...».

الكافي: ج ٢ ص ١٩٠ ح ٨

و بالسند المتصل الى الشيخ الجليل محمدبن يعقوب، عن محمدبن يحيى، عن أحمدبن محمدبن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن سدير الصيرفي قال: قال أبو عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في حديث طويل:

إذا بعث الله المؤمن من قبره خرج معه مثال يُقدمه أمامه، كلّما رأى المؤمن هولاً من أهوال يوم القيامة قال له المثال: لا تفزع ولاتحزن و أبشر بالسرور والكرامة من الله عزّوجلّ، حتّى يقف بين يدي الله عزّوجلّ فيحاسبه حساباً يسيراً و يأمر به الى الجنّة والمثال أمامه.

فيقول له المؤمن: يرحمك الله نعم الخارج خرجت معي من قبري ومازلت تبشّرني بالسرور والكرامة من الله عزّوجلّ حتّى رأيت ذلك فمن أنت؟

فيقول: أنا السرور الذي كنت أدخلته على أخيك المؤمن في الدنيا، خلقني الله عزّوجلّ منه[1].

بيان

مالعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٩٠ ح ٨.

﴿ خرج معه مثال يقدمه أمامه ﴾: المثال: الصورة.

و «يُقدم»: على وزن يكرم. أي يـقوّيه و يشـجّعه مـن الإقـدام فـي الحرب وهو الشجاعة وعدم الخوف.

و يجوز أن يُقرأ على وزن يَنْصُر، وماضيه قدم كنصر، أي يتقدّمه كما قال الله تعالى: ﴿يقدم قومه يوم القيامة﴾[١] ولفظ أمامه حينئذٍ تأكيد.

﴿ نِعمَ الخارج خرجت معي من قبري ﴾: المخصوص بـالمدح محذوف لدلالة ماقبله عليه، أي نِعمَ الخارج أنت. وجملة «خرجت معي» وما بعده مفسّرة لجملة المدح أو بدل منها، ويحتمل الحالية بتقدير «قد».

﴿ أنا السرور الذي كنت أدخلته ﴾: فيه دلالة على تجسّم الأعمال في النشأة الأُخرويّة. وقد ورد في بعض الأخبار تجسّم الاعتقادات أيضاً.

فالأعمال الصالحة والاعتقادات الصـحيحة تـظهر صـوراً نـورانـيّة مستحسنة موجبة لصاحبها كمال السرور والابتهاج، والأعـمال السـيّئة والاعتقادات الباطلة تظهر صوراً ظلمانيّة مستقبحة توجب غاية الحـزن والتألّم كما قال جماعة من المفسّرين عند قوله تعالى: ﴿يـوم تـجد كـلّ نفس ماعملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً﴾[٢] و يرشد إليه قوله تعالى: ﴿يومئذٍ يصدر الناس اشتاتاً ليروا أعمالهم * فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره * و من يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره﴾[٣] و من جعل التقدير: «ليروا جزاء أعمالهم» ولم يُرجع ضمير «يره» الى «العمل» فقد أبعد، وقد مرّ في الحديث التاسع كلام في هذا الباب، و لعلّنا نزيده إيضاحاً فيما نذيّل به بعض الأحاديث الآتية[٤] إن شاء الله تعالى.

---

(١) هود: ٩٨.

(٢) آل عمران: ٣٠.

(٣) الزلزال: ٦ ـ ٨.

(٤) في شرح الحديث التاسع والثلاثين.

الحديث الرابع والثلاثون

* ثلّة من الحقوق الاجتماعية *

«... قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من سمع فاحشة فأفشاها فهو كالذي أتاها.

ومن تطوّل على أخيه في غيبة سمعها فيه في مجلس ردّ الله عنه ألف باب من السوء في الدنيا والآخرة.

ومن كظم غيظاً وهو قادر على إنفاذه أعطاه الله أجر شهيد.

و من سعى لمريض في حاجة قضاها أو لم يقضها خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه.

ومن فرّج عن مؤمن كربة فرّج الله عنه اثنين وسبعين كربة من كرب الدنيا.

ومن صلّى على ميّت صلّى عليه سبعون ألف ملك وغفر الله له ماتقدّم من ذنبه، فإن أقام حتّى يُدفن ويحثى عليه التراب كان له بكلّ قدم نقلها قيراط من الأجر، والقيراط مثل جبل أُحد...».

أمالي الصدوق: المجلس ٦٦ ص ٣٨٥ ـ ٣٨٧

و بالسند المتصل الى الشيخ الصدوق محمد بن بابويه، عن حمزة بن محمد، عن عبدالعزيز بن محمد الأبهري، عن محمد بن زكريّا الجوهري، عن شعيب بن واقد، عن الحسين بن زيد، عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من سمع فاحشة فأفشاها فهو كالذي أتاها.

ومن تطوّل على أخيه في غيبة سمعها فيه في مجلس ردّ الله عنه ألف باب من السوء في الدنيا والآخرة.

ومن كظم غيظاً وهو قادر على إنفاذه أعطاه الله أجر شهيد.

ومن سعى لمريض في حاجة قضاها أو لم يقضها خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمّه.

ومن فرّج عن مؤمن كربة فرّج الله عنه اثنين وسبعين كربة من كرب الدنيا.

ومن صلّى على ميّت صلّى عليه سبعون ألف ملك وغفر الله له ماتقدّم من ذنبه، فإن أقام حتّى يُدفن ويحثىٰ عليه التراب كان له بكلّ قدم نقلها

قيراط من الأجر، والقيراط مثل جبل أُحد.
وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: من مطل على ذي حقّ حقّه وهو يقدر على أداء حقّه فعليه كلّ يوم خطيئة عشّار[١].

بيـان

مالعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ **من سمع فاحشة** ﴾: الفاحشة كلّ ما نهى الله عزّوجلّ عنه، وربّما يخصّ بما يشتدّ قبحه من الذنوب.

والمراد بسماعها مايشمل سماعها من ناقلها أو فاعلها، كأن يسمع من أحد كذباً أو قذفاً أو غيبة. ولاريب أنّ المراد في غير المواضع المستثناة- وقد مضت في الحديث الثلاثي.

﴿ **ومن تطوّل على أخيه** ﴾: أي تفضّل وتكرّم

﴿ **في غيبة** ﴾: أي في ردّها على حذف مضاف، و«في» للسببية.

هذا ولايبعد أن يجعل استماع غيبة المؤمن لقصد ردّها مجوّزاً، ولم أجد أحداً جوّز ذلك، وتجويزه قويّ.

﴿ **ومن كظم غيظاً** ﴾: الكظم: الردّ والحبس.

﴿ **أعطاه الله أجر شهيد** ﴾: ظاهره ينافي مااشتهر من قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أفضل الأعمال أحمزها»[٢].

و ربّما يقال: إنّ الشهيد وكلّ فاعل حسنة فأجره مضاعف بعشرة أمثاله لقوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾[٣] فلعلّ أجر

---

(١) أمالي الصدوق: مجلس ٦٦ ص ٣٨٥ ـ ٣٨٧.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٤٤٠ مادة «حمز».

(٣) الأنعام: ١٦٠.

كاظم الغيظ مع المضاعفة أجر الشهيد بدونها.

واعلم إنّ في كظم الغيظ أجراً جليلاً وثواباً جزيلاً، وهو شعار الصالحين ودأب الأولياء والمقرّبين. روى الشيخ الجليل محمدبن يعقوب في الكافي عن الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من أحبّ السبيل الى الله عزّوجلّ جُرعتان: جُرعة غيظ تردّها بحلم، وجُرعة مصيبة تردّها بصبر[١].

وعن الإمام أبي جعفر محمدبن عليّ الباقر عليه السلام: من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه حشا الله قلبه أمناً و إيماناً[٢].

وروى العامّة والخاصّة عن الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه كان يتوضّأ وجاريته واقفة تسكب الماء في يده، فسقط الإبريق من يدها على وجهه فجرحه، فرفع عليه السلام رأسه الى الجارية فقالت: إنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿والكاظمين الغيظ﴾. فقال عليه السلام: قد كظمت غيظي. فقالت: ﴿والعافين عن الناس﴾. فقال عليه السلام: قد عفوت عنك. قالت: ﴿والله يحبّ المحسنين﴾. فقال عليه السلام: أنت حرّة لوجه الله[٣].

وروي عن أبي ذرّ رضي الله عنه أنّ شخصاً خاشنه وسبّه فحلم عنه أبوذرّ فقال له: يابن أخي إنّ قدّامي عقبة كؤوداً إن نجوت منها لم يضرّني ما قلت، و إن لم أنج منها فأنا شرّ ممّا قلت.

﴿ خرج من ذنوبه ﴾: فيه استعارة. وقد مرّ مثله.

﴿ ومن مطل على ذي حقّ حقّه ﴾: المطل: التسويف والتعليل في أداء الحقّ وتأخيره من وقت الى وقت.

والحقّ يشمل الحقّ المالي و غيره و حقوق الله سبحانه و حقوق

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ١١٠ ح ٩.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١١٠ ح ٧ وفي آخره: «يوم القيامة».

(٣) الإرشاد للمفيد: ص ٢٥٧، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١٥٧.

الناس. ويدخل فيه التعلّل في إخراج الزكاة والخمس وأداء الحجّ الواجب وتأخير الصلاة عن وقتها ونحو ذلك.

﴿ خطيئة عشّار ﴾: بالعين المهملة والشين المعجمة المشدّدة وهو الّذي يسمّى بالفارسية «تَمغاچي» مأخوذ من التعشير، وهو أخذ العشر من أموال الناس بأمر الظالم.

الحديث الخامس والثلاثون

❊ كرامة المؤمن عند الله تعالى وثواب النوافل ❊

«... لمّا أُسري بالنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: يا ربّ ماحال المؤمن عندك؟
قال: يا محمّد من أهان لي وليّاً فقد بارزني بالمحاربة، و أنا أسرع شيء الى نصرة أوليائي. وما تردّدت في شيء أنا فاعله كتردّدي في وفاة المؤمن يَكره الموت و أكره مساءته ، و إنّ من عبادي من لا يصلحه إلّا الغنى و لو صرفته الى غير ذلك لهلك،وإنّ من عبادي من لا يصلحه إلّا الفقر ولو صرفته الى غير ذلك لهلك. وما يتقرّب اليّ عبدي بشيء أحبّ ممّا افترضت عليه،وإنّه ليتقرّب اليّ بالنوافل حتّى أُحبّه، فإذا أحببتُه كنت سمعُه الذي يسمعُ به، وبصرُه الذي يبصرُ به،ولسانُه الذي ينطقُ به،و يده التي يبطشُ بها،إن دعاني أجبته،وإن سألني أعطيته».

الكافي: ج ٢ ص ٣٥٢ ح ٨

وبالسند المتصل الى الشيخ الجليل عماد الإسلام محمدبن يعقوب الكليني، عن عدّة من أصحابنا، عن أحمدبن محمدبن خالد، عن اسماعيل بن مهران، عن أبي سعيد القمّاط، عن أبان بن تغلب، عن الإمام أبي جعفر محمدبن عليّ الباقر عليه السلام قال:

لمّا أُسري بالنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: ياربّ ماحال المؤمن عندك؟

قال: يامحمّد من أهان لي وليّاً فقد بارزني بالمحاربة، وأنا أسرع شيء الى نصرة أوليائي. وما تردّدت في شيء أنا فاعله كتردّدي في وفاة المؤمن يَكره الموت وأكره مساءته، و إنّ من عبادي من لا يصلحه إلّا الغنى و لو صرفته الى غير ذلك لهلك، و إنّ من عبادي من لا يصلحه إلّا الفقر ولو صرفته الى غير ذلك لهلك. وما يتقرّب اليّ عبدي بشيء أحبّ ممّا افترضت عليه، و إنّه ليتقرّب اليّ بالنوافل حتّى أُحبّه، فإذا أحببتُه كنت سمعُه الذي يسمعُ به، وبصرُه الذي يبصرُ به، ولسانُه الذي ينطقُ به، ويده التي يبطشُ بها، إن

دعاني أجبته، و إن سألني أعطيته[١].

بيـان

مالعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ **لمّا أُسري بالنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم** ﴾: بالبناء للمفعول من السُرىٰ على وزن هُدىٰ، وهو السير في الليل. وأمّا تقييده بالليل في قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى﴾[٢] فللدلالة بتنكير الليل على تقليل مدّة الإسراء، مع أنّ المسافة بين المسجدين مسير أربعين ليلة.

﴿ **ماحال المؤمن عندك** ﴾: أي ماقدره ومنزلته.

﴿ **من أهان لي وليّاً** ﴾: المراد بالوليّ المحبّ. وبالمبارزة بالمحاربة: إظهارها والتصدّي لها.

﴿ **وما تردّدت في شيء أنا فاعله** ﴾: ذكر التردّد استعارة سنتكلّم عليها. والجملة الإسمية نعت «شيء»، واسم الفاعل فيها يجوز أن يكون بمعنى الحال والاستقبال.

﴿ **يكره الموت وأكره مساءته** ﴾: جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، كأنّ سائلاً يسأل ماسبب التردّد؟ فأُجيب بذلك. ويحتمل الحاليّة من «المؤمن». والاستئناف أولى.

والمساءة: على وزن سلامة مصدر ميمي، من ساءه إذا فعل مايكرهه.

﴿ **و إنّ من عبادي من لايصلحه إلّا الغنى** ﴾: الصناعة النحويّة تقتضي أن يكون الموصول اسم «إنّ» والجار والمجرور خبرها، لكن لايخفى أنّه ليس الغرض الإخبار عن أنّ الذي لايصلحه إلّا الغنى بعض

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٣٥٢ ح ٨.

(٢) الإسراء: ١.

العباد، إذ لافائدة فيه، بل الغرض العكس، فالأولى أن يُجعل الظرف اسم «إنّ» والموصول خبرها. وهذا و إن كان خلاف، ما هو المتعارف بين القوم لكن جوّز بعضهم مثله في قوله تعالى: ﴿ومن‌الناس من يقول آمنّا بالله و باليوم الآخر﴾(١).

قال المحقّق الشريف في حواشي الكشّاف عند تفسير هذه الآية:

فإن قيل: لافائدة في الإخبار بأنّ من يقول كذا وكذا من الناس.

أُجيب بأنّ فائدته التنبيه على أنّ الصفات المذكورة تنافي الإنسانية فينبغي أن يجعل كون المتّصف بها من الناس ويتعجّب منه.

وردّ بأنّ مثل هذا التركيب قد يأتي في مواضع لايتأتّى فيها مثل هذا الاعتبار ولايقصد منها إلّا الإخبار بأنّ من هذا الجنس طائفة متّصفة بكذا كقوله تعالى: ﴿من المؤمنين رجالٌ﴾(٢).

فالأولى أن يجعل مضمون الجار والمجرور مبتدأ على معنى، و بعض الناس أو بعض منهم من اتّصف بما ذكر، فيكون مناط الفائدة تلك الأوصاف، ولااستبعاد في وقوع الظرف بتأويل معناه مبتدأ. إنتهى كلامه.

ثمّ لمّا كان مضمون هذاالخبر مظنّة التردّد والإنكار حسن‌فيه التأكيد.

فإن قلت:المخاطب هو النبيّ صلّى‌الله عليه وآله وسلّم وهو لايتردّد في أنّ أفعال الله سبحانه مبنيّة على الحكم العميمة والمصالح العظيمة.

قلت: أمثال هذه الخطابات من قبيل «إيّاك أعني واسمعي يا جارة» و أكثر ما خاطب الله سبحانه به الأنبياء صلوات الله عليهم من هذا القبيل. ولاريب أنّ أكثر الخلق متردّدون في مضمون ذلك الخبر، بل ربّما ينكره بعضهم.

﴿ **لو صرفته الى غير ذلك لهلك** ﴾: فصل هذه الجملة الشرطية عن

---

(١) البقرة: ٨

(٢) الأحزاب: ٢٣.

جملة الصلة لأنّها كاشفة ومبيّنة لها، إذ كون هلاك دينه في الفقر ممّا يبيّن كون صلاحه في الغنى فبينهما كمال الاتصال.

وأمّا ما مرّ في الحديث السادس والعشرين من عطف مثل هذه الشرطيّة على الصلة بالواو فلملاحظة كون حصول الإفساد أمراً مغايراً لعدم الإصلاح وغير مندرج في جنسه. وقد صرّح علماء المعاني بأنّ الجملتين اللتين بينهما كمال الإتصال الموجب للفصل ربّما يُلاحظ بينهما الانقطاع بوجه من الوجوه فتُعطف احداهما على الأُخرى لتوسّطهما حينئذٍ بين كمال الإتّصال وكمال الانقطاع.

ألا ترى ماقالوا في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿يسومونكم سوء العذاب يذبّحون أبناءكم﴾[١]. وفي سورة ابراهيم: ﴿ويذبّحون﴾[٢] بالواو من أنّ طرح الواو في الآية الأُولى يجعل تذبيح الأبناء بياناً ليسومونكم وتفسيراً للعذاب، و إثباتها في الآية الثانية لملاحظة كون التذبيح فوق العذاب المتعارف وزائداً عليه، فكأنّه جنس آخر غير مندرج فيه.

﴿ ومايتقرّب اليّ عبدي بشيء أحبّ ممّا افترضت عليه ﴾: هذا صريح في أنّ الواجب أكثر ثواباً من المندوبات وسنتكلّم فيه[٣] فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وعموم الموصول يشمل الواجب بالأصالة وماأوجبه المكلّف على نفسه بنذر وشبهه.

فإن قلت: مدلول هذا الكلام هو أنّ غير الواجب ليس أحبّ الى الله سبحانه من الواجب، لا أنّ الواجب أحبّ إليه من غيره، فلعلّهما متساويان.

قلت: الذي يستفيده أهل اللسان من مثل هذا الكلام هو تفضيل

(١) البقرة: ٤٩.

(٢) ابراهيم: ٦.

(٣) في (ع): عليه.

الواجب على غيره كما تقول: ليس في البلد أحسن من زيد، لا تريد مجرّد نفي وجود من هو أحسن منه فيه، بل تريد نفي من يساويه في الحسن و إثبات أنّه أحسن أهل البلد. و إرادة هذا المعنى من مثل هذا الكلام شائع متعارف في أكثر اللغات.

﴿ **و إنّه ليتقرّب اليّ بالنوافل حتّى أحبّه** ﴾: النوافل جميع الأعمال الغير الواجبة ممّا يفعل لوجه الله سبحانه. وأمّا تخصيصها بالصلوات المندوبة فعُرفٌ طارٍ.

ومعنى محبّةالله سبحانه للعبد هو كشف الحجاب عن قلبه و تمكينه من أن يطأ بساط قربه ، فإنّ ما يُوصف به سبحانه انّما يؤخذ باعتبار الغايات لاباعتبار المبادىء. وعلامة حبّه سبحانه للعبد توفيقه للتجافي عن دارالغرور والترقّي الى عالم النور والأُنس بالله والوحشة ممّا سواه و صيرورة جميع الهموم همّاً واحداً.

قال بعض العارفين: إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر فيما أقامك.

﴿ **فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به... الى آخره** ﴾: لأصحاب القلوب في هذا المقام كلمات سنيّة، واشارات سرية، وتلويحات ذوقيّة تعطّر مشام الأرواح، وتحيي رميم الأشباح، لايهتدي الى معناها ولا يطّلع على مغزاها إلّا من أتعب بدنه بالرياضات، وعنّى نفسه بالمجاهدات، حتّى ذاق مشربهم، وعرف مطلبهم، و أمّا من لم يفهم تلك الرموز، لم يهتد الى هاتيك الكنوز، لعكوفه على الحظوظ الدنيّة، و إنهماكه في اللذّات البدنية، فهو عند سماع تلك الكلمات على خطر عظيم من التردّي في غياهب الإلحاد، والوقوع في مهاوي الحلول والاتّحاد، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. ونحن نتكلّم في هذا المقام، بما يسهل تناوله على الأفهام فنقول:

هذا مبالغة في القرب وبيان استيلاء سلطان المحبّة على ظاهر العبد

و باطنه وسرّه وعلانيته، فالمراد ـ والله أعلم ـ إنّي إذا أحببت عبدي جذبته الى محلّ الأُنس، وصرفته الى عالم القدس، وصيّرت فكره مستغرقاً في أسرار الملكوت، وحواسّه مقصورة على اجتلاء أنوار الجبروت، فتثبت في مقام القرب قدمه، ويمتزج بالمحبّة لحمه ودمه، الى أن يغيب عن نفسه، ويذهل عن حسّه، فتتلاشى الأغيار في نظره، حتّى أكون له بمنزلة سمعه وبصره، كما قال من قال:

جنوني فيك لا يخفى   و ناري منك لا تخبو
فأنت السمع والأبصار   والأركان والقلبُ

﴿ يبطش بها ﴾: بالكسر والضمّ أي يأخذ بها. وأصل البطش الأخذ بالعنف والسطوة.

وهذا الحديث صحيح السند، وهو من الأحاديث المشهورة بين الخاصّة والعامّة. وقد رووه في صحاحهم بأدنى تغيير هكذا:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ الله تعالى قال: من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب اليّ عبدي بشيء أحبّ ممّا افترضت عليه. وما يزال عبدي يتقرّب اليّ بالنوافل حتّى أُحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها. إن سألني لأعطينّه، و إن استعاذني لأُعيذنّه. وما تردّدت في شيء أنا فاعله تردّدي في قبض نفس المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولابدّ له منه[١].

تبصرة

[تأويلات تردّد الباري تعالى]

ما تضمّنه هذا الحديث من نسبة التردّد إليه سبحانه يحتاج الى

(١) صحيح البخاري: ج٨ ص١٣١ كتاب الرقاق، مسند أحمدبن حنبل: ج٦ ص٢٥٦.

التأويل. وفيه وجوه:

الأوّل: انّ في الكلام اضماراً، والتقدير: لو جاز التردّد ماتردّدت في شيء كتردّدي في وفاة المؤمن.

الثاني: أنّه لمّا جرت العادة بأن يتردّد الشخص في مساءة من يحترمه ويوقّره كالصديق الوفيّ والخلّ الصفيّ، وأن لايتردّد في مساءة من ليس له عنده قدر ولاحرمة كالعدوّ والحيّة والعقرب، بل إذا خطر بالبال مساءته أوقعها من غير تردّد ولاتأمّل، صحّ أن يعبّر بالتردّد والتأمّل في مساءة الشخص عن توقيره واحترامه وبعدمهما عن إذلاله واحتقاره.

فقوله سبحانه: «ماتردّدت في شيء أنا فاعله كتردّدي في وفاة المؤمن» المراد به ـ والله أعلم ـ ليس لشيء من مخلوقاتي عندي قدر و حرمة كقدر عبدي المؤمن وحرمته، فالكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية.

الثالث: أنّه قد ورد في الحديث من طرق الخاصّة والعامّة: إنّ الله سبحانه يُظهر للعبد المؤمن عند الاحتضار من اللطف والكرامة والبشارة بالجنّة مايزيل عنه كراهة الموت ويوجب رغبته في الانتقال الى دارالقرار، فيقلّ تأذّيه به، ويصير راضياً بنزوله، راغباً في حصوله، فأشبهت هذه المعاملة معاملة من يريد أن يؤلم حبيبه ألماً يتعقّبه نفع عظيم، فهو يتردّد في أنّه كيف يوصل ذلك الألم إليه على وجه يقلّ تأذّيه به، فلا يزال يظهر له مايرغّبه فيما يتعقّبه من اللذّة الجسيمة والراحة العظيمة، الى أن يتلقّاه بالقبول، ويعدّه من الغنائم المؤدية الى إدراك المأمول.

تذكرة[1]

[في رفع التنافي بين أخبار كراهة المؤمن للموت وحبّ لقاء الله]

قد يتوهّم المنافاة بين ما دلّ عليه هذا الحديث وأمثاله من أنّ المؤمن

---

(١) في (ع): وهم وتنبيه.

الخالص يكره الموت ويرغب في الحياة وبين ما ورد عن النبيّ صلّى الله عليه و آله وسلّم: «من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»[١] فإنّه يدلّ بظاهره على أنّ المؤمن الحقيقي لايكره الموت بل يرغب فيه، كما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه كان يقول: «إنّ ابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي اُمّه»[٢] وأنّه قال حين ضربه ابن ملجم: «فزت وربّ الكعبة»[٣].

وقد أجاب عنه شيخنا الشهيد طاب ثراه في الذكرى فقال: إنّ حبّ لقاء الله غير مقيّد بوقت فيحمل على حال الاحتضار ومعاينة مايحبّ كما روّينا عن الصادق عليه السلام[٤] و رووه في الصحاح[٥] عن النبيّ صلّى الله عليه و آله وسلّم أنّه قال: «من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» قيل: يا رسول الله إنّا لنكره الموت! فقال: ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشّر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحبّ إليه ممّا أمامه فأحبّ لقاء الله وأحبّ الله لقاءه، وأنّ الكافر إذا حضر يبشّر بعذاب الله فليس شيء أكره إليه ممّا أمامه، كره لقاء الله وكره الله لقاءه»[٦] انتهى.

وقد يقال: إنّ الموت ليس نفس لقاء الله، فكراهته من حيث الألم الحاصل منه لايستلزم كراهة الله. وهذا ظاهر. وأيضاً فحبّ الله سبحانه يوجب الاستعداد التامّ للقائه بكثرة الأعمال الصالحة، وهو يستلزم كراهة الموت القاطع لها.

---

(١) معاني الأخبار: ص٢٣٦، صحيح مسلم: ج٨ ص٦٥.
(٢) نهج البلاغة: خطبة ٥ ص٥٢ ط صبحي الصالح.
(٣) بحارالأنوار: ج٤٢ ص٢٣٩ ح٤٥.
(٤) الكافي: ج٣ ص١٣٤ ح١٢.
(٥) صحيح مسلم: ج٨ ص٦٥.
(٦) ذكرى الشيعة: ص٣٦.

خاتمة

[موارد أفضلية السنّة على الواجب]

هذا الحديث كما عرفت صريح في أنّ الواجب أفضل من الندب.
وقد استثنىٰ من ذلك شيخنا الشهيد[١] وغيره مواضع:

الأوّل: الإبراء من الدين، فإنّه مستحبّ وهو أفضل من إنظار المعسر وهو واجب.

الثاني: إلسلام ابتداءً، فإنّه أفضل من ردّه وهو واجب.

الثالث: إعادة المنفرد صلاته جماعة، فإنّ صلاة الجماعة مطلقاً تفضّل على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة.

الرابع: الصلاة في البقاع الشريفة، فإنّها مستحبّة وهي أفضل من الصلاة في غيرها[٢].

الخامس: الخشوع في الصلاة مستحبّ ويترك لأجله سرعة المبادرة الى الجمعة وإن فات بعضها مع أنّها واجبة.

وللمناقشة في هذه المواضع مجال[٣]، والله أعلم.

---

(١) القواعد والفوائد: ج ٢ ص ١٠٦ ـ ١٠٧ قاعدة (١٨٥).

(٢) هذه الصلاة توصف بالاستحباب وقالوا يجوز أن ينوي بها الوجوب. ولايبعد توقّف ترتّب الثواب المستحبّ على نيّة الوجوب فيه لكن قصد العاقل وجوب ماعُلم استحبابه مشكل، وسيرد في الحديث السابع والثلاثين كلام فيما لو نوى رفع حدث والواقع غيره، وهو نافع هنا. (منه رحمه الله).

(٣) كالمناقشة في الأوّل بأنّ الواجب هو عدم المطالبة سواء تحقّق في ضمنه الإبراء أو غيره، فالمتحقّق في ضمنه هو أفضل الواجبين لامستحبّ، وقس على هذا المناقشة في الرابع. (منه رحمه الله).

الحديث السادس والثلاثون

* أقسام طلّاب العلم وبقاء الحجّة الإلهيّة *

«... قال: كنت مع أميرالمؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة وقد صلّينا العشاء الآخرة فـأخذ بـيدي حـتّى خرجنا من المسجد، فمشى حتّى خرج الى ظهر الكوفة لا يكلّمني بكلمة، فلمّا أصحر تنفّس الصعداء ثمّ قال: يا كميل إنّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها. احفظ عنّي ماأقول لك: الناس ثلاثة: عـالم ربّـاني، ومـتعلّم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ريح، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يـلجأوا الى ركن وثيق.

يا كميل العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق...»

الخصال: ص ١٨٦، كمال الدين: ٢٨٩ ـ ٢٩٤

و بالسند المتصل الى الشيخ الجليل محمد بن عليّ بن بابويه، عن أبيه، عن محمدبن القاسم ماجيلويه، عن محمدبن عليّ الصيرفي، عن نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد، عن فضيل بن جريح، عن كميل بن زياد النخعي قال:

كنت مع أميرالمؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة وقد صلّينا العشاء الآخرة فأخذ بيدي حتّى خرجنا من المسجد، فمشى حتّى خرج الى ظهر الكوفة لايكلّمني بكلمة، فلمّا أصحر تنفّس الصعداء ثمّ قال:

يا كميل إنّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها.

احفظ عنّي ماأقول لك: الناس ثلاثة: عالم ربّاني، ومتعلّم على سبيل نجاة، و همج رعاع أتباع كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ريح، لم يستضيئوا بنور العلم و لم يلجأوا الى ركن وثيق.

يا كميل العلم خير من المال، العلم يحرسك و أنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق.

يا كميل العلم دين يُدان الله به، يُكسب الإنسان

الطاعة في حياته، وجميل الأُحدوثة بعد وفاته.

يا كميل مات خزّان الأموال، والعلماء باقون مابقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة.

آه آه إنّ هاهنا - وأشار عليه السلام بيده الى صدره - لعلماً جمّاً لو أصبت له حملة. بلى أُصيبُ له لَقِناً غير مأمون يستعمل آلة الدين في الدنيا ويستظهر بحجج الله على خلقه وبنعمه على عباده؛ أو منقاداً للحقّ لابصيرة له في أحنائه، ينقدح الشكّ في قلبه بأوّل عارض [من] شبهة، ألا لا ذا ولا ذاك؛ أو منهوماً باللذّات سلس القياد للشهوات، أو مغرّىً بالجمع والإدخار ليسا من رعاة الدين في شيء، أقرب شبهاً بهما الأنعام السائمة ، كذلك يموت العلم بموت حامليه.

اللّهمّ بلى لاتخلو الأرض من قائم لله بحجّة إمّا ظاهر مشهور أو مستتر مغمور، لئلّا تبطل حجج الله وبيّناته. وأين أُولئك؟ اولئك - والله - الأقلّون عدداً الأعظمون خطراً، بهم يحفظ الله حججه، و بيّناته حتّى يودعوها نظراءهم و يزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقائق الأُمور، و باشروا رَوْح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، و أنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها

معلّقة، بالمحلّ الأعلى، أُولئك خلفاء الله في أرضه، والدعاة الى دينه. آهٍ آهٍ شوقاً الى رؤيتهم.
ثمّ نزع يده من يدي وقال: انصرف إذا شئت[١].

بيان

مالعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ **فلمّا صحر** ﴾: في الصحاح: أصحر الرجل: أي خرج الى الصحراء[٢].

﴿ **تنفّس الصعداء** ﴾:الصعداء بضمّ الصاد وفتح العين المهملتين والمدّ: نوع من النفس يصعده المتلهّف الحزين. وانتصابه على المفعول المطلق النوعي نحو: جلست القرفصاء.

﴿ **يا كميل** ﴾: هو من أعاظم خواصّ أميرالمؤمنين عليه السلام و أصحاب سرّه، وهو ممّن قتله الحجّاج. وكان أميرالمؤمنين عليه السلام قد أخبره بأنّ الحجّاج سيقتله.

﴿ **إنّ هذه القلوب أوعية** ﴾: الوعاء بكسر أوّله: الظرف. ووعى الشيء يعيه: حفظه وجمعه.

﴿ **فخيرها أوعاها** ﴾: أي أحفظها للعلم وأجمعها.

﴿ **عالم ربّاني** ﴾: الربّاني منسوب الى الربّ بزيادة الألف والنون على خلاف القياس كالرقباني.

---

(١) نقل الصدوق هذا الحديث في «الخصال» ص١٨٦ و«كمال الدين» ص ٢٨٩ ـ ٢٩٤ من عدّة طرق. ولكن المتن المذكور مع اختلاف يسير مطابق لما نقله المفيد في الأمالي: مجلس ٢٩ ص٢٤٧. وذكره السيد الرضي في نهج البلاغة أيضاً: حكمة ١٤٧.

(٢) صحاح اللغة: ج ٢ ص٧٠٨ مادة «صحر».

قال في الصحاح: الرباني: المتألِّه العارف بالله تعالى[١]. وكذا قال في القاموس[٢].

وقال في الكشّاف عند قوله تعالى: ﴿ولكن كونوا ربّانيّين﴾[٣]: الرباني هو شديد التمسّك بدين الله وطاعته. وعن محمدبن الحنفية أنّه قال حين مات ابن عبّاس: اليوم مات ربانيّ هذه الأُمّة[٤] إنتهى.

وقال الشيخ أبوعلي الطبرسي رحمه الله في مجمع البيان: الرباني: هو الذى يربّ أمر الناس بتدبيره له و إصلاحه إيّاه[٥].

﴿ و متعلّم على سبيل نجاة ﴾: أي على طريقها بأن يكون قصده من التعلّم حصول النجاة الأُخروية لاالحظوظ الدنيوية كأكثر أهل زماننا.

﴿ وهمج رعاع ﴾: الهمج: جمع همجة وهو ذباب صغير يسقط على وجوه الحيوانات وأعينها. استعار هذا اللفظ للجهلة تحقيراً لهم.

والرعاع بالمهملات وفتح أوّله: العوام والسفلة وأمثالهم.

﴿ أتباع كلّ ناعق ﴾: النعيق: صوت الراعي بغنمه. و يقال لصوت الغراب أيضاً.

والمراد: أنّهم لعدم ثباتهم على عقيدة من العقائد وتزلزلهم في أمر الدين يتّبعون كلّ راع ويعتقدون بكلّ مدّعٍ ويخبطون خبط العشواء من غير تمييز بين محقّ ومبطل.

ولعلّ في جمع هذا القسم وأفراد القسمين الأولين إيماء الى قلّتهما وكثرته.

---

(١) صحاح اللغة: ج١ ص١٣٠ ماده «ربب».

(٢) القاموس: ج٢ ص١٨١ مادة «ربب».

(٣) آل عمران: ٧٩.

(٤) تفسير الكشّاف: ج١ ص٣٧٨ في تفسير الآية (٧٩) من سورة آل عمران.

(٥) مجمع البيان: ج١ ـ ٢ ص٤٦٦ في تفسير الآية(٧٩) من سوره آل عمران.

﴿ **والعلم يزكو على الإنفاق** ﴾: أي ينمو ويزيد به.

وكلمة «على» يجوز أن تكون بمعنى «مع» كما قالوه في قوله تعالى: ﴿وانّ ربّك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾[١] وأن تكون للسببيّة والتعليل كما قالوا في قوله تعالى: ﴿ولتكبّروا الله على ماهداكم﴾[٢].

﴿ **العلم دين يدان الله به** ﴾: أي طاعة يُطاع الله بها، والتنوين للتعظيم.

﴿ **يكسب الإنسان الطاعة** ﴾: يكسب بضمّ حرف المضارعة من أكسب. والمراد أنّه يكسب الإنسان طاعة الله تعالى، أو يكسب طاعة العباد له.

﴿ **وجميل الأُحدوثة** ﴾: أي الكلام الجميل والثناء. والأُحدوثة مفرد الأحاديث.

﴿ **وأمثالهم في القلوب موجودة** ﴾: الأمثال: جمع مثل بالتحريك، وهو في الأصل بمعنى النظير، ثمّ استعمل في القول السائر الممثّل مضربه بمورده، ثمّ في الكلام الذي له شأن وغرابة. وهذا هو المراد، أي أنّ حكمهم و مواعظهم محفوظة عند أهلها يعملون بها ويهتدون بمنارها.

﴿ **لعلماً جمّاً** ﴾: أي كثيراً.

﴿ **لو أصبت له حملة** ﴾: بالفتحات جمع حا مل، أي من يكون أهلاً له. وجواب «لو» محذوف، أي لبذلته لهم.

﴿ **أُصيب له لقناً** ﴾: بفتح اللام وكسر القاف أي فَهِماً، من اللقانة وهي حسن الفهم.

﴿ **يستعمل آلة الدين في الدنيا** ﴾: أي يجعل العلم الذي هي آلة و وصل الى الفوز بالسعادات الأبدية وسيلة الى تحصيل الحظوظ الفانية الدنيوية كالمال والجاه وميل الخلائق إليه وإقبالهم عليه.

---

(١) الرعد: ٦.

(٢) البقرة: ١٨٥.

﴿ ويستظهر بحجج الله على خلقه ﴾: أي يطلب الغلبة عليهم بما عرّفه الله سبحانه من الحجج.

﴿ لابصيرة له في احنائه ﴾: بفتح الهمزة وبعدها حاء مهملة ثمّ نون: أي جوانبه، أي ليس له غور وتعمّق فيه.

وفي بعض النسخ[١]: «في إحيائه» بالياء المثنّاة من تحت، أي في ترويجه وتقويته.

﴿ ألا لا ذا ولا ذاك ﴾: أي ليس المنقاد العديم البصيرة أهلاً لتحمّل العلم ولااللقن الغير المأمون. وهذا الكلام معترض بين المعطوف عليه.

﴿ أو منهوماً باللذات ﴾: أي حريصاً عليها منهمكاً فيها، والمنهوم في الأصل هو الّذي لايشبع من الطعام.

﴿ سَلِس القياد ﴾:أي سهل الإنقياد من غير توقّف.

﴿ أو مغرّى بالجمع والإدخار ﴾ : أي شديد الحرص على جمع المال وادّخاره، كأنّ أحداً يغريه بذلك ويبعثه عليه.

﴿ ليسا من رعاة الدين في شيء ﴾: الرعاة بضمّ أوّله: جمع راع بمعنى الوالي، أي ليس المنهوم والمغرّى المذكوران من ولاة الدين في أمر من الأُمور، أي ليس لهما لياقة ذلك بوجه.

وفيه إشعار بأنّ العالم الحقيقي والٍ على الدين وقيّم.

وقد قسّم عليه السلام الذين ليس لهم أهلية تحمّل العلم الى أربعة أقسام:

أوّلها: جماعة فسقة لم يريدوا بالعلم وجه الله سبحانه، بل إنّما أرادوا به الرياء والسمعة ، و جعلوه شبكة لاقتناص اللذات الدنيّة والمشتهيات الدنيوية.

---

(١) في هامش(ع): أي نسخ أمالي ابن بابويه رحمه الله تعالى، فانّ الحديث منقول عن ذلك الكتاب. (منه رحمه الله).

وثانيها: قوم من أهل الصلاح ولكن ليس لهم بصيرة في الوصول الى أغواره والوقوف على أسراره، بل إنّما يصلون الى ظواهره فتنقدح الشكوك في قلوبهم من أوّل شبهة تعرض لهم.

وثالثها: جماعة لايتوصّلون بالعلم الى المطالب الدنيوية ولاهم عادمون للبصيرة في إحيائه بالكلّية، ولكنّهم أُسراء في أيدي القوى البهيمية، منهمكون في الملاذّ الواهية الوهميّة.

ورابعها: طائفة سلموا من تلك الصفات الذميمة وسلكوا الطريقة المستقيمة لكنّهم لم يخلصوا من صفة خسيسة أُخرى وهي حبّ المال وادّخاره وجمعه و إكثاره.

وبالجملة فلابدّ لطالب العلم الحقيقي من تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق وذمائم الأوصاف، إذ العلم عبادة القلب وصلاته، وكما لاتصحّ الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلّا بتطهير الظاهر من الأحداث والأخباث كذلك لاتصحّ عبادةالقلب وصلاته إلّا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف.

﴿ **كذلك يموت العلم بموت حامليه** ﴾: أي مثل ماعدم من يصلح لتحمّل العلوم الحقيقية والمعارف الإلهيّة تعدم تلك العلوم والمعارف و تندرس آثارها بموت العلماء العارفين، لأنّهم لايجدون من يليق لتحمّلها بعدهم.

ولمّا كانت سلسلةالعلم والعرفان لاتنقطع بالكلّية مادام نوع الإنسان، بل لابدّ من إمام حافظ للدين في كلّ زمان على ماتقتضيه قواعد العدلية رضوان الله عليهم، استدرك أميرالمؤمنين عليه السلام كلامه هذا بقوله:

﴿ **اللّهمّ بلى لاتخلو الأرض من قائم لله بحجّة إمّا ظاهر مشهور** ﴾: كمولانا أميرالمؤمنين عليه‌السلام في أيّام خلافته‌الظاهرة‌المتّفق عليها بين أهل الإسلام.

﴿ أو خائف مغمور ﴾: أي مستتر غير متظاهر بالدعوى إلّا للخواصّ كما كان من حاله عليه السلام في أيّام خلافة من تقدّم عليه، وكما كان من حال الأئمّة عليهم السلام من ولده، وكما هو في هذا الزمان من حال مولانا و إمامنا الحجّة المنتظر محمّدبن الحسن المهدي سلام الله عليه وعلى آبائه الطاهرين.

﴿ هجم بهم العلم على حقائق الأُمور، وباشروا روح اليقين ﴾: شرع عليه السلام في وصف حجج الله في أرضه والحافظين لدينه، أي اطلعهم العلم اللدُني على حقائق الأشياء محسوساتها و معقولاتها، وانكشفت لهم حجبها واستارها، فعرفوها بعين اليقين على ماهي عليه في نفس الأمر من غير وصمة ريب أو شائبة شكّ ، فاطمأنّت لها قلوبهم واستراحت بها أرواحهم. وهذه هي الحكمة الحقيقية التي مَنْ أُوتيها فقد أُوتي خيراً كثيراً[١].

والروح بالفتح: الراحة.

﴿واستلانوا مااستوعره المترفون ﴾: الوعر من الأرض ضدّ السهل. والمترف: المتنعّم، من الترفه بالضمّ، أي استسهلوا مااستصعبه المتنعّمون من رفض الشهوات البدنية و قطع المتعلّقات الدنيوية و ملازمة الصمت والسهر والجوع والمراقبة والاحتراز من صرف ساعة من العمر فيما لايوجب زيادة القرب منه تعالى شأنه، وأمثال ذلك. وقس على هذه الفقرة نظيرتها.

﴿ و صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى ﴾: أي نفضوا عن أذيال قلوبهم غبار التعلّق بهذه الخربة الموحشة الدنيّة، و توجّهت أرواحهم الى مشاهدة جمال حضرة الربوبيّة، فهم مصاحبون

---

(١) إشارة الى قوله تعالى في الآية (٢٦٩) من سورة البقرة: (ومَن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً).

بأشباحهم لأهل هذه الدار، وبأرواحهم للملائكة المقرّبين الأبرار، وحسن أُولئك رفيقاً.

﴿ أُولئك خلفاء الله في أرضه ﴾: تعريف المسند إليه بالإشارة للدلالة على أنّه حقيق بما يُسند اليه بعدها بسبب اتّصافه بالأوصاف المذكورة قبلها، كما قالوا في قوله تعالى: ﴿أُولئك على هدىً من ربّهم وأُولئك هم المفلحون﴾[١].

﴿ آه آه شوقاً الى رؤيتهم ﴾: لاريب في شدّة شوقه عليه السلام إليهم، فإنّ الجنسيّة علّة الضمّ، وهو عليه السلام أُستاذ العارفين وقدوة الواصلين بعد سيّد المرسلين صلّى الله عليه وآله وسلّم، فلاجرم اشتاقت نفسه الشريفة الى مشاهدة أبناء جنسه وأصحاب طريقته السالكين على آثاره والمقتبسين من أنواره سلام الله عليهم أجمعين.

تنبيه[٢]

[في إثبات وجود صاحب الأمر وردّ اشكال المخالفين]

استقامة ما دلّ عليه هذا الحديث من عدم خلوّ الأرض من إمام موصوف بتلك الصفات وكذا مايفيده الحديث المتّفق عليه بين الخاصّة والعامّة من قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»[٣] ظاهرة على ماذهب إليه الإمامية من أنّ إمام زماننا هذا هو مولانا الإمام الحجّة محمدبن الحسن المهديّ عليه السلام.

ومخالفوهم من أهل السنّة يشنّعون عليهم بأنّه إذا لم يمكن التوصّل إليه ولا أخذ المسائل الدينية عنه فأيّ ثمرة تترتّب على مجرّد معرفته

---

(١) البقرة: ٥.

(٢) (ع): تبصرة.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٣٧٦ ح ١، مسند أحمدبن حنبل، ج ٤ ص ٩٦ وليس فيها لفظ «زمانه».

حتّى يكون من مات وليس عارفاً به فقد مات ميتة جاهلية.

والإمامية يقولون: ليست الثمرة منحصرة في مشاهدته وأخذ المسائل عنه، بل نفس التصديق بوجوده عليه السلام وأنّه خليفة الله في الأرض أمر مطلوب لذاته، وركن من أركان الإيمان، كتصديق من كان في عصر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بوجوده ونبوّته.

وقد روي عن جابربن عبدالله الأنصاري أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ذكر المهدي عليه السلام فقال: ذلك الذي يفتح الله عزّوجلّ على يديه مشارق الأرض ومغاربها، يغيب عن أوليائه غيبة لايثبت فيها إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان.

قال جابر: فقلت: يارسول الله هل لشيعته انتفاع به في غيبته؟

فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: أي والذي بعثني بالحقّ إنّهم ليستضيؤون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن علاها السحاب[1].

ثمّ قال الإمامية: إنّ تشنيعكم علينا مقلوب عليكم لأنّكم تذهبون الى أنّ المراد بإمام الزمان في هذا الحديث صاحب الشوكة من ملوك الدنيا كائناً من كان، عالما أو جاهلاً، عدلاً أو فاسقاً، فأيّ ثمرة تترتّب على معرفة الجاهل الفاسق ليكون من مات ولم يعرفه فقد مات ميّتة جاهلية؟

ولمّا استشعر هذا بعض مخالفيهم ذهب الى أنّ المراد بالإمام في الحديث الكتاب.

وقال الإمامية: إنّ إضافة الإمام الى زمان ذلك الشخص يشعر بتبدّل الأئمّة في الأزمنة، والقرآن العزيز لاتبدّل له بحمد الله على مرّ الأزمان. فالمراد بمعرفة الكتاب التي إذا لم تكن حاصلة للإنسان مات ميتة جاهليّة

---

(١) كمال الدين: ص ٢٥٣.

إن أُريد بها معرفة ألفاظه أو الاطّلاع على معانيه أشكل الأمر على كثير من الناس، وان أُريد مجرّد التصديق بوجوده فلا وجه للتشنيع علينا إذا قلنا بمثله.

نقل كلام يناسب المقام

[في دفع الإشكال على طول عمر صاحب الأمر عليه السلام]

حكى السيد الجليل ذوالمناقب والمفاخر رضي الدين عليّ بن طاووس قدّس الله روحه في بعض كتبه ماحاصله: إنّه اجتمع يوماً في بغداد مع بعض فضلائها فانجرّ الكلام بينهما الى ذكر الإمام محمدبن الحسن المهدي عليه السلام وما يدّعيه الإمامية من حياته في هذه المدّة الطويلة، فشنّع ذلك الفاضل على من يصدّق بوجوده ويعتقد طول عمره الى ذلك الزمان وأنكره إنكاراً بليغاً.

قال السيّد رحمه الله فقلت له: إنّك تعلم أنّه لو حضر اليوم رجل وادّعى أنّه يمشي على الماء لاجتمع لمشاهدته كلّ أهل البلد. فإذا مشى على الماء و عاينوه وقضوا تعجّبهم منه. ثمّ جاء في اليوم الثاني آخر. وقال: أنا أمشي على الماء أيضاً فشاهدوا مشيه عليه لكان تعجّبهم أقلّ من الأوّل. فإذا جاء في اليوم الثالث آخر وادّعى أنّه يمشي على الماء أيضاً فربّما لايجتمع للنظر إليه إلّا قليل ممّن شاهد الأوّلين، فإذا مشى سقط التعجّب بالكلّية. فإذا جاء رابع وقال: أنا أيضاً أمشي على الماء كما مشوا فاجتمع عليه جماعة ممّن شاهدوا الثلاثة ثمّ أخذوا يتعجّبون منه تعجّباً زائداً على تعجّبهم من الأوّل والثاني والثالث لتعجّب العقلاء من نقص عقولهم وخاطبوهم بما يكرهون.

وهذا بعينه حال المهدي عليه السلام فإنّكم رويتم أنّ إدريس عليه السلام حيّ موجود في السماء من زمانه الى الآن، ورويتم أنّ الخضر عليه

السلام كذلك في الأرض حيّ موجود من زمنه الى الآن، ورويتم أنّ عيسى عليه السلام حيّ موجود في السماء وأنّه سيعود الى الأرض إذا ظهر المهدي عليه السلام و يقتدي به، فهذه ثلاثة نفر من البشر قد طالت أعمارهم زيادة على المهدي عليه السلام فكيف لاتتعجّبون منهم و تتعجّبون من أن يكون لرجل من ذريّة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أُسوة بواحد منهم وتنكرون أن يكون من جملة آياته صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يعمّر واحد من عترته وذرّيته زيادة على ماهو المتعارف من الأعمار في هذا الزمان، والله الهادي[١].

خاتمة

[كلام ابن عربي حول صاحب الزمان عليه السلام]

إنّه ليعجبني كلام في هذا المقام للشيخ العارف الكامل الشيخ محيي الدين بن عربي أورده في كتاب الفتوحات المكّية، قال رحمه الله في الباب الثلاثمائة والستّ والستّين من الكتاب المذكور: إنّ لله خليفة يخرج من عترة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من ولد فاطمة عليها السلام يواطىء اسمه اسم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، جدّه الحسين بن عليّ عليهما السلام، يبايع بين الركن والمقام، يشبه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في الخَلق -بفتح الخاء- و ينزل عنه في الخلق -بضمّ الخاء- أسعد الناس به أهل الكوفة، يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً، يضع الجزية ويدعو الى الله بالسيف، ويرفع المذاهب عن الأرض فلا يبقى إلّا الدين الخالص، أعداؤه مقلّدة العلماء أهل الإجتهاد لما يرونه يحكم بخلاف ماذهب إليه أئمّتهم، فيدخلون كُرهاً تحت حكمه خوفاً من سيفه،

---

(١) كشف المحجة: ص ٥٥.

يفرح به عامّة المسلمين أكثر من خواصّهم، يبايعه العارفون من أهل الحقائق عن شهود و كشف بتعريف إلهي، له رجال إلهيّون يقيمون دعوته و ينصرونه، ولولا أنّ السيف بيده لأفتى الفقهاء بقتله، ولكنّ الله يظهره بالسيف والكرم، فيطمعون ويخافون ويقبلون حكمه من غير إيمان ويضمرون خلافه ويعتقدون فيه -إذا حكم فيهم بغير مذهب أئمّتهم- أنّه على ضلال في ذلك، لأنّهم يعتقدون بأنّ أهل الاجتهاد و زمانه قد انقطع وما بقي مجتهد في العالم وأنّ الله لايوجد بعد أئمّتهم أحداً له درجة الاجتهاد، وأمّا من يدّعي التعريف الإلهي بالأحكام الشرعيّة فهو عندهم مجنون فاسد الخيال. إنتهى كلامه.

فتأمّل بعين البصيرة، وتناوله بيد غير قصيرة، خصوصاً قوله: «إنّ لله خليفة»، وقوله: «أسعد الناس به أهل الكوفة»، وقوله: «أعداؤه مقلّده العلماء أهل الاجتهاد»، وقوله: «لأنّهم يعتقدون أنّ أهل الاجتهاد وزمانه قد انقطع» الى آخر كلامه، عسى أن تطّلع على مرامه، والله وليّ التوفيق.

الحديث السابع والثلاثون

* الخشية من الله والنيّة الصادقة *

«... عن الإمام أبي عبدالله جعفربن محمد الصادق عليه السلام: في قول الله عزّوجل : ﴿ليبولكم أيّكم أحسن عملاً﴾ قال: ليس يعني أكثركم عملاً ولكن أصوبكم عملاً، و إنّما الإصابة خشية الله والنيّة الصادقة، ثمّ قال: العمل الخالص الذي لاتريد أن يمدحك عليه أحد إلّا الله عزّوجلّ، والنيّة أفضل من العمل».

الكافي: ج ٢ ص١٦ ح ٤

وبالسند المتصل الى الشيخ الجليل عماد الإسلام محمدبن يعقوب الكليني، عن عليّ بن ابراهيم، عن أبيه إبراهيم بن هاشم، عن القاسم بن محمد، عن المنقري، عن سفيان بن عيينة، عن الإمام أبي عبدالله جعفربن محمد الصادق عليه السلام:

في قول الله عزّوجل : ﴿ليبولكم أيّكم أحسن عملاً﴾[1] قال: ليس يعني أكثركم عملاً ولكن أصوبكم عملاً، و إنّما الإصابة خشية الله والنيّة الصادقة، ثمّ قال: العمل الخالص الذي لاتريد أن يمدحك عليه أحد إلّا الله عزّوجلّ، والنيّة أفضل من العمل[2].

بيان

مالعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً﴾: هذه الجملة تعليل لخلق الموت والحياة في قوله سبحانه: ﴿هو الذي خلق الموت والحياة﴾[3]. والمعنى والله أعلم: إنّه سبحانه قدّر الموت الذي هو داعٍ الى حسن العمل و موجب

(١) و(٣) الملك: ٢.

(٢) الكافي: ج ٢ ص١٦ ح ٤ ملخّصاً.

لعدم الوثوق بالدنيا ولذاتها الفانية وأعطى الحياة التي يقتدر بها على الأعمال الصالحة الخالصة ليعاملكم في دار التكليف معاملة المختبر أيّكم أحسن عملاً.

وقدّم الموت لأنّه أدعى الى حسن العمل، هذا إن حُمل الموت على الموت الطارىء على الحياة. و إن حُمل على العدم الأصلي فإنّه يسمّى موتاً كما قال سبحانه: ﴿وكنتم أمواتاً فأحياكم﴾[1].

فالمعنى والله أعلم: قدّر عدمكم الأصلي ثمّ نقلكم منه وألبسكم خلعة الحياة ليبلوكم. وتقديم الموت لأنّه مقدّم.

﴿ ليس يعني ﴾: اسم ليس ضمير عائد الى الله عزّوجلّ أو ضمير الشأن، وجملة «يعني» خبرها.

﴿ خشية الله والنيّة الصادقة ﴾: قد مرّ في الحديث الثاني والعشرين كلام في الفرق بين الخشية والخوف، نقلناه عن المحقّق الطوسي نصير الملّة والدين طاب ثراه.

والمراد بالنيّة الصادقة: إنبعاث القلب نحو الطاعة، غير ملحوظ فيه شيء سوى وجه الله سبحانه، لا كمن يعتق عبده مثلاً ملاحظاً مع القربة الخلاص من مؤنته أو سوء خُلقه أو يتصدّق بحضور الناس لغرض الثواب والثناء معاً، بحيث لو كان منفرداً لم يبعثه مجرّد الثواب على الصدقة و إن كان يعلم من نفسه أنّه لولا الرغبة في الثواب لم يبعثه مجرّد الرياء على الإعطاء، ولا كمن له وردٌ في الصلوات و عادة في الصدقات واتفق ان حضر في وقتها جماعة فصار الفعل أخفّ عليه و حصل له نشاط ما بسبب مشاهدتهم له وان كان يعلم من نفسه أنّه لولم يحضروا لم يكن يترك العمل، أو يفتر عنه ألبتة. فأمثال هذه الأمور ممّا يخلّ بصدق النيّة.

---

(١) البقرة: ٢٨.

وبالجملة فكلّ عمل قصدت به القربة و أضاف إليه حظّ من حظوظ الدنيا بحيث تركّب الباعث عليه من ديني ونفسي فنيّتك فيه غير صادقة، سواء كان الباعث الديني أقوى من الباعث النفسي أو أضعف أو مساوياً.

﴿العمل الخالص الذي لا تريد أن يمدحك عليه أحد إلّا الله عزّوجلّ﴾: الخالص في اللغة: كلّ ما صفي وتخلّص ولم يمتزج بغيره، سواء كان ذلك الغير أدون منه، أو لا، فمن تصدّق لمحض الرياء فصدقته خالصة لغة كمن تصدّق لمحض الثواب.

وقد خُصّ العمل الصالح في العرف بما تجرّد قصد التقرب فيه عن جميع الشوائب. وهذا التجريد يُسمّىٰ إخلاصاً.

وقد عرّفه أصحاب القلوب بتعريفات اُخر، فقيل: هو تنزيه العمل عن أن يكون لغير الله فيه نصيب.

وقيل: إخراج الخلق عن معاملة الحقّ.

وقيل: هو ستر العمل عن الخلائق وتصفيته عن العلائق.

وقيل: أن لا يريد عامله عليه عوضاً في الدارين. وهذه درجة عليّة عزيزة المآل. وقد أشار إليها أميرالمؤمنين وسيّد الموحّدين صلوات الله عليه بقوله: «ماعبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنّتك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»[1].

تبصرة

[تحقيق في صحّة أو عدم صحّة العمل بنيّة الثواب أو الخوف من العقاب]

ذهب كثير من علماء الخاصّة والعامّة الى بطلان العبادة إذا قصد بفعلها تحصيل الثواب أو الخلاص من العقاب، وقالوا: إنّ هذا القصد

---

(١) بحارالأنوار، ج ٤١ ص ١٤ ح ٤.

منافٍ للإخلاص الذي هو إرادة وجه الله وحده، وانّ من قصد ذلك فانّما قصد جلب النفع الى نفسه ودفع الضرر عنها، لا وجه الله سبحانه، كما أنّ من عظّم شخصاً أو أثنى عليه طمعاً في ماله أو خوفاً من إهانته لا يعدّ مخلصاً في ذلك التعظيم والثناء.

وممّن بالغ في ذلك السيّد الجليل صاحب المقامات والكرامات رضيّ الدين عليّ بن طاووس قدّس الله روحه.

و يستفاد من كلام شيخنا الشهيد في قواعده أنّه مذهب أكثر أصحابنا رضوان الله عليهم(١).

ونقل الفخر الرازي في التفسير الكبير اتّفاق المتكلّمين على أنّ من عبدالله لأجل الخوف من العقاب او الطمع في الثواب لم تصحّ عبادته(٢) أورده عند تفسير قوله تعالى: ﴿ادعوا ربّكم تضرّعاً وخفية﴾(٣).

وجزم في أوائل تفسير الفاتحة بأنّه لو قال: أُصلي لثواب الله أو الهرب من عقابه فسدت صلاته. ومن قال بأنّ ذلك القصد غير مفسد للعبادة منع خروجها به عن درجة الإخلاص(٤).

وقال: إنّ إرادة الفوز بثواب الله والسلامة من سخطه ليست أمراً مخالفاً لإرادة وجه الله سبحانه، وقد قال تعالى في مقام مدح أصفيائه: ﴿كانوا يُسارعون في الخيرات و يدعوننا رغباً و رهباً﴾(٥) للرغبة في الثواب من العقاب، و قال سبحانه: ﴿وادعوه خوفاً و طمعاً﴾(٦) و قال تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربّكم وافعلوا الخير لعلّكم

---

(١) القواعد والفوائد: ج ١ ص ٧٧.

(٢) التفسير الكبير: ج ١٤ ص ١٣٤ ـ ١٣٥ في تفسير الآية (٥٥) من سورة الأعراف.

(٣) الأعراف: ٥٥.

(٤) التفسير الكبير: ج ١ ص ٢٥٠.

(٥) الأنبياء: ٩٠.

(٦) الأعراف: ٥٦.

تفلحون﴾[١] أي حال كونكم راجين للفلاح لكي تفلحوا، او الفلاح هو الفوز بالثواب. نصّ عليه الشيخ أبو علي الطبرسي[٢]. هذا ما وصل إلينا من كلام هؤلاء، وللمناقشة فيه مجال.

أمّا قولهم: «إنّ تلك الإرادة ليست مخالفة لإرادة الله سبحانه» فكلام ظاهري قشري، إذ البون البعيد بين إطاعة المحبوب والانقياد إليه لمحض حبّه وتحصيل رضاه وبين اطاعته لأغراض أُخر أظهر من الشمس في رابعة النهار. والثانية ساقطة بالكلّية عن درجة الاعتبار عند أُولي الأبصار.

وأمّا الاعتضاد بالآيتين الأُوليتين ففيه: إنّ كثيراً من المفسّرين ذكروا أنّ المعنى: راغبين في الإجابة راهبين من الردّ والخيبة[٣].

وأمّا الآية الثالثة فقد ذكر الشيخ أبو علي الطبرسي في كتاب مجمع البيان: إنّ معنى «لعلّكم تفلحون»: لكي تُسعدوا[٤]. ولاريب أنّ تحصيل رضاه سبحانه هو السعادة العظمىٰ.

وفسّر رحمه‌الله الفلاح في قوله تعالى: ﴿وأُولئك هم المفلحون﴾[٥]: بالنجاح والفوز[٦].

وقال الشيخ الجليل شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في تفسيره الموسوم بالتبيان: المفلحون هم المنجحون الذين ادركوا ماطلبوا من عندالله بأعمالهم وإيمانهم[٧].

---

(١) الحجّ: ٧٧.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤ ص ٣٩٩ في تفسير الآية (٨) من سورة الأعراف.

(٣) في هامش (ع): لمّا كان الخوف والطمع بمعنى الرهبة والرغبة اكتفى بأحدي النظيرين عن الآخر. (منه رحمه الله).

(٤) مجمع البيان: ج ٧ ـ ٨ ص ٩٧ في تفسير الآية (٧٧) من سورة الحجّ.

(٥) البقرة: ٥.

(٦) مجمع البيان: ج ١ ـ ٢ ص ٤٠ في تفسير الآية (٥) من سورة البقرة.

(٧) التبيان: ج ١ ص ٥٩ في تفسير الآية (٥) من سورة البقرة.

و في تفسير البيضاوي: المفلح: الفائز بالمطلوب[١]. ومثله في الكشّاف[٢].

نعم فسّر الشيخ الطبرسي الفلاح في قوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾[٣]: بالفوز بالثواب[٤].

لكنّ مجيئه في هذه الآية بهذا المعنى لايوجب حمله في غيرها عليه. وعلى تقدير حمله على ذلك المعنى انّما يتمّ التقريب لو جُعلت جملة الترجّي حاليّة، أمّا لو جُعلت تعليلية -كما جعله الطبرسي- فلادلالة فيها على ذلك المدّعى أصلاً كما لايخفى.

هذا والأولى[٥] أن يستدلّ على ذلك المطلب بما رواه[٦] الشيخ الجليل محمدبن يعقوب في الكافي بطريق حسن عن هارون بن خارجة، عن الإمام أبي عبدالله جعفربن محمد الصادق عليه السلام قال: العباد ثلاثة: قوم عبدوا الله عزّوجلّ خوفاً من العقاب فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلباً للثواب فتلك عبادة الأُجراء، وقوم عبدوا الله حبّاً له فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة[٧].

فإنّ قوله عليه السلام: «وهي أفضل العبادة» يُعطي أنّ العبادة على الوجهين السابقين لايخلو من فضل أيضاً فتكون صحيحة، وهو المطلوب.

---

(١) تفسير البيضاوي: ج١ ص١٩ في تفسير الآية (٥) من سورة البقرة.

(٢) تفسير الكشّاف: ج١ ص٤٦ في تفسير الآية (٥) من سورة البقرة.

(٣) المؤمنون: ١.

(٤) مجمع البيان: ج٧ ـ ٨ ص٩٩.

(٥) في هامش (ع): هذا ما سنح لي، وهو أحسن مايُستدلّ به في هذا الباب. (منه رحمه الله).

(٦) في هامش (ع): الاستدلال بهذا الحديث على هذا المطلب من الكتاب، وهو أحسن ممّا يستدلّ به عليه، وقد يستدلّ بذلك بحديث «مَن بَلَغَه شيء من الثواب» وقد مرَّ عند شرح الحديث الحادي والثلاثين وان كان في سنده ضعف. (منه رحمه الله).

(٧) الكافي: ج٢ ص٨٤ ح٥.

تتـمة

[هل يبطل العمل إذا كان بنيّة تحصيل الثواب أم لا؟]

المانعون في نيّة العبادة من قصد تحصيل الثواب أو دفـع العـقاب جعلوا هذا القصد مفسداً لها وان انضمّ إليه قصد وجه الله سبحانه عـلى مايُفهم من كلامهم. أمّا بقية الضمائم اللازمة الحصول مع العبادة نويت أو لم تنو كالخلاص من النفقة بعتق العبد في الكـفّارة، والحـمية بـالصوم، والتبرّد في الوضوء، وإعلام المأموم في الصلاة بالتكبير، ومماطلة الغريم بالتشاغل بالصلاة، وملازمته بالطواف والسعي، وحفظ المتاع بالقيام لصلاة الليل وأمثال ذلك، فالظاهر أنّ قصدها عندهم مفسداً أيضاً بالطريق الأولى.

وأمّا الذين لايجعلون قصد الثواب مفسداً فقد اختلفوا في الإفساد بأمثال هذه الضمائم، فأكثرهم على عدمه، وبه قطع الشيخ في المبسوط[١] والمحقّق في المـعتبر[٢] والعـلّامة فـي التـحرير[٣] والمـنتهى[٤] لأنّـها تحصل لامحالة، فلايضرّ قصدها.

وفيه: أنّ لزوم حصولها لايستلزم صحّة قصد حصولها. والمتأخّرون من أصحابنا حكموا بفساد العبادة بـقصدها، وهـو مـذهب العـلّامة فـي النهاية[٥] والقواعد[٦] وولده فخر المحقّقين في الشرح[٧] وشيخنا الشهيد في البيان[٨] لفوت الإخلاص. وهو الأصحّ.

---

(١) المبسوط: ج ١ ص ١٩.

(٢) المعتبر: ج ١ ص ١٤٠.

(٣) تحرير الأحكام: ج ١ ص ٩.

(٤) منتهى المطلب: ج ١ ص ٥٦ البحث في النيّة.

(٥) نهاية الأحكام: ج ١ ص ٣٣.

(٦) قواعد الأحكام: ج ١ ص ١٠ الفرع الأوّل.

(٧) ايضاح الفوائد في شرح القواعد: ج ١ ص ٣٦.

(٨) البيان: ص ٧ كيفية الوضوء الفصل الأوّل.

واحتمل شيخنا الشهيد في قواعده[1] التفصيل بأنّ القربة إن كانت هي المقصودة بالذات والضميمة مقصودة تبعاً صحّت العبادة، و إن انعكس الأمر أو تساويا بطلت.

هذا واعلم إنّ الضميمة إن كانت راجحة ولاحظ القاصد رجحانها وجوباً أو ندباً كالحمية في الصوم لوجوب حفظ البدن والإعلام بالدخول في الصلاة للتعاون على البرّ، فينبغي أن لايكون مضرّة، أي هي حينئذٍ مؤكّدة، وانّما الكلام في الضمائم الغير الملحوظة الرجحان، فصوم من ضمّ قصد الحمية مثلاً مستحبّاً كان الصوم أو واجباً، معيّناً كان الواجب أو غير معيّن. ولكن في النفس من صحّة غير المعيّن شيء، و عدمها محتمل، والله أعلم.

تبيان

[تعريف النيّة ورفع بعض الإشكالات]

عرّف بعض فقهائنا رضوان الله عليهم النيّة بأنّها إرادة إيجاد الفعل على الوجه المأمور به شرعاً. وأراد بالإرادة إرادة الفاعل، وبالفعل مايعمّ توطين النفس على الترك، فخرجت إرادة الله سبحانه لأفعالنا ودخلت نيّة الصوم والإحرام وأمثالها، والجارّ متعلّق بالإرادة لابالإيجاد، فخرج العزم. وهذا التعريف مذكور في قواعد الأحكام[2].

واعترض عليه شيخنا المحقّق الشيخ عليّ قدّس الله روحه بأنّ المأمور به إن أُريد به الواجب لأنّ الأمر حقيقة في الوجوب، مجاز في غيره، انتقض التعريف في عكسه بخروج نيّة المندوب. وإن أُريد به مطلق المطلوب فعله ولو على وجه الإباحة كالمطلوب في قوله تعالى: ﴿و إذا

---

(١) القواعد والفوائد: ج ١ ص ٧٩.

(٢) قواعد الأحكام: ج ١ ص ٩ الفصل الرابع.

حللتم فاصطادوا﴾ الزم مع ارتكاب المجاز صدقه على إرادة إيجاد المباح كالاصطياد في الآية على الوجه المطلوب فيها. وفي عدّ ذلك نيّة عند الفقهاء بُعد[١] إنتهى.

وفيه نظر، فإنّ المأمور به ماترجّح فعله شرعاً، فيدخل فيه المندوب، ويخرج المباح عند غير الكعبي.

وما يترآى من أنّ دخوله في المأمور به ينافي ماهو مختار المحقّقين من أنّ الأمر حقيقة في الوجوب مجاز في غيره فليس بشيء، لأنّ مرادهم بالأمر في قولهم «الأمر حقيقة في الوجوب» هو صيغة «افعل» وما بمعناها، لا لفظة «أمر» فانّها عندهم للقدر المشترك بين الوجوب والندب، أعني مطلق الترجيح على مايقتضيه حكمهم بأنّ المطلوب مأمور به حقيقة كما حكاه المحقّق العضدي في شرح المختصر.

و غاية ما يمكن أن يقال: إنّ اعتراض شيخنا طاب ثراه مبنيّ على الإغماض عن حكمهم بأنّ المندوب مأمور به حقيقة . و ليس غرضه تزييف التعريف من أصله، بل هو بحث الزامي مع العلّامة قدّس الله روحه، فإنّه و ان تردّد في النهاية[٢] في أنّ المندوب مأمور به ، لكنّه جزم في التهذيب[٣] بأنّه غير مأمور به ، والبحث معه بناءً على مذهبه في التهذيب، فتدبّر.

هداية

[في بيان لزوم النيّة في العبادة]

اشتهر الاستدلال بين أصحابنا رضوان الله عليهم على أنّه لابدّ في

---

(١) جامع المقاصد: ج ١ص ١٩٧.

(٢) نهاية الوصول الى علم الاُصول (مخطوط).

(٣) تهذيب الوصول الى علم الاُصول: (مخطوط).

العبادات من النيّة بقوله تعالى: ﴿ و ما أُمروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾[١].

وفي دلالة الآية الكريمة على ذلك نظر، لأنّ «الدين» فيها مفعول «مخلصين» وضمير «أُمروا» يعود الى أهل الكتابين، أي ما أُمر اليهود والنصارىٰ إلّا ليعبدوا الله مخلصين له العبوديّة غير مشركين به من سواه كعزير وعيسى عليهما السلام.

قال الشيخ الجليل أبو عليّ الطبرسي في تفسيره الموسوم بجوامع الجامع: وما أُمروا في التوراة والإنجيل إلّا بالدين الحنيف، لكنّهم حرّفوا و بدّلوا[٢]. ومثله قال في الكشّاف[٣].

وقال في تفسيره الموسوم بمجمع البيان: «مخلصين له الدين» أي لاتخلطوا بعبادته عبادة ماسواه[٤].

وقال البيضاوي: «مخلصين له الدين» أي لا يشركون به[٥].

وقال الفاضل النيشابوري: استدلّ بالآية من قال أنّ الإيمان عبارة عن مجموع الاعتقاد والعمل، لأنّه سبحانه ذكر العبادة بالإخلاص وهو التوحيد ثمّ عطف عليه إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة، ثمّ أشار الى المجموع بقوله: ﴿ذلك دين القيّمة﴾. و ردّ بالمنع من أنّ المشار إليه هو المجموع لم لايجوز أن يكون إشارة الى التوحيد فقط[٦] الى آخر ماقاله.

والحاصل أنّ الآية الكريمة إنّما دلّت على أمر أهل الكتابين بعبادة الله تعالى حال كونهم موحّدين غير مشركين، ولم تدلّ على أنّ النيّة لابدّ

---

(١) البيّنة: ٥.

(٢) جوامع الجامع: ص ٥٤٩ في تفسير الآية (٥) من سورة البيّنة.

(٣) تفسير الكشّاف: ج ٤ ص ٧٨٢ في تفسير الآية (٥) من سورة البيّنة.

(٤) مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠ ص ٥٢٣ في تفسيير الآية (٥) من سورة البيّنة.

(٥) تفسير البيضاوي: ج ٢ ص ٥٧٠ في تفسير الآية (٥) من سورة البيّنة.

(٦) تفسير النيشابوري: ج ٣٠ ص ١٤٣ في تفسير الآية (٥) من سورة البيّنة.

منها في العبادات بشيء من الدلالات، بل غاية مادلّت عليه أنّ عبادة المشركين غير صحيحة، وأين هذا عن ذلك؟! فتدبّر[١].

ثمّ الآية وإن كانت حكاية عن تكليف أهل الكتابين ولا يلزمنا ما كلّفوا به في كتابيهم إلّا انّ قوله سبحانه في آخرها: ﴿وذلك دين القيّمة﴾ أي دين الملّة القيّمة يشعر بأنّ الأمر المذكور ثابت في شرعنا أيضاً، فلذلك استدلّ بها أصحابنا على مااستدلّوا.

بيان مراد و دفع إيراد

[في تركّب النيّة من التصوّر وقصد الفعل]

لابدّ في النيّة من القصد الى إيقاع الفعل، فمن تصوّر الفعل من دون قصد الى إيقاعه فهو غيرُ ناوٍ حقيقة، وقد يطلق على هذا التصوّر اسم النيّة[٢]، كما قال الفقهاء: لو نوى المتوضّىء رفع حدث والواقع غيره فإن كان غلطاً صحّ و إن كان عمداً بطل، لأنّه في صورة الغلط قاصد الى رفع حدث في الجملة، وأمّا في صورة العمد فلم يحصل منه قصد الى دفع الشيء، وانّما تصوّر رفع غير الواقع فيبطل وضوؤه على الأصحّ، لأنّه غيرناوٍ في الحقيقة، بل هو لاعب.

---

(١) في هامش (ع): وجهه أنّه يمكن أن يُراد بعدم الشرك في العبادة قصد العابد بها التقرّب الى الله وحده، وهذا القصد نيّة. ولا يخفى أنّ كلام المفسّرين يحتمل ماقلناه احتمالاً ظاهراً، ومع قيام الاحتمال يسقط الاستدلال. (منه رحمه الله).

(٢) الفقهاء رضوان الله عليهم كثيراً ما يطلقون على ما هو بصورة الشيء اسم ذلك الشيء، كقولهم فيما إذا اختلط قتلى المسلمين بقتلى الكفّار أنّه يجب الصلاة على الجميع ويفرد المصلّي المسلمين بالنيّة، إذ مع إفراد البعض بالنيّة لاصلاة على الكلّ في الحقيقة، وانّما الموجود صورتها حينئذٍ، وكذا قولهم بوجوب الغسل على الذمّية الحائض تحت المسلم إذا طهرت من الحيض وقلنا بتوقّف الوطىء على الغسل، فانّ الواقع منها صورة الغسل أيضاً كما قالوه. (منه رحمه الله).

قال العلّامة في بحث نيّة الوضوء من نهاية الإحكام: لا يجب التعرّض لنفي حدث معيّن، فإن نواه وكان هو الثابت صحّ إجماعاً، ولو كان غيره فإن كان غالطاً فالأقرب الصحّة لعدم اشتراط التعرّض لها فلا يضرّ الغلط فيها، و إن كان عامداً فالأقرب البطلان لتلاعبه بالطهارة[١]. إنتهى كلامه طاب ثراه.

فقوله «لتلاعبه بالطهارة» إشارة الى عدم حصول القصد.

وقال الرافعي في العزيز: إذا نوى رفع حدث النوم ولم ينم و إنّما بال، نظر فإن كان غالطاً صحّ وضوؤه، و إن كان عامداً لم يصحّ في أصحّ الوجهين، لأنّه متلاعب بطهارته[٢]. إنتهى كلامه.

فقد جعل الفقهاء الغالط ناوياً والعامد لاعباً، لأنّ الغالط قاصد لرفع الحدث في الجملة والعامد غير قاصد وانّما حصل منه تصوّر وحديث نفس فقط، و لم يريدوا أنّ العامد في الصورة المذكورة قاصد لرفع غير الواقع ليرد ماأورده بعض الأعلام عليهم في الرسالة الموسومة بالأُنموذج حيث قال: إنّ النيّة هي القصد، وقصد إزالة مالم يعتقد حصوله مستحيل من الحيوان فضلاً عن الإنسان، فلا يتصوّر منه غير حدوثه إلّا غلطاً، فالتقييد بالغلط غلط[٣] الى آخر ماقاله، والله أعلم.

بسط مقال لتوضيح حال

[التوجيهات المختلفة لحديث «نيّة المؤمن خير من عمله»]

قد تضمّن هذا الحديث تفضيل النيّة على العمل. ونقل الخاصّة والعامّة عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «نيّة المؤمن خير من

---

(١) نهاية الأحكام: ج١ ص٣٠.

(٢) فتح العزيز في شرح الوجيز المطبوع بهامش المجموع: ج١ ص٣٢٠.

(٣) الأنموذج: ليس لدينا هذا الكتاب.

عمله»[١]. وقد قيل فيه وجوه:

الأوّل: أنّ المراد بنيّة المؤمن اعتقاده الحقّ. ولاريب أنّه خير من أعماله، إذ ثمرته الخلود في الجنّة، وعدمه يوجب الخلود في النار بخلاف العمل.

وبهذا يزول الإشكال فيما يروى في تتمّة هذا الحديث من قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ونيّة الكافر شرّ من عمله».

الثاني: أنّ المراد أنّ النيّة بدون العمل خير من العمل بدون النيّة.

وردّ بأنّ العمل بدون النيّة لاخير فيه أصلاً. وحقيقة التفضيل تقتضي المشاركة ولو في الجملة.

الثالث: أنّ المؤمن ينوي خيرات كثيرة لايساعده الزمان على عملها، فكأنّ الثواب المترتّب على نيّاته أكثر من الثواب المترتّب على أعماله، وهذا الكلام ينسب الى ابن دُريد اللغوي رحمه الله.

الرابع: أنّ طبيعة النيّة خير من طبيعة العمل، لأنّه لايترتّب عليها عقاب أصلاً، بل إن كانت خير أُثيب عليها، و إن كانت شرّاً كان وجودها كعدمها، بخلاف العمل فإنّ مَن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومَن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره[٢] فصحّ أنّ النيّة بهذا الإعتبار خير من العمل.

الخامس: أنّ النيّة من أعمال القلب، وهو أفضل من الجوارح، فعمله أفضل من عملها، ألا ترى الى قوله تعالى: ﴿أقم الصلاة لذكري﴾[٣] جعل سبحانه الصلاة وسيلة الى الذكر، والمقصود أشرف من الوسيلة، فأعمال القلب مستورة عن الخلق لايتطرّق إليها الرياء ونحوه بخلاف أعمال

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٨٤ ح ٢.

(٢) مقتبس من قوله تعالى في سورة الزلزلةالآية (٧ ـ ٨): «فمن يعمل مثقال ذرّة... الى آخر الآية».

(٣) طه: ١٤.

الجوارح.

السادس: أنّ المراد أنّ نيّة بعض الأعمال الشاقّة كالحجّ والجهاد خير من بعض الأعمال الخفيفة كتلاوة آية والصدقة بدرهم مثلاً[١].

السابع: أنّ لفظة «خير» ليست اسم تفضيل، بل المراد أنّ نيّة المؤمن عمل خير من جملة أعماله، و «من» تبعيضية و نُقل هذا عن السيّد المرتضىٰ رضي الله عنه.

وبه يندفع التنافي بين هذا الحديث وبين مايُروى عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أفضل الأعمال أحمزها»[٢] و يزول الإشكال المشهور في قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «نيّة الكافر شرّ من عمله»[٣] فانّ لفظة «شرّ» حينئذٍ كلفظة «خير» في عدم إرادة التفضيل.

ولايخفى عدم جريان هذا الوجه في الحديث الذي نحن بصدد الكلام فيه.

الثامن: أنّ المراد بالنيّة تأثّر القلب عند العمل وإنقياده الى الطاعة و إقباله على الآخرة وانصرافه عن الدنيا، وذلك يشتدّ بشغل الجوارح في الطاعات وكفّها عن المعاصي، فإنّ بين الجوارح والقلب علاقة شديدة يتأثّر كلّ منهما بالآخر، كما إذا حصل للأعضاء آفة سرى أثرها الى القلب فاضطرب، و إذا تألّم القلب بخوف مثلاً سرى أثره الى الجوارح فارتعدت، والقلب هو الأمير المطاع والجوارح كالرعايا والأتباع. والمقصود من أعمالها حصول ثمرة للقلب، فلاتظنّ أنّ في وضع الجبهة على الأرض

---

(١) في هامش(ع): هذاالوجه مذكور في كلام بعض الأصحاب، ولايخفى ضعفه. (منه رحمه‌الله).

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٤٤٠ مادة «حمز».

(٣) في هامش(ع): الإشكال المشهور أنّه كيف يكون نيّة الكافر شرّاً من عمله مع ماورد في الحديث من أنّ ابن آدم إذا همَّ بالحسنة كُتبت له حسنة و إذا همَّ بالسيئة لم تكتب له شيء حتى يعمل. (منه رحمه الله).

غرضاً من حيث إنّه جمع بين الجبهة والأرض، بل من حيث إنّه بحكم العادة يؤكّد صفة التواضع في القلب، فإنّ من يجد في نفسه تواضعاً فإذا استعان بأعضائه و صوّرها بصورة التواضع تأكّد بذلك تواضعه، وأمّا من يسجد تغافلاً عن التواضع وهو مشغول القلب بأغراض الدنيا فلا يصل من وضع جبهته على الأرض أثر الى قلبه، بل سجوده كعدمه، نظراً إلى الغرض منه، فكانت النيّة روح العمل وثمرته والمقصد الأصلي من التكليف به، فكانت أفضل. وهذا الوجه قريب من الوجه الخامس.

التاسع: أنّ النيّة ليست مجرّد قولك عند الصلاة أو الصوم أو التدريس: أُصلّي أو أصوم أو أُدرّس قربة الى الله ملاحظاً معاني هذه الألفاظ بخاطرك ومتصوّراً لها بقلبك.

هيهات انّما هذا تحريك لسان وحديث نفس، وانّما النيّة المعتبرة إنبعاث النفس وميلها وتوجّهها الى مافيه غرضها ومطلبها إمّا عاجلاً و إمّا آجلاً. وهذا الإنبعاث والميل إذا لم يكن حاصلاً لها لايمكنها اختراعه واكتسابه بمجرّد النطق بتلك الألفاظ وتصوّر تلك المعاني، وما ذلك إلّا كقول الشبعان: اشتهي الطعام وأميل اليه قاصداً حصول الميل والإشتهاء، وكقول الفارغ: اعشق فلاناً وأُحبّه وأنقاد إليه وأطيعه، بل لاطريق الى اكتساب صرف القلب الى الشيء وميله إليه واقباله عليه إلّا بتحصيل الأسباب الموجبة لذلك الميل والإنبعاث واجتناب الأُمور المنافية لذلك المضادّة له، فإنّ النفس إنّما تنبعث الى الفعل و تقصده و تميل اليه تحصيلاً للغرض الملائم لها بحسب مايغلب عليها من الصفات.

فإذا غلب على قلب المدرّس مثلاً حبّ الشهرة و إظهار الفضيلة و إقبال الطلبة عليه و انقيادهم إليه فلا يتمكّن من التدريس بنيّة التقرّب الى الله سبحانه بنشر العلم و إرشاد الجاهلين، بل لايكون تدريسه إلّا لتحصيل تلك المقاصد الواهية والأغراض الفاسدة و إن قال بلسانه: أُدرّس قربة الى

الله، وتصوّر ذلك بقلبه، وأثبته في ضميره، وما دام لم يقلع تلك الصفات الذميمة من قلبه لاعبرة بنيّته أصلاً.

وكذا إذا كان قلبك عند نيّة الصلاة منهمكاً في أمور الدنيا والتهالك عليها والانبعاث في طلبها فلا يتيسّر لك توجيهه بكلّيته الى الصلاة و تحصيل الميل الصادق إليها والإقبال الحقيقي عليها، بل يكون دخولك فيها دخول متكلّف لها متبرّم بها، ويكون قولك «أُصلّي قربة الى الله» كقول الشبعان «اشتهي الطعام» وقول الفارغ «أعشق فلاناً». والحاصل أنّه لايحصل لك النيّة الكاملة المعتدّ بها في العبادات من دون ذلك الميل والإقبال وقمع مايضادّه من الصوارف والأشغال، وهو لايتيسّر إلّا إذا صرفت قلبك عن الأُمور الدنيوية وطهّرت نفسك عن الصفات الذميمة الدنية وقطعت نظرك عن حظوظك العاجلة بالكلّية.

ومن هنا يظهر أنّ النيّة أشقّ من العمل بكثير، فيكون أفضل منه. وتبيّن لك أنّ قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أفضل الأعمال أحمزها» غير منافٍ لقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «نيّة المؤمن خير من عمله» بل هو كالمؤكّد والمقرّر له، والله وليّ التوفيق.

الحديث الثامن والثلاثون

* التوبة وشرائطها *

«... قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته.
ثمّ قال: إنّ السنة لكثير، من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته.
ثمّ قال: إنّ الشهر لكثير، من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته.
ثمّ قال: إنّ الجمعة لكثير، من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته.
ثمّ قال: إنّ يوماً لكثير، من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته».

الكافي: ج ٢ ص ٤٤٠ ح ٢

وبالسند المتصل الى الشيخ الجليل عمادالإسلام محمدبن يعقوب الكليني، عن عدّة من أصحابنا، عن أحمدبن محمد، عن ابن فضّال، عمّن ذكره، عن الإمام أبي عبدالله جعفربن محمد الصادق عليه السلام قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته.

ثمّ قال: إنّ السنة لكثير، من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته.

ثمّ قال: إنّ الشهر لكثير، من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته.

ثمّ قال: إنّ الجمعة لكثير، من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته.

ثمّ قال: إنّ يوماً لكثير، من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته[1].

بيـان

مالعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤٤٠ ح ٢.

﴿ **من تاب قبل موته بسنة** ﴾: التوبة لغة: الرجوع. وتنسب الى العبد والى الله سبحانه. ومعناها على الأوّل: الرجوع عن المعصية الى الطاعة. و على الثاني: الرجوع عن العقوبة الى اللطف والتفضّل.

وفي الاصطلاح: الندم على الذنب لكونه ذنباً. فخرج الندم على شرب الخمر مثلاً لإضراره بالجسم.

وقد يزاد: «مع العزم على ترك المعاودة أبداً» وأنّ هذا الإعزام لازم لذلك الندم غير منفكّ عنه.

والكلام الجامع في هذا الباب ماقاله بعض ذوي الألباب: إنّ التوبة لاتحصل إلّا بحصول اُمور ثلاثة:

أوّلها: معرفة ضرر الذنوب وكونها حجاباً بين العبد و محبوبه، و سموماً قاتلة لمن يباشرها. فإذا عرف ذلك وتيقّنه حصل من ذلك حالة ثانية هي التألّم لفوات المحبوب والتأسّف من فعل الذنوب. وهذا التألّم والتأسّف هو المعبّر عنه بالندم. وإذا غلب هذا الألم حصل حالة ثالثة هي القصد الى اُمور ثلاثة لها تعلّق بالحال والاستقبال والمضي. فالمتعلّق بالحال هو ترك ماهو مقيم عليه من الذنوب. والمتعلّق بالاستقبال هو العزم على عدم العود اليها الى آخر العمر. والمتعلّق بالماضي تلافي مايمكن تلافيه من قضاء الفوائت والخروج من المظالم. فهذه الثلاثة أعني المعرفة والندم والقصد الى المذكورات اُمور مترتّبة في الحصول.

وقد يطلق على مجموعها اسم التوبة. وكثيراً ما يُطلق على الثاني أعني الندم وحده، و تجعل المعرفة مقدّمة لها، و ذلك القصد ثمرة متأخّرة عنها. وقد يُطلق على مجموع الندم والعزم.

هذا وقد عرّفها بعض أصحاب القلوب برجوع الآبق عن الجرم السابق.

وبعضهم: بإذابة الأحشاء لما سلف من الفحشاء.

وبعضهم: بأنّها خلع لباس الجفاء وبسط بساط الوفاء.

﴿ **قبل الله توبته** ﴾: المراد بقبول التوبة إسقاط العذاب المترتّب على الذنب الذي تاب منه. وسقوط العقاب بالتوبة ممّا أجمع عليه أهل الإسلام، وإنّما الخلاف في أنّه هل يجب على الله حتّى لو عاقب بعد التوبة كان ظلماً أو هو تفضّل بفعله سبحانه كرماً منه ورحمة بعباده؟[١]

المعتزلة على الأوّل، والأشاعرة على الثاني، وإليه ذهب الشيخ[٢] أبو جعفر الطوسي قدّس الله روحه في كتاب الاقتصاد[٣] والعلّامة جمال الملّة والدين رحمه الله في بعض كتبه الكلامية[٤] وتوقّف المحقّق الطوسي طاب ثراه في التجريد[٥]. ومختار الشيخين هو الظاهر. ودليل الوجوب مدخول.

﴿ **من تاب قبل أن يعاين** ﴾: أي يرى ملك الموت كما روي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما.

ويمكن أن يراد بالمعاينة علمه بحلول الموت وقطعه الطمع من الحياة وتيقّنه ذلك كأنّه يعاينه، وأن يُراد معاينة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأمير المؤمنين عليه السلام.

فقد روي في الكافي[٦] وغيره أنّهما عليهما السلام يحضران عند

---

(١) في هامش(ع): قال الشيخ أبوعلي الطبرسي في تفسيره الموسوم بمجمع البيان في تفسير قوله تعالى في سورة المؤمن ﴿فاغفر للذين تابوا واتّبعوا سبيلك﴾ في هذه الآية دلالة على أن اسقاط العقاب عند التوبة تفضّل من الله تعالى، إذ لو كان واجباً لكان لايحتاج فيه الى مسألتهم بل كان يفعله لامحالة. إنتهى كلامه.

و فيه نظر إذ يحتمل أن يكون من قبيل قوله: ﴿ربّنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا﴾ و قد مرَّ الكلام فيه في الحديث الثلاثين. (منه رحمه الله).

(٢) في (ع): الشيخ العارف.

(٣) الاقتصاد: ص ١٢٤.

(٤) كشف المراد: ص ٤٢٤.

(٥) تجريد الاعتقاد: ص ٣٠٨.

(٦) الكافي: ج ٣ ص ١٢٨ باب مايعاين المؤمن والكافر.

كلّ محتضر يبشّرانه بما يؤول إليه حاله من سعادة أو شقاوة، أو معاينة منزلته في الآخرة ،كما روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: لن يخرج أحدكم من الدنيا حتّى يعلم أين مصيره، و حتّى يرى مقعده من الجنّة أو النار.

وفي الكافي: عن أبي بصير قال: قال أبوعبدالله عليه السلام جعفربن محمد الصادق عليه السلام إذا حيل بينه وبين الكلام اتاه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ومن شاءالله،فجلس رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن يمينه والآخر عن شماله، فيقول له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أمّا ماكنت ترجو فهو ذا أمامك، وأمّا ماكنت تخاف فقد أمنت منه. ثمّ يُفتح له باباً الى الجنّة فيقول: هذا منزلك من الجنّة فإن شئت رددناك الى الدنيا ولك فيها ذهب وفضّة. فيقول: لاحاجة لي في الدنيا[1] الحديث.

والمراد بـ«من شاء الله» في قوله عليه السلام: «أتاه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ومن شاء الله»: أميرالمؤمنين عليه السلام كما ورد التصريح بذلك في أحاديث متكثّرة. ولعلّ الإبهام في هذا الحديث وقع للتقيّة.

تبصرة

[في بيان وجوب فورية التوبة]

لاريب في وجوب التوبة على الفور[2] فإنّ الذنوب بمنزلة السموم

---

(١) الكافي: ج ٣ ص ١٢٩ ح ٢.

(٢) لاخلاف في أصل وجوبها سمعاً انّما الخلاف في وجوبها عقلاً. فأثبتها المعتزلة لدفعها ضرر العقاب. وهذا كما لايخفىٰ لايدلّ على وجوب التوبة عن الصغائر ممّن يجتنب الكبائر لأنّها مكفّرة حينئذٍ. ولهذا ذهب الدهشية الى وجوبها عن الصغائر سمعاً لاعقلاً. نعم الاستدلال بأنّ الندم على القبيح من مقتضيات العقل الصحيح يعم القسمين. وأمّا فورية الوجوب فقد صرّح

المضرّة بالبدن، وكما يجب على شارب السمّ المبادرة الى الاستفراغ تلافياً لبدنه المشرف على الهلاك كذلك يجب على صاحب الذنوب المبادرة الى تركها والتوبة منها تلافياً لدينه المشرف على التهافت والاضمحلال، و من أهمل المبادرة الى التوبة و سوّفها من وقت الى وقت فهو بين خطرين عظيمين إن سلم من واحد فلعلّه لا يسلم من الآخر:

أحدهما: أن يعاجله الأجل فلا ينتبه من غفلته إلّا وقد حضر الموت وفات وقت التدارك وانسدّت أبواب التلافي وجاء الوقت الذي أشار اليه سبحانه بقوله: ﴿و حيل بينهم و بين ما يشتهون﴾[1] و صار يطلب المهلة والتأخير يوماً أو ساعة، فيقال له: لا مهلة كما قال سبحانه: ﴿من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربّ لولا أخّرتني الى أجل قريب﴾[2].

قال بعض المفسّرين في تفسير هذه الآية: إنّ المحتضر يقول عند كشف الغطاء: ياملك الموت أخّرني يوماً أعتذر فيه الى ربّي وأتوب إليه وأتزود صالحاً. فيقول: فنيت الأيّام. فيقول: أخّرني ساعة. فيقول: فنيت الساعات. فيغلق عنه باب التوبة ويغرغر بروحه الى النار ويتجرّع غصّة اليأس وحسرة الندامة على تضييع العمر، وربّما اضطرب أصل إيمانه في صدمات تلك الأهوال، نعوذ بالله من ذلك.

وثانيهما: ان تتراكم ظلمات المعاصي على قلبه الى أن تصير ريناً وطبعاً فلا تقبل المحو، فإنّ كلّ معصية يفعلها الإنسان تحصل منها ظلمة

بها المعتزلة فقالوا يلزم بتأخيرها شناعة إثم آخر يجب التوبة منه أيضاً حتّى أنّ من أخّر التوبة من الكبيرة ساعة واحدة فقد فعل كبيرتين، وساعتين أربع كبائر: الأوّلتان وترك التوبة من كلّ منهما، وثلاث ساعات ثمان كبائر، وهكذا، وأصحابنا يوافقونهم على الفورية لكنّهم لم يذكروا هذا التفصيل في كتبهم الكلامية والله أعلم. (منه رحمه الله).

(١) سبأ: ٥٤.

(٢) المنافقون: ١٠.

في قلبه كما تحصل من نَفَسِ الإنسان ظلمة في المرآة، فإذا تراكمت ظلمة الذنوب صارت كما يصير بخار النفس عند تراكمه على المرآة صدأ ، فإذا تراكم الرين صار طبعاً فيطبع على قلبه كالخبث على وجه المرآة إذا تراكم بعضه فوق بعض وطال مكثه وغاص في جرمها وأفسدها فصارت لاتقبل الصقل أبداً. وقد يعبّر عن هذا القلب بالقلب المنكوس والقلب الأسود.

روى الشيخ الجليل محمدبن يعقوب الكليني في كتاب الكافي عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: كان أبي يقول: مامن شيء أفسد للقلب من الخطيئة. إنّ القلب ليواقع الخطيئة فلاتزال به حتّى تغلب عليه فيصيّر أعلاه أسفله(١).

وروى في الكتاب المذكور أيضاً عن الإمام أبي جعفر محمد بن عليّ الباقر عليه السلام انّه قال: مامن عبد إلّا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتّى يغطّي البياض، فإذا غطّى البياض لم يرجع صاحبه الى خير أبداً، وهو قول الله عزّوجلّ: ﴿كلّا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾(٢).

وقوله عليه السلام: «لم يرجع صاحبه الى خير أبداً» يدلّ على أنّ صاحب هذا القلب لايرجع عن المعاصي ولايتوب منها أبداً، ولو قال بلسانه: «تبت الى الله» يكون هذا القول مجرّد تحريك اللسان من دون موافقة القلب فلا أثر له أصلاً، كما أنّ قول القصّار «غسلت الثوب» لا يصيّر الثوب نقيّاً من الأوساخ. وربّما يؤول حال صاحب هذا القلب الى عدم المبالات بأوامر الشريعة ونواهيها، فيسهل أمر الدين في نظره، ويزول وقع الأحكام الإلهية من قلبه، وينفر عن قبولها طبعه، وينجرّ ذلك الى

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٦٨ ح ١.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٢٧٣ ح ٢٠.

اختلال عقيدته وزوال إيمانه فيموت على غير الملّة. و هو المعبّر عنه بسوء الخاتمة. نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا.

تذكرة

[في لزوم العزم على عدم العود الى الذنب في صحّة التوبة]

العزم على عدم العود الى الذنب فيما بقي من العمر لابدّ منه في التوبة. وهل إمكان صدوره منه في بقيّة العمر شرط حتّى لو زنىٰ ثمّ جبّ و عزم على أن لا يعود الى الزنا على تقدير قدرته عليه لم تصحّ توبته، أم ليس بشرط فتصح؟ الأكثر على الثاني، بل نقل بعض المتكلّمين إجماع السلف عليه.

وأولى من هذا بصحّة التوبة من تاب في مرض مخوف غلب على ظنّه الموت فيه.

أمّا التوبة عند حضور الموت وتيقّن الفوت -وهو المعبّر عنه بالمعاينة- فقد انعقد الإجماع على عدم صحّتها، ونطق بذلك القرآن، قال سبحانه: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيّئات حتّى إذا حضر أحدهم الموت قال إنّي تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفّار أُولئك اعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾[1].

وفي الحديث: عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر»[2].

والغرغرة: تردّد الماء وغيره من الأجسام المائعة في الحلق. والمراد هنا تردّد الروح وقت النزع.

وقد روى محدّثو الإمامية عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام أحاديث متكثّرة في أنّه لا تقبل التوبة عند حضور الموت وظهور علاماته

---

(١) النساء: ١٨.

(٢) الجامع الصغير: ج ١ ص ٧٧.

و مشاهدة أهواله[١].

وربّما علل ذلك بأنّ الإيمان برهاني، ومشاهدة تلك العلامات والأهوال في ذلك الوقت تصيّر الأمر عياناً، فيسقط التكليف، كما أنّ أهل الآخرة لمّا صارت معارفهم ضرورية سقطت التكاليف عنهم.

قال بعض المفسّرين: ومن لطف الله تعالى بالعباد أن أمر قابض الأرواح الابتداء في نزعها من أصابع الرجلين ثمّ تصعد شيئاً فشيئاً الى أن تصل الى الصدر ثمّ تنتهي الى الحلق ليتمكّن في هذه المهلة من الإقبال بالقلب على الله تعالى والوصيّة والتوبة مالم يعاين والاستحلال وذكر الله سبحانه فتخرج روحه وذكر الله على لسانه فيرجى بذلك حسن خاتمته، رزقنا الله ذلك بمنّه وكرمه.

تنبيه[٢]

[في بيان التوبة النصوح]

ورد في القرآن العزيز الأمر بالتوبة النصوح، قال سبحانه في سورة التحريم: ﴿ياأيّها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً﴾[٣] وقد ذكر المفسّرون في معنى التوبة النصوح وجوهاً:

منها: انّ المراد توبة تنصح الناس أي تدعوهم الى أن يأتوا بمثلها لظهور آثارها الجميلة في صاحبها أو تنصح صاحبها فيقلع من الذنوب ثمّ لايعود إليها أبداً.

روى الشيخ الجليل محمدبن يعقوب في الكافي عن أبي الصباح الكناني أنّه سأل أباعبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن قول الله

---

(١) الكافي: ج٢ ص ٤٤٠ باب فيما أعطى الله عزّوجلّ آدم عليه السلام وقت التوبة.

(٢) (ع): هداية.

(٣) التحريم: ٨.

عزّوجلّ: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً﴾ فقال عليه السلام: يتوب العبد عن الذنب ثمّ لايعود فيه[١].

ومنها: أنّ النصوح ما كانت خاصّة لوجه الله سبحانه، من قولهم «عسل نصوح» إذا كان خالصاً من الشمع، بأن يندم على الذنوب لقبحها و كونها خلاف رضى الله سبحانه لا لخوف النار مثلاً.

وقد حكم المحقّق الطوسي طاب ثراه في التجريد بأنّ الندم على الذنوب خوفاً من الناس ليس توبة[٢]. وقد مرّ في الحديث السابع والثلاثين ماينتفع به في هذا المقام.

ومنها: أنّ النصوح من النصاحة وهي الخياطة لأنّها تنصح من الدين مامزّقته الذنوب أو تجمع بين التائب وبين أولياء الله وأحبّائه كما يجمع الخياط قِطَع الثوب.

ومنها: أنّ النصوح وصف للتائب، و إسناده الى التوبة من قبيل الإسناد المجازي. أي توبة تنصحون بها أنفسكم بأن تأتوا بها على أكمل ماينبغي أن تكون عليه حتّى تكون قالعة لآثار الذنوب من القلوب بالكلية، وذلك بإذابة النفس بالحسرات ومحو ظلمة السيّئات بنور الحسنات.

روى الشيخ أبوعلي الطبرسي عند تفسير هذه الآية عن أميرالمؤمنين عليه السلام: إنّ التوبة تجمعها ستة أشياء: على الماضي من الذنوب الندامة، وللفرائض الإعادة، وردّ المظالم، واستحلال الخصوم، وأن تعزم على أن لاتعود، وأن تذيب نفسك في طاعة الله كما ربّيتها في المعصية، وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي[٣].

وأورد السيّد الرضي في كتاب نهج البلاغة أنّ قائلاً قال بحضرته

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤٣٢ ح ٣.

(٢) تجريد الاعتقاد: ص ٣٠٦.

(٣) تفسير جوامع الجامع: ص ٤٨٠.

عليه السلام: استغفر الله. فقال عليه السلام: ثكلتك أُمّك أتدري ماالاستغفار؟ إنّ الاستغفار درجة العلّيّين، وهو اسم واقع على ستّة معان:

أوّلها: الندم على مامضى.

الثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً.

الثالث: أن تؤدّي الى المخلوقين حقوقهم حتّى تلقى الله سبحانه أملس ليس عليك تبعة.

الرابع: أن تعمد الى كلّ فريضة عليك ضيّعتها فتؤدّي حقّها.

الخامس: أن تعمد الى اللحم الذي نبت على السحت فتُذيبه بالأحزان حتّى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد.

السادس:أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية[١].

وفي كلام بعض الأكابر أنّه كما لايكفي في جلاء المرآة قطع الأنفاس والأبخرة المسوّدة لوجهها، بل لابدّ من تصقيلها و إزالة ماحصل في جرمها من السواد، كذلك لايكفي في جلاء القلب من ظلمات المعاصي وكدوراتها مجرّد تركها وعدم العود إليها، بل محو آثار تلك الظلمات بأنوار الطاعات، فإنّه كما يرتفع الى القلب من كلّ معصية ظلمة وكدورة كذلك يرتفع إليه من كلّ طاعة نور وضياء. والأولى محو ظلمة كلّ معصية بنور طاعة تضادّها بأن ينظر التائب الى سيّئاته مفصّلة ويطلب لكلّ سيّئة منها حسنة تقابلها، فيأتي بتلك الحسنة على قدر ما أتى بتلك السيّئة، فيكفّر استماع الملاهي مثلاً باستماع القرآن والحديث والمسائل الدينية، و يكفّر مسّ خطّ المصحف محدثاً بإكرامه و كثرة تقبيله و تلاوته، و يكفّر المكث في المساجد جنباً بالاعتكاف فيه و كثرة التعبّد في زواياه و أمثال ذلك.

---

(١) نهج البلاغة: ص ٥٤٩ حكمة رقم (٤١٧) صبحي الصالح.

و أمّا في حقوق الناس فيخرج من مظالمهم أوّلاً بردّها عليهم والاستحلال منهم، ثمّ يقابل إيذاؤه لهم بالإحسان إليهم، وغصب أموالهم بالتصدّق بماله الحلال، وغيبتهم بالثناء على أهل الدين واشاعة أوصافهم الحميدة.

وعلى هذا القياس يمحو كلّ سيّئة من حقوق الله أو حقوق الناس بحسنة تقابلها من جنسها كما يعالج الطبيب الأمراض بأضدادها. فنسأل الله سبحانه أن يوفّقنا لذلك بمنّه وكرمه.

تنبيه وتوجيه

[استحباب الغسل بعد الفراغ من التوبة]

اشتهر بين أصحابنا رضوان الله عليهم استحباب غسل التوبة بعدها، سواء كانت عن كفر أو فسق.

ومستند الأوّل ما روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم انّه أمر ثمامة الحنفي وقيس بن عاصم لمّا أسلما بالغسل[1].

ومستند الثاني مارواه الشيخ في تهذيب الأخبار عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق أنّ رجلاً جاء اليه فقال له: إنّ لي جيراناً وله جوارٍ يتغنّين بالعود، فربّما دخلت المخرج فاطيل الجلوس استماعاً منّي لهنّ.

فقال عليه السلام: لاتفعل.

فقال: والله ماهو شيء آتيه برجْلي إنّما هو استماع أسمعه بأُذني.

قال الصادق عليه السلام: تالله أنت أما سمعت الله يقول: ﴿إنّ السمع والبصر والفؤاد كلّ اُولئك كان عنه مسؤولاً﴾؟

فقال الرجل: كانّي لم أسمع بهذه الآية من كتاب الله عزّوجلّ من

---

(١) ذكرى الشيعة: ص ٢٤.

عربي ولاعجمي، لاجرم إنّي قد تركتها، و إنّي استغفر الله.

فقال له الصادق عليه السلام: فاغتسل وصلّ مابدا لك فلقد كنت مقيماً على أمر عظيم، ماكان أسوأ حالك لو متَّ على ذلك! استغفرالله وسله التوبة من كلّ مايكره فإنّه لايكره إلّا القبيح، والقبيح دعه لأهله فإنّ لكلٍ أهلاً[١].

وهذا الخبر رواه الشيخ مرسلاً ولمأظفر به مستنداً في شيء من كتب الحديث التي اطّلعتُ عليها، ولكن إرساله غير مضرّ فيما هو المقصود، بناءً على ماتقدّم في الحديث الحادي والثلاثين.

ولايخفى أنّه كما تضمّن الأمر بالفعل تضمّن الأمر بالصلاة أيضاً. ولم يتعرّض أكثر فقهائنا رضوان الله عليهم إلّا للغسل.

هذا واعلم أنّ أكثر علمائنا أطلق استحباب الغسل للتوبة سواء كانت عن الصغائر أو الكبائر. وفي كلام المفيد طاب ثراه أنّه يستحبّ للتوبة عن الكبائر[٢].

واعترضه شيخنا المحقّق الشيخ علي قدّس الله روحه بأنّ الخبر يدفعه[٣]. وتوضيحه: أنّ الخبر صريح في أنّ توبة ذلك الرجل كانت من استماع الغناء من تلك الجواري، وليس استماع الغناء من الكبائر.

ويخطر بالبال أنّ هذا الكلام غير وارد على المفيد رحمه الله، لأنّ في الخبر دلالة على أنّ ذلك الرجل كان مصرّاً على الاستماع كما يظهر من قوله: «ربّما دخلت المخرج فأطيل الجلوس استماعاً لهنّ» فإنّ «ربّ» تأتي في الأغلب للتكثير كما صرّح به في مغني اللبيب[٤] بل ذكر الشيخ الرضي رحمه الله: إنّ التكثير صار لها كالمعنى الحقيقي والتقليل كالمعنى

---

(١) تهذيب الأحكام: ج ١ ص ١١٦ ح ٣٦.

(٢) المقنعة: ص ٥١ باب الأغسال المفترضات والمسنونات.

(٣) جامع المقاصد: ج ١ ص ٧٦.

(٤) مغني اللبيب: ج ١ ص ١٣٤ حرف الراء «ربّ».

المجازي المحتاج الى القرينة[١].

وقد صرّح شيخنا الشهيد طاب ثراه في قواعده بأنّ الإصرار يحصل بالإكثار من الصغائر بلا توبة. ولاريب أنّ الإصرار على الصغيرة كبيرة[٢].

وقول الصادق عليه السلام: «لقد كنت مقيماً على أمر عظيم، ماكان أسوأ حالك لومتّ على ذلك» يُشعر بما قلناه.

على أنّ المنقول عن المفيد طاب ثراه[٣] القول بأنّ الذنوب كلّها كبائر لاشتراكها في الخروج عن طاعة الله سبحانه كما ورد في الحديث: «لاتنظر الى مافعلت وانظر الى مَن عصيت». و أنّه ربّما يطلق الكبير والصغير على الذنب بالإضافة الى ماتحته ومافوقه كتقبيل الأجنبية بالنسبة الى النظر والوطىء على مامرّ تفصيله في الحديث الثلاثين.

و لا ريب أنّ ما صدر عن ذلك الرجل كان معصية لثلاثة أنواع من المعاصي: استماع صوت الأجنبيات، وصوت العود، والغناء، فهي كبيرة نظراً الى كلّ منها، بل استماع غنائهنّ كبيرة نظراً الى استماع صوتهنّ.

هذا وبما ذكرناه في هذا المقام يندفع أيضاً ماأورده شيخنا الشهيد الثاني طاب ثراه[٤] على من قيّد التوبة المستحبّ لها الغسل بما كانت عن كفر أو فسق من لزوم عدم استحباب الغسل للتوبة عن الصغيرة النادرة، فإنّها ليست فسقاً لعدم إخلالها بالعدالة مع شمول النصّ لغسل التوبة منها.

خاتمة

[في وجوب إتيان حقوق الله وحقوق الناس بعد التوبة]

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٣٠ حروف الجرّ، معنى «ربّ».

(٢) القواعد والفوائد: ج ١ ص ٢٢٧.

(٣) أوائل المقالات: ص ٨٣ القول في صغائر الذنوب.

(٤) اللمعة الدمشقية: ج ١ ص ٦٨٧.

الذنب ان لم يستتبع أمراً آخر يلزم الإتيان به شرعاً كلبس الحرير مثلاً كفى الندم عليه والعزم على عدم العود إليه، ولا يجب شيء آخر سوى ذلك. و إن استتبع أمراً آخر من حقوق الله أو حقوق الناس، مالي أو غير مالي، وجب مع التوبة الإتيان به، وربّما كان المكلّف مخيّراً بين الإتيان بذلك الأمر وبين الاكتفاء بالتوبة من الذنب المستتبع له.

فحقوق الله المالية كالعتق في الكفّارة مثلاً يجب الإتيان بها مع القدرة.

وغير المالية إن كان غير حدّ كقضاء الفوائت وصوم الكفّارة فكذلك.

و إن كان حدّاً فالمكلّف مخيّر إن شاء أقرّ بالذنب عند الحاكم ليُقام عليه و إن شاء ستره واكتفى بالتوبة منه، فلا حدّ عليه، إن تاب قبل قيام البيّنة به عند الحاكم.

وأمّا حقوق الناس الماليّة فيجب تبرئة الذمّة منها بقدر الإمكان، فإن مات صاحب الحقّ فورثته في كلّ طبقة قائمون مقامه، فمتى دفعه إليهم هو أو ورثته أو أجنبي متبرّع برئت ذمّته، وإن بقي الى يوم القيامة فلفقهائنا رضوان الله عليهم في مستحقّه وجوه:

الأوّل: أنّه لصاحبه الأوّل.

الثاني: أنّه لآخر وارث ولو بالعموم كالإمام.

الثالث: أنّه ينتقل الى الله سبحانه.

والأوّل هو الأصحّ، وقد دلّت عليه الرواية الصحيحة عن الصادق عليه السلام[1].

وأمّا حقوقهم الغير الماليّة فإن كان إضلالاً وجب الإرشاد.

---

(١) هذه الرواية رواها عمربن يزيد عن الصادق عليه السلام قال: إذا كان للرجل على الرجل دين فمطله حتّى مات، ثمّ صالح ورثته على شيء، فالذي أخذ الورثة لهم وما بقي فهو للميّت يستوفيه منه في الآخرة. و إن لم يصالحهم على شيء حتّى مات ولم يقض عنه فهو للميّت يأخذه منه (منه رحمه الله).

وإن كان قصاصاً وجب إعلام المستحقّ له وتمكينه من استيفائه فيقول له: أنا الذي قتلت أباك مثلاً فإن شئت فاقتصّ منّي وإن شئت فاعف عنّي.

وإن كان حقّاً كما في القذف فإن كان المستحقّ له عالماً بصدور ما يوجبه وجب التمكين أيضاً، وإن كان جاهلاً به فهل يجب إعلامه به؟ وجهان: من كونه حقّ آدمي فلا يسقط إلّا بإسقاطه، ومن كون الإعلام تحديداً للاذى وتنبيهاً على ما يوجب البغضاء. ومثل هذا يجري في الغيبة أيضاً، وكلام المحقّق الطوسي[1] وتلميذه العلّامة طاب ثراهما[2] يعطي عدم وجوب الإعلام بها.

واعلم إنّ الإتيان بما يستتبعه الذنوب من قضاء الفوائت وأداء الحقوق والتمكين من القصاص والحدّ ونحو ذلك ليس شرطاً في صحّة التوبة، بل هذه واجبات برأسها والتوبة صحيحة بدونها، وبها تصير أكمل وأتمّ.

وأمّا التوبة المبعّضة والمؤقتة والمجملة فمختلف فيها. والأصحّ صحّة المبعّضة وإلّا لما صحّت عن الكفر مع الإصرار على صغيرة.

وأمّا المؤقتة كأن يتوب عن الذنب سنة فاشتراط العزم على عدم العود أبداً يقتضي بطلانها.

وأمّا المجملة كأن يتوب عن الذنوب على الإجمال من دون تفصيلها وهو ذاكر للتفصيل فقد توقّف فيها المحقّق الطوسي[3]. والقول بصحّتها غير بعيد، إذ لا دليل على اشتراط التفصيل. والله أعلم بالصواب.

---

(١) و (٢) كشف المراد: ص ٤٢٢.

(٣) كشف المراد: ص ٤٢٢.

الحديث التاسع والثلاثون

❊ تجسّم المال والأولاد والأعمال ❊
❊ للانسان حين الموت ❊

«... قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام: إنّ ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيّام الدنيا وأوّل يوم من أيّام الآخرة مثّل له ماله و ولده و عمله.
فيلتفت الى ماله فيقول: والله إنّي كنت عليك حريصاً شحيحاً فمالي عندك؟ فيقول: خذ منّي كفنك.
قال: فيلتفت الى ولده فيقول: والله إنّي كنت لكم محبّاً و إنّي كنت عليكم محامياً فمالي عندكم؟ فيقولون: نؤدّيك الى حفرتك فنواريك فيها.
قال: فيلتفت الى عمله فيقول: والله إنّي كنت فيك لزاهداً و إن كنت عليّ لثقيلاً فما عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتّى اعرض أنا و أنت على ربّك...».

الكافي: ج٣ ص٢٣١ ـ ٢٣٣ ح١

وبالسند المتصل الى الشيخ الجليل عمادالإسلام محمد بن يعقوب الكليني، عن عليّ بن ابراهيم، عن أبيه، عن عمرو بن عثمان وعدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر والحسن بن عليّ جميعاً، عن أبي جميلة مفضّل بن صالح، عن جابر، عن عبدالأعلى و علي بن ابراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن إبراهيم بن عبدالأعلى، عن سويد بن غَفَلة قال:

قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام: إنّ ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيّام الدنيا وأوّل يوم من أيّام الآخرة مثّل له ماله وولده وعمله.

فيلتفت الى ماله فيقول: والله إنّي كنت عليك حريصاً شحيحاً فمالي عندك؟ فيقول: خذ منّي كفنك.

قال: فيلتفت الى ولده فيقول: والله إنّي كنت لكم محبّاً و إنّي كنت عليكم محامياً فمالي عندكم؟ فيقولون: نؤدّيك الى حفرتك فنواريك فيها.

قال: فيلتفت الى عمله فيقول: والله إنّي كنت فيك لزاهداً و إن كنت عليّ لثقيلاً فما عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك و يوم نشرك حتّى

أُعرض أنا و أنت على ربّك.

قال: فإن كان لله وليّاً أتاه أطيب الناس ريحاً وأحبّهم منظراً وأحسنهم رياشاً فقال: أبشر بروح و ريحان وجنّة نعيم و مقدمك خير مقدم. فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح إرتَحِلْ من الدنيا الى الجنّة. وأنّه ليعرف غاسله و يناشد حامله أن يعجّله.

فإذا دخل قبره أتاه ملكا القبر يجرّان أشعارَهما و يخدّان الأرض بأقدامهما كالرعد القاصف، و أبصارهما كالبرق الخاطف، فيقولان له: مَن ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟

فيقول: الله ربّي، وديني الإسلام، ونبيّي محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

فيقولان: ثبّتك الله فيما تحبّ و ترضى. وهو قول الله عزّوجلّ: ﴿يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾. ثمّ يفسحان له في قبره مدّ بصره، ثمّ يفتحان له باباً الى الجنّة، ثمّ يقولان: نم قرير العين نوم الشاب الناعم، فإنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿أصحاب الجنّة يومئذٍ خير مستقرّاً وأحسن مقيلاً﴾.

قال: و إذا كان لربّه عدوّاً فإنّه يأتيه أقبح من خلق الله زيّاً وأنتنه ريحاً، فيقول [له]: ابشر بِنُزُل من حميم وتصلية جحيم.وإنّه ليعرف غاسله ويناشد حملته أن يحبسوه.

فإذا دخل القبر أتاه ممتحنا القبر فألقيا [عنه] أكفانه. ثمّ يقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ فيقول: لا أدري.

فيقولان: لا دريت ولا هديت، فيضربان يافوخه بمرزبة معهما ضربة ماخلق الله عزّوجلّ من دابة إلّا تذعر لها ماخلا الثقلين. ثمّ يفتحان له باباً الى النار، ثمّ يقولان له: نم بشرّ حال. ويسلّط الله عليه حيّات الأرض وعقاربها وهوامها فتنهشه حتّى يبعثه الله من قبره(١).

بيان

مالعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ مثّل له ماله وولده وعمله ﴾: «مُثّل» بالبناء للمفعول وتشديد الثاء المثلثة، أي صوّر له كلّ من الثلاثة بصورة مثالية يخاطبها وتخاطبه. ويجوز أن يُراد بالتمثيل خطور هذه الثلاثة بالبال و حضور صورها في الخيال، و حينئذٍ تكون المخاطبة بلسان الحال الذي هو أفصح من لسان المقال.

﴿ إنّي كنت حريصاً شحيحاً ﴾: الشحّ بتثليث أوّله: البخل مع الحرص.

﴿ نؤدّيك ﴾: بالهمزة أي نوصلك.

﴿ إنّي كنت فيك لزاهد ﴾: الزهد في الشيء ضدّ الرغبة فيه. وماضيه مثلّث العين.

﴿ وأحسنهم رياشاً ﴾: بكسر الراء المهملة وبعدها ياء مثنّاة تحتانية و بعد الألف شين معجمة: اللباس الفاخر.

---

(١) الكافي: ج ٣ ص ٢٣١ ـ ٢٣٣ ح ١.

﴿ **ابشر بروح و ريحان وجنّة نعيم** ﴾: الروح بفتح أوّله: الراحة، و بضمّه: الرحمة أو الحياة الدائمة.

وقد قُرىء بالوجهين في قوله تعالى: ﴿فأمّا إن كان من المـقرّبين* فروح وريحان وجنّة نعيم﴾[١].

و روى في الكشّاف قراءة بالضمّ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم[٢].

و رواها في مجمع البيان عن الإمام محمد بن عليّ الباقر عليه السلام أيضاً، و فسّر الريحان في الآية بالرزق الطيّب[٣].

ونقل الشيخ أبو علي الطبرسي عن بعضهم أنّه الريحان المشموم يؤتى به عند الموت من الجنّة فيشمّه[٤].

﴿ **فيقول أنا عملك الصالح** ﴾: روى في الكافي في حديث آخر عن الإمام أبي عبدالله جعفربن محمد الصادق عليه السلام: «فيقول: أنا رأيك الحسن الذي كنت عليه و عملك الصالح الذي كنت تـعمله»[٥] و هـذا صريح في تجسيم الاعتقاد أيضاً في تلك النشأة.

﴿ **ارتحل** ﴾: بصيغة فعل الأمر.

﴿ **وانّه ليعرف غاسله** ﴾: هنا فعل مقدّر يدلّ عليه السياق، والواو حالية، والتقدير: فيرتحل والحال أنّه ليعرف غاسله. ويُحتمل أن تكون عاطفة على أتاه فلا تقدير.

﴿ **و يناشد حامله** ﴾: في الصحاح: نشدت فلاناً: إذا قلت: نشدتك الله، أي سألتك بالله[٦].

---

(١) الواقعة: ٨٧ ـ ٨٨.

(٢) تفسير الكشّاف: ج ٤ ص ٤٧٠.

(٣) و(٤) مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠ ص ٢٢٩.

(٥) الكافي: ج ٣ ص ٢٤٢ ح ١.

(٦) صحاح اللغة: ج ٢ ص ٥٤٣ مادة «نشد».

﴿ يخدّان الأرض ﴾: بالخاء المعجمة المضمومة والدال المهملة المشدّدة. أي يشقّانها.

﴿ والرعد القاصف ﴾: الشديد الصوت.

﴿ ومن نبيّك ﴾: في كثير من أحاديثنا المرويّة في الكافي وغيره أنّه يُسأل عن إمامه أيضاً[١]. ولعلّ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لم يذكر ذلك اكتفاء بشهرته وهضماً لنفسه المقدّسة سلام الله عليه.

وروى أصحابنا: إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّا دفن فاطمة بنت أسد رضي الله عنها لقّنها وقال لها: ابنك ابنك[٢].

﴿ فيما تحبّ وترضى ﴾: على صيغة الغائب أو المخاطب.

﴿ وهو قول الله عزّوجلّ ﴾: يجوز عود الضمير لقول الملكين: «ثبّتك الله... الى آخره» والمضاف محذوف، والتقدير: هو مدلول قول الله عزّوجلّ. والأولى عوده الى تثبيت المؤمن على مايجيب به الملكين، كما يدلّ عليه ماروي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه ذكر قبض روح المؤمن فقال: ثمّ تُعاد روحه في جسده و يأتيه ملكان فيجلسان في قبره، و يقولان له: مَن ربّك؟ ومادينك؟ ومن نبيّك؟ فيقول: ربّي الله، وديني الإسلام، و نبيّ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، فينادي منادٍ من السماء: أن صدق عبدي. فذلك قوله تعالى: ﴿ يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ﴾[٣].

وما روي عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لاإله الّا الله وأنّ محمّداً رسول الله. فذلك قول الله تعالى: ﴿ يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ﴾[٤].

---

(١) الكافي: ج ٣ ص ٢٣٩ ح ١٢.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ٢ ص ٣٤٢ باب ٣٣ من أبواب الدفن ح ٢.

(٣) الدرالمنثور: ج ٤ ص ٧٨.

(٤) صحيح البخاري: ج ٦ ص ١٠٠.

﴿ ثمّ يفسحان في قبره مدّ بصره ﴾: فسح له يَفسح بالفتح: أي وسع له. والفُسحة بالضمّ: السعة. والمراد بمدّ البصر مداه وغايته التي ينتهي إليها.

ولامنافاة بين هذا وبين ماروي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «يَفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين»[1] وما رواه في الكافي عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام «يفسح له في قبره سبعة أذرع»[2] لاختلاف الفسحة باختلاف الدرجات،فلعلّ فسحة الأدنى سبعة أذرع، والأوسط سبعون، والأعلى مدّ البصر.

﴿ ثمّ يفتحان له باباً الى الجنّة ﴾: فلايزال يأتيه من روحها وطيبها الى يوم القيامة، كذا في أحاديث أُخر مرويّة في الكافي[3] وغيره[4].

﴿ ثمّ يقولان نم قرير العين ﴾: قرّة العين: برودتها وانقطاع بكائها و رؤيتها ماكانت مشتاقة إليه، والقُرّ بالضمّ: ضدّ الحر. والعرب تزعم أنّ دمع الباكي من شدّة السرور بارد، ودمع الباكي من الحزن حارّ، فقرّة العين كناية عن الفرح والسرور والظفر بالمطلوب يقال: قرّت عينه تقرّه بالفتح والكسر قرّة بالفتح والضمّ.

﴿ نوم الشاب الناعم ﴾: من النعمة بالكسر، وهي مايتنعم به من مال و نحوه، أو بالفتح و هي نفس التنعّم. و لعلّ الثاني أولى، فقد قيل: كم ذي نعمة لانعمة له.

﴿ فإنّ الله عزّوجلّ يقول ﴾: هذا الكلام يحتمل أن يكون من كلام الإمام عليه السلام ويكون كالمؤيّد لما تضمّنه الكلام السابق من الفُسحة

---

(١) سنن الترمذي: ج ٣ ص ٣٨٣ كتاب الجنائز ٧٠.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٢٣٨ ح ٩.

(٣) الكافي: ج ٣ ص ١٣١ ح ٤.

(٤) الدرر المنثور: ج ٤ ص ٧٨.

وفتح الباب الى الجنّة ونومه قرير العين، وأن يكون من مقول قول الملكين.

﴿ **أصحاب الجنّة يومئذٍ خير مستقرّاً وأحسن مقيلاً** ﴾: المراد اليوم المذكور في قوله سبحانه قبل هذه الآية: ﴿يوم يرون الملائكة لابشرى يومئذٍ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً﴾[(١)].

و هذا الحديث يدلّ على أنّ المراد بذلك اليوم يوم الموت ، و بالملائكة : ملائكة الموت . و هو قول كثير من المفسّرين. و فسّر بعضهم ذلك اليوم بيوم القيامة والملائكة بملائكة النار.

والمراد بالمستقرّ: المكان الذي يستقرّ فيه. وبالمقيل: مكان الاستراحة، مأخوذ من مكان القيلولة.

ويحتمل أن يُراد بأحدهما الزمان أي مكانهم و زمانهم أطيب ما يتخيّل من الأمكنة والأزمان، ويَحتمل المصدرية فيهما أو في أحدهما.

﴿ **و إذا كان لربّه عدوّاً** ﴾: الظاهر أنّ المراد به مايشتمل الكافر والفاسق المتمادي في فسقه.

وقد روي في الكافي عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بطرق عديدة لايخلو بعضها من اعتبار أنّه «لا يُسأل في القبر إلّا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً»[(٢)].

﴿ **أقبح من خلق الله زيّاً** ﴾: في الكافي في حديث آخر عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه‌السلام: «فيقول له: ياعبدالله مَن أنت؟ فما رأيت شيئاً أقبح منك! فيقول: أنا عملك السيء الذي كنت تعمله و رأيك الخبيث»[(٣)].

والزيّ بكسر الزاي المعجمة وتشديد الياء: الهيئة.

---

(١) الفرقان: ٢٢.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٢٣٥ ح ١.

(٣) الكافي: ج ٣ ص ٢٤٢ ح ١.

﴿ **أبشر بنزل من حميم وتصلية جحيم** ﴾: البشارة هنا على سبيل التهكّم كقوله تعالى: ﴿ **فبشّرهم بعذاب أليم** ﴾[١].

والنزل بضمّتين: ما يعدّ للضيف النازل على الشخص من الطعام والشراب. وفيه تهكّم أيضاً.

والحميم: الماء الشديد الحرارة يُسقى منه أهل النار أو يصبّ على أبدانهم. والأنسب بالنزل السقي.

والتصلية: التلويح على النار.

﴿ **أتاه ممتحنا القبر** ﴾: إضافة اسم الفاعل إمّا الى معموله على حذف المضاف أي ممتحنا صاحب القبر، أو الى غير معموله كمصارع مصر، وهذا أولى.

وقد تظافرت الأحاديث بتسمية هذين الملكين منكراً ونكيراً.

و أنكر بعض أهل الإسلام تسميتهما بهذين الاسمين، و قالوا : إنّ المنكر هو ما يصدر عن الكافر من التلجلج عند سؤالهما. والنكير هو مايصدر عنهما من التقريع له، فليس للمؤمن منكر ولانكير عند هؤلاء، والأحاديث المتكثّرة في خلافهم.

﴿ **فألقيا أكفانه** ﴾: تخصيص إلقاء الأكفان بعدوّ الله ظاهر لما فيه من الشناعة المناسبة بحاله.

﴿ **فيضربان يافوخه بمرزبة معهما ضربة ماخلق الله عزّوجلّ من دابّة إلّا تذعر لها ما خلا الثقلين** ﴾: اليافوخ بالياء المثنّاة من تحت وبعد الألف فاء ثمّ واو و آخره خاء معجمة: هو الموضع الذي يتحرّك من رأس الطفل إذاكان قريب عهد بالولادة، وجمعه يآفيخ كمصابيح.

والمرزبة بالراء المهملة والزاء المعجمة والباء الموحّدة : عصاة

---

(١) التوبة: ٣٤.

من حديد.

وفي الصحاح: الأرزبّة التي يكسر بها المدر، فإن قلتها بالميم خففت فقلت المرزبة[١] إنتهى.

وقال القاضي البيضاوي في شرح المصابيح: إنّ المحدّثين يشدّدون الباء من المرزبة. والصواب تخفيفه. و إنّما تُشدّد الباء إذا اُبدلت الميم همزة. إنتهى.

ولكن كلام صاحب القاموس[٢] صريح في مجيء التشديد في مرزبة أيضاً، ولم يتعرّض فيه لما ذكره الجوهري.

و تذعر بالذال المعجمة والعين المهملة: أي تفزع.

و إنّما سُمّي الإنس والجنّ بالثقلين لعظم شأنهما بالنسبة الى ما في الأرض من الحيوانات. والعرب تطلق على ماله نفاسة وشأن اسم الثقل.

قال في القاموس: ومنه الحديث: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي»[٣].

وقيل: سمّيا بذلك لرزانة آرائهما.

وقيل: لأنّهما مثقلان بالتكاليف.

هذا ولعلّ الحكمة في عدم سماع الثقلين ذلك بأنّهم لو سمعوه لصار الإيمان ضرورياً فيرتفع التكليف. وقد ورد أحاديث متكثّرة من طرق الخاصّة والعامّة أنّ الحيوانات العجم تسمع صوت عذاب الميّت في القبر، فعن الإمام أبي جعفر محمد بن عليّ الباقر عليه السلام قال: قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّي كنت لانظر الى الإبل والغنم وأنا أرعاها -وليس من نبيّ إلّا وقد رعى الغنم- فكنت أنظر إليها وهي ممتلئة

---

(١) صحاح اللغة: ج ٢ ص ١٣٥ مادة «رزب».

(٢) القاموس: ج ٢ ص ٧٣ مادة «رزبة».

(٣) القاموس: ج ٣ ص ٣٤٢ مادة «ثقل».

في المكينة ما حولها شيء يهيّجها حتّى تذعر فتطير. فأقول: ماهذا؟ و أعجب، حتّى جاءني جبرئيل فقال: إنّ الكافر يضرب بضربة ماخلق‌الله شيئاً إلّا سمعها ويذعر لها إلّا الثقلين. رواه في الكافي(١).

و عن زيد بن ثابت قال: بينا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في حائط بني النجار على بغلة ونحن معه إذ حادت به فكادت تُلقيه، و إذا أقْبُر ستّة أو خمسة. فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: من يعرف أصحاب هذه الأقْبُر؟ قال رجل: أنا. قال: فمتى ماتوا؟ قال: في الشرك. فقال: إنّ هذه الأُمّة تبتلى في قبورها، فلولا أن لاتدافنوا لدعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه(٢)، الحديث(٣).

﴿ و يسلّط الله عليه حيّات الأرض ﴾: روي في الكافي عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: إنّ الله يسلّط عليه تسعة و تسعين تنيّناً لو أنّ واحداً منها نفخ على الأرض ماأنبتت شجراً أبداً(٤).

---

(١) الكافي: ج ٣ ص ٢٣٣ ح ١.

(٢) صحيح مسلم: ج ٨ ص ١٦٠ كتاب الجنّة والنار.

(٣) قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «فلو لا أن لاتدافنوا... الى آخره» قد اختلف المحدّثون في المراد بهذا الحديث. فقيل المراد أنّهم لو سمعوا ذلك لم يدفنوا الميّت ليسلم من عذاب القبر. وفيه أنّ المؤمن ينبغي أن يعتقد حصول العذاب لأهله ولو في حواصل الطيور وبطون السباع والحيتان فلايمنع منه ترك التدافن.

وقيل: المراد أنّهم لو سمعوا ذلك لكانوا يهربون عن كلّ ميّت لعدم طاقتهم سماع عذابه، فلا يدفنونه، إذ العذاب يحصل لأهله عقيب الموت بغير فاصلة.

وقيل: المراد أنّهم كانوا لايؤتون المقابر من أصوات عذاب الأموات.

وفيه: هذا لايقتضي ترك التدافن مطلقاً إنّما يقتضي تركه بين المقابر والحديث مطلق.

وقيل: المراد أنّهم لو سمعوا ذلك لحملهم سماعه على عدم التدافن لخوف الفضيحة في أقاربهم وعشائرهم فانّ زيارة القبور كانت متعارفة بينهم، وسماع صوت القريب يوجب فضيحة قريبة. (منه رحمه الله).

(٤) الكافي: ج ٣ ص ٢٣٧ ح ٧.

و روى الجمهور أيضاً هذا المضمون بهذا العدد الخاصّ عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

قال بعض أصحاب الحال: ولا ينبغي أن يُتعجّب من التخصيص بهذا العدد، فلعلّ عدد هذه الحيّات بقدر عدد الصفات المذمومة من الكبر والرياء والحسد والحقد وسائر الأخلاق والملكات الردية فإنّها تتشعب و تتنوع أنواعاً كثيرة، وهي بعينها تنقلب حيّات في تلك النشأة. إنتهى كلامه.

ولبعض أصحاب الحديث في نكتة التخصيص بهذا العدد وجه ظاهري إقناعي محصّله: أنّه قد ورد في الحديث: «إنّ لله تعالى تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنّة»[1] و معنى أحصاها: الإذعان باتّصافه عزّوجلّ بكلّ منها.

و روي أيضاً عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «إنّ لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجنّ والإنس والبهائم، و أخّر تسعة و تسعين رحمة يرحم بها عباده»[2] فتبيّن من الحديث الأوّل أنّه سبحانه بيّن لعباده معالم معرفته بهذه الأسماء التسعة والتسعين، ومن الحديث الثاني أنّ لهم عنده في النشأة الأُخروية تسعة وتسعين رحمة. وحيث إنّ الكافر لم يعرف الله سبحانه بشيء من تلك الأسماء جعل له في مقابل كلّ اسم و رحمة تنين ينهشه في قبره. هذا حاصل كلامه. و هو كما ترى.

تبصرة

[في أنّ عذاب القبر مرتبط بعالم الملكوت لاعالم المشاهدة]

لعلّك تقول: إنّا قد نقيم عند القبر بعد دفن الميت فلانسمع شيئاً من ذلك السؤال والجواب والخطاب والعتاب، وربّما نكشف عن الميّت فنراه

---

(١) التوحيد للصدوق: ص ١٩٤ ـ ١٩٥، صحيح مسلم. ج ٨ ص ٦٣.

(٢) سنن ابن ماجه: كتاب الزهد باب ٣٥.

في القبر على حاله الذي تركناه عليه ولانرى معه شيئاً من تلك الحيّات والعقارب، فكيف يمكن التصديق بما يخالف المشاهدة؟

فاعلم انّ عدم سماعك ومشاهدتك شيئاً من ذلك في عالم الملك لايمنع من التصديق به، فإنّ هذه الأُمور من عالم الملكوت وهـذه الأذن والعين لايصلحان لسماع الأمور الملكوتية ومشاهدتها، بل إنّما تُدرَك تلك الأُمور بجنس آخر من الحواس. أما ترى الصحابة كانوا يؤمنون بنزول جبرئيل عليه السلام على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم و يذعنون بأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يشاهده و هو يخاطبه و هم لايشاهدونه ولايسمعون خطابه. فإن كنت لاتؤمن بهذا فتصحيح أصل الإيمان بالملائكة والوحي أهمّ، و أوجب عليك من تصحيح الإيمان بعذاب القبر إن كنت آمنت بذلك وجوّزت أن يشاهد النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم مالاتشاهده الأُمّة ويسمع مالايسمعونه، فجوّز مثل ذلك فيما نحن فيه أيضاً.

وممّا يكسر سورة استبعادك أن تتفكّر في حال النائم في مجلس فيه جماعة، فإنّه قد يرى في منامه أنّ عقارب وحيّات تلدغه أو أنّ أشخاصاً يعاقبونه بأنواع العقارب ويصرخون عليه بأصوات هائلة وهو يتألّم من ذلك غاية التألّم و يتأذّى به نهاية التأذّي، و ربّما يصيح في أثناء النوم ويرتعد و يغرق من شدّة الاضطراب ، مع أنّ الجماعة الجالسين حوله لايسمعون شيئاً من تلك الأصوات ولايرون شيئاً من تلك الحيّات والعقارب والأشخاص التي يسمعها هو يشاهدها في النشأة المنامية، فقس على ذلك عذاب القبر و حيّاته. وغرضنا من هذا مجرّد التشبيه والتنبيه، وليس القصد أنّ حيّات القبر وعقاربه خياليّة أيضاً كحيّات المنام و عقاربه. هيهات فإنّها أشدّ وأدهى من حيّات اليقظة وعقاربها، بل نسبتها إليها كنسبة حيّات اليقظة وعقاربها الى حيّات النوم وعقاربه، فإنّ الناس

نيام فإذا ماتوا انتبهوا.

تذكـرة

[في إثبات عذاب القبر في عالم البرزخ]

عذاب القبر وهو العذاب الحاصل في البرزخ -أعني ما بين الموت والقيامة- ممّا اتّفقت عليه الأُمّة سلفاً وخلفاً، وقال به أكثر أهل الملل، ولم ينكره من المسلمين إلّا شرذمة قليلة[١] لاعبرة بهم، وانعقد الإجماع على خلافهم سابقاً ولاحقاً، والأحاديث الواردة فيه من طرق الخاصّة والعامّة متواترة المضمون،وهي أكثر من أن تُحصى.

وقد أورد الشيخ الجليل محمدبن يعقوب الكليني في كتاب الكافي طرفاً منها من طرق أهل البيت عليهم السلام، وكذا الشيخ الصدوق محمد ابن بابويه في كتاب الأمالي وغيره. و قد اشتمل كتاب المشكاة والمصابيح على أحاديث متكثّرة في هذا الباب.

وفي القرآن العزيز آيات ترشد إليه، فمنها: قوله تعالى: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثمّ يميتكم ثمّ يحييكم ثمّ إليه ترجعون﴾[٢] فقد ذكر سبحانه الرجوع إليه و هو البعث في القيامة معطوفاً بثمّ على إحياءين، فأحدهما في القبر. كذا ذكره جماعة من المفسّرين منهم الفخر الرازي في التفسير الكبير[٣] ومَن قال بالإحياء في القبر قال بعذابه.

---

(١) المخالف في عذاب القبر هو ضرار بن عمرو، و ربّما نسبت الى كثير من المعتزلة أيضاً كما في المواقف وغيره. وهذه النسبة باطلة. ونقل في شرح المقاصد أنّهم بُراء من إنكار عذاب القبر. و إنّما نُسب إليهم لمخالطة ضرار لهم و تبعه قوم من المعاندين. (منه رحمه الله).

(٢) البقرة: ٢٨.

(٣) التفسير الكبير: ج١ ص١٥١.

و منها: قوله سبحانه حكاية عن فرعون: ﴿النار[١] يُعرضون عليها غدوّاً و عشيّاً و يوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشدّ العـذاب﴾[٢] و هذا العطف يقتضي أنّ العرض الى النار غدوّاً وعشيّاً غير العذاب بعد قيام الساعة، فيكون في القبر.

وعن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: إنّ هذا في نار البرزخ قبل القيامة، إذ لاغدوّ ولاعشيّ في القيامة. ثمّ قـال عـليه السلام: ألم تسمع قول الله عزّوجلّ: ﴿ويوم تقوم الساعة ادخـلوا[٣] آل فرعون أشدّ العذاب﴾[٤].

ومنها: قوله تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإنّ له معيشة ضـنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾[٥] فقد قال كـثير مـن المـفسّرين أنّ المـراد بالمعيشة الضنك عذاب القبر بقرينة ذكر القيامة بعدها، ولايجوز أن يُراد بها سوء الحال في الدنيا لأنّ كثيراً من الكفّار في الدنيا في مـعيشة طـيّبة هنيئة غير ضنك، والمؤمنين بالضدّ كما ورد في الحديث: «الدنيا سـجن المؤمن وجنّة الكافر»[٦].

ومنها: قوله تعالى في حقّ قوم نوح عليه السلام: ﴿أُغرقوا فأُدخلوا

---

(١) «النار» بالرفع إمّا بدل من سوء العذاب في قوله تعالى: ﴿ وحاق بآل فرعون سوءالعذاب﴾ أو خبر مبتدأ محذوف على أن تكون جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً، كأنّ سائلاً يقول: ما سوء العذاب؟ فقيل: هي النار. وجملة «يعرضون» إمّا حال من «آل فرعون» أو من «النار». (منه).

(٢) المؤمن: ٤٦.

(٣) أيْ ويقال يوم تقوم الساعة ادخلوا... الى آخره. والأمر إمّا لآل فرعون فـالخاء مـضمومة والهمزة وصلية أو للملائكة فالخاء مكسورة والهمزة قطعية. وقد قـرأ بهذا حمزة ونـافع والكسائي وحفص، والباقون بالأوّل. (منه).

(٤) مجمع البيان: ج٨ ص٥٢٦.

(٥) طه: ١٢٤.

(٦) معاني الأخبار: ص ٢٨٩.

ناراً﴾[1] والفاء للتعقيب من غير مهلة، فالمراد نار البرزخ. ولو أراد سبحانه ادخالهم النار يوم القيامة لكان المناسب الإتيان بثمّ كما لايخفى.

تتمة

[في ردّ الاستشهاد بآية (أمتّنا اثنتين) في إثبات عذاب القبر]

اشتهر الاحتجاج في الكتب الكلامية على إثبات عذاب القبر بقوله تعالى حكاية عن الكفّار: ﴿ربّنا أمتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل﴾[2].

و تقرير الاستدلال: أنّه سبحانه حكى عنهم على وجه يُشعر بتصديقهم الاعتراف بإماتتين و إحياءين، فإحدى الإماتتين في الدنيا والأُخرى في القبر بعد السؤال، و إحدى الإحياءين فيه للسؤال والآخر في القيامة.

وأمّا الإحياء في الدنيا فإنّما سكتوا عنه لأنّ غرضهم الإحياء الذي عرفوا فيه قدرة الله سبحانه على البعث، ولهذا قالوا: ﴿فاعترفنا بذنوبنا﴾ أي بالذنوب التي حصلت بسبب إنكار الحشر والإحياء في الدنيا لم يكونوا فيه معترفين بذنوبهم.

قال المحقّق الشريف في شرح المواقف: إنّ تفسير هذه الآية على هذا الوجه هو الشائع المستفيض بين المفسّرين.

ثمّ قال: وأمّا حمل الإماتة الأُولى على خلقهم أمواتاً في أطوار النطفة، وحمل الإماتة الثانية على الإماتة الطارئة على الحياة في الدنيا والحشر فقد ردّ بأنّ الإماتة إنّما تكون بعد سابقة الحياة، ولاحياة في أطوار النطفة، وبأنّه قول شذوذ من المفسّرين، والمعتمد هو قول الأكثرين إنتهى

---

(١) نوح: ٢٥.

(٢) المؤمن: ١١.

كلامه.

فقد جعل التفسير بالوجه الأوّل مستفيضاً، وبالوجه الثاني شاذاً.

و يخطر بالبال أنّ الأمر بالعكس، فإنّ الشائع المستفيض بين المفسّرين هو ماجعله شاذاً، والشاذّ النادر هو ماجعله مستفيضاً. ولعلّ هذا من سهو قلمه، فإنّ التفاسير المشهورة التي عليها المدار في هذه الأعصار[1] هي الكشّاف للعلّامة الزمخشري ، و مفاتح الغيب للإمام الرازيّ ، و معالم التنزيل للبغوي، و مجمع البيان و جوامع الجامع لأمين الإسلام أبي علي الطبرسي، و تفسير النيشابوري، و تفسير القاضي البيضاوي، و لم يختر أحد من هؤلاء تفسير الآية بالوجه الأوّل. بل أكثرهم إنّما اختاروا التفسير الثاني. و أمّا التفسير الأوّل فبعضهم نقله ثمّ زيّفه، و بعضهم اقتصر على مجرّد نقله من غير ترجيح . فلو كان هو الشائع المستفيض كما زعمه السيّد المحقّق لما كان الحال على هذا المنوال. ولابأس في هذا المقام بنقل كلام بعض هؤلاء الأعلام.

قال في الكشّاف: أراد بالإماتتين خلقهم أمواتاً أولاً و إماتتهم عند انقضاء آجالهم. وبالإحياءين: الإحياء الأوّلي و إحياء البعث.

ثمّ قال بعد ذلك: فإن قلت: كيف صحّ أن يسمّى خلقهم أمواتاً إماتة؟

قلت: كما صحّ أن تقول: «سبحان من صغّر جسم البعوضة وكبّر جسم الفيل» وقولك للحفّار: «ضيّق فم الركية ووسّع أسفلها». وليس ثمّ هنا نقل من كبر الى صغر، ولامن صغر الى كبر، ولامن ضيق الى سعة، ولامن سعة الى ضيق، و إنّما أردت الإنشاء على تلك الصفات.

والسبب في صحّته أنّ الصغر والكبر جائزان معاً على المصنوع الواحد من غير ترجيح لأحدهما، وكذلك الضيق والسعة. فإذا اختار

---

(١) في هامش(ع): أي من عصر السيّد الى هذا العصر، واحتمال أن يكون المشتهر في زمان السيّد غير هذه التفاسير ممّا لايلتفت إليه. (منه).

الصانع أحد الجائزين وهو متمكّن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر، فجعل صرفه عنه كنقله منه.

ومن جعل الإماتتين التي بعد الحياة الدنيا والتي بعد حياة القبر لزمه إثبات ثلاث إحياءات. و هو خلاف ما في القرآن، إلّا أن يتمحّل فيجعل أحدهما غير معتدّ بها، أو يزعم أنّ الله يحييهم في القبور وتستمرّ بهم تلك الحياة فلا يموتون بعدها و يعدّهم في المستثنين من الصعقة في قوله: ﴿إلّا من شاء الله﴾.

فإن قلت: كيف تسبب هذا لقوله: ﴿فاعترفنا بذنوبنا﴾؟

قلت: قد أنكروا البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى، لأنّ من لم يخش العاقبة تخرّق في المعاصي، فلمّا رأوا الإماتة والإحياء قد تكرّرا عليهم علموا بأنّ الله قادر على الإعادة قدرته على الإنشاء، فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من إنكار البعث وما تبعه من معاصيهم[1]. إنتهى كلامه.

وقال الشيخ أمين الإسلام في جوامع الجامع: أراد بالإماتتين خلقهم أمواتاً أوّلاً و إماتتهم عند انقضاء آجالهم، و بالإحياءين الحياة الأُولى و حياة البعث. و قيل: الإماتتان هما التي في الدنيا بعد الحياة والتي في القبر قبل البعث، والإحياءان هما التي في القبر للمسألة والتي في البعث[2]. إنتهى كلامه.

وفي كلام هذين الفاضلين كفاية والله الموفّق.

تذنيب

[في أنّ الحياة البرزخية حياة ناقصة]

---

(١) تفسير الكشّاف: ج ٤ ص ١٥٤ في تفسير الآية (١١) من سورة المؤمن.

(٢) جوامع الجامع: ص٤١٦ في تفسير الآية(١١) من سورة المؤمن.

و عساك تقول: إنّ تفسير الآية على ما هو الشائع المستفيض كما ذكرته يقتضي سكوت الكفّار عن الإحياء والإماتة الواقعين في القبر، فما السبب في سكوتهم عنهما و إهمالهما؟ و كيف لم يقولوا أحييتنا ثلاثاً و أمتّنا ثلاثاً.

فنقول: إنّ الحياة في القبر حياة برزخية ناقصة ليس معها من آثار الحياة سوى الإحساس بالألم أو اللذّة، حتّى أنّه قد توقّف بعض الأُمّة في عود الروح الى الميّت فيه، فلذلك لم يعتدّوا بها في جنب الحياتين الأُخرتين.

قال في شرح المقاصد: اتّفق أهل الحقّ على أنّه تعالى يعيد الى الميّت في القبر نوع حياة قدر مايتألّم و يلتذّ، ولكن توقّفوا في أنّه هل تعاد الروح إليه أم لا؟ وما يتوهّم من امتناع الحياة بدون الروح ممنوع، و إنّما ذلك في الحياة الكاملة التي تكون معها القدرة والأفعال الاختيارية[١]. إنتهى كلامه.

والحقّ أنّ الروح تعلّق به و إلّا لما قدر على إجابة الملكين ولكنّه تعلّق ضعيف كما يشعر به مارواه في الكافي عن الإمام أبي عبدالله جعفربن محمد الصادق عليه السلام في حديث طويل: «فيدخل عليه في قبره ملكا القبر منكر ونكير، فيلقيان فيه الروح الى حقويه... الحديث»[٢].

وقد يستبعد تعلّق الروح بمن أكلته السباع أو أُحرق و تفرّقت أجزاؤه يميناً وشمالاً.

ولااستبعاد فيه نظراً الى قدرة الله سبحانه على حفظ أجزائه الأصلية عن التفرّق أو جمعها و تعلّق الروح بها تعلّقاً ما، وقد روي عن أئمّتنا عليهم السلام مايدلّ على أنّ الأجزاء الأصلية محفوظة الى يوم القيامة.

---

(١) شرح المقاصد: لايوجد لدينا.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٢٣٩ ح ١٢.

روى الشيخ الجليل محمد بن يعقوب في باب النوادر من كتاب الجنائز من الكافي عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنّه سُئل عن الميت يُبلى جسده. قال: نعم حتّى لايبقى له لحم ولاعظم إلّا طينته التي خُلق منها فإنّها لاتُبلى، بل تبقى في القبر مستديرة حتّى يُخلق منها كما خُلق أوّل مرّة[١].

خاتمة

[في تجسّم الأعمال واقترانها بصاحبها]

ما تضمّنه هذا الحديث من تجسيم العمل في النشأة الأُخروية و أنّه يكون قرين الإنسان في قبره وحشره قد ورد في أحاديث متكثّرة من طرق المخالف والمؤالف.

وقد روى أصحابنا رضوان الله عليهم عن قيس بن عاصم قال: وفدت مع جماعة من بني تميم على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فدخلت عليه وعنده الصلصال بن الدلهمس، فقلت: يانبيّ الله عظنا موعظة ننتفع بها فإنّا قوم نغير في البرية.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا قيس إنّ مع العزّ ذلّاً، و إنّ مع الحياة موتاً، و إنّ مع الدنيا آخرة، و إنّ لكلّ شيء رقيباً وعلى كلّ شيء حسيباً، و إنّ لكلّ أجل كتاباً، و إنّه لابدّ لك ياقيس من قرين يدفن معك وهو حي وتُدفن معه وأنت ميّت، فإن كان كريماً أكرمك، و إن كان لئيماً أسلمك، ثمّ لايُحشر إلّا معك ولاتُحشر إلّا معه، ولاتُسأل إلّا عنه، فلاتجعله إلّا صالحاً، فإنّه إن صلح أنست به، و إن فَسَد لاتستوحش إلّا منه، وهو فعلك.

---

(١) الكافي: ج ٣ ص ٢٥١ ح ٧.

فقال: يانبيّ الله أُحبّ أن يكون هذا الكلام في أبيات من الشعر نفخر به على من يلينا من العرب وندخّره.

فأمر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم من يأتيه بحسّان. فاستبان لي القول قبل مجيء حسّان فقلت: يا رسول الله قد حضرني أبيات أحسبها توافق ماتريد، فقلت شعراً:

تـخيّر خـليطاً مـن فِـعالِكَ إنّـما ... قَرينُ الفتى في القبر ما كان يَـفعلُ
و لا بدّ بعد المـوت مـن ان تُـعدّه ... ليـوم يـنادى المـرءُ فـيه فَـيقبِلُ
فإن تك مشغولاً بشيء فـلا تكـن ... بغير الذي يـرضى بـه الله تَشـغلُ
فَلَنْ يَصحَب الإنسانَ من بعد موتِه ... و مِن قَبلِه إلّا الذي كان يَـعمل[١]

وقد ذكرنا في بعض الأحاديث السابقة كلاماً في تجسيم الأعمال في النشأة الأُخروية، ونقول هنا:

قال بعض أصحاب القلوب: إنّ الحيّات والعقارب بل والنيران التي تظهر في القيامة هي بعينها الأعمال القبيحة والأخلاق الذميمة والعقائد الباطلة التي ظهرت في هذهالنشأة بهذهالصورة وتجلببت بهذه الجلابيب، كما أنّ الروح والريحان والحور والثمار هي الأخلاق الزكـية والأعـمال الصالحة والاعتقادات الحقّة التي برزت في هذا العالم بهذا الزيّ وتسمّت بهذاالإسم،إذ الحقيقةالواحدة تختلف صورها باختلاف المواطن،فتتجلّى في كلّ موطن بحلية وتتزيّى في كلّ نشأة بزيّ على ماسبق الكلام فيه في الحديث التاسع.

وقالوا: إنّ اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿يستعجلونك بالعذاب وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين﴾[٢] ليس بمعنى الاستقبال بأن يكون المراد أنّها

---

(١) أمالي الصدوق: المجلس الأوّل ص٢ ـ ٣، معاني الأخبار: ص٢٣٣. وفيها زيادة:

ألا إنّما الإنسان ضيفٌ لأهله ... يُقيمُ قليلاً بينهم ثـمّ يَـرحـلُ

(٢) العنكبوت: ٥٤.

ستحبط بهم في النشأة الأُخرى كما ذكره الظاهريون من المفسّرين، بل هو على حقيقته من معنى الحال، فإنّ قبائحهم الخلقية والعمليّة والاعتقادية محيطة بهم في هذه النشأة، وهي بعينها جهنّم التي ستظهر عليهم في النشأة الْأُخروية بصورة النار وعقاربها وحيّاتها.

وقس على ذلك قوله عزّ وعلا: ﴿الذين يأكلون أموال اليتامىٰ ظلماً إنّما يأكلون في بطونهم ناراً﴾[1].

وكذا قوله سبحانه:﴿يوم تجد كلّ نفس ماعملت من خير محضراً﴾[2] أليس المراد أنّه تجد جزاءه، بل تجده بعينه لكن ظاهراً في جلباب آخر.

وقوله تعالى: ﴿اليوم لاتظلم نفس شيئاً ولاتجزون إلّا ماكنتم تعملون﴾[3] كالصريح في ذلك. ومثله في القرآن العزيز كثير.

و ورد في الأحاديث النبويّة منه مالايحصى كقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «الذي يشرب في آنية الذهب والفضّة إنّما يُجرجِرُ في جوفه نار جهنّم»[4].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «الظلم ظلمات يوم القيامة»[5].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «الجنّة قيعان وأنّ غراسها: سبحان الله وبحمده»[6] الى غير ذلك من الأحاديث المتكثّرة والله الهادي.

---

(١) النساء: ١٠.

(٢) آل عمران: ٣٠.

(٣) يس: ٥٤.

(٤) سنن ابن ماجه: ج ٢ ص ١١٣٠.

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٣٣٢ ج ١٠.

(٦) أمالي الصدوق: مجلس ٦٩ ص ٤٠٥ مع اختلاف يسير.

الحديث الأربعون

* مصير أرواح المؤمنين بعد الموت *

«... قال: سألت أباعبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن أرواح المؤمنين. فقال: في الجنّة على صور أبدانهم لو رأيته لقلت: فلان».

تهذيب الأحكام: ج١ ص٤٦٦ ح١٧٢

وبالسند المتصل الى الشيخ الجليل أمين الإسلام أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدّس الله روحه، عن الشيخ الجليل محمد بن محمد بن النّعمان المفيد، عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه، عن الشيخ الجليل عماد الإسلام محمد بن يعقوب الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم بن هاشم، عن محمد بن أبي عمير، عن ابن حمّاد، عن أبي بصير قال:

سألت أباعبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن أرواح المؤمنين. فقال: في الجنّة على صور أبدانهم لو رأيته لقلت فلان[1]

بيان

مالعلّه يحتاج الى البيان في هذا الحديث

﴿ **عن أرواح المؤمنين** ﴾: أي عمّا يؤول إليه حالها بعد خراب أبدانها، و كثيراً ماتطلق الروح على الجسم البخاري المتكوّن عن لطيف الدم المتبخّر المنجذب الى التجويف الأيسر من القلب . والمراد هنا هو ما يشير اليه الإنسان بقوله «أنا»، أعني النفس الناطقة، وهو المعنيّ بالروح

---

(١) تهذيب الأحكام: ج ١ ص٤٦٦ ح ١٧٢ باب الزيادات تلقين المحتضرين.

في القرآن والحديث.

وقد تحيّر العقلاء في حقيقتها، واعترف كثير منهم بالعجز عن معرفتها، حتّى قال بعض الأعلام: إنّ قول أميرالمؤمنين عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»[١] معناه: أنّه كما لايمكن التوصّل الى معرفة النفس لايمكن التوصّل الى معرفة الربّ. و قوله عزّوعلا: ﴿و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربّي وما أُوتيتم من العلم إلّا قليلاً﴾[٢] ممّا يعضد ذلك.

والأقوال في حقيقتها متكثّرة، والمشهور أربعة عشر قولاً ذكرناها في المجلد الرابع من كتابنا[٣] الموسوم بالكشكول.

والذي عليه المحقّقون أنّها غير داخلة في البدن بالجزئيّة والحلول، بل هي بريّة عن صفات الجسمية منزّهة عن العوارض المادية، متعلّقة به تعلّق التدبير والتصرّف فقط، وهو مختار أعاظم الحكماء الإلهيّين و أكابر الصوفيّة والإشراقيين، وعليه استقر رأي أكثر متكلّمي الإمامية كالشيخ المفيد وبني نوبخت والمحقّق نصير الملّة والدين الطوسي والعلّامة جمال الدين الحلّي، ومن الأشاعرة الراغب الإصفهاني وأبي حامد الغزالي والفخر الرازي، وهو المذهب المنصور الذي أشارت اليه الكتب السماوية، وانطوت عليه الأنباء النبوية، وعضدته الدلائل العقلية، وأيّدته الأمارات الحدسيّة والمكاشفات الذوقية.

﴿ **فقال: في الجنّة** ﴾: الظرفية مجازية باعتبار الشبح الذي تعلّقت الروح به، و إلّا فهي مجرّدة غير مكانية.

﴿ **على صور أبدانهم** ﴾: خبر ثانٍ للمبتدأ المحذوف، أو حال من

---

(١) شرح مائة كلمة قصيرة لابن ميثم: الكلمة السادسة.

(٢) الإسراء: ٨٥.

(٣) (ع): المجموع.

المستكنّ في الظرف. والمراد أنّها عاكفة ومقيمة على تلك الصور.

و يحتمل أن تكون «على» بمعنى «في» كما قالوه في قوله تعالى: ﴿و دخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾[١] وقوله سبحانه: ﴿واتّبعوا ماتتلوا الشياطين على مُلك سليمان﴾[٢] تشبيهاً للملابسة التعليقية بالملابسة الظرفية.

﴿ **لو رأيته لقلت: فلان** ﴾: لمّا كانت الصورة بمعنى المثال والشبح صحّ إرجاع ضمير المذكر إليها، أي لو رأيت ذلك الشبح المثالي لقلت: هذا فلان، أو لقلت له: يا فلان. وتقدير المبتدأ أو حرف النداء لأنّ المفرد لايكون محكيّاً بالقول عندهم.

تبصرة

[في أنّ الجنّة والنار مخلوقتان في الوقت الحاضر]

ظاهر قوله عليه السلام: «في الجنّة» يُعطي أنّ الجنّة مخلوقة الآن. ومن قال بخلق الجنّة قال بخلق النار. و هو قول الأكثر. و عليه المحقّق الطوسي في التجريد[٣] و له شواهد من القرآن العزيز كقوله تعالى في حقّ الجنّة: ﴿أُعدّت للمتّقين﴾[٤] وفي حقّ النار: ﴿أُعدّت للكافرين﴾[٥] فقد أخبر سبحانه عن إعدادهما بلفظ الماضي، وهو يدلّ على وجودهما، وإلّا لزم الكذب، والحمل على التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي عدول عن الظاهر. هكذا استدلّ الأشاعرة على هذا المطلوب.

---

(١) القصص: ١٥.

(٢) البقرة: ١٠٢.

(٣) تجريد الاعتقاد: ص ٣٠٩.

(٤) آل عمران: ١٣٣.

(٥) البقرة: ٢٤.

ولوالدي طاب ثراه في هذا المقام كلام حاصله: إنّ هذا الاستدلال ظاهر الانطباق على مذهب المعتزلة من حدوث القرآن. وأمّا على مذهب الأشاعرة فمشكل، مع قولهم بأنّ الكلام النفسي مدلول الكلام اللفظيّ، إذ الجنّة والنار حادثتان، فلامندوحة لهم من الحمل على التعبير عن المستقبل بالماضي، فلا يتمّ استدلالهم.

ويختلج بالبال في توجيهه أن يجعل إلزامياً لكثير من المعتزلة كعبّاد و أبي هاشم والقاضي عبدالجبار حيث ذهبوا الى أنّهما غير مخلوقين، و إنّما يُخلقان يوم القيامة.

هذا وربّما يستدلّ بقصّة آدم وحواء و إسكانهما الجنّة و إخراجهما منها بالأكل من الشجرة.

وهو يضعّف بما قاله بعض المفسّرين من أنّها كانت بستاناً من بساتين الدنيا.

و يؤيّده مارواه الشيخ الجليل محمد بن يعقوب الكليني، عن الحسن ابن بشير قال: سألت الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن جنّة آدم عليه السلام فقال: جنّة من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر، ولو كانت من جنان الآخرة ماخرج منها أبداً[1].

و أمّا ما في شرح المقاصد والشرح الجديد للتجريد من أنّ الحمل على بستان من بساتين الدنيا يجري مجري التلاعب بالدين والمراغمة لإجماع المسلمين فليس بشيء، إذ لاتلاعب مع النقل عن المفسّرين المعتضد بالرواية عن الأئمّة الطاهرين عليهم انسلام.

وأمّا الإجماع فغير ثابت. ولا دلالة في قوله تعالى: ﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً﴾[2] على أنّها لم تكن في الأرض، فإنّ الانتقال من أرض الى

(١) الكافي: ج ٣ ص ٢٤٧ ح ٢.
(٢) البقرة: ٣٨.

أُخرى يسمّى هبوطاً كما في قوله سبحانه: ﴿اهبطوا مصراً﴾[١].

هذا ولكن ظاهر قوله تعالى: ﴿قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ ولكم في الأرض مستقرّ ومتاع الى حين﴾[٢] ربّما يُعطي أنّ الهبوط كان من غير الأرض الى الأرض، فليتأمّل.

تنـبيه

[في بقاء النفس الناطقة بعد مفارقة البدن وتعلّقها بالقالب المثالي]

في هذا الحديث دلالة على أمرين:

الأوّل: بقاء النفوس بعد خراب الأبدان. و إليه ذهب أكثر العقلاء من الملّيين والفلاسفة ولم ينكره إلّا فرقة قليلة كالقائلين بأنّ النفس هي المزاج و أمثالهم ممّن لم يُعبأ بهم ولابكلامهم. والشواهد العقليّة والنقليّة على ذلك كثيرة. وقد تضمّن كتاب «المطالب العالية» منها مالايوجد في غيره.

ويكفي في هذا الباب قوله جلّ وعلا: ﴿ولاتحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربّهم يرزقون* فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألّا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾[٣].

الثاني: أنّها تتعلّق بعد مفارقة أبدانها العنصرية بأشباح مثالية تشابه تلك الأبدان، وعليه الصوفية وحكماء الإشراق.

والذي دلّت عليه الأخبار المنقولة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أنّ تعلّق الأرواح بهذه الأشباح يكون في مدّة البرزخ فتتنعّم أو

---

(١) البقرة: ٦١.

(٢) البقرة: ٣٦، الأعراف: ٢٤.

(٣) آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٠.

تتألّم بها الى أن تقوم الساعة فتعود عند ذلك الى أبدانها كما كانت عليه.

و روى الشيخ الجليل عمادالإسلام محمد بن يعقوب الكليني في أواخر كتاب الجنائز من الكافي عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: إنّ الأرواح في صفة الأجساد في شجر في الجنّة تتعارف و تتساءل، فاذا قدمت الروح على تلك الأرواح تقول: دعوها فإنّها قد أقبلت من هول عظيم. ثمّ يسألونها مافعل فلان ومافعل فلان؟ فإن قالت لهم تركته حيّاً ارتجوه، و إن قالت لهم قد هلك، قالوا: قد هوىٰ(١).

وفي الكافي أيضاً عنه عليه السلام: إنّ أرواح المؤمنين في حجرات في الجنّة يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها ويقولون ربّنا أقم لنا الساعة، وأنجز لنا ما وعدتنا، وألحق آخرنا بأوّلنا(٢).

و روي في أرواح الكفّار بضدّ ذلك.

و روى الشيخ الجليل أمين الإسلام محمدبن الحسن الطوسي في كتاب تهذيب الأخبار عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنّه قال ليونس بن ظبيان: مايقول الناس في أرواح المؤمنين؟

فقال يونس: يقولون في حواصل طير خضر في قناديل تحت العرش.

فقال عليه السلام : سبحان الله ، المؤمن أكرم على الله من ذلك، أن يجعل روحه في حوصلة طائر أخضر. يا يونس المؤمن إذا قبضه الله تعالى صيّر روحه في قالب كقالبه في الدنيا(٣). و أمثال هذه الأحاديث من طرق الخاصّة كثيرة. و روى العامّة أيضاً مايقرب منها.

تنبيه

[في بطلان التناسخ]

---

(١) الكافي: ج ٣ ص ٢٤٤ ح ٢.

(٢) الكافي: ج ٣ ص ٢٤٤ ح ٤.

(٣) تهذيب الأحكام: ج ١ ص ٤٦٦ ح ١٧.

قد يتوهّم أنّ القول بتعلّق الأرواح بعد مفارقة أبدانها العنصرية بأشباح أُخر كما دلّت عليه تلك الأحاديث قول بالتناسخ.

وهذا توهّم سخيف، لأنّ التناسخ الذي أطبق المسلمون على بطلانه هو تعلّق الأرواح بعد خراب أجسامها بأجسام أُخرى في هذا العالم إمّا عنصرية كما يزعم بعضهم ويقسّمه الى النسخ والمسخ والفسخ والرسخ[1] أو فلكية ابتداء، أو بعد تردّدها في الأبدان العنصرية على اختلاف آرائهم الواهية المفصّلة في محلّها.

وأمّا القول بتعلّقها في عالم آخر بأبدان مثالية مدّة البرزخ الى أن تقوم قيامتها الكبرىٰ فتعود الى أبدانها الأوليّة بإذن مبدعها إمّا بجمع أجزائها المتشتتة أو بإيجادها من كتم العدم كما أنشأها أوّل مرّة فليس من التناسخ في شيء. وإن سمّيته تناسخاً فلا مشاحة في التسمية إذا اختلف المسمّى.

وليس إنكارنا على التناسخية وحكمنا بتكفيرهم بمجرّد قولهم بانتقال الروح من بدن الى آخر، فإنّ المعاد الجسماني كذلك عند كثير من أهل الإسلام، بل لقولهم بقدم النفوس وتردّدها في أجسام هذا العالم و إنكارهم المعاد الجسماني في النشأة الأُخروية.

قال الفخر الرازي في نهاية العقول: إنّ المسلمين يقولون بحدوث الأرواح و ردّها الى الأبدان لافي هذا العالم. والتناسخية يقولون بقدمها و ردّها إليها في هذا العالم وينكرون الآخرة والجنّة والنّار، و إنّما كُفِّروا من أجل هذا الإنكار. إنتهى كلامه ملخّصاً. فقد ظهر البون البعيد بين القولين، والله الهادي.

---

(١) بأنّ الجسم المنتقل إليه إمّا بدن إنساني أو بدن أخر من البهائم والسباع و غيرها أو نبات أو جماد، فالأوّل هوالنسخ والثاني هوالمسخ والثالث هوالفسخ والرابع هوالرسخ(منه رحمه‌الله).

ختـام

[في تجرّد القوالب المثالية في البرزخ]

ماورد في بعض أحاديث أصحابنا رضي الله عنهم من أنّ الأشباح التي تتعلّق بها النفوس مادامت في عالم البرزخ ليست بأجسام، و أنّهم يجلسون حلقاً حلقاً على صور أجسادهم العنصرية يتحدّثون و يتنعّمون بالأكل والشرب، و أنّهم ربّما يكونون في الهواء بين الأرض والسماء يتعارفون في الجوّ و يتلاقون و أمثال ذلك ممّا يدلّ على نفي الجسمية و إثبات بعض لوازمها على ما هو منقول في الكافي و غيره عن أميرالمؤمنين والأئمّة من أولاده عليهم السلام يعطي أنّ تلك الأشباح ليست في كثافة الماديّات، ولافي لطافة المجرّدات، بل هي ذوات جهتين و واسطة بين العالمين.

و هذا يؤيّد ما قاله طائفة من أساطين الحكماء من أنّ في الوجود عالماً مقدارياً غير العالم الحسّي، هو واسطة بين عالم المجرّدات و عالم المادّيات ليس في تلك اللطافة ولافي هذه الكثافة فيه للأجسام والأعراض من الحركات والسكنات والأصوات والطعوم والروائح وغيرها مُثُلٌ قائمة بذواتها معلّقة لافي مادة وهو عالم عظيم الفُسحة وسكّانها على طبقات متفاوتة في اللطافة والكثافة وقبح الصورة وحسنها، ولأبدانهم المثالية جميع الحواس الظاهرية والباطنية فيتنعّمون ويتألمون باللذّات والآلام النفسانية والجسمانية.

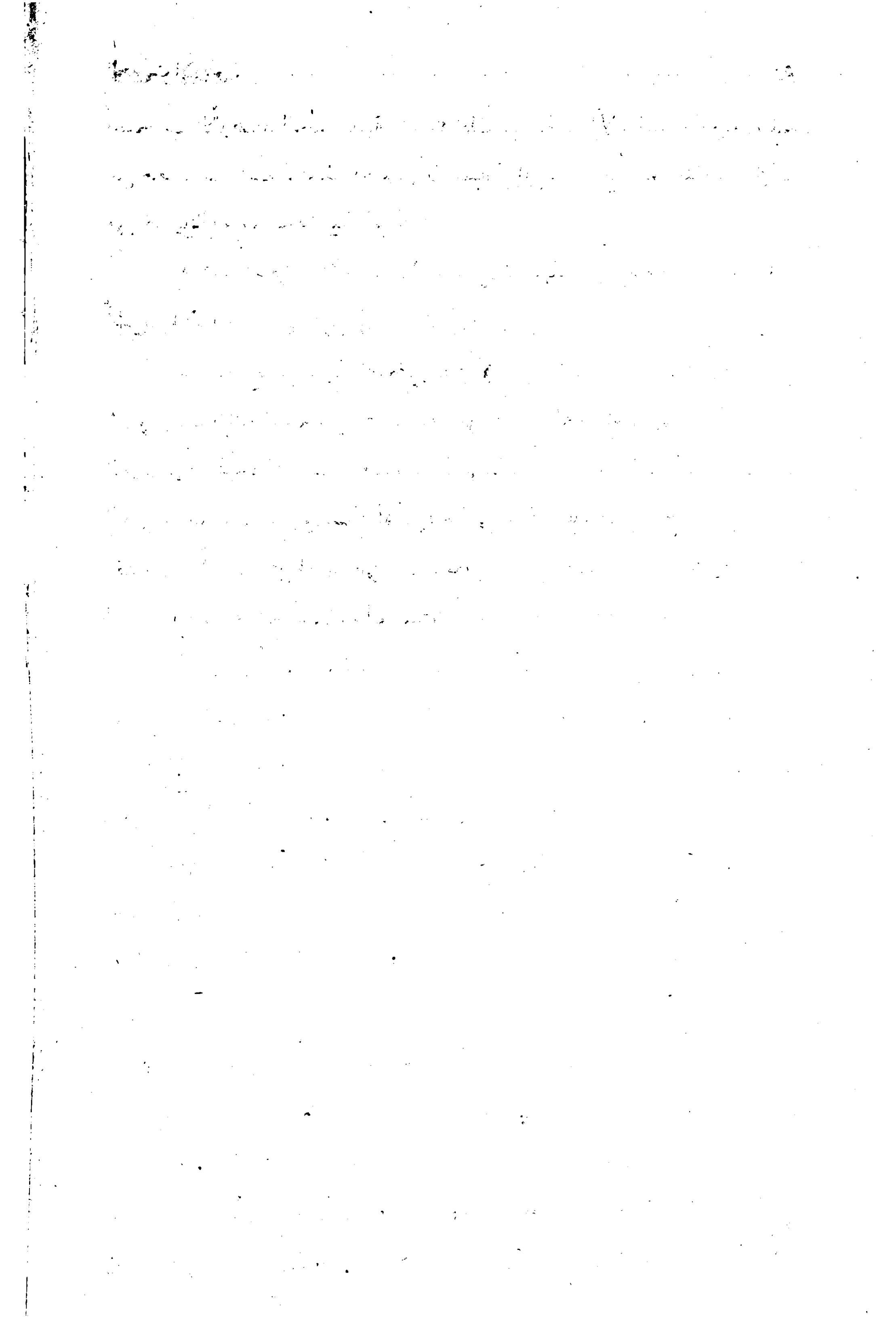
وقد نسب العلّامة في شرح حكمة الإشراق القول بوجود هذا العالم الى الأنبياء والأولياء والمتألّهين. و هو و ان لم تقم على وجوده شيء من البراهين العقلية لكنّه قد تأيّد بالظواهر النقليّة، و عرفه المتألّهون بمجاهداتهم الذوقية، و تحقّقوه بمشاهداتهم الكشفيّة.

و أنت تعلم أنّ أرباب الأرصاد الروحانية أعلى قدراً وأرفع شأناً من

أصحاب الأرصاد الجسمانية. فكما أنّك تصدّق هؤلاء فيما يلقونه إليك من خفايا الهيئات الفلكيّة فحقيق أن تصدّق أُولئك أيضاً فيما يتلونه عليك من خبايا العوالم المقدّسة الملكيّة.

وهاهنا أقطع الكلام شاكراً لله على توفيقه للإتمام، مصلّياً على أشرف الأنام وآله الهادين الى دارالسلام.

اتفق الفراغ من تأليفه ضحى يوم الاثنين ثالث العشر الثالث من ثاني شهور السنة الخامسة من العشر العاشر من المائة العاشرة من هجرة سيّد المرسلين عليه وآله أفضل صلوات المصلّين، على يد مؤلّفه الفقير الى الله الغني محمّد المشتهر ببهاءالدين العاملي وفّقه الله تعالى للعمل في يومه لغده قبل أن يخرج الأمر من يده بمحروسة إصفهان حُرست عن بوائق الزمان وطوارق الحدثان، والحمدلله أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً.



الفهارس العامّة

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس أسماء المعصومين (ع)

فهرس الأعلام

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ج ـ

ـ ح ـ

ـ خ ـ

ـ د ـ

ـ ذ ـ

ـ ر ـ

ـ ز ـ

ـ س ـ

- ش -

- ص -

- ط -

- ع -

ـ غ ـ

ـ ف ـ

ـ ق ـ

ـ ك ـ

- م -

- ن -

فهرس رجال الأسانيد

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ج ـ

ـ ح ـ

ـ د ـ

ـ ز ـ

ـ س ـ

- ش -

- ص -

- ع -

- غ -

ـ ف ـ

ـ ق ـ

ـ ك ـ

ـ م ـ

- ن -

- هـ -

- و -

- ي -

فهرس الفرق والمذاهب

ـ أ ـ

ـ ت ـ

ـ خ ـ

ـ ز ـ

ـ ش ـ

- ص -

- ع -

- م -

فهرس الجماعات والقبائل والأقوام

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ج ـ

ـ ح ـ

ـ ر ـ

ـ ش ـ

ـ ص ـ

ـ ع ـ

ـ ف ـ

- ق -

- ك -

- م -

- ن -

- هـ -

- ي -

فهرس البلدان والأماكن

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ج ـ

ـ ح ـ

ـ خ ـ

ـ س ـ

- ش -

- ص -

- ط -

- ك -

- م -

- هـ -

- ي -

فهرس الكتب المذكورة في المتن

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ج ـ

ـ ح ـ

ـ خ ـ

ـ د ـ

ـ ذ ـ

ـ ش ـ

ـ ص ـ

- ع -

- ف -

- ق -

- ك -

- م -

- ن -

فهرس الأشعار

فهرس الموضوعات